الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي

٥

رحلة تدبر

في رحاب القرآن



من سورة ق إلى سورة الناس




رحلة تدبر
في رحاب القرآن
٦



الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت

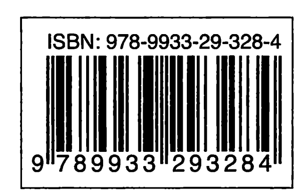
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة

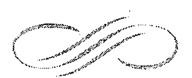
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤



رحلة تدبر
في رحاب القرآن



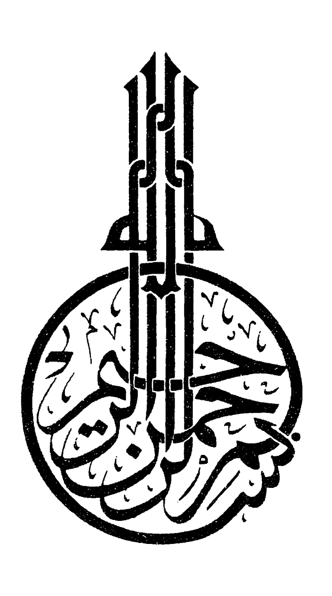
من سورة ق إلى سورة الناس



الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاحي



دمشق


بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ قٓ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴿٤﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾

التفسير

• ﴿قٓ﴾ من الحروف المقطَّعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾ العظيم الواسع الكريم.

• ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾ المكذِّبون للرسالة ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ أي رسول الله ﷺ ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ الجاحدون لأمر الله تعالى: ﴿هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢﴾ هذا أمر يستحقُّ العجب؛ يعنون ما جاء به النبي ﷺ من أمر البعث بعد الموت.

• ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣﴾ غير ممكن.

• ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡ﴾ ما تأكل من أجسادهم في البلى ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤﴾ حافظ لذلك.

• ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ أي الذي حملهم على التعجُّب تكذيبهم بأمر الله تعالى ووعده ووعيده ﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥﴾ مختلف مضطرب.

• ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ﴾ نظر اعتبار واستدلال على قدرة الله تعالى ﴿كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ بهذا الشكل وهذه الدِّقة ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالنجوم ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦﴾ من شقوق وصدوع.

• ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾ فرشناها ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ﴾ من كلِّ صنف ﴿بَهِيجٖ ٧﴾ في منظرٍ حسنٍ وشكلٍ جميل.

• ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ﴾ عظة وعبرة ﴿لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ لكلِّ من يخاف الله تعالى ويرجو لقاءه.

• ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ غيثاً مباركاً ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾ الزرع الذي يزرع ثم يحصد.

• ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ طوال شاهقات ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ ثمر متراكب.

• ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ ذلك كله عطاءٌ من الله تعالى لعباده ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾ بالغيث ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ لِما فيها من الجدب والقحط ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ من القبور.

• ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل كفار قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ ﴾ أصحاب البئر ﴿وَثَمُودُ ﴿١٢﴾﴾.

• ﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ ﴾ قوم نبي الله شعيب؛ والأيكة: المكان كثير الأشجار ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ أحد ملوك اليمن ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ جميعهم ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ حق عليهم وعيد الله تعالى وعذابه.

• ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ لم نعجز عن خلقهم أول مرة، فكيف نعجز بالإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ في شكٍّ من إرجاعهم بعد موتهم.

التَّدَبُّرُ

١ ـ الصراع بين الحق والباطل سُنَّةٌ ربانيَّة ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾ والإيمان بهذا المعنى موجبٌ للحركة والفاعلية في حياة كلِّ مصلح.

٢ ـ الغيرة والحسد مانعان من كثيرٍ من الخيرات التي تعرض لأصحابها ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾ لأنَّ المنذرين منهم رفضوا الدعوة من أصلها.

٣ ـ الجاهلية ترفض الحقائق، وتتصلب أمام انتشارها ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾ ينكرون رسالة الرسل، ويؤمنون بالحجر والصنم إلهاً يدير الكون!

٤ ـ الوحي يتولَّى تصحيح التصوُّرات، ويعيد بناءها ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤﴾.

٥ ـ مشكلة كثيرين أنهم يكذّبون بالوحي، ويردُّونه، ويقفون دونه، ويأبون ما فيه ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾.

٦ ـ لم يقبل الحق، فعاشَ في الشكوك والظنون والأوهام ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾.

٧ ـ لو نظروا بأبصارهم وعقولهم إلى هذا الكون لعرفوا الحقائق، وأقبلوا إليها مذعنين ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾.

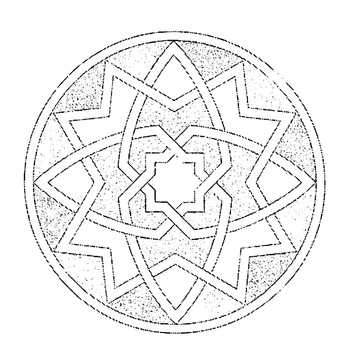
٨ ـ من فقهك وكمال عقلك إذا قرأت في الوحي شيئاً مباركاً، أن تُلقي بنفسك في رحابه لتصيبك الحياة ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩﴾ وقد كان نبيُّك يحسر ثوبه ليصيبه المطر، ويقول: «**إنَّه حديث عهد بربه**»[1]، هذا والله الفقه.

(١) رواه مسلم (٨٩٨) عن أنس رضي الله عنه.

٩ ـ التاريخ طافــح بالمعارضين والمكذِّبين منذ فجــره إلى يومك هذا ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾.

١٠ ـ كلٌّ من كذَّب بالحق وعارضه لقي وعيد الله تعالى، وعاين عذابه، واصطلى به أفراداً وجماعات ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

❀ ❀ ❀



وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ من الخواطر والمشاعر ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ حبل العنق؛ وهو عرق بين الحلقوم والودجين إذا قُطِعَ ماتَ الإنسان؛ يُضرب به المثل في القرب، والمراد قرب الله تعالى إليه بملائكة الموت.

- ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ الملكان اللذان يكتبان أعمال الإنسان ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ أحدهما عن يمين الإنسان، والآخر عن شماله مترصّد.

- ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ ما يقول من كلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ يراقب ما يقوله ويكتبه؛ وعتيد: مُهيّأً لذلك مُعَدٌّ له.

- ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ شدَّته ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ الذي لا مهربَ منه ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ تهرب وتفرُّ.

- ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ يوم القيامة.

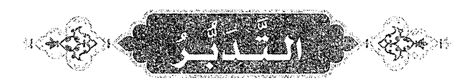
- ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ سائق من الملائكة يسوقها إلى أرض المحشر، وشهيد عليها بأعمالها من الملائكة.

- ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ الموقف ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ غطاء الغفلة ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ حادٌّ قويٌّ من أثر ما يرى وما يحيط به من الخوف.

- ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ مَنْ كتب أعماله من الملائكة: ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ هذا الذي وكلتني به في الدنيا قد أحضرته، وكتبت عنه كلَّ شيء.

- ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ الخطاب للسائق والشاهد ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ جاحدٍ للحقِّ كثيرِ العناد ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ في أيام الدنيا ﴿مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾ مُعتدٍ على حدود الله تعالى، وشاكٍّ في أمر الله تعالى ووعده ووعيده.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ فأشرك مع الله تعالى ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ عذاب جهنّم.
- ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ أي الشيطان الذي وكّل به ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ لَسْتُ أنا الذي جعلته طاغياً متجاوزاً للحد ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ كان هو الضَّالُّ.
- ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ عندي ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾ حذَّرتكم وأنذرتكم.
- ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ فيما قرَّرته على من خالف أمري ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ ولا أظلم أحداً من الناس.
- ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ لم أمتلئ بعد.
- ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أُدنيت وقُرِّبت ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ يوم القيامة.
- ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ أي الجنة ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجّاعٍ تائب إلى الله تعالى ﴿حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ حفظ أوامر الله تعالى ونواهيه.
- ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ السِّر ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ خاضع لله تعالى مُقبلٍ عليه.
- ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي الجنة ادخلوها والسلام يحفُّكم فيها من الله تعالى وملائكته ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿لَهُم﴾ أي للمتَّقين ﴿مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ في الجنة من نعيم ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ رؤية الله تعالى، وألوان النعيم.



١ ـ هل تخيَّلت علم الله تعالى المحيط بك! حتى نسائم أنفاسك وسؤالات ضميرك لا يخفى عليه منها شيء ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾.

٢ ـ ترفَّع عن خواطر الحضيض؛ فالله تعالى يراها ويرقبها ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾.

٣ ـ كم مرَّةً خجلت من الخلق من أن تُسمعهم صوت مكالمتك وأنفاس حديثك، فماذا عن الله؟! ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾.

٤ ـ ترفَّق بلسانك! فما يجري منه مكتوب ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾.

٥ ـ لو كُنَّا نفقه خطر ما نقول لتحرَّج أحدنا من مباح الكلام؛ فكيف بحديث العورات! ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾.

٦ ـ لحظة الموت هي اللحظة الفارقة التي لم يَقُمْ لها حظٌّ من الاستعداد عند كثيرين ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾.

٧ ـ الإيمان والعمل الصالح أعظم ما تواجه به قصة الموت في حياة إنسان ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾.

٨ ـ أحدهم مات عن مرض، وآخر في حادث، وثالث على سرير نومه، ورابع وهو يتحدّث عن قضيَّته، وخامس وهو راكب سيارته، وسادس وسابع وعاشر؛ لَقِيَهُم الموت في ساعةٍ غير متوقَّعة ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾.

٩ ـ كثير من الأغطية لا تُكشف إلا في نهاية الطريق ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾.

١٠ ـ مشكلة الغفلة أنها طويلة الأمد ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾.

١١ ـ يمكنك أن تتغافل عن مصالحك الشخصية، أما قصة وجودك فلا يُقبل فيها العمى ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾.

١٢ ـ مشكلته الكبرى الكِبْر؛ وهي ذاتها التي قيَّدت كثيرين عن نهايات التوفيق ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾.

١٣ ـ جماعةٌ كبيرةٌ من أهل الباطل لم يقفوا عند حدِّ الخطيئة، بل كانوا أنصاراً لها ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾.

١٤ ـ مَنْ شَرِبَ مِنْ حنظل الضلالة يلقي بحمئها على الآخرين ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾.

١٥ ـ ما أكثر صور هذه الخصومة في ذلك اليوم ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾.

١٦ ـ أمس كان يحتفي به، ويدلُّه على الطريق، ويُسانده في الضلالة! واليوم يقول ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ هذه صناعة الشياطين!

١٧ ـ ليس هو أول الساقطين في قعرها! ما زالت تطلب لاحقين له ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾.

١٨ ـ الأعناق المستكبرة تحتاج إلى نارٍ تلفتها للحقيقة من جديد ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾.

١٩ ـ لا تُجهد نفسك، أو تُعنّي جسدك! هي التي ستخطو إليك، وتمسح كدَّ الأيام من قلبك ومشاعرك ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾.

٢٠ ـ هل تحسب بأن خطواتك إليها ذهبت سدًى! كلَّا، سَترُدُّ جميلك، وتأتي إليك، وتغمرك بالفرح ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾.

٢١ ـ رجوعك عن خطيئتك ثمينٌ للغاية؛ فلا تَكلّ عن تكرار التوبة ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾.

٢٢ ـ إجلالك لشريعة الله تعالى؛ وحفظك لأوامره هو الذي يبلّغك مناك ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾.

٢٣ ـ الذين حفظوه في السّرّ وعظّموه في الخلوة، وأجلُّوه في الظلام، يستحقُّون شرف الجنان ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٢٤ ـ تخيّل ضيفك، وهو يرحِّب بك، ويجلُّ مجيئك، ويكثر من الترحاب بك! وتخيّل في المقابل ملائكة الرحمن وهم يستقبلونك بالتهاني والإكرام! ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٢٥ ـ تعبك، جهـدك، معاناتك، لن يبقى منها شـيء ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾.

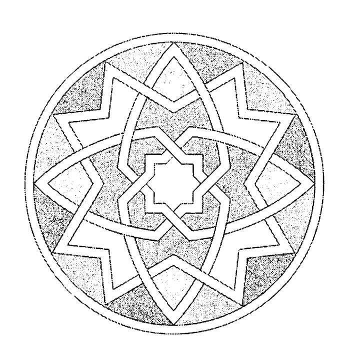
٢٦ ـ كلُّ مُتَعِ الدنيا مشوَّشة؛ إلَّا متع الآخرة، فليس فيها سوى النعيم ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٢٧ ـ الجنة فوق تصوُّرك، وأبعد من خيالك، ومع ذلك ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٢٨ ـ لا يفرّط في هذا النعيم إلا مخذول ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٢٩ ـ إذا اجتهدت فـي طاعةٍ أو تاقت نفسـك لمعصيةٍ، فألقِ علـى قلبك بهذه المشاهد الكبار ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾.





وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

التفسير

- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ كم أهلكنا من أمم مضت على غير هدى ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أكثر قوة من كفار قريش ﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ ساروا فيها ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾ من مهرب ومفرٍّ من الله تعالى.

- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ إهلاك هذه القرون ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ لب وعقل

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أصغاه واستمع للعظة والذكرى ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ حاضر بكلِّ حواسه.

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ من تعبٍ ونصبٍ.
- ﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا رسول الله ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من كفر وتكذيب واستهزاء ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ نزِّهه وأجِلَّه وقدِّره ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ بالصلاة والذكر.
- ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ كذلك بالطاعات.
- ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ وذلك حين ينفخ إسرافيل في الصور يوم القيامة.
- ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ من القبور إلى أرض المحشر والجزاء.
- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ المرجع والمآب.
- ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ مسرعين إلى موقف الحساب ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ جمع الناس في مواقف العَرَصات وحسابهم.
- ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من أقوال الشرك والكفر والاستهزاء ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ تجبرهم على الهداية ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ عظ وذكّر به من يخاف لقاء الله تعالى يوم القيامة.

التَّدَبُّر

١ ـ قلّب بصرك يميناً وشمالاً؛ فالعبر تفوق الوصف ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

٢ ـ الذكرى لا تقع إلا في قلب حي ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

٣ ـ أثر القرآن في قلبك وقفٌ على صدق إقبالك وتوْقِ مشاعرك إليه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

٤ ـ الذي خلق هذا العالم قادرٌ على نصر المؤمنين وإركاس الضالّين ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾.

٥ ـ هل أقلقك واقعك، وأدمى قلبك، وأرّق مشاعرك؟! تجمّل بالصبر واجتهد في الإقبال على ربك ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾.

٦ ـ الكلام الذي يقال لك أشدُّ عثرات الطريق، ودواء عواصفه أخلاق الصابرين ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

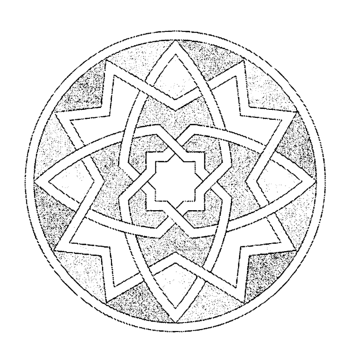
٧ ـ قصة النهاية باختصار ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

٨ ـ لا تحمّل خاطرك فوق طاقته، ولا تجادل الضالِّين فوق وسـعك، الله تعالى يدبِّر شأن كلِّ شـيءٍ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

٩ ـ ليس دورك هداية الناس وإقناعهم بالشـرب من ماء الحيـاة المعين! دورك عرض مباهجه فحسب ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

١٠ ـ يا معاشر الدعاة والمصلحين! القرآن لم ينزل للتلاوة حتى تزداد به الحسنات فحسـب، بل نزل لتهتدي به قلوب العالمين ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

التفسير

• ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾ الرياح تذرُّ التراب، فتنقله وتسوقه وتحرِّكه.

• ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾ السحاب تحمل الماء الكثير، ووقراً: أي ثقلاً من الماء.

• ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣﴾ النجوم التي تسير وتجري بيسر وسهولة.

• ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾ الملائكة تقسّم ما أمرها الله تعالى بتقسيمه، كلُّ مَلَكٍ فيما يخصُّه.

• ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦﴾ البعث والجزاء واقع صادق لا مرية فيه.

• ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧﴾ ذات الصنع البديع المستوي ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨﴾ في أمر الوحي والرسالة.

• ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ يُصرف عن الإيمان بالله من صُرف في علم الله تعالى.

• ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠﴾ لُعن وأُهلك الكذَّابون المرتابون.

• ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ غفلةٍ وجهالة ﴿سَاهُونَ ۝١١﴾ غافلون.

• ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢﴾ متى يوم القيامة؟! سؤال تهكُّم واستبعاد.

• ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ يُعذَّبون.

• ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ عذابكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾ هذا هو العذاب الذي كنتم تستعجلونه وتكذِّبون بوقوعه.

- ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وهم الذين جعلوا بينهم، وبين عذاب الله تعالى وقايةً؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ بساتين وأنهار.

- ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من أصناف النعيم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ في أيام الدنيا.

- ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ قليلاً ما ينامون لأنَّهم يتعبَّدون الله تعالى في جوف الليل.

- ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ السَّحَر ما قبل الفجر؛ يستثمرونه في الاستغفار، وهو وقت إجابةٍ للدعاء.

- ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ نصيبٌ مُقَدَّرٌ لمن يسألهم من الناس، وللمحروم الذي يتعفَّف عن سؤالهم.

- ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ عبرٌ وعظاتٌ للمتفكِّرين.

- ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ وكذلك في الأنفس آيات وعبر وعظات.

- ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ الدينية والدنيوية ﴿وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ من أمر الساعة والقيامة والجنة والثواب والنعيم.

- ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قسم من الله تعالى بنفسه ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ يوم القيامة وما فيه من الجزاء ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ كما أنَّكم تتكلمون.

- ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أما جاءك نبأ وخبر ضيوف إبراهيم الذين وفدوا عليه من الملائكة في قصَّة هلاك قوم لوط.

- ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٢٥﴾ غير معروفين ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦﴾ ذهب إلى أهله خفية، مبالغة في كرمهم، وجاء لهم بعجل مشوي، سمين الجسم، طيب الأكل.
- ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧﴾ رآهم لم يمدوا أيديهم فدعاهم إلى الأكل.
- ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ لما رأى أيديهم لا تصل إلى الطعام ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ لا تقلق ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨﴾ أخبروه بأنه سيولد له غلام صاحب علم.
- ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ وهي سارة ﴿فِى صَرَّةٍ﴾ صرخة شديدة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ ضربت وجهها تعجُّباً واستعظاماً للأمر ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩﴾ كيف ألد، وأنا عجوز عقيم كبيرة؟
- ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ هذا أمر قاله الله تعالى وما نحن إلا مبلِّغين ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٠﴾ لما قرَّر وحكم به.

التَّدَبُّر

١ ـ عظم مخلوقات الله تعالى ﴿وَٱلذَّٰرِيَـٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَـٰمِلَـٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَـٰرِيَـٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾ ولا يقسم ربك إلا بعظيم!

٢ ـ حكمة الله تعالى من خلقه، فلا ترى مخلوقاً في هذا الكون إلا لحكمة وغاية ﴿وَٱلذَّٰرِيَـٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَـٰمِلَـٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَـٰرِيَـٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَـٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾ فأَجِلَّ ربك وعظِّمه، وقُمْ له بحقِّه، واعلم أنَّ كلَّ ما تراه، فلله تعالى فيه أسرار وغايات.

٣ ـ ثمَّة يومٌ يجري فيه حساب كل شيء ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾.

٤ ـ ما كُلُّ موفَّقٌ لهذا الدين، كم من مصروفٍ عن طريقه! وضالٍّ عن مباهجه! ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ فلا تغترَّ بمواهبك وقدراتك وإمكاناتك.

٥ ـ ماذا يبقى للإنسان إذا صُرف عن دين الله تعالى وضلَّ عن الطريق؟! ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ لو كانت الدنيا كلها في يديه ما تصنع له! وما تنفعه في شيء.

٦ ـ الغفلة أسوأ ما ابتُلي به إنسان ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢﴾ يعرفون كلَّ شيء، ويسألون عن أعظم القضايا الضائعة في حياتهم.

٧ ـ من كمال عقلك أن تُجْرِيَ حساباً للطريق إلى الله تعالى، وتعرف أين بلغت من حقائق تلك الأيام ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢﴾.

٨ ـ من سقط في فتن الشهوات؛ تعرّض لفتن النار حتى يفيق ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾.

٩ ـ مشكلة الكثيرين أنّهم لا يفيقون حتى يغشاهم العذاب ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾.

١٠ ـ إذا أردت أن تشرف على مباهج أهل التقوى، فألق بقلبك ومشاعرك في هذا النعيم ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦﴾.

١١ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

١٢ ـ الإحسان مع ربك والإحسان مع خلقه مؤذنٌ بمباهج النهايات ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

١٣ ـ من إحسانك مع ربِّك أن تقيم عبادته، وليس في قلبك سواه، وأن تصرف له كل شيء من قلبك ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

١٤ ـ من إحسانك مع ربِّك أن تقيم شـأن العبادة إخلاصاً وخشوعاً ورغبة ورهبة ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

١٥ ـ ومن إحسـانك مع خلق الله تعالى أن تحبَّ لهم ما تحبُّ لنفسـك، فترحم ضعيفهم، وتحنو على صغيرهم، وتجلُّ كبيرهم، وتعينهم على قضاء حوائجهم، وتنصح لهم، وتقيم فيهم شـأن دين الله تعالى من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة العامة على حسـب قدرتك واستطاعتك ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

١٦ ـ من أكثر مشاهد الإحسـان التي بَلَغَتْ بهؤلاء إلى النعيم الكبير قيام الليل، والاستغفار بالأسحار، وإنفاق الأموال ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾.

١٧ ـ اقبض على هذه الثلاثة، وأَحْسن العمل فيها، وتمسّك بها، وأَدِرْ فيها شأناً مع ربِّك، وستبلغ أحلامك التي تريد ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾.

١٨ ـ كم مرَّةً احتاجت قلوبنا ومشاعرنا إلى أن تروى من التفكّر في بدائع الله تعالى في هذا الكون؟! ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

١٩ ـ خلق السماء والأرض والإنسان أعظم مشاهد الكون وأكثرها دهشة في واقع الحياة ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾

وتزعم أنَّك جِرْمٌ صغيرٌ وفيكَ انطوى العالَمُ الأكبر

٢٠ ـ ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ فلا تقلق على رزقك، سيأتي في موعده، ولن يتخلَّف منه شيء.

٢١ ـ ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ حتى لو وقف العالم كله ليمنعك منه ويحجبه عنك ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

٢٢ ـ موعد الجزاء يستحق هذا القَسَم الكبير ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

وليس يصحُّ في الأفهامِ شيءٌ إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلِ

٢٣ ـ ما لم تتحوّل مشاهد هذا اليوم إلى واقعٍ حيٍّ في حياتك، فلا مفروح بعد ذلك بشيء من العلم ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

وَهَبْني قلتُ هذا الصُّبْحُ لَيْلٌ أيعمى العالَمُوْنَ عن الضياءِ

٢٤ ـ القصَّة هي الطريق الأمثل لبناء قيمك ومفاهيمك، وبابٌ يمكن أن يُشيِّد للتصوُّرات واقعاً كبيراً في حياتك مع الأيام ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟

لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

٢٥ ـ إذا أردت أن تحيي مفهوماً أو تبني تصوّراً أو تقيم شأنك لفضيلة وقيمة، فادخُل إلى ذلك من باب القصة والمثال ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ وهي نصيحةٌ للآباء والمربِّين والمعلِّمين، ومَنْ له علاقةٌ بشأن التربية من قريبٍ أو بعيدٍ.

٢٦ ـ العناية بقراءة سير الكبار والقدوات والمؤثِّرين وصُنّاع الحياة ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

٢٧ ـ إكرام ضيفك دينٌ وأدبٌ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ وليس بالضرورة أن يصبح العجل السمين هو رأسها وقاعدتها، فعالم اليوم يموج بكثيرٍ من النعيم، وحسبك من الاستقبال الود والتقدير.

٢٨ ـ من لطيف أدبك وكمال ضيافتك؛ حسن الاستقبال والترحيب بضيفك ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

٢٩ ـ حرصك على إسعاد ضيفك أدبٌ ينبغي أن يجري في واقعك ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وهذا السؤال من إبراهيم عليه السلام حين رأى أنهم لم يقربوا طعامه بالكلية، وإلَّا فمن الإكرام أن تدع ضيفك على سجيَّته وألَّا تحرجه بكثرة السؤال.

٣٠ ـ من جمال أدب الضيف وحسن خلقه أن يبلّغ مضيفه بسبب مجيئه حتى لا يبقي نوافذ مفتوحة للقلق ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾.

٣١ ـ إذا أراد ربك أمراً قال له كن فيكون ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ على خلاف العوائد التي جرت في جنس بني آدم! امرأةٌ كبيرةٌ وعاقرٌ، ومع ذلك أدار الله تعالى شأنها على غير عادة.

٣٢ ـ إذا أراد ربك أن يمنحك ويعطيك ويكرمك؛ فلا رادَّ لفضله ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾.

٣٣ ـ يمكن أن تُغيَّر السنن من أجل إكرامك؛ فتفاءل ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾.

٣٤ ـ قلَّة صبر المرأة وضعف تحمُّلها للأحداث الكبيرة والمفاجئة ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ انظر للفارق الكبير في استقبال هذا الخبر بينها وبين زوجها إبراهيم عليه السلام ! ولهذه اللطيفة، وغيرها صار الزوجان مكمِّلان لبعضهما مثيران لأحداث واقعهما.

٣٥ ـ إيَّاك أن تقول: (صعب) و(مستحيل)، و(لا يمكن)؛ فالله تعالى أقدر على كل شيء ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

٣٦ ـ حتى لو قال الأطباء كلّهم: ليس لمرضك علاج، وأراد الله تعالى شفاءك، فلا رادَّ لقضائه ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

٣٧ ـ العلم يصنع فارقاً في الأحداث ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ لكمال علمهم بربهم أصبح ذلك شيئاً عادياً مستقراً في الأذهان والعقول.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

التفسير

- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾﴾ ما شأنكم ولِمَ جئتم؟!
- ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ قوم لوط.
- ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ حجارة السجيل؛ وهو الطين الذي أُوقد عليه حتى تحجَّر.
- ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ معلَّمة؛ كل حجر عليه اسم صاحبه.
- ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ أنجينا من كان في قرية لوط من أهل الإيمان، وهم لوط وأهل بيته سوى امرأته.
- ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ بيت لوط عليه السلام.
- ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ تركنا في هذه القرية عبرة وعظة لكل من يخاف الله تعالى.
- ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ في ذكر قصته عبرةٌ وعظةٌ وآية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ حجَّةٍ ظاهرةٍ ودليلٍ قاطعٍ، وهي الآيات التسع؛ كالعصا واليد.
- ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أعرض إلى جنوده مغترّاً بهم، فهم ركنه وعونه ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾﴾ يعني موسى إما ساحر أو مجنون.
- ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ ألقيناهم في البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ ملوم على ما هو فيه من الكفر والطغيان.
- ﴿وَفِى عَادٍ﴾ عبرة وعظة، وهم قوم نبي الله هود عليه السلام ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ الريح المهلكة المدمِّرة.

• ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ كالهشيم الهالك بأمر الله تعالى.

• ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ عبرة وآية وعظة ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾ تمتَّعوا وابقوا على ما أنتم فيه حتَّى ينزل بكم العذاب، وتحلَّ بكم النقمة، وكان ذلك الحين ثلاثة أيام كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٥٦].

• ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ عصوا وتمرَّدوا وبغوا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ الصيحة التي حلَّت بهم، وهم ينظرون إلى عقوبتهم بأعينهم.

• ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ بعد ما حل بهم العذاب ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وما كانوا قادرين على دفع ما حلَّ بهم.

• ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ كانوا كهؤلاء، فوقع بهم ما وقع بهؤلاء.

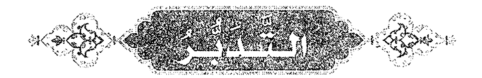
• ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ بقوَّة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ لأرجائها وأنحائها.

• ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ بسطناها وجعلناها فراشاً وذلولاً ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ثناء من الله تعالى على نفسه.

• ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ من جميع المخلوقات خلق صنفين اثنين، ونوعين متقابلين.

• ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ اعملوا كلَّ ما أمركم به، واتركوا كلَّ ما نهاكم عنه ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ محذّر ومخوّف لكم من عقابه.

• ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ لا تشركوا به ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ محذّر ومخوِّف من عقابه.



١ ـ إذا جرت أحداث العقوق في أرض، فإنَّ لهـا زمناً يقع فيه العذاب ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤﴾.

٢ ـ لا تستبطئ عقوبة ربك، وإذا زلَّت قدمك في معصية عن عمدٍ، فترقّب حلول أجل القصاص، ولو بعد حين ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤﴾.

٣ ـ الكثرة ليست دليلاً على الحق ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤﴾ أمة بأسرها عكفت على باطل، وعاشـت عليه، ولم ينجُ منهم من تلك الفتنة إلا آل لوط عليه السلام.

٤ ـ لا تغترَّ بهذه الجماهيـر الغائبة عن منهج الله، والضائعـة في طريق الهوى؛ فالكثرة ليست برهاناً على الحقائق ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤﴾.

٥ ـ عادة الله تعالى الجارية، وسننه المقررة، أن كل من تجاوز حدَّه جعله الله تعالى عبرة للنـــاس ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

٦ ـ (اللواط) قصة انتكاس الفطر، وخسَّة الطباع ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

٧ ـ أجيال اليوم مع التقنية الحديثة مُهدَّدة في أعراضها، ومُقبلة بالأمة على فواجع النقم إن لم يُعَدْ بناء الفضائل والقيم في نفوســهم من جديد ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

٨ ـ لم تعد التقنية التي تثير الفواحش، وتبثُّ الغرائز بمنأى عن أبنائنا وأجيالنا، وإنَّما باتت تســامره في ســرير نومه، وتقضي معه وقت فراغه، وتشاركه همومه حتى في الطريــق العــام ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

٩ ـ هل تصــوَّرت أنَّ ولدك وابنتك حيــن يغلق كُلٌّ عليه بــاب غرفته، ويطفئ ضوءها يجوب العالم بعينه، ويقف على مجهضــات الحياء من واقعه كل ليلة ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

١٠ ـ لا يمكــن أن تواجه ماديات اليــوم التي تثير مكامن الشــهوات في نفوس الأجيال إلا من خلال التربية على الإيمان، والعمل الصالح والرقابة الذاتية ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

١١ ـ عصر الشـهوات يقضي على كل الحلول التي تفرض الرقابة الخارجية حَلًّا لعلاج مشكلاتها، وليس بين يدي الأمة اليوم إلا أن تعيد تأهيل نفوسها وأجيالها على القيم والمثل والمبادئ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

١٢ ـ ليس من شأنك حساب أتباعك في مشروعك، ومتابعيك في وسائل التواصل الاجتماعي، الكبار قبلك لم يكن من شـأنهم مثـل هذا ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

١٣ ـ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ وما ضرَّه شيءٌ، وما حوسب عليه، وما سئل عنه قط.

١٤ ـ لن يضيـع إيمانك في غمرة الأحـداث ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ سيرعاك الله تعالى ويكلؤك بحفظه حتى في أشدِّ الظروف.

١٥ ـ من سار على الطريق ذاته فلينتظر النهاية ذاتها، ولو بعد حين ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾.

١٦ ـ ليس من شأنك هداية العالمين، وإنَّما حسبك إبلاغ دين الله تعالى ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ وهذا العرض لدعوة المصلحين وعدم استجابة أقوامهم لهم دليل على هذا المعنى.

١٧ - دروس التاريخ أكثـر الدروس أثراً وعبـرة ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ فلا تُلْقِ بـالاً للذين يعارضون الحق، ويجتهدون في إعاقة انتشاره، سيأتي يومٌ للنهايات.

١٨ - ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ نافذةٌ على بعض مظاهر قدرة الله تعالى في الكون.

١٩ - ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ فرُّوا من حولكم وقوَّتكم إلى حول الله تعالى وقوته، فرُّوا من صور الجاهلية ووعثائها وظلامها إلى صور الحق وصفاء الوحي، فرُّوا من الأرض المثقلة بالعوائق إلى السماء المليئة بأحداث الروح.

٢٠ - اقرأ درسك بإمعان! لا تمضِ إلى ربِّك ماشـياً، بل انفر قدر وسعك وبكل جهدك؛ فذلك هو القرار ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾.

٢١ - فرارك إلى الله تعالى بفرار قلبك من رجـاء المخلوقين، والتماس رضاهم إلى رجاء الخالق والتماس رضاه ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾.

٢٢ - فرارك إلى الله يستلزم أن تُقبل على طاعته، وتستنفد فيها طاقتك، وتجتهد قدر وسعك، وألَّا تبقي شيئاً من جهدك لم تصنعه، وأن تفرَّ من معصية الله تعالى: كبائر الذنوب وصغائرها، قليلها وكثيرها، وأن تعظِّم شعائره تعالى، وتجلَّ أحكام شريعته ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾.

٢٣ ـ إذا أذَّن المؤذن، ففرارك إلــى الله تعالى بترك كل ما في يديك والإقبال إلى مراتع العز والتمكين ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾.

٢٤ ـ إذا قامت فضيلة، أو دُعيت إلى قضيَّةٍ للأُمَّة ففرارك إلى الله تعالى أن تمسك بناصيتها، وتأتي على آمالها، وتقوم بها فــي العالمين غير ملتفت لكل عوارض الطريق ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾.

٢٥ ـ ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ فلا يراك الله تعالى في موقع ليس لك، ولا من شأنك، ولا يليق بطريقك ومنهجك في الحياة.

٢٦ ـ ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١﴾ ليس بالضرورة صنم الجاهلية وحَجَرها الذي كانت تلتمس فيه البركة بالأمس، وإنَّما كل صورة يُجَلُّ فيها مخلوقٌ أو عادة أو شيءٌ على حساب منهج الله تعالى وشريعته.

٢٧ ـ كلُّ عملٍ أو فكرةٍ أو قضيةٍ قدَّمتَ مرادها علــى مراد الله تعالى، فهي من الآلهة التي نهاك الله تعالى عنها ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١﴾.

٢٨ ـ يمكن أن يكون الإله نظامك الذي تديره في مسؤوليتك، أو مسؤولك الذي تؤلّهه في قلبك، أو عادة قبيلتك وصنمها الذي تصادم به شريعة الله تعالى ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١﴾.

❀ ❀ ❀

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

التفسير

- ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ ما قاله لك قومك هو ما قاله الأولون لرسلهم.

- ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ هـذا الذي يتّهمونك به على سبيل الوصاية بينهم أم لطغيانهم ورفضهم للحق.

- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾ أعرض عنهم فلا لوم عليك بعد البلاغ.

- ﴿وَذَكِّرْ﴾ بالموعظة والترغيب والترهيب ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ ينتفع بها المؤمنون المتّقون.

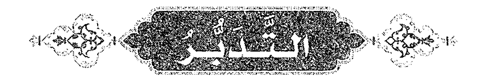
• ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ ليقوموا بحــقِّ الله تعالى من الأمر والنهي.

• ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ ولا أنتظر منهم عطاءً ولا إطعاماً.

• ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ واســع الرزق وكثير العطــاء ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ صاحب القوة والقدرة التامة.

• ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ نقضوا عهد الله تعالى، ولم يقوموا بأمانة الحق الذي جاء لسعادتهم ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ لهم نصيب من العذاب كنصيب أصحابهم ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾ طلب العقوبة والعذاب، فهو واقعٌ بهم.

• ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ تهديد ووعيد للكافرين من يوم القيامة.



التدبر

١ ـ دفاع عدوك عن شهواته سيظلُّ ما بقيت الحياة، فتشبّث بمنهجك ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

٢ ـ خذ مشروعك، وابدأ فكرتك، واســتلم قضيتك وفي ذهنك أنَّ عدوك على الطريق ينتظرك ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

٣ ـ الباطل متفق في جذوره وأسســه مــع بعضه بعضاً، مهمــا تباعدت أقطاره والخلاف لا يعدو الوسائل ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

٤ ـ لا تلتفت للناعقين في عرض الطريق! امضِ في سبيلك ومنهجك، ودَعْ نواح الباكين ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾.

٥ ـ لا تتوقَّف عن دعوتك ورسالتك وفكرتك لأجل معارضة عدوِّك ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾.

٦ ـ كم من إنجازٍ ثمينٍ من أثر دعوتك، ولو لم تره في حياتك! ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

٧ ـ لا تحتقر جهداً تقدِّمه، فما يدريك كم تحيي به من قلب! ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

٨ ـ لا تبتئس من قيام المعرضين عن دعوتك! لعلَّهم لا يصلحون للهداية ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

٩ ـ موعظتك ستترك ربيعاً في قلوب المؤمنين؛ ولو بعد حين ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

١٠ ـ لا تفوّت فرص هذه الدعوة! فلعلَّ مستمعاً ينتظر أفراحها، ويقوم بها بعد ذلك في العالمين.

١١ ـ إياك أن يقول لك الشيطان: الوقت غير مناسب، ومرة أخرى، والوقت ضيق، ثم يحرمك أفراح دعوتك ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

١٢ ـ العبادة أعظم غاية وُجِدَ لها الإنسان في الحياة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

١٣ ـ شأن العبادة أعظم من الصور التي تراها في واقعك ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

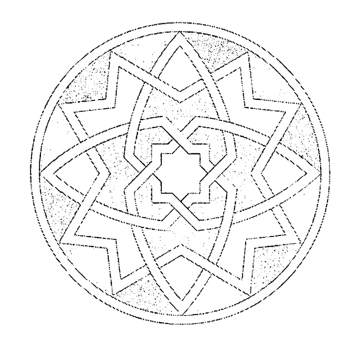
١٤ ـ العبادة اسم جامع لكلِّ ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

١٥ ـ ثمَّة يومٌ لكلِّ ظالمٍ وكافرٍ ومعارضٍ للحقِّ، سيرد فيه على الحقائق، ويُجازى على كل شيء ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

١٦ ـ مواعيد الانتظار مُملَّة إلا هذا الميعاد ينتظر بشوق ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

١٧ ـ الفرح بفوزك ونصرك وموعدك مع الحياة شيء، والفرح بميعاد الظالمين والانتصار عليهم شيء آخر ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾.





سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

التفسير

- ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾﴾ الجبل الذي كلّم الله تعالى عليه نبي الله تعالى موسى عليه السلام.
- ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾ القرآن الكريم.
- ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾﴾ في جلد مُسطّرٍ مكتوب.
- ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾ البيت الذي في السماء بحذاء الكعبة معمور كل الأوقات بالملائكة.

- ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥﴾ السماء.
- ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾ المملوء ماءً.
- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾ مُتحقّق.
- ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾ يردُّه ويدفعه.
- ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩﴾ تدور وتضطرب حركتها.
- ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠﴾ تزول عن أماكنها، وتسير كما يسير السحاب.
- ﴿فَوَيۡلٞ﴾ كلمة تهديد ووعيد ﴿يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ بوقوع يوم القيامة.
- ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ﴾ في باطل ﴿يَلۡعَبُونَ ۝١٢﴾ يعبثون.
- ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣﴾ يدفعون إليها دفعاً.
- ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾ في الدنيا.

التَّدَبُّرُ

١ ـ هذه عوالم تدفع بك للحياة ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾.

٢ ـ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾ الحقيقة التي لم يستوعبها كثيرون! ومن كمال عقلك وعلمك إجلالك لهذا اليوم والعمل له.

٣ ـ سيتغيَّر العالم يوماً ما لأجل تلك الغاية الكبرى ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠﴾.

٤ ـ يا حسرة على فوات الفرص من حياة كثيرين! ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

٥ ـ متى كان دين الله تعالى، ومنهج الحق عبثاً ولهواً في الحياة؟! ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

٦ ـ دين الله تعالى منهج ضابط لشهوات الإنسان، وكابح لجماحها، وليس فوضى، كلَّما رغب الإنسان في شيء فعله ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

٧ ـ كثير من صور التديُّن التي تراها مغشوشة في واقع صاحبها لأنَّه خلط حقَّها بباطلها ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

٨ ـ لا تستغرب في مثل زمانك أن تجده في واجب ثم في مُحرَّم، في مستحب وفي مكروه، في فضيلة وفي رذيلة، حامل للواء دينه وحامل للواء النفاق، كنافذةٍ من مساحات هذا الخوض والعبث ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

٩ ـ ثمَّة يومٌ تتبيَّن فيه الحقائق الكبرى ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

١٠ ـ يُدفعون إليها بلا كرامة كما لم يحتفلوا بدين الله تعالى في واقع الحياة ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

❀ ❀ ❀

أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا
تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ
فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ
عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾
مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ
عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ
وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾
۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ وَأَقۡبَلَ
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ
﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا
مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ
بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ
ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

التفسير

- ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ هذا الذي ترونه من العذاب والنار هل هو مجرَّد سحرٍ أم أنَّكم لم تكونوا أصحاب بصيرة في الدنيا؛ فلم تنتفعوا بما جاءكم من الآيات.

- ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ ادخلوا النار، وقاسوا حرَّها ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ صبركم عليها أو عدمه سـواء؛ لأنَّه لا فـكاك منها ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ هذا جزاء أعمالكم في الدنيا.

- ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقايةً؛ بفعل أوامره، واجتنـاب نواهيـه ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ بسـاتين ﴿وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ فـي أرواحهم وأبدانهم وقلوبهم.

- ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ متمتِّعين به على وجه الفرح والسرور ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ أنجاهم من عذاب النار.

- ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾ هانئين متلذِّذين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ بسبب أعمالكم.

- ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ أرائك مزيَّنة، يجلسون عليها على وجه الراحة والنعيم ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ وصف الزوجة بالحور، وهو شـدَّة بياض العين وشدَّة سوادها، وهذا غاية ما يكون من الجمال.

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ ومـا نقصناهم من عملهم من شـيء، فلم نحطّ من درجـة الوالدين مقابل رفع ذريتهم معهـم ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ مرتهن بعمله؛ فلا يؤاخذ أحدٌ منهم بذنب غيره.

• ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ﴾ أعطيناهم كل ما يتفكَّه به الإنسان من نعيم ﴿وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢٢﴾ مما تستلذُّ نفوسهم وتشتهيه ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا﴾ يتناولون فيها كؤوس الخمر على سبيل الأنس والمداعبة ﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾ لا يحصل بسبب شربها كلامٌ لاغٍ من الباطل، ولا إثم فيها لأنها لا تسكر.

• ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ﴾ يدور عليهم غلمان يخدمونهم ويقضون حوائجهم ﴿كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤﴾ في جمال هيئتهم وحسنها.

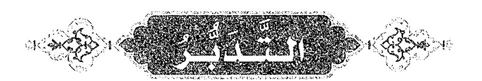
• ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥﴾ يتساءلون ويتذاكرون حالهم في الدنيا ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦﴾ كُنَّا في الدنيا خائفين من الله تعالى.

• ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ تفضَّل علينا، وأنجانا من النار.

• ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُ﴾ نعبده، ونتضرَّع إليه رغبةً ورهبة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ صاحب البرِّ والإحسان والرحمة.

• ﴿فَذَكِّرۡ﴾ بالحقِّ الذي معك ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠﴾ بل يقولون هو مجرَّد شاعرٍ ننتظر به الموت لنرتاح منه.

• ﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ٣١﴾ انتظروا، فإني معكم من المنتظرين.



التدبُّر

١ ـ نافذة على سوء النهايات التي يجلبها التفريط ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦﴾.

٢ ـ هل ترى بأنَّ الله تعالى ظلمهم! كلَّا ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إنما سعوا جادّين بأنفسهم لخسارة الدارين.

٣ ـ على قدر عملك تصنع مستقبلك ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٤ ـ أعظم نعيم بعد رؤية ربِّك نعيم الجنان ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ دع خيالك يسرح في مباهج هذا النعيم.

٥ ـ من كمال نعيمك أن تأمن فواته، وتطمئن لاستمراره ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ كم مِنْ لذيذٍ يطـارده خوف الزوال! وكم من لذيذٍ يداهمه الخوف فيذهب بلذَّته؟!

٦ ـ أرقُّ لحظات المتعة تلك التي يتقابل فيها الأصدقاء مجتمعين مؤتلفين فرحين بعد عناء الطريق ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾.

٧ ـ نعيم الروح من أرقى المباهج التي يعيشها المؤمن في الجنان ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ ماذا بقي بعد لقاء من تحب؟!

٨ ـ هل تريد لقاء صديقك وروح قلبك ومشاعرك وأنس حياتك؟! أقبِلْ على العمل، وأثِرْ مساحات الأماني كما تشاء ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾.

٩ ـ إيَّاك أن تتخلَّف عن ساحات الشرف، فتأتي متخلِّفاً عن الركب! ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾.

١٠ ـ من إكرامك أن يُلحق بك ولدُك ليكتملَ أُنسـكَ، وتزداد مباهجك ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾.

١١ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩﴾ تعبوا في الطريق، واستراحوا في النهاية.

١٢ ـ من بالغ الشوق تُستدعى الذكريات ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦﴾.

١٣ ـ جهدك، وعملك، أيامك ولياليك، وثوران الغبار من أقدامك! ستأتي في مشهد الذكريات ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥﴾.

١٤ ـ اجتماعاتكم، أُنسكم، أحاديثكم، نقاشاتكم الطويلة من أجل دينكم! ستعود محفلاً للذكرى! ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦﴾.

١٥ ـ حتى أحاديثك التي دارت مع زوجك على فضيلة، ومع ولدك على قضية، ومع صديقك على مبدأ! ستأتي ضمن أشواق الذكرى ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦﴾.

١٦ ـ قُم إلى ساحات العمل والبناء والتضحيات والحياة التي ستُعيد ذكراها في عالم الجنان من جديد ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

١٧ ـ كانوا يضعون للموت ألف حكاية! ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

١٨ ـ إذا سمع حديثاً عن الموت قال: دعنا نعيش، فَاتَهُ أنَّه هو الحياة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

١٩ ـ حين يكون خوفك سراجاً يبدِّد ظلام الليل، وحادي الطريق الطويل ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

٢٠ ـ حين يأتي العمل والدعاء متعاضدَين في تحقيق الهدف والرؤية ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

٢١ ـ الدعاء نافذةٌ على مستقبل الحياة، فخذ منه كفايتك ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

٢٢ ـ هل تظنه يخذلك، أو يتركك، أو يدعك تدعو دون أن يستجيب لك؟! كلّا سترى حينها كيف قبل دعاءك. وختم لك بمشاهد التوفيق! ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

٢٣ ـ هل تذكر دعاءك، وإلحاحك، وترداد طلبك من ربك؟! ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

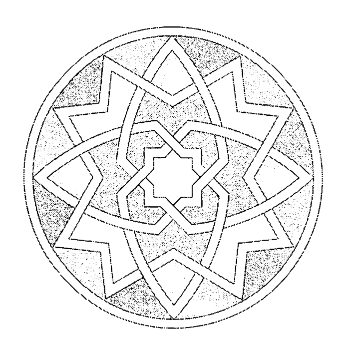
٢٤ ـ أعد أجراس الذكرى كل حين ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾.

٢٥ ـ لا تتخلّف عن رسالتك، أو تتأخّر عن مشاهد الذكرى في حياتك! القلوب في انتظار قارع الأبواب ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩)﴾.

٢٦ ـ لا تُرخِ سمعك إلى الاستهزاء والسخرية والأحاديث العابثة، امض بمشروعك وفكرتك ورسالتك، وافتح نافذة الربيع ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩)﴾.

٢٧ ـ ردَّدوا الإرهاب، وعاشوا لفكرةٍ وهمية، وطاردوا دين الله تعالى في الأرض؛ وغداً سيظهر كل شيء ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ (٣١)﴾.

❀ ❀ ❀



أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

التفسير

• ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ بل تأمرهم عقولهم بهذا القول ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أو أن هذا من تجاوزهم للحدِّ في الكفر والمعصية.

• ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ افتراه من عند نفسه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ إنما حملهم على ذلك كفرهم وعدم إيمانهم ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ إن كان من قوله فليأتوا بمثله.

• ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ هل خُلقوا من غير خالقٍ أم خلقوا أنفسهم؟!

• ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هل هم الذين خلقوا السموات والأرض؟!

• ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ يملكونها ويدبِّرونها ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ على الملك والسلطان.

• ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يصعدون فيه ليستمعوا خبر السماء ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ بحجَّةٍ ظاهرةٍ بيِّنةٍ على ذلك.

• ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ كما يزعمون.

• ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ مالاً على إبلاغ الرسالة ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ مجهدون متعبون من آثار ذلك.

• ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾ فيكتبون لأنفسهم منه ما يريدون.

- ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ إنما غرضهم الكيد ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ إن كانوا كذلك فعاقبة كيدهم ومكرهم على أنفسهم.
- ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ هل لهم إله غير الله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ تعالى الله عن ذلك.
- ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ قطعة من السماء ساقطة ﴿يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ إنما هي سحاب متراكم بعضه على بعض ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ دعهم حتى يقفوا على أهوال يوم القيامة حين يهلكون من العذاب.
- ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ لا يدفع عنهم من ذلك شيء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ لا أحد ينصرهم.
- ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ في الدنيا والبرزخ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ حقيقة أمر الله تعالى.
- ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ من تبليغ الرسالة والصبر على هؤلاء المعرضين ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ في حفظنا ورعايتنا ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ نزِّه الله تعالى حين تقوم للصلاة أو لغيرها ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ نزّهه ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ ونزِّهه وقت غيابها.

التَّدَبُّر

١ ـ من فقهك ودليل علمك أن تنوِّع في الأدلة التي تناقش بها خصمك ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

٢ ـ إذا دهمك اليأس فإليك العلاج ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾.

٣ ـ ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ حقُّها أن يقام لها حفل عظيم!

٤ ـ ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ كيف نبلغ هذه الغاية، ونعيش واقعها، ونلتذُّ بأحلامها الكبار؟!

٥ ـ ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أروع من ألف رواية في الحب، وأجمل من كُلِّ قصص العشاق في الأرض!

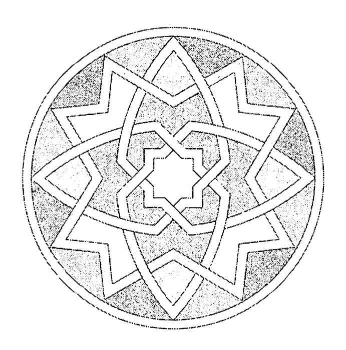
٦ ـ ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بلغها ﷺ بجهده، بعمله، بتاريخه، بنضاله، بتضحياته، وإذا كنت على هذا الطريق بلغت هذه المنى.

٧ ـ استعن على نجاحك وثبات عزيمتك بالصلة بالله تعالى والإقبال عليه ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾.

٨ ـ كلَّما طال طريقك، وأظلم واقعك، وضاق عيشـك، فأَدِرْ شـأن الصلاة في حياتك من جديد ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

٩ ـ إذا كَلَّ جسـدك، وتعثَّر طريقك، وازدحمت المشـكلات فـي واقعك فيمِّمْ وجهك إلى الله ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ النَّجْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

التفسير

- ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ إذا سقط وغرب، أو رُمي به الشياطين.
- ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ ما ترك طريق الحقِّ عن جهل ﴿وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ ما ترك المسلك الصحيح عن عمدٍ وعلم.
- ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ ما يقول قولاً صادراً عن هواه.
- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ من عند الله تعالى.
- ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ جبريل عليه السلام.
- ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي جبريل ذو قوة وخُلُق، وحسن هيئة ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ علا أو كمل.
- ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ حال كونه في أفق السماء.
- ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ أي جبريل لإيصال الوحي.
- ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ من الرسول ﷺ.
- ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ الله تعالى بواسـطة جبريل عليه السلام ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ ما أوحاه من الشرع.
- ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ اتفق قلبه على ما رأته عينه.
- ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ تحاجُّونه وتجادلونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ من الحق.
- ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ أي أن محمداً ﷺ رأى جبريل مرَّةً ثانية.

• ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤﴾ وهي شجرة عظيمة فوق السماء السابعة، وإنما سميت بذلك؛ لأنه ينتهي إليها ما يعرج من الأرض، وينزل إليها ما ينزل من الله تعالى.

• ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥﴾ عند تلك الشجرة.

• ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦﴾ يغشاها من أمر الله تعالى شيء عظيم، لا يعلم وصفه إلا الله تعالى.

• ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ﴾ ما مال بصره ﷺ يمنة ولا يَسرة عن مقصوده ﴿وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾ وما تجاوز حده.

• ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾ الدالة على عظمة الله تعالى وربوبيته.

• ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ﴾ أخبروني عن ﴿ٱللَّٰتَ﴾ صنم عبارة عن صخرة بيضاء منقوشة كانت بالطائف ﴿وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩﴾ صنم عبارة عن شجرة عليها بناء وأستار بين مكة والطائف.

• ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾ صنم كان يعظَّم على ساحل البحر عند قُديد بين مكة والمدينة.

• ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١﴾ أتجعلون لله تعالى البنات ولكم البنون.

• ﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢﴾ قسمة جائرة.

• ﴿إِنۡ هِيَ﴾ هـذه الأصنام ﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ مـن قِبَلِكُمْ ليست من شرع الله تعالى ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ من حجة ولا دليل، بل هي افتراء من قبلكم ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ فـي هذه الأفعال، ولا سبيل لهم إلى الحقيقة ﴿وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ﴾ ويتبعون ما تشتهيه أنفسهم ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣﴾ الحق البيِّن الواضح.

• ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤)﴾ من شفاعة الأصنام وغيرها من الأماني الباطلة.

• ﴿فَلِلَّهِ ٱلْأٓخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ (٢٥)﴾ لا مجال فيهما لأمنية إنسان.

• ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ (٢٦)﴾ فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أنتم شفاعة هذه الأصنام، أو تؤمِّلون في أماني بناءً على شهواتكم.

التَّدَبُّر

١ ـ خذ ما جاء عن نبيِّك ﷺ ورأسك يطاول السماء، المسألة فوق ترَّهات المنافقين ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ (٤)﴾.

٢ ـ إذا جاء حديث عن نبيِّك ﷺ ولم يقبله عقلك، فاستدرك نفسك قبل الفوات ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ فالمسألة وحي!

٣ ـ العقل الصريح لا يخالف النصَّ الصحيح، وإذا اختلفا لديك فإنَّ النصَّ الذي بين يديك ضعيفٌ، أو أنّ العقل مريضٌ ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ (٤)﴾.

٤ ـ تصحيح التصورات وبناء المفاهيم واجبٌ شرعي تولَّاه الوحي، وأرسى له قواعد التمكين ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ (٤)﴾.

٥ ـ من فقه الأمة ووعيها بمقدَّراتها أن تشكِّل مجموعات قادرة على ردِّ الشبه ودفعها بالعلم، والإغارة على كل خطة تنال منها، وتنتقص من قدرها ﴿وَٱلنَّجْمِ

إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ تولى الله تعالى الرد على هؤلاء فَمَنْ يَبْعَثُ من خلال العلم هذا المعنى من جديد؟!

٦ ـ من كمال فقهك ووعيك وتوفيقك أن تحمل راية في هذا المشروع قدر وسعك وتخصُّصك ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ الردُّ على الأفَّاكين والضالِّين يحتاج إلى حُرَّاس ثغور.

٧ ـ طلب العلم، وحفظ السنة، وفتح مراكز خاصة لتوسيع أثرها، وطباعة كتبها، وتكوين مراكز لحفظها مساهمة في نصر الحق وتوسيع رقعته ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾.

٨ ـ إذا التزمت بأدبٍ، أو تخصُّصٍ أو فنٍّ عرفك الناس به، ولم يختلفوا عليك فيه ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾﴾.

٩ ـ حتى القلوب المؤمنة لها عين ترصد بها الواقع الذي تراه، وتحكم فيه بالحقائق ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾.

١٠ ـ الأصل في حَمَلَةِ العلم القوة والأمانة، وكل من ضعف عنده شيء من هذه المقومات؛ فقد تخلَّف عن الاقتداء ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾.

١١ ـ من أدبك وكمال فقهك وعلمك أنك إذا تحدَّثت مع إنسان فأَبْقِ بصرك عليه، لا تحيد عنه مهما كان الصارف في ذلك الوقت ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾.

١٢ ـ من سوء الخلق أنه يفتح حديثاً معك، ثم يصرف بصره عنك يمنةً ويسرةً؛ فلا تكاد توصل له فكرة ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾.

١٣ ـ يدخل بيتك زائراً؛ فلا يترك مساحة إلا نظر إليها، وتأمل فيها، وعرف عنها كل شيء! فضول ممقوت ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾.

١٤ ـ يحدِّثك وهو يرد على جواله في كل وقت؛ فلا هو استكمل معك حديثه، ولا هو انصرف عنك ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾.

١٥ ـ الأدب جزء من مباهج الكبار، وغالباً لا تجد كبيراً إلا وقد أخذ نصيباً وافياً من هذا المعنى ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾.

١٦ ـ إذا أردت أن تحبط شبهة فتوسَّع في مداخلها حتى تقف على جميع أبوابها ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ هذا الاستطراد البديع من لازم ذلك المعنى.

١٧ ـ إذا لم يكن للتطويل حاجة فهو نقص في حديثك وعيب يستحق أن تجافيه من واقعك ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

١٨ ـ الجهل بالله تعالى يصنع هذه الطامات ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ

أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾.

١٩ ـ لا تستغرب أن يبني الجهل بالله تعالى عقائد، ويؤسس أفكاراً، ويشيِّد مفاهيم كلَّها من وحي الشـــياطين ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٠ ـ دين الله تعالى يقف في وجه الشـــهوات ويعارضهـــا، ويعمل على إضعاف قيمتها في نفوس المؤمنين ويميتها في القلوب ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾.

٢١ ـ الاستسلام لله تعالى في كل شـــيء أكبر قضية يؤسِّس لها دين الله تعالى في نفوس المؤمنين ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾.

٢٢ ـ الإســـلام يحارب الأماني التي تجري في فلك الشهوات ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ ويؤسِّـــس للأماني التي تجري في فلك الشريعة وحياض الإسلام.

٢٣ ـ في دين الله تعالى ليس من حقِّك أن تشتهي وتتمنى إلا ما كان في فلك هذه الشريعة ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾.

٢٤ ـ حتى ملائكة الســـماء لا تملك الحركة في شيء إلا بإذن الله تعالى ورضاه، وكذلك كل شيء ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

❀ ❀ ❀

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

التفسير

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ فيقولون الملائكة بنات الله؛ تعالى الله عن ذلك.

- ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾ بهذه التسمية ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ صحيح ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ مجرد ظنون كاذبة ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ لا يقوم مقام الحقيقة البيِّنة الظاهرة.

- ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ اترك كل من أعرض عن أمر الله تعالى ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ فهي غاية مقصده ومطلبه.

- ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ طلب الدنيا والسعي لها ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء.

- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وتصرُّفاً ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ كلٌّ على قدر عمله؛ إن كان صالحاً أو سيِّئاً.

- ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ كبائر الذنوب وقبائح المعاصي ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ صغائر الذنوب ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ يغفر للمذنب ويتجاوز عنه ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾ فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ تزعمون طهارتها وسلامتها من الذنوب ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ أعلم بمن خافه وعظّمه، وفعل أوامره واجتنب نواهيه.

- ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ أعرض عن أمر الله تعالى.

- ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ من الطاعة ﴿وَأَكْدَىٰٓ ٣٤﴾ انقطع وترك الخير.
- ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ٣٥﴾ هل انقطاعه وتركه للخير بناءً على معرفته بالغيب، وأن هذا أحسن وأفضل له.
- ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ يُخبر ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦﴾ التوراة ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ٣٧﴾ أي الذي تمَّم جميع ما أُمر به.
- وأنَّ فيها ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ٣٨﴾ ألَّا تُحمَّل نفسٌ مذنبةٌ ذنبَ نفسٍ أخرى.
- ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩﴾ ليس له إلَّا عمله.
- ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ٤٠﴾ في يوم القيامة.
- ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ٤١﴾ الأكمل والأتم.
- ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ٤٢﴾ نهاية كل شيء وخاتمته.
- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ٤٣﴾ خلق في الإنسان الضحك، وسببه السرور، والبكاء، وسببه الحزن.
- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ٤٤﴾ أوجد الموت والحياة.

التَّدَبُّرُ

١ ـ الجاهلية بناء وهميٌّ مبناه على الظنون ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ٢٧ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ٢٨﴾ وما كان كذلك فلا قرار له!

٢ ـ كل قضيَّـةٍ لا تملك فيها خارطة الطريق لا يمكــن أن تصل منها إلى مرادك ومبتغاك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ الظنــون لا تبلّغك النهاية التي تريد.

٣ ـ لا يمكن لفرد أو جماعة أو أمــة أن تبني حياتها على الظنون والأوهام ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾.

٤ ـ إذا وجدت مُعْرِضاً عن دين الله تعالى فولِّه ظهرك، واستقبل المقبلين الراجين ما عنــد الله تعالــى ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾.

٥ ـ إياك أن تعقد صحبة وخلة، أو أمــلاً ورجاءً في المعرضين عن الله تعالى! تلك أوهام الطريق ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾.

٦ ـ سـلِّم أمرك لله تعالى فــي كل شــيء ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ صحتك، عافيتك، فقرك، غناك، كلُّ ذلك بيد الله تعالى، لا يخرج عن إرداته شيءٌ.

٧ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾.

٨ ـ من فضل الله تعالــى عليك ورحمته بك أنه يجازيــك بعملك ويزيدك على إحســانك ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾.

٩ ـ لن يهلك على الله تعالى إلا هالك ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ الجزاء في السيئات بما عملوا، وفي الحسنات بالحسنى، يا لجلال الله تعالى وكمال رحمته وحلمه!

١٠ ـ للاسم علاقة بالمسمى ودلالة عليه؛ فإن السيِّئة من السوء، والحسنة من الإحسان ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ فارعَ هذا الجانب حقَّه، وقم له بواجبه في بيتك وأسرتك، ومع ولدك وأهلك.

١١ ـ إحسانك يصنع لك كل شيء، وتلقى من خلاله أمانيك ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾.

١٢ ـ إحسانك في صلاتك وعبادتك سيترك لك أثراً جميلاً في قادم أيامك ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾.

١٣ ـ إذا تهيَّأت لك فرصةُ إحسانٍ؛ فلا تفرِّط فيها، فقد نُقلت امرأةٌ بغيٌّ إلى الجنان لأنَّها سقت كلباً في عرض الطريق[١]. ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾.

١٤ ـ اصعد عالياً فكبائر الإثم والفواحش ليست لك ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

١٥ ـ من تعظيمك لربك ألَّا تكون مرتعاً لكبائر الإثم والفواحش ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

---

(١) حديث رواه البخاري (٣٤٦٧) ومسلم (٢٢٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

١٦ ـ من بشريتك وطبيعتك وضعف خَلْقك قد تقع في صغائر الذنوب، ومن كمال علمك وأدبك ألَّا تستهين بشيءٍ من ذلك ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

١٧ ـ لا تعثِّرك الصغيرة، ولا تثنيك عن الاستعتاب من ربك والإقبال عليه ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

١٨ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ لا يضرُّه ذنبك، ويغفر لك خطيئتك، ويقبل منك اعتذارك، ويعينك على القيام من عثراتك، ويهبك توفيقاً جديداً في سبيل مجدك وأمانيك.

١٩ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ لا تقلق من كبائر ذنوبك، وفجائع إثمك، وظلام واقعك! يمكنك أن تعود، ويَقْبَلُ الله تعالى منك.

٢٠ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ غفر لقاتل المئة لمجرَّد نيَّةٍ صالحة[١]، وغفر لبغيٍّ لسقيها كلباً[٢]، ومَدَّ للكافرين أملاً ووعدهم بالقبول.

٢١ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ من تقرَّب إليه شبراً تقرَّب إليه باعاً، ومن تقرَّب إليه باعاً تقرَّب إليه ذراعاً، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة[٣].

٢٢ ـ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ لا يفوت على ربك من عملك شيء.

---

(١) حديث رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٢) تقدم تخريجه عند الفقرة (١٣).
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢٣ ـ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ من يعلم بدايتك وأصل خلقك ونطفتك؛ أفلا يعلم عملك وأسرارك وأحداثك التي تمارسها كل يوم؟!

٢٤ ـ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ أقم لهذا المعنى شأناً في واقعك، وتهيَّأ لنظر الله تعالى في كل شيء تصنعه في أيامك.

٢٥ ـ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ من لم يفته علم أصلك وبدايتك لا يمكن بحال أن يفوته مثاقيل الذر من سيرتك.

٢٦ ـ عملك، جهدك، تاريخك، غبار قدمك، حتى نية قلبك، كل شيء يعلمه الله تعالى؛ فلست بحاجةٍ أن تزكي نفسك لأحدٍ من العالمين ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

٢٧ ـ من الفراغ الذي يجب أن تنأى بنفسك عنه أن تذهب تعدِّد إنجازاتك وأحداثك ومشروعك وعملك في تاريخ أمَّتك ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

٢٨ ـ لا يضرُّك حديث الآخرين عنك في شيء! ربك يعلم تفاصيل قصتك كاملة ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

٢٩ ـ كم من تاريخٍ كَبُرَ في عينك، ولم تُبق له نيَّتك شيئاً ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

٣٠ ـ العبرة بقبول جهدك وركضك إليه وسعيك في مراضيه، وليست العبرة بقدر ذلك الجهد الذي قدَّمته في حياتك ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

٣١ ـ كم من صانعِ حَدَثٍ ليس له منه سوى الحسرات! ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

٣٢ ـ إعراضك عن ربك، وإدبارك عن مواطن الخيرات لن تضرَّ به إلَّا نفسك ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾.

٣٣ ـ كم من مقبلٍ على ربه بدأ جادّاً، ثم آثر في النهايةِ العاجلة، وترك مباهج الحياة! ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ خسارةٌ فادحةٌ تلك التي نجد فيها أفراح قلوبنا، ثم نعود مدبرين من جديد.

٣٤ ـ تنبّه لمستقبلك، وارعَ قلبك، وحافظ على إيمانك، فكم من ضالٍّ عن الحقيقة بعد عناقها! ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾.

٣٥ ـ لا تغترَّ بإيمانك، وسل الله تعالى الثبات، وردِّد كما كان نبيُّك ﷺ يردِّد: «**يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**»(١). ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾.

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٠) عن أنس رضي الله عنه.

٣٦ ـ تاريخك ومجدك وبلوغ أمانيك صناعةٌ تكتبها بجهدك وعملك ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

٣٧ ـ انشغل بنفسك، وركِّز على مشروعك، واجهد في البناء قدر وسعك! فلن ترى سوى أثرك يوم القيامة ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

٣٨ ـ تخيَّل أن تجمع شيئاً لتكاثر به الآخرين في يومٍ ما، ماذا ستصنع؟! الحياة سباق؛ فلا تَفُتْكَ في شيء ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

٣٩ ـ إن استطعت أن تحيا مرتين فافعل! ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ أن تصنع شيئاً يبقى لك بعد موتك، ويُجري عليك مباهج العمل بعد رحيلك.

٤٠ ـ قال نبيك ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**»[1]، ينبِّئك أن الأصل في الموت أنه قاطع للحياة وللأثر، والناس فريقان: أصلٌ؛ وهم مَنْ يتوقف عملهم بموتهم، واستثناءٌ؛ وهم مَنْ لا يتوقف عملهم بالموت، فكن من ذلك الاستثناء ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

٤١ ـ نوِّع عملك، وركِّز، وحاول جهدك أن تشارك في كل بناءٍ لا يعطِّلك عن فكرتك الأصل! لعلَّ حلماً منها يأتي على أمانيك ولو بعد حين ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٤٢ ـ مشاريع بناء الأجيال أوقافٌ بشـريَّةٌ تجري عليك بما لا تتوقَّعه؛ فرابط في سـبيلها، واجتهد في ثرائها قدر وسعك ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

٤٣ ـ زرت كوسـوفا فرأيت وقفاً من حجر عمره مئتي سـنة ضربه الصرب في عدوانهم، وما زال واقفاً فكيف بوقفٍ بشـريٍّ يسـعى فـي العالمين بفكرتك ومشـروعك وقصة رحلتك في الحيـاة ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

٤٤ ـ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ رسـالةُ أمـلٍ وفألٍ لكلِّ صالـحٍ في الأرض! ما دمت ستلقى ربك ستلقى النعيم.

٤٥ ـ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ رسالة نذيرٍ وتحذيرٍ لكلِّ غائبٍ عن أهدافه ضائع في الحياة! ما دمت ستلقى ربك ستلقى الجزاء.

٤٦ ـ هذه هـي بوصلة الحقيقة التي نحتاج من خلالهـا إلى معرفة أين نحن من الطريق! ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾.

٤٧ ـ لا تُتعب نفسك، وتُجهد روحك في الفرار! ستعود إلى ربك يوماً ما ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾.

٤٨ ـ اقرأ سيرتك، ورتّب عملك، وسُدَّ نوافذ الخلل في واقعك؛ فثمَّةَ يومٌ للجزاء والحساب ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾.

٤٩ ـ إلى كل الشاردين عن الله تعالى، العابثين في المنهج، الضالِّين عن الطريق، الصادِّين عن سـبيل الله تعالى! ثمَّةَ يومٌ تُدار فيـه أحداث الجزاء ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

التفسير

- ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ أوجد الصنفين من الذكر والأنثى ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ من منيِّ الرجل ﴿إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ تراق وتُصبُّ في الأرحام.
- ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ إعادة الخلق بعد موتهم.
- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ الخلق بتمليكهم للمال ﴿وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ جعل لهم من الأموال ما يتَّخذونه قنيةً يدَّخرونه، ويتمتَّعون به.
- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ الكوكب المسمَّى بالشعرى.
- ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ عاد إرم قوم هود عليه السلام.

• ﴿وَثَمُودَاْ﴾ قوم صالح ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾ أهلكهم جميعاً.

• ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أهلكهم قبل هــؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢﴾ أشدُّ ظلماً وطغياناً.

• ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ قرى قوم لوط ﴿أَهْوَىٰ ۝٥٣﴾ أسقطها بعد أن رفعها للسماء.

• ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ غطّاها ما غطّى من العذاب، أي شيء عظيم مهول.

• ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ نِعَمِ ربك ﴿تَتَمَارَىٰ ۝٥٥﴾ تشكّك.

• ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ رسول الله ﷺ من جنس من سبقه من الرسل.

• ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧﴾ قربت القيامة.

• ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ لا كاشفَ لها.

• ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩﴾؟ من القــرآن تتعجبون؟ ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ منه سخريةً واستهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾ عند سماعه.

• ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾ ساهون لاهون غافلون.

• ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ۝٦٢﴾ قوموا لله تعالى بحقّه من العبادة.



التدبر

١ ـ كل ما تراه في الكون فهو من صناعة العليم الحكيم حتى هذه المتضادات في النفس والواقع هي من هذا الشأن ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨﴾.

٢ ـ ضحكك وبكاؤك، وموتك وحياتك، وغناك وفقرك بيد ربك؛ فلا تبتئس من واقعك، ولا تُلْقِ بهمومك إلى غير ربك ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾.

٣ ـ كل هذه الأمم لم تفلت يوماً من قبضته، ولم تنجُ من عذابه وعقابه ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾.

٤ ـ من يقدر على إهلاك العالمين وعقابهم قادرٌ أن يُجريَ على المُعرض ما لا يتوقعه، وما لا يكون له في الحسبان ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾.

٥ ـ لا يغرَّك صوت الباطل، وبقاء الضالِّين والمفسدين، وهيئات الضَّالِّين التي تراها! سيجري عليهم ما جرى على السابقين ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾.

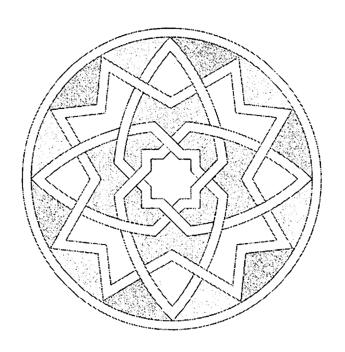
٦ ـ يا لغفلة أولئك الذين لم يضعوا القرآن في الموضع اللائق به في قلوبهم حتى الآن! ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

٧ ـ إذا سجدت في هذا الموضع طاعةً لربك؛ فليسجد قلبك ومشاعرك قبل أن تسجد جوارحك ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

٨ ـ امتثالك للقرآن في سـجودك يجب أن يتحوَّل إلى كل شيء فيه، وليس إلى سجود الأجساد فحسب ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

٩ ـ سجودك هنا يعني إذعانك لكل أوامره، وقبولك لكل ما فيه ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ القَمَر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ قَرُبَ وقت القيامة ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ انفلق؛ وهذا في زمان رسول الله ﷺ.
- ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً﴾ دليلاً وحجَّةً وبرهاناً ﴿يُعْرِضُوا۟﴾ فلا يصدِّقوا ﴿وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ مجرَّد سحرٍ ذاهبٍ زائل.
- ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ بالحقِّ الذي جاءهم ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ من الأقوال والأفعال ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾ راجع إلى نهايته وخاتمته من فلاح أو خسارة.

- ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ من أخبار الماضين المكذِّبين بالرسل ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾﴾ واعظٌ عن الغيِّ والتكذيب.
- ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ هداية من يهدي الله تعالى وإضلال من يضل ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ ما تنفع فيهم العبر والذكرى شيئاً.
- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ دعهم يا رســول الله وأعرض عنهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ إســرافيل بالنفخ في الصور ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾ فظيع عظيم، وهي مواقف القيامة.



التَّدَبُّر

١ ـ من كمال رحمة الله تعالى بعباده أن أراهم كل ما هو ســبيل للإيمان والتقوى ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾.

٢ ـ هل تخيَّلت يوماً أن يجري الله تعالى في كونه غير العادة من أجلك! ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾.

٣ ـ إذا عمي قلب الإنســان لم تنفع فيه الآيات والحجج والبراهين ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾.

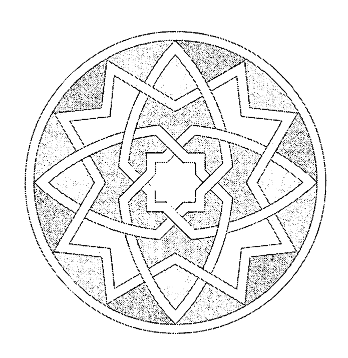
٤ ـ حتى الأوهام تأخذ حظَّها من عقول أصحابها، وتكتب عليهم الضلال ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾.

٥ ـ حين تتحوَّل الحقائق إلى أوهام وشــكوك وظنون في عقول أصحابها ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾.

٦ ـ إذا لم تبعث فيك آيات الله تعالى وحوادث الزمان حياة؛ فأَدْرِكْ نفسك فقلبك مريض ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾.

٧ ـ لا تنشغل بالبيئات التي لا تقتنع بدعوتك وفكرتك ورسالتك، لها يوم ترى فيه نتائج إعراضها ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾.

❀ ❀ ❀



خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ
ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

التفسير

- ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ ذليلة خائفة ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ من كثرتهم وتفرُّقهم وذهولهم.
- ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ مسرعين إلى إجابة الداعي لمواقف القيامة ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ صعب شديد.
- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾ لا عقل له ﴿وَٱزْدُجِرَ ۝٩﴾ نُهي وتُوُعِّد على دعوته لهم.
- ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ﴾ لا سبيل لي إلى النصر عليهم ﴿فَٱنتَصِرْ ۝١٠﴾ لدينك ورسالتك.
- ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١﴾ غزارة وكثرة.
- ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ النازل من السماء والمتفجِّر من الأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾ قدَّره الله تعالى وكتبه.
- ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ أي نوح عليه السلام ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣﴾ على سفينة من الألواح والمسامير.
- ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ بأمرنا ومرأى منّا ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾ عقاباً وجزاءً لقوم نوح على كفرهم.
- ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ قصة نوح وما أحلَّ الله تعالى بقومه المعاندين، أو جنس السفن في جريانها على ظهر الماء ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥﴾ من معتبر.
- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝١٦﴾ ما أشدَّ عذابي لمن كَفَر بي وكذَّب برسلي!

• ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾ سهَّلنا حفظ ألفاظه وفهم معانيه ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ هل من معتبرٍ ومتَّعظ!

• ﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ﴾ قوم نبي الله هود عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وهي قبيلة إرم في جنوب الجزيرة العربية ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٨﴾ ما أشدَّ عذابي وعقوبتي لهم!

• ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ باردة قوية ﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ بائس عليهم ﴿مُّسۡتَمِرّٖ ١٩﴾ متصل على مدار سبع ليالٍ وثمانية أيام.

• ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ من شدَّتها فترفعهم إلى السماء ثم تلقيهم على الأرض ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾ كأن جثثهم كجذوع النخل الخاوي.

• ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١﴾ ما أشدَّ عذابي لمن كفَر بي وكذَّب برسلي!

• ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾ سهَّلنا حفظ ألفاظه وفهم معانيه ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٢٢﴾ هل من متَّعظ ومعتبر!

• ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ٢٣﴾ ثمود قبيلة نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وهم بعد عاد، وهم كذلك في اليمن في جنوب الجزيرة العربية، وهي كذلك كذَّبت برسولها ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ نتبع صالحاً وهو واحد منَّا، لم يتميَّز علينا بشيء ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ﴾ بعداً عن الحق ﴿وَسُعُرٍ ٢٤﴾ جنون واضح.

• ﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا﴾ كيف يُخصُّ بالرسالة من بيننا ﴿بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ﴾ كثير الكذب ﴿أَشِرٞ ٢٥﴾ بطر ومتكبِّر.

• ﴿سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا﴾ يوم القيامة ﴿مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ٢٦﴾ نبي الله صالح أم هم!

• ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾ التي سألوها ﴿فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ﴾ اختباراً ﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧﴾ انتظر ما يؤول إليه حالهم واصبر عليهم حتى يحين موعد العذاب.

التَّدَبُّر

١ ـ ثمَّة يومٌ تخشـع فيه أبصار أهل الضلال، وتنوء بأثقالهـا وهمومها وعواقب التفريط فـي أيامهـا ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾.

٢ ـ إذا ضاقت ظروفك، وصعب طريقك، وكثرت عثراتك، وازدحمت همومك في قلبك؛ فيمِّم وجهك لربك، وانتظر فواتح التوفيق ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾.

٣ ـ تعلَّم أن تسـأل الله تعالى حتى في أمر شسع نعلك! فكيف بضائق الظروف، وعقبات الزمان، ومشـكلات الحياة؟! ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾.

٤ ـ لا تقف حائراً متوجِّعاً متألِّماً! افتح نافذةً على أبواب الأمل ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾.

٥ ـ حتى في مشروعك الذي تنوء بأثقاله، وفي هموم ولدك الذي ترجو استقامته، وفي وجعك الذي تتمنَّى شـفاءه، وفي حاجتك التي لم تبلغها بعد! يمِّم وجهك لمن عنده كل شيء ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾.

٦ ـ هل تكابد وجعاً مزمناً! وظرفاً قاسياً، ومشكلةً قاهرة! ثمَّة ربٌّ ينتظر منك أن تقول يا رب! ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾.

٧ ـ هل تشكو من ضياع ولدك، وهروبه من طريق الحق، وضياعه في رفقة الشتات! توجَّه إلى ربك واصدق في طلبك، وتذلَّل بين يديه حتى تبلغ أمانيك ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾.

٨ ـ بدعوةٍ غيَّر الله تعالى معالم الحياة في لحظة ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾.

٩ ـ هل تخيَّلت اللحظة التي رفع فيها نوحٌ يديه؟ هل كان يدري بأنها ستُغيِّر العالم كلَّه؟! ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾.

١٠ ـ كم هو الفارق بين هاتين اليدين الممدودتين وإجابة الدعاء! ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ يا لقدرة الله تعالى!

١١ ـ تأمل في لطف هذه الدعوة وضراعة صاحبها وحكاية قصة فقره ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾.

١٢ ـ كم مـرَّةً دعوتَ الله تعالى وفـي قلبك هذا الرجاء الضارع وهذه المسكنة العظيمة؟! ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾.

١٣ ـ كم مرَّةً دعونا الله تعالى وقلوبنا متكبرة نافرة غير مستوعبة؟! ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾.

١٤ ـ اقرأ التاريخ ففي التاريخ عِبَر! ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَـٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾.

١٥ ـ أحلامك التي تريدها من كتاب ربك بين يديك ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

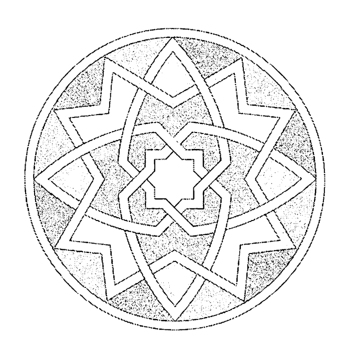
١٦ ـ إلى الذين يتوقون لحفظه وتدبُّره وفقه معانيه! ليس بينكم وبين ذلك سوى الإرادة وبداية الخطوة الأولى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

١٧ ـ هل تخيَّلت أعجميّاً لا يفقه حرفاً في لغتك، ولا يستطيع أن يتواصل معك في شيء يحفظ كتاب الله تعالى، لا يكاد يخرم منه حرفاً؟! ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

١٨ ـ إذا أخذت مشروعاً، وبدأت فكرته، وتحمَّلت قضيَّته؛ فاعلم أن الطريق مليئة بالعقبات وتحتاج إلى صابرين ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾.

١٩ ـ دين الله تعالى منصورٌ وغالبٌ وماضٍ فـي طريق آماله، مهما كانت عوارض ذلك الطريق ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾ ألقى هؤلاء صرعى على الطريق، ثم مضى يبعث الحياة في العالمين.

❀ ❀ ❀



وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

التفسير

• ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ يـوم لهم، ويومٌ للناقة ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ يحضره من كان قسمته.

• ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سـالف ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ فباشر الأمر ﴿فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ قتل الناقة.

• ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾ ما أشدَّ عذابي لمن كفر بي، وكذَّب برسلي!

• ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ رجفت بهم الأرض ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ كالزرع اليابس المتكسِّر المتفتِّت.

• ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ سهّلنا حفظ ألفاظه وفهم معانيه ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾ متَّعظ بما فيه.

• ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾﴾ بالرسل.

• ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ حجارة ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ أتباعه المؤمنين ﴿نَّجَّيْنَٰهُم﴾ من العقوبة ﴿بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾ قبيل الفجر.

• ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ نجاتهم ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ هذه عاقبة الله تعالى في كلِّ شاكر.

• ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ ذكَّرهـم لـوط ﴿بَطْشَتَنَا﴾ عاقبة أمرنا فـي المخالفين ﴿فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾ شكُّوا وكذَّبوا بذلك.

• ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ حاولوا فعل الفاحشـة فـي الملائكة ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ أعميناهم ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ فتجرَّعوا عذابي في المخالفين.

- ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ أول النهار ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾ حالٌّ بهم وواقعٌ فيهم.
- ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾ تجرَّعوا عاقبة عذابي.
- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهَّلنا حفظ ألفاظه وفهم معانيه ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ متَّعظ بما فيه.
- ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ أهله وقومه ﴿النُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ من عند الله تعالى.
- ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ فلم يصدِّقوا منها بشيء، وهي الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب والعقوبة ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ لا غالب لأمره.
- ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ أيها المشركون من قريش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ الذين تقدَّم ذكرهم ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ معكم براءةٌ من عذاب الله تعالى في الكتب التي نزلت على رسل الله.
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ لا نُغلب ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ جمعهم مهما كان ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ هاربين مشرَّدين.
- ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ أشدُّ وأعظم.
- ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ تيهٍ وبُعدٍ عن الحق ﴿وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ نار يوم القيامة.
- ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ يقال لهم توبيخاً وتبكيتاً.
- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ سابق مدوَّن في الأزل.

التدبر

١ ـ الباطل صاحبُ مبادرةٍ ورافُع رايةٍ وموسّعٌ في الظلام ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾.

٢ ـ يا أصحاب الحق! لا يقــوم بأثقال المبــادرات إلا المبادرون ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾.

٣ ـ سقى الله ذكريات بطل لا يقوم في واقعه منكر، ولا يجرؤ سفيهٌ على الفوضى ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾.

٤ ـ صاحب الباطل يرفــع راية، ويقف في وجه دين الله تعالــى، وصاحبُ الحقِّ لا يستطيع أن يحرِّك ساكناً، ما أبعد الفرق! ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾.

٥ ـ حين قعدنا عــن المبادرات الجادة أخذ العدو مســاحته في الفوضى ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾.

٦ ـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾ رســالة للمعرضين الصادِّيــن عن الطريق، المدبرين عن الهداية في كل زمان ومكان.

٧ ـ هذه سُــنَّة الله تعالى التي لا تتخلَّف مع المعارضين الضالِّين ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم

بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾.

٨ ـ لا تستغرب ضلال المجرمين وعناءهم في الدارين ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾.

٩ ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ فلا تقلق على ما يصيبك، ولا تحزن على ما فاتك، ولا تجزع لحوادث الزمان! فتلك أقدار ربِّك وألطاف مولاك.

١٠ ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ حتى نجاحك وإخفاقك، وفشلك ونهوضك، ومجدك وعزك.

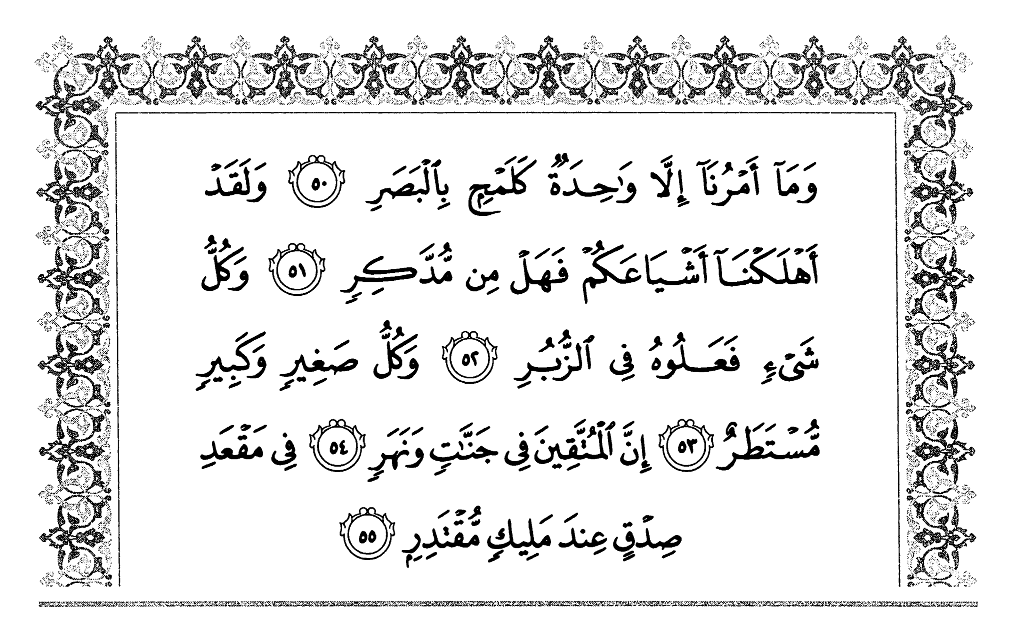
١١ ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ حتى وجعك الذي يصيبك، ومرضك الذي يداهمك، وأحزانك التي تلقاك في عرض الطريق.

١٢ ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ حتى سفرك، وتعبك، وحادث طريقك، وما تلقاه في مستقبل أيامك.

١٣ ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ حتى فقرك وغناك، وفرحك وحزنك، ونجاحك وفوزك، وأحداث يومك وليلتك.

١٤ ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ حتى خطواتك على الأرض، ونومك على الفراش، وسعيك في العالمين.

❀ ❀ ❀



وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ
أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ
شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ
مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ
صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾

التفسير

- ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾ كلمة كن فيكون ﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ كسرعة البصر.

- ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ أمثالكم وأشباهكم ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾﴾ معتبر.

- ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ في اللوح المحفوظ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ﴾ من الأعمال ﴿مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ مسطور ومدوَّن في تلك الصحف.

- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ﴾ في مكانٍ ومجلسٍ ﴿صِدۡقٍ﴾ لا مجال فيه للشك ﴿عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾﴾ عند الله تعالى.

التَّدَبُّر

١ ـ سبحانه إذا أراد أمراً صنعه في الحال ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾.

٢ ـ كل آمالك وأحلامك لا يعدو تحقيقها لحظة ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾.

٣ ـ تفاءل فكل ما تحتاجه من ربك لا يحتاج إلى زمن يقضي فيه حاجتك ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾.

٤ ـ لا تلتفت للمخلوقين في شيء؛ فوِّض أمرك لربك ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾.

٥ ـ التاريخ يحدِّثك عن أجيال الضياع لتعتبر ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١﴾.

٦ ـ من كمال فقهك وعلمك أن تقرأ سير الضالِّين، وتأخذ درس الذكرى ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١﴾.

٧ ـ ما يجري لك أو عليك قد سبق به القدر؛ فلا تكترث لحوادث الزمان ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾.

٨ ـ إياك والتألم على فائت، فما يجري قد كُتِبَ قبل أن تُخلق ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾.

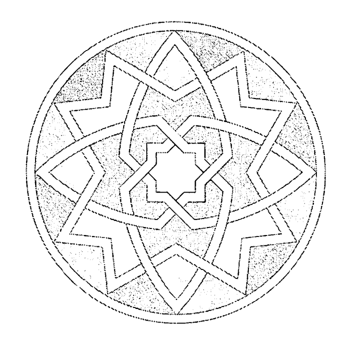
٩ ـ تخيَّل هذا النعيم الذي ستلقاه في رحاب الجنان! ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾.

١٠ ـ إذا أمضَّك الألم، وكَلَّ جسدك من الطريق، وتعبتْ نفسك من وعثاء السفر؛ فتذكَّر حادي الأشـواق ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾.

١١ ـ يسـتحقُّ مثل هذا النعيم منك أن تعيش مجاهداً في الحياة! ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾.

١٢ ـ تصوَّر ذلك النعيم الـذي ينتظرك، والحياة الكبرى التي تسـتقبلك، وأيام الربيع القادمة في عمرك! ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ الرَّحْمَٰن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ (٢) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ (٣) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ (٤) ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ (٩) وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ (١١) وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (١٥) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦)

التفسير

- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ يسّر حفظه وفهمه.

- ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ علَّمه النطق ويسَّره له.

- ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ يجريان متعاقبان بحسابٍ مقنَّن ومحدَّد.

- ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾ تسجد لله تعالى.

- ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ بلا عمد ﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧﴾ ووضع العدل.

- ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨﴾ لا تجوروا ولا تظلموا.

- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩﴾ تنقصوا الوزن والكيل.

- ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠﴾ مهّدها وسوَّاها للناس.

- ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾ من كل لون وطعم ﴿وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١﴾ أوعية الطلع التي يخرج فيها الثمر.

- ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ ذو الساق ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢﴾ الرزق عموماً كما قال ابن عباس: كل ريحان في القرآن فهو الرزق، أو كل نبات طيب الرائحة.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ فبأي نعمه تُكذِّبان.

- ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤﴾ طين مبلول قد جفَّ حتى

صار له صوتُ صلصلةٍ يشبه صوت الفخار ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ من لهب النار الصافي.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾ فبأي نعمه تُكذِّبان.

التَّدَبُّرُ

١ ـ ما أكثر نعم الله تعالى على الإنسان! ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾ وما أحوج العاقل لشكرها وإيفاء حقها والقيام بواجبها!

٢ ـ خلقك وعلَّمك، وسخَّر الكون لك فماذا بقي؟! ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾.

٣ ـ الرحمة من أعظم صفات الله تعالى، وهي تجري في حكمه وشريعته وفي كل شيء! ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾﴾.

٤ ـ سبقت رحمته غضبه، وقد خلق الله مئة رحمةٍ أنزل منها في الأرض رحمةً واحدةً يتراحم بها العالمون فيما بينهم، وأبقى عنده تسعة وتسعين رحمة ليغيث بها الخلق في يوم القيامة[1]. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾﴾.

---

(١) انظر الحديث في البخاري (٥٦٥٤)، ومسلم (٦٩٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٥ ـ من أثر رحمته أنه أمهل الظالمين والمجرمين والمعرضين رغم كل ما صنعوه، ولم يعاجلهم بعقوبة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١﴾.

٦ ـ ومن رحمته أنه مَنْ أقبل عليه بعد طغيانه قَبِلَهُ وعفا عنه، وغفر له، وأبدل سيئاته حسنات ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١﴾.

٧ ـ مِنْ مِنَنِ الله تعالى عليك أن يهبك من هذا الخلق، ويرزقك من آثاره، ويجعله جزءاً من أخلاقك وحياتك فيما بعد ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١﴾.

٨ ـ أعظم مِنَّةٍ مَنَّ الله تعالى بها عليك هذا الوحي الذي به حياة الروح ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢﴾.

٩ ـ احتفِ بنعم الله تعالى وأجلَّها وقُمْ بحقِّها تلقى ما كنت تتمناه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢﴾.

١٠ ـ إنَّ حديثك، إفصاحك، كلامك، إيصال رسالتك للعالمين؟! نعمة من نعم ربك ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ وفي عالم الأرض جموع لا تستطيع أن تقول حرفاً، أو تشارك برأي، أو تطلب حاجة.

١١ ـ من حق هذه النعمة أن يُمدَّ بها في دين الله تعالى حتى يبلغ بها شأنه في العالمين ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾.

١٢ ـ من خسارته الفادحة أن ينعم الله تعالى بهذه النعمة على عبده، ثم يذهب هذا العبد يؤسس بها باطلاً، أو يقف بها في طريق الحق ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾.

١٣ ـ كلُّ هذا الخَلْق من أجل هذه الغاية الكبرى ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩﴾.

١٤ ـ العدل من أعظم المقاصد التي جاءت بها الشريعة ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾.

١٥ ـ أجرِ هذه الغاية الكبرى ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ حتى مع زوجك وولدك وأهل بيتك، كما تجريها في عملك ومع موظفيك، وتعاملك مع الآخرين.

١٦ ـ قسم أحد الصحابة رضي الله عنه لبعض ولده مالاً دون أولاده الآخرين فاستشهد النبي ﷺ فقال ﷺ: «**أَكُلَّ ولدك نحلته ذلك؟**» قال: لا، قال: «**فإني لا أشهد على جور**»(١). ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾.

١٧ ـ وحذَّر رسول الله ﷺ المتزوِّج بأكثر من واحدةٍ ألَّا يطغى في معاملته لزوجةٍ على أخرى، وإلَّا «**جاء يوم القيامة وشقُّه مائل**»(٢) من أثر الظلم ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾.

١٨ ـ كما تجري هذه الفضيلة في التعامل مع الأقوال والأشخاص والأحداث فكل قول يؤخذ منه ما وافق الحق، ويُرَدُّ منه ما عدا ذلك، ولا يُترك الحقُّ الذي فيه لمجرد ما به من باطل ومنكر. ومثل ذلك الأشخاص: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٢] ومثل ذلك الأشياء.

١٩ ـ قلِّب بصرك في نعم الله تعالى، وتذكَّر بذلك مشاهد قدرة الله تعالى ونعمه في الكون ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾.

---

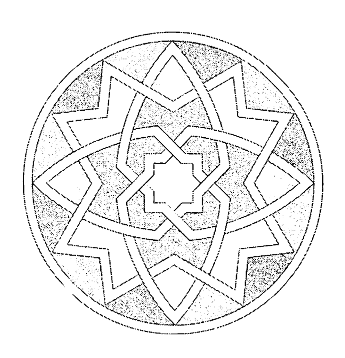
(١) أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٣٣) والنسائي (٣٩٤٢) وابن ماجه (١٩٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢٠ ـ من لطيف نعمة الله تعالى على هذا الإنسان أنه خلقه من مادَّة ليِّنةٍ قابلةٍ للتهذيب والكمال والترقي في مدارج الفلاح والخير ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾.

٢١ ـ للتكرار مقاصد كبرى، وهو هنا تقرير نعم الله تعالى على عبيده، وتذكيرهم بتلك النعم في حياتهم ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾ وإذا أردت إيصال رسالة فاجعل تكرارها في أساليب مختلفة ومتنوعة هدفاً، وستأتي في النهاية على مناك.

❀ ❀ ❀



رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

التفسير

- ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما.
- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.
- ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ خلط ماء البحرين العذب والمالح ﴿يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز ﴿لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ لا يبغي بعضهما على بعض فيفسدان بتغيُّرهما بعد اللقاء ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾ فبأي نعمة من نعمه تكذِّبان.
- ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ يخرج من البحار اللؤلؤ وهو صغار الدر، والمرجان كباره.
- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.
- ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ السفن الضخمة ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ كالجبال.
- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.
- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ زائلٌ فانٍ غير باقٍ.
- ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ حيٌّ لا يموت ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ ذو العظمة والكبرياء.
- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.
- ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حاجاتهم ورغباتهم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ يجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويفكُّ عانياً، ويشفي سقيماً.
- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.
- ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ سنتفرَّغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم.

• ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

• ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾ إخبار عن عجز الثقلين عن الفرار من أمر الله تعالى وقدره ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ إلا بأمر الله تعالى وإرادته.

• ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

• ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ إن أردتم الهرب من أمره، فإنَّه يُرسَلُ عليكم أمران ﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ لهب صافٍ من نار ﴿وَنُحَاسٌ﴾ لهب يخالطه دخان ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ لا تجدون ناصراً من أمره وحكمه.

• ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

• ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يوم القيامة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ تتلوَّن كما تتلوَّن الأصباغ التي يُدهن بها.

• ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

• ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ لا يسألون سؤال استعلام بما وقع منهم في الدنيا.

• ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

التَّدَبُّر

١ ـ قلِّب بصرك لمشاهد هذه النعم، واجعلها سبيلاً لتعظيم ربك وقيامك بحقِّه ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَآتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

٢ ـ واجه نفسك بهذه الحقيقة في كلِّ مرَّة ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٣ ـ تعلَّم أن تجعل هذه الحقيقـة ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ سُلَّماً لبناء مجدك، وحادياً لبلوغ أمانيك.

٤ ـ الموت ليس قصة شؤمٍ تُقعدك عن العمل، وتحاصرك عن البناء، بل أجل يعينك على إعداد مستقبلك، ويفيض على روحك استثمار أوقاتك فيما ينفعك في الدارين ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٥ ـ لا تعلِّق قلبك ومشاعرك وأمانيك بمن تجري عليه أحداث الموت، وارفع بصرك للحي الذي لا يموت ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٦ ـ كل من حولك مهما بلغ ما في أيديهم تجري عليهم هذه السُّـنَّة، ويرحلون إلى الله في يومٍ ما، فتعلَّق بالكبير المتعال ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٧ ـ تعلَّم إجلال الله تعالى وتعظيمه، ألا تراه كل يوم في شـأن؟! ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

٨ ـ ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ لا يردُّ أحداً، ولا يصرف دعوةً، ولا يقف دون أمنيةٍ، يجيب كل شيء.

٩ ـ ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ يســأله المؤمــن التقي، والفاجر المعــرض فيعطي هذا، ويعطي هذا، لا يردُّ أحــداً، وإذا ردَّه فلمصلحته وشأنه في الدارين.

١٠ ـ ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ يفرِّج كرباً لسائل، ويفتح باباً لمؤمِّل، ويعين محتاجاً، ويشفي مريضاً، ويفكُّ مسجوناً، ويغني فقيراً.

١١ ـ ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ فلا تحزن لمرضك، ولا تقلق لمشكلتك، ولا تيأس لظروفك.

١٢ ـ حتى ظروفك البائسة، وأحداثك المؤلمة، ومشكلاتك المزمنة ستجري عليها أحلام الغد الكبير، وآمال الحياة القادمة ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

١٣ ـ من يكون كل يوم هو في شـأن قادرٌ أن يبدِّل أحزانك، ويشـفي مرضك، ويداوي جراحك، ويعيد آمالك، ويحقِّق لك أمانيك، ويبني لك صرح مجدك من جديد ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

١٤ ـ ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾ ليس به تعالى شغل عنَّا، ولكنه يبيِّن لك أن الأمر جدٌّ يستحقُّ الالتفات، فتنبه!

١٥ ـ لو قال لك مسؤول هذه الكلمة أَكُنتَ تجد لذَّة للنوم! فكيف بالله؟! ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾.

١٦ ـ أدرك نفسك قبل حلول ساعات هذه اللحظات من عمرك ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾.

١٧ ـ أنّى لهم أن ينفذوا من سلطانك يا رب! ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

١٨ ـ لا مهرب من الله تعالى إلا إليه، ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

١٩ ـ ماذا يصنع الآبق عند لقاء ربه! وأين يجد مسلكاً يفرُّ منه! وكيف يتوارى عن لقاء جلال الله تعالى وسؤاله؟! ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾.

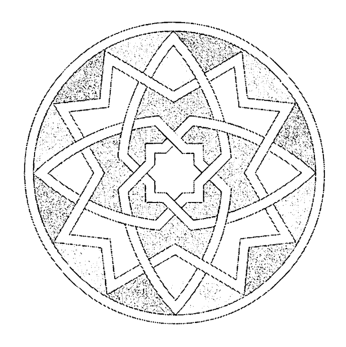
٢٠ ـ تخيَّل هذه السماء حين تذوب وتنصهر! ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ هذه بعض مشاهد ذلك اليوم العظيم!

٢١ ـ ذنوبهم لا تحتاج إلى سؤال، فهي معلومةٌ مرصودةٌ مكتوبةٌ لا يغيب منها شيء ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾.

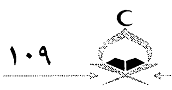
٢٢ ـ لا نحتاج إلى سؤال عن سالف الأيام! سنجدها منشورةً معروضةً بلحظاتها وظروفها وأحداثها في ذلك الحين ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٣ ـ كم من عمل ذهب وتلقَّته الصحف بالتدوين ويأتي معروضاً، لا يغيب منه شيء ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾.

❀ ❀ ❀



يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾
يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾
وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾
ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ
﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ
﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ
إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾
فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا
ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا
جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾



التفسير

- ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ سواد الوجوه وزرقة الأعين.

- ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ فيأخذون بمقدَّم شعر رؤوسهم وأقدامهم.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

- ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يقال لهم ذلك توبيخاً وتقريعاً.

- ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ فتارة يُعذَّبون في النار، وأخرى يُسقون من الحميم الحار.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

- ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

- ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ أغصان نضرة حسنة.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

- ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ تسقي تلك الجنان.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

- ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ صنفان.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

- ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾ ما غلظ من الديباج المزيَّن بالذهب.

- ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ۝٥٤﴾ ثمرها قريب متى شاؤوا تناولوه.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

- ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ لا يرين غير أزواجهنّ ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ۝٥٦﴾ لا زلن أبكاراً.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

- ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٥٨﴾ لصفائهنَّ وجمال منظرهنَّ.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

- ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾ فليس جزاء حسن العمل في الدنيا إلا حسن الجزاء يوم القيامة.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

- ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ هاتان الجنَّتان دون اللتين قبلهما في المنزلة والفضل.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

- ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ سوداوتان من شدَّة الخضرة لأثر الري.

- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

• ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ فياضتان.

• ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.



التدبُّر

١ ـ لا يحتاجون إلى استقصاءٍ! الوجوه السوداء الشاحبة والأعين الزرق أخصُّ صفاتهم في ذلك اليوم ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾.

٢ ـ حتى الوجوه تصيبها الدهشة ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾.

٣ ـ الحقائق المتأخرة عن وقتها لا تصنع جديداً في حياة المضيِّع لها ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾.

٤ ـ جزاؤك على قدر عملك، ونعيمك على قدر مرابطتك ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾.

٥ ـ هذه سُنَّةُ الله تعالى التي لا تتخلَّف ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾.

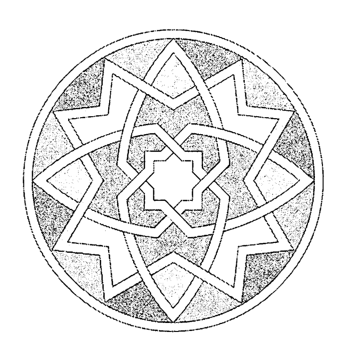
٦ ـ لا تدع فرصة إحسانٍ تمرُّ بك دون استثمار، فلعلَّك تلقى مقابلاً لم يخطر لك على بال ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾.

٧ ـ كم كان في أعطاف الخطوة الأولى من آمال؟! ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾.

٨ ـ ما إحسانك إلى جانب إحسان ربك؟! وما جهدك في مقابل هبات الرحمن؟! ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾.

٩ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾﴾.

❀ ❀ ❀



فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

التفسير

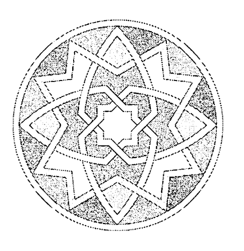
- ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ من جميع أصناف الفاكهة وأخصُّ هذه الفاكهة النخل والرمان.
- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.
- ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ﴾ في الأخلاق ﴿حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ في الوجوه.
- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.
- ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ محبوسات في الخيام في انتظار أزواجهنَّ.
- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.

- ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ لم يجامعهن أحد قبلكم.
- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.
- ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ نوع من البسط يبسط على الفرش لينام عليه، جميلٌ في وصفه، عظيمٌ في نعيمه.
- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾ فبأي نعمه تكذِّبان.
- ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ تعاظم وجلَّ في علاه.

التَّدَبُّر

١ ـ هذه بعض صور جزائك يــوم القيامة ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.







سُورَةُ الوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

التفسير

- ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ قامت القيامة ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ ليس لوقوعها صارف.

- ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ تخفض أقواماً وترفع آخرين.

- ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾﴾ حُرِّكت وزُلزلت فاضطربت.
- ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ فُتِّتت فتّاً.
- ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ شيئاً حقيراً كالمتطاير في الجو لخفَّته.
- ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ أصنافاً ثلاثة بحسب أعمالكم.
- ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾ أصحاب اليمين.
- ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾ أصحاب الشمال.
- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ عند الله تعالى.
- ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ في أعلى المنازل من الجنة.
- ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ جماعة كثيرة من أول هذه الأُمَّة.
- ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ من هذه الأُمَّة.
- ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾ منسوجة بالذهب.
- ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض.

التَّدَبُّر

١ ـ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ إعادة لبناء التصوُّرات والموازين، فالرفع والخفض يوم القيامة ليست كقضايا الدنيا، بل مردُّ ذلك للعمل والموازين.

٢ ـ كم من مرفوع في الدنيا مخفوض في الآخرة! وكم من مخفوض في الدنيا مرفوع في الآخرة! ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾.

٣ ـ أيها الفقراء والمساكين! انتظروا يوماً يُعاد فيه ترتيب الأعمال من جديد ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ كم من فقير كبير بعمله، وكم من كبير بمكانته قليل ضعيف بعمله؟!

٤ ـ من كمال فقهك ألَّا تغبط مخلوقاً إلا على الإيمان والعمل الصالح، وما عداه مظاهر لا تغني عن صاحبها شيئاً! ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾.

٥ ـ تمايُز الناس واختلافهم في ذلك اليوم على قدر أعمالهم فحسب ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾.

٦ ـ كل الانتصارات التي تحقِّقها في الدنيا إذا لم يكن لها علاقة بالآخرة؛ فلا مفروح بها في شيء ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ هذه هي موازين الحقيقة.

٧ ـ الفوز الحقيقي، والانتصار الكبير، والأفراح التي تستحقُّ العيش هي تلك التي تُبيَّن في ذلك اليوم ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾.

٨ ـ مَــنْ يأتي أولاً! هذا هو ســؤال النصر في المعركــة الكبرى! ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

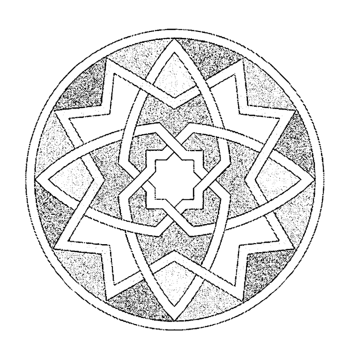
٩ ـ على قدر خطواتك تبلغ أملك ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ سابَقُوا، ثم كانوا من المقرَّبين.

١٠ ـ من يَقُم أولاً يصل كذلك أولاً ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

١١ ـ من أبرز صفات هذا الجيل القيام للمؤذن، والمسابقة في الخيرات، والمدافعة على فضائل الصفوف، والمسارعة في كل شأن من شؤون تلك الدار ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

١٢ ـ لا يتحرك لصلاة الجماعة إلا مع الإقامة أو يكاد، ولا يأتي يوم الجمعة إلا قبيل الخطيب، ويجتهد غير أنه لا يأتي أولاً، وفاته شرف هذه الذكريات، وليأتينَّ يومٌ كثير الحسرات ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾.





يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

التفسير

• ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ يمرُّ على أهـل الجنة لخدمتهم ولدان صغار السن، لا يتغيَّرون عن حالتهم.

• ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ وهي الكيزان التـي لا خراطيم لهـا ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ أواني لها خراطيم ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ من خمر لذيذ المشرب.

• ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ لا تتصدع رؤوسهم ولا تذهب بعقولهم.

• ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ حسب أهوائهم.

• ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ على أذواقهم ورغباتهم.

• ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ نسـاء جميلات واسـعات الأعين مع شدة البياض والسواد فيها.

• ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ كأنهن اللؤلؤ المصون عن الأيدي.

• ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ نالوا ذلك جزاءً على أعمالهم.

• ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنـة ﴿لَغْوًا﴾ كلاماً لا فائدة فيه ﴿وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ وليس فيه إثم.

• ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ إلا التسليم على بعضهم البعض.

• ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ ثمر لا شوك فيه.

• ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ متراكم الثمر.

• ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ ممتدٍّ دائم.

• ﴿وَمَآءٍ مَّسۡكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ يجري في غير أخدود.

• ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾ مختلفة متنوعة.

• ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٍ وَلَا مَمۡنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ مستمرَّة لا يتخللها انقطاع ولا منع.

• ﴿وَفُرُشٍ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ عالية وطيئة ناعمة.

﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ أي نساء أهل الجنة.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ لم تُفتضّ من أحد.

• ﴿عُرُبًا﴾ متحبِّبات إلى أزواجهنّ ﴿أَتۡرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ في سنٍّ واحدة.

• ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ هذا الفضل لمن كان من أهل اليمين في الدرجة.

• ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾﴾ جماعة من الأولين ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ جماعة من الآخرين.

• ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾﴾ ما حالهم ومآلهم؟!

• ﴿فِي سَمُومٍ﴾ هواء حار ﴿وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾﴾ ماء حار.

• ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحۡمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ دخان أسود.

• ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ في هبوبه ﴿وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ في منظره.

• ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ﴾ في أيام الدنيا ﴿مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ مُنعَّمين بالملذَّات منشغلين بها عن الحق.

• ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ﴾ يقيمون ﴿عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ الذنب العظيم، وهو الشرك، وما يتبعه من الكبائر ونحوها.

• ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ مكذبين مستبعدين لوقوعه.

• ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ يوم القيامة.

التَّدَبُّر

١ ـ يكفي جهدك السابق ورحلتك المضنية وأيامك المجهدة، أنك ستجد من يتولى خدمتك، ويقوم على أفراحك في الجنان ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

٢ ـ تلك أيام العمل، وهذه أيام الجزاء ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

٣ ـ من عدل هذه الشريعة أنها تجزيك على عملك وجهدك ورسالتك حتى إنها تجمع لك غبار قدمك وأثر رحلتك ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

٤ ـ من كمال نعيمك أنك لا تسمع ما يجرح مشاعرك ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾.

٥ ـ حتى منازل الجنة تتفاوت بتفاوت أعمال أصحابها ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

٦ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾

وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

٧ ـ إذا اشتقت لحسناء فمُدَّ بصرك إلى تلك الدار ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾.

٨ ـ وما تصنع بنساء الدنيا كلهن أمام حسناء على مشارف تلك الدار؟! ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾.

٩ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾.

١٠ ـ ترف الشهوات مؤذنٌ بنهايات السوء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

١١ ـ الكبر على الحق، والإصرار على الباطل يصنع خواتيم السوء ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾.

١٢ ـ كم مرَّة نُهوا عن تلك المنكرات، ولم يرتدعوا عنها! ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾.

١٣ ـ كم من واعظٍ ردُّوه! وناصحٍ استهزؤوا به! ومحبٍّ لم يسمعوا صوته؟!

١٤ ـ غياب الرؤية من أكبر الأسباب المؤذنة بالفشل والإخفاق.

١٥ ـ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ الحقيقة التي يجب أن تُقرأ قراءةً واعية كل يوم!

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

التفسير

- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ تهديد ووعيد.
- ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾ شجر كريه المنظر والطعم.
- ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ مع سوئها وكراهتها زيادةً في عذابهم.
- ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ الماء الذي انتهى إلى غاية حره.
- ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ كشرب الإبل العطاش.
- ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ كرامتهم وضيافتهم.
- ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أول مرة ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ بما أعد الله لكم وتعملون له.
- ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ما تضعونه من المني في أرحام النساء.
- ﴿أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ تصوِّرون منه الإنسان ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ المقدِّرون المصوِّرون.
- ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ قدَّرناه وصرَّفناه بينكم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ عاجزين.
- ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ نغيِّر خلقكم يوم القيامة ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ من الصفات والأحوال.
- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ إذ خُلقتم من نطفة قبل أن تكونوا شيئاً ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ فهلَّا تذكَّرون أن من قَدِرَ على البداية قادرٌ على الإعادة.

• ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣﴾ تزرعون.

• ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تُنبتونه في الأرض ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾ الذين نُنبته ونتكفل بإحيائه.

• ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ متكسِّراً بعد الاستواء ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥﴾ تتعجَّبون وتتلاومون وتتندَّمون.

• ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦﴾ أي أصابنـــا النقص وحلَّت بنا الخســـارة ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧﴾ من فضل الله تعالى.

• ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ من السحاب.

• ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ مُرّاً لا مذاق له.

• ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠﴾ فهلَّا تشكرون ربكم على نعمه.

• ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١﴾ توقدون.

• ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ التي توقد منها النار ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾ الذين خلقناها لذلك.

• ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ أي هذه النار عظة للنار الكبرى يوم القيامة ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾ المستمتعين بها من الناس.

• ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ نزِّه الله تعالى عما وصف به من صفات النقص.

• ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ أقسم بمطالع النجوم ومغاربها.

• ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ أي هذا الذي أقسم الله تعالى به عظيم.

التدبر

١ ـ هل تصورت هذه الحقائق المرة! والمواقف المؤلمة؟! ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ يا لخسارة الحياة!

٢ ـ العقيدة أعظم القضايا، ألا ترى كيف أفرد الله تعالى لها هذا الجزء الكبير من الوحي!! ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

٣ ـ إذا أردت أن تقرِّر قضية، أو تُعمّق مفهوماً فاحشد له من الأمثلة ما يكفي لبنائه ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

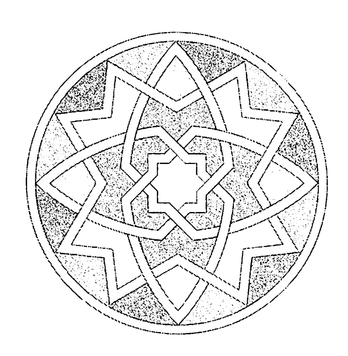
أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

٤ ـ كلَّما كانت الأمثلة المطروحة مما يعيشه الإنسان ويراه ويلحظه كانت أكثر أثراً في وصول المفاهيم التي ترغب في تحقيقها (أمثلة النسل والزرع والماء والنار) ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

٥ ـ عظيمُ نعم الله تعالى على الإنسان بَدْءاً من خلقه، ومروراً بحرثه وزرعه ومائه الذي يشربه ويستقي به، وانتهاءً بناره التي تنضج له ما يريد ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

٦ ـ إثارة التفكير أحد الأساليب المهمَّة في بناء شخصية المتلقِّي ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

❀ ❀ ❀



إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

التفسير

- ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ أي هذا الذي نزل على رسول الله ﷺ.
- ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ مصون ومحفوظ من التحريف .
- ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾ مكذِّبون.

• ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ شكركم لله تعالى على ما رزقكم به من النعم أنكم تكذِّبون به فتنسبون الغيث للنوء.

• ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح ﴿ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ الحلق.

• ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ إلى المُحْتَضَرِ وما يكابده من سكرات الموت.

• ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ بملائكتنا ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ لا ترون.

• ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فإن كنتم تزعمون أنكم غير مبعوثين ولا محاسبين فارجعوا هذه الروح إلى بدنها.

• ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ هذا الذي فارق الحياة إن كان من السابقين المقرَّبين.

• ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ سعادة وفرح وراحة ورحمة ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾ من أهل اليمين.

• ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ يحيِّيه الملائكة بذلك، ويدعون له بالسلامة، ويخبرونه بما له عند الله تعالى.

• ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالحقِّ ﴿ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾ عن الهدى.

• ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ ضيافته وكرامته عند الله الماء الحار الذي يصهر البطون، ويقطِّع الأمعاء.

• ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ تصليه النار وتحرقه.

- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي أخبرناكم به من حال هذه الأصناف الثلاثة ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ الذي لا شكَّ فيه.
- ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ فنزِّه الله تعالى عن كل نقص.

التَّدَبُّر

١ ـ مثلك أوعى بقسم ربك على جلال وكرم كتابه تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ فما بلغ منك قسم ربك ومولاك!

٢ ـ افتح قلبك ومشاعرك للقرآن، وانتظر الحياة ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

٣ ـ هذا الكرم يحتاج إلى إقبال حتى تأتي منه على أمانيك ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

٤ ـ استقطع من قلبك ووقتك وتفكيرك وحياتك ما يعينك إلى بلوغ هذه البركة في كتاب ربك الكريم ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

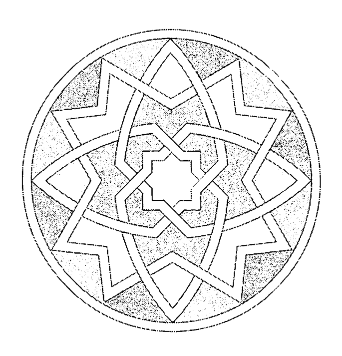
٥ ـ أسوأ المواقف هو الإعراض عن الغايات الكبرى ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

٦ ـ كل العالم الحي ستجري عليه هذه اللحظات ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

٧ ـ استعد لخوض الرحلة الكبرى يوماً ما ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

٨ ـ اختر طريقك وموقعك ونهايتك كما تشاء ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ هذا التفاوت في المنازل أصله توفيق الله تعالى، ومادَّته اجتهاد الإنسان وسعيه في الحياة.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ الحَدِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

التفسير

- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ نزَّه الله تعالى كلُّ مخلوقاته ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ في تدبير خلقه.

- ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ المالك المتصرِّف في خلقه يفعل ما يشاء.

- ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ فليس قبله شيء ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ ليس بعده شيء ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ الذي ليس فوقه شيء ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ الذي ليس دونه شيء ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ فلا تخفى عليه خافية.

التدبر

١ ـ الكون كلُّه يسير في فلك العبودية الكبرى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾.

٢ ـ حتى الجماد يجلُّ ربك وينزِّهه عن كل نقص، ويرفع شأنه، ويقوم بواجبه تجاهه في كل شيء ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ فما أنت صانع أيها الإنسان!

٣ ـ تخيَّل جماداً حولك يسبِّح ربك وأنت غافلٌ لا تحرك ساكناً! ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾.

٤ ـ كلُّ لحظةٍ تمرُّ في حياتك لا تُجِلُّ فيها ربك هي خسارة في مقابل جماد لا يفتر عن إجلاله وتعظيم شعائره ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾.

٥ ـ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾ فلا يخرج عن إرادته وقدرته من أمر الكون شيء.

٦ ـ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾ فلا تستثقل شيئاً ممَّا تريد فهو آتٍ لك بما تشاء.

٧ ـ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾ يحقِّق أملك، ويدفع عنك مخاوفك، ويجمع لك شملك، ويأتي على كل آمالك، فلا تحتقر شيئاً من أحلامك.

٨ ـ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾ فلا تبتئس من عدوك، ولا تخشَ عقبات طريقك، ولا تملَّ من سؤالك! تمنَّ كل شيء، وسيأتيك فوق ما تريد.

٩ ـ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾ أبلغه بحاجتك، وابعث إليه بأمانيك، ولا تتردَّد في شيء؛ فسيبلِّغك ما يدهشك.

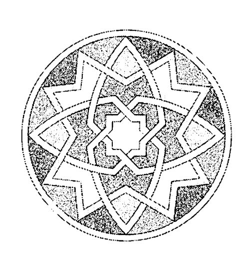
١٠ ـ إذا خطرت في قلبك أمنية فليكن هو أول من تُهْرَعُ إليه ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ وإذا اشتقت إلى شيء من آمالك فليكن بابه أول باب تقرعه ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ وإذا وقفت العوارض والعقبات والأحداث الكبار في طريقك فليكن هو أول خاطر يخطر ببالك ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾.

١١ ـ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ في قلبك عند إرادة أيِّ عمل، وكتابة أيِّ حرف، وسؤال أيِّ قضية، وتحريك أيِّ قدم، هو الأول في كل شيء فتنبه!

١٢ ـ هو أول من ترقبه وتخافه، وتقوم له وتقعد من أجله، وتسافر وتقيم من أجل رضاه ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾.

١٣ ـ إياك أن يأتي الأول متأخِّراً في نية قلبك، أو جهد جوارحك، أو غبار قدمك، أو حديث لسانك، فلا تصل إلى شيء ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾.





هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى
ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥﴾
يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾ وَمَا
لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۙ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ
مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ
بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ
رَّحِيمٞ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِى مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ
ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ
ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾

التفسير

• ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواء يليق بجلاله تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من حَبٍّ وغيثٍ وكلِّ شيء ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نباتٍ وشجرٍ وحيوانٍ وكل شيء ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الأقدار والأرزاق والملائكة ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة والأعمال ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ بعلمه وسلطانه وقدرته ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يتصرَّف فيهما كما يشاء ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ فيحكم فيها بما أراد.

• ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يدخل الليل على النهار فيغشيه بظلامه، ويدخل النهار على الليل فتذهب ظلمة الليل ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ يعلم خفايا القلوب وأسرارها.

• ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ كما أمركم الله تعالى وأرشدكم نبيكم ﷺ ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من المال ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ الذي جمع بين الإيمان والنفقة له أجرٌ عظيم.

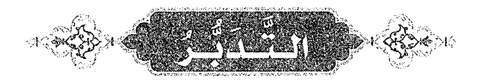
• ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ أيُّ عذرٍ أو مانعٍ لكم من الإيمان بالله ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ﴾ ورسوله يدعوكم إلى ذلك ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ أخذ عليكم العهد والميثاق لتؤمنوا به ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ فإن الإيمان يدعو صاحبه للامتثال.

• ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات تدلُّ على صدق ما جاء به

﴿لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩﴾.

• ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وما الذي يمنعكم من النفقة في سبيله ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وكل شيء له أولاً وراجعٌ إليه آخراً ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَ﴾ فتح مكة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْ﴾ من بعد فتح مكة أو صلح الحديبية ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ من قاتل قبل الفتح أو بعده ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠﴾ فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ فيبذل ماله طيِّبةً به نفسُه لوجه الله تعالى ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ فيعطيه الله تعالى ثواب ما بذله من ماله مضاعفاً ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١﴾ ثواب عظيم.



التدبُّر

١ ـ ليكن حاضراً في قلبك ومشاعرك أن الله تعالى يعلم كل شيء ولا يفوته من عملك وجهدك شيءٌ ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٥ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٦﴾.

٢ ـ إنّ كل ما يدخل الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها يجري في علم الله تعالى! ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ

مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾.

٣ ـ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ في حِلِّك وترحالك، في سفرك وإقامتك، في خلوتك ووحدتك، وفي جمعك وسمَّارك.

٤ ـ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ في ظروفك القاهرة، وأيامك الصعبة، وأوضاعك الحرجة، ومحنك وآلامك، وتحديات واقعك.

٥ ـ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ في مرضك وصحَّتك، في عافيتك وسقمك، في غناك وفقرك، في يومك وليلتك.

٦ ـ حين تنفق من مالك إنما تنفق من ودائع ربك ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ فلا تبخل على نفسك بشيء.

٧ ـ ليس من شأن الخليفة أن يبخل بما استُخلِفَ عليه وقد سأله الله تعالى الإنفاق ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾.

٨ ـ من لطيف رحمة الله تعالى بالإنسان محاولة إقناعه بالإيمان وإكرامه به ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾.

٩ ـ يا لغبن إنسان يعرف هذه الحقيقة ثم لا يشرع في استثمارها! ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ آيات بيِّنات، ومِنْ عادة البيِّن أن يصنعَ لك كلَّ شيء.

١٠ ـ الإسلام يحفظ سوابق المجاهدين، ويجلُّ سالف الأيام ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

١١ ـ فرق بين من ينفق عن حاجة وآخر ينفق ممَّا وسَّع الله تعالى عليه ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

١٢ ـ فرق بين أيـــام القلَّة وأيام الكثرة، وأيام الفتن وأيام الســلامة، وأيام الضيق والحرج والمشــقة وأيام الســعة ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

١٣ ـ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ جــرِّب إيمانك في معركة الإنفاق والسخاء بما في يدك.

١٤ ـ هل تصوَّرت أن الله تعالى يطلبك، ويسألك أن تقرضه! إنها الفرصة التي تدقُّ بابك ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾.

١٥ ـ كل الذين لم يدفعوا بعض ما في أيديهم لم يدركوا هذا الوعد الكبير بعد! ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾.

١٦ ـ حين تنفق من مالك فلا تنقصه، وإنما تضاعفه وتزيده ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

التفسير

• ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ يتقدَّمهم نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ هنيئاً لكم هذا الفوز يوم القيامة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ فما أعظمه من فوز!

• ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾ انتظرونا ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ نستضيء به في الظلمة ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ خلفكم ﴿فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ اطلبوا نوراً ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٍ﴾ حائطٍ أو حصنٍ منيع ﴿لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ وهو ما يلي المؤمنين، وهو الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ أي ما يلي المنافقين، وهو النار.

• ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ على الإسلام ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ كنتم معنا ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بالنفاق والمعاصي ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالحق وأهله ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم فيما جاءكم من الحق ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ فخدعتكم بطول الأمل ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ الشيطان.

• ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ من مال ولا غيره ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ كذلك لا يؤخذ منهم شيء ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ فهي مستقرُّكم ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ التي تتولَّاكم وتضمُّكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ ما أسوأ العاقبة حين تكون النار!

• ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ ألم يأت الوقت الذي ترقُّ فيه هذه القلوب وتلين وتخضع لذكر الله تعالى وأمره ونهيه بعد سماع القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ من اليهود

والنصـارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ العهد والزمان بينهم وبين الرسـالات ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ غلظت وتحجَّـرت ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ خارجون عن طاعة الله.

- ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بإنزال الغيث عليها ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدالَّة على قـدرة الله تعالـى ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ عن الله تعالى أمره.

- ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ مَنْ أنفق ماله في سبيل الله تعالى ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ كأنهم أعطوه سلفاً ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ يزاد لهم بالخلف والعوض في الدنيا، وبالأجر في الآخرة.

التَّدَبُّر

١ ـ كم من تعبٍ مخلوفٍ وأحداثٍ تركت عواقب فضل وإحسان في حياة صاحبها! ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

٢ ـ ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ لو قيلت لك في الدنيا لثارت مشاعرك فرحاً وسروراً! فكيف وهي تقال لك في أحرج اللحظات؟!

٣ ـ ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ في أضيق اللحظات، وأحرج المواقف، وأصعب الأحداث. فيا لفرح النهايات!

٤ ـ ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ بعد زمنٍ طويلٍ من العناء، والتعب، والجهد، والمحاولات في سبيل ذلك المعنى الكبير.

٥ ـ ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ تُخفِّف لأواء الأيام، وتعب الطريق، وأيام البؤس والشقاء، وتسقي أيامها بالفرح الكبير.

٦ ـ كيف لو رأيتهم وهم يُستقبلون بالفرح، ويُبشرون بالفوز، ويُكرمون بالجنان، وتجري عليهم أفراح تلك النهايات! ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

٧ ـ سوء الخواتيم أعظم ما ينتظر المفرِّطين في ذلك اليوم ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

٨ ـ كانوا يحرّضون عليهم، ويقعدون لهم في منتصف الطريق شامتين مستهزئين! واليوم يسألونهم الوقوف في عرض الطريق ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

٩ ـ فتنة الشهوات والتربص بأهل الإيمان وغرور الأماني هي التي وقفت حاجزاً بين النفاق وموارد الخيرات ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ

وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

١٠ ـ للفرص أوان إذا فاتــت لا ينفع الندم ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

١١ ـ من علامات إيمانك وصفاء نفســك أن تجد أثراً للواعظ في قلبك ومشــاعرك ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

١٢ ـ قراءة القرآن من أكبر الأسباب الجالبة لخشوع القلب ورقّته ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

١٣ ـ إذا قســى قلب الإنســان ففيه شَــبَهٌ بأهل الكتاب ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ومــن علامة قســوته أنه لا تصدعه مواعظ القرآن، ولا يلتفت إليها بقلبه ومشــاعره فضلاً أن يتحوَّل منها مادّةً صالحةً للعمل والتطبيق.

١٤ ـ في الصدقة مضاعفةٌ لمالك، وأجرٌ كبيرٌ في ميزان حســناتك ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

❀ ❀ ❀

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ
عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ
ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ
وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ
ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ
يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن
مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن
قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ
عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ
بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

التفسير

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾ قولاً وعملاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ الذين بلغوا غاية التصديق فيما جاءهم ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ الذين قتلوا في سبيله ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ جمع لهم بين الأجر العظيم والنور التام ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾ أهلها المعذَّبون فيها.

- ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ هذه هي الدنيا على حقيقتها ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ﴾ الزرّاع ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ زرعه ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ذلك الزرع ﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا﴾ تغيَّر لونه من الخضرة إلى الصفرة ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ يابساً متحطِّماً ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ للكفار ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ﴾ لأهل الإيمان ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ مجرَّدُ متاع.

- ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بادروا وسارعوا واغتنموا هذه المنازل من المغفرة والجنان ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ أي الجنة ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ توفيقه ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ من عباده ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ صاحب الفضل الكبير.

- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من قحطٍ وجدبٍ وزلازلَ ونحوها ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ من مرضٍ وموتٍ وفقرٍ ونحوه ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ مقدَّرٍ ومكتوب ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ من قبل أن نخلق كل شيء ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ بسيط في ملك الله تعالى.

- ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ لا تحزنوا على فائت ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ أعطاكم ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ﴾ متكبِّرٍ ﴿فَخُورٍ ٢٣﴾ متعالٍ.

• ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ فلا يعطون حقَّ الله تعالى ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ فلم يقتصروا على أنفسهم، بل منعوا غيرهم من الإنفاق ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يُعرض عن الله تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤﴾ لا حاجة به إلى المعرضين.

التدبر

١ ـ إنما تنال في آخرتك قدر جهدك وتعبك وإقبالك في أيام دنياك ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾.

٢ ـ تاريخك صناعتك ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾.

٣ ـ الجزاء من جنس العمل، والنتائج موكولةٌ بأسبابها ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾.

٤ ـ رسالة للتعريف بالدنيا ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾.

٥ ـ إذا رأيت ربيعاً يملأ أرجاء الأرض فلا تغترَّ بالمظاهر، فتأمل في نهايته ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾.

٦ ـ لا تندهش بهذه الفانية، فمآلها إلى الزوال ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾.

٧ ـ هذا هو الواقع الذي لا يحتاج إلى دليل ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾.

٨ ـ لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد فحسب ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾.

٩ ـ لو أن القاتل فقه هذا المعنى لما قَتل، ولو أن السَّارق أدرك هذا المعنى لما سَرَق، ولو علم أصحاب الشهوات هذه الحقيقة لتنازلوا عنها غير آبهين بما فيها من لذّات ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾.

١٠ ـ يا لحسرة أولئك الذين يرابون، ويبيعون حراماً، ويغشُّون، ويظلمون، ويقتلون، ويسرقون من أجل هذه الفانية! ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾.

١١ ـ ارفع ثوبك؛ فالأرض مليئة بالوحل ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾.

١٢ ـ شمِّر عن ساعدك؛ فلن تبلغ أمانيك إلا من خلال الشعور بأهمية الفرص ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾.

١٣ ـ الأناة في كل شيء إلا في المعالي ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾.

١٤ ـ تحرَّك؛ فالحياة أكبر من هذا الإبطاء الذي تعيشه في واقعك ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾.

١٥ ـ سابق بقلبك؛ فكثير من القلوب مكلومةٌ في طريق الإخلاص ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾.

١٦ ـ سابق بنيَّتك، وحسن إقبالك على ربك قبل أن تسابق بشيء من جوارحك ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾.

١٧ ـ تحرَّر من قيود فشلك، وأَقْبِلْ على ربِّك، وكن كعمرو بن الجموح رضي الله عنه الذي أقسم ليطأن بعرجته الجنان، وكان له ما أراد ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾.

١٨ ـ قرَّر بلال أن يمشي في الجنة وهو ما زال حياً، وكتبت امرأة في تاريخها أنها من أهل الجنان وهي تجوب مساحات الدنيا، وصنع صاحب

القلب السليم مباهج نهايته وهو لم يغادر الدنيا بعد ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾.

١٩ ـ لا تقلق، فما كتب عليك سيصيبك ولو بعد حين ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾.

٢٠ ـ لا تحزن على فائت، لو كان لك لما برح ساحتك ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾.

٢١ ـ تخفَّف من هذا الأرق الذي يلاحقك! فكل شـيء جرى في كتاب الأعمال ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾.

٢٢ ـ إيمانك بقــدر الله تعالى، ويقينك بأن «**ما أصابك لــم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**»(١)، يفتح لك آفاقاً، ويجعلك سعيداً في خضم الأحداث والمفاجآت ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾.

---

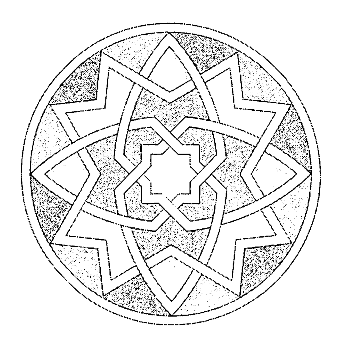
(١) تقدم تخريجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «يا غلام إني أوصيك بكلمات...».

٢٣ ـ لا تبخل بمالك، ولا بقدراتك، ولا بمهاراتك، ولا بمواهبك فإنك إن فعلت فقد فاتتك أرباحك ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٢٤﴾.

٢٤ ـ السيئة تجرُّ أختها، وتدعو صاحبتها ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٢٤﴾.

٢٥ ـ بخلك بأي شيء نوع تولٍّ عن الله تعالى، واستغناء عن مدده وتوفيقه وسعة رزقه؛ فإياك وفوات الأرباح! ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٢٤﴾.

❀ ❀ ❀



لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

التفسير

- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ جنس الكتب السماوية ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ ليعينهم على القيام بالحق والعدل ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أودعنا مادته في الأرض ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ شدَّة وقوَّة ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ دينية ودنيوية ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ وليرى الله تعالى من ينصر دينه ورسله ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ في أخذه ﴿عَزِيزٌ (٢٥)﴾ غالب في أمره وحكمه.

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ﴾ جعل النبوة في نسلهما ﴿وَالْكِتَابَ﴾ جنس الكتب السماوية ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾ من ذريتهما وقومهما ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦)﴾ خارجون عن طاعة الله تعالى.

- ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾ أتبعنا آثار نوح وإبراهيم، أو آثار ذريتهما بموسى وإلياس وداود وسليمان ويونس عليهم السلام وغيرهم ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ وأتبعنا رسل بني إسرائيل بعيسى ابن مريم ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ أعطيناه الإنجيل ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ أي الحواريون ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ رقَّةً وخشيةً وليناً ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ انقطاعاً واشتغالاً بالعبادة ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ وإنما شرعوها من قبل أنفسهم ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ وإنما فعلوا ذلك ابتغاء رضوان الله تعالى، وقيل: ما أمرناهم إلا بما يرضي الله تعالى ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ فما قاموا بها حق القيام ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ مَنْ هو مستقيم على أمر الله تعالى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧)﴾ خارجون عن طاعة الله تعالى.

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقايةً؛ بفعل ما أمر، واجتناب ما نهى ﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ صدِّقوه فيما جاءكم به ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ نصيبين من رحمته ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ تعرفون به مواضع الهدى من الضلال ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي حتى يعلم أهل الكتاب ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ فيردُّونه عن أحد ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ سبحانه وتعالى.

التَّدَبُّر

١ ـ كل ما خلق الله تعالى إنما خلقه لحكمة ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾.

٢ ـ قامت الحياة على العدل ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ ومن فقهك وكمال وعيك أن تستكمل فصوله في واقعك وسيرتك.

٣ ـ ركِّز على الجوانب المشرقة، وضع عينك في كل شيء على إيجابيته، واستفد من كل مخلوق بما فيه من خير ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾.

٤ ـ كل نعم الله تعالى التي تجدها في حياتك إنما هي للاختبار فتنبّه! ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

٥ ـ لا حاجة بالله تعالى إلى قوّتك ومهارتك وإمكانيتك، وإنما يريد أن يختبر الله تعالى استجابتك ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

٦ ـ التوفيق عزيز، وما كلُّ راغبٍ ناله، فتشبّثْ بتوفيق الله تعالى وابلُغْ وسعك في تحقيق غاياته ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

٧ ـ العبرة بإصابة الحق وليست بالكثرة! ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

٨ ـ خشيتك لربك خير ما فتح الله تعالى به عليك ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾.

٩ ـ ليست العبرة بكثرة تعبدك، وإنَّما بموافقتك لسنَّةِ نبيِّك ﷺ ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

١٠ ـ ما كلُّ قاصدٍ للخير نائلـه، ولا كلُّ مقبلٍ على الطريق بالغه ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

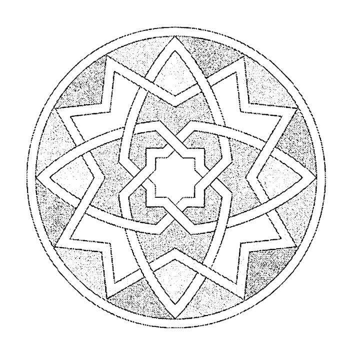
١١ ـ الإيمـان والتقوى تصنع لك مباهج الحيـاة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

١٢ ـ نورك في الدارين على قدر ما معك من إيمان ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

١٣ ـ إعادة بناء التصوُّرات مسؤولية الوحي ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

١٤ ـ بناء المفاهيم والأفكار، وإعادة تصحيـح التصوُّرات ضرورةٌ كبرى في بناء الإنسان ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.







بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

التفسير

• ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾ تحاجُّك وتخاصمك، وهي خولة بنت ثعلبة ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ أوس بن الصامت ﴿وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ترفع أمر زوجها وما حصل منه من الظهار إلى الله ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ تَخاطُبَكُما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لأقوال عباده ﴿بَصِيرٌ ۝١﴾ بأفعالهم.

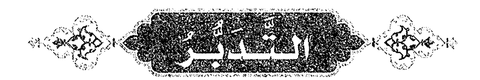
• ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ بأن يقول أحدهم لزوجته: أنتِ عليَّ كظهر أمي ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ في الحقيقة ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ على الحقيقة ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾ وليست زوجاتهم ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ شرعاً وعقلاً ﴿وَزُورًا﴾ كذباً حين جعل الزوجة أُمّاً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ فيتجاوز عن الزلّات ﴿غَفُورٌ ۝٢﴾ ساتر للخطيآت.

• ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ بأن يريدوا الجماع لمن ظاهروا منها ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ فكفارة ذلك تخليص رقبة من الرِّقِّ بإعتاقها ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ من قبل الجماع ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ أي هذه الأحكام التي أُلزم بها المظاهر عظةٌ وعبرةٌ له ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ عتق رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ متواصلين ﴿مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ من قبل جماعهما ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ عتق الرقبة أو صيام الشهرين ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ ما يكفي لغداء أو عشاء ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ هذه الأحكام إنما شرعت لتحقيق الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي النهي عن الظهار وكفارته بعد الوقوع فيه ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يخالفون أمره ﴿كُبِتُوا۟ كَمَا

كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أُخزوا وأُذلُّوا كما أُخزي وأُذلَّ من قبلهم ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ﴾ لإقامة الحجة والبراهين على المعاندين ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥﴾ مُخزٍ ومُذِلٌّ.

• ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا﴾ وذلك يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ يخبرهم بما فعلوا ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أعدَّه ورصده ﴿وَنَسُوهُۚ﴾ مع مرور الأيام ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦﴾ مُطَّلِعٌ رقيبٌ لا تغيب عليه غائبة من أفعال المخلوقين.



التدبر

١ ـ شمول هذه الشريعة وكمالها ورعايتها لحقوق الأُسر والأزواج، وعلاجها لمشكلات الواقع ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤﴾.

٢ ـ شريعة الله تعالى لا تقيم عبادتك مع ربك فحسب، وإنما تشاركك في بيتك وأسرتك، وتعينك على حلول مشكلاتك الشخصية ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ

مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

٣ ـ رقابة الله تعالى على خلقه، فلا يغيب عنه شيء من أحوالهم ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

٤ ـ لا تقلق! فالذي سمع حوار تلك الشاكية سيسمعك، ويلبِّي لك حاجتك ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

٥ ـ أول ما تلج بظرفك ومشكلتك وحالتك التي تعانيها إلى ربك ومولاك لا إلى أحدٍ من الخلق ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

٦ ـ في ظروف بيتك، ومشـكلات زوجك، وأحداث ولدك! تعلَّم كيف تعرضها على ربك ومولاك ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

٧ ـ آمن بقلبك ومشـاعرك وجوارحك أن الله تعالى يرى ويسمع كل شيء حتى ما يجري في نجواك ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

٨ ـ من فقهك وكمال علمك أن تحسن اختيار من يعينك على حلول مشكلاتك، وألَّا تُلقي بها علـى المتعالمين ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

٩ ـ ما كلُّ مستشارٍ مؤتمنٌ، وكم من بيوت تهدَّمت باستشارة جاهل ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

١٠ ـ كم مِنْ امرأةٍ استشارت مستشاراً غيرَ مؤتمن، فكانت بداية الانحراف من ذلك الطريق ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

١١ ـ لا حرج في عرض مشكلتك وظرفك على من تتوسَّم فيه إعانتك، بشرط أن يكون قلبك متصلاً بالله تعالى مقبلاً عليه ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

١٢ ـ جهل الإنسان يودي بمصالحه، ويُضيِّع عليه كثيراً من مقدراته ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ ما له ولهذا التضييق على نفسه، وقد جعل الله تعالى له مخرجاً!

١٣ ـ اختيار الله تعالى لك أَفْضل من اختيارك لنفسك، وأَعْود عليها بالخيرات ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ اختار الله تعالى له الطلاق، واختار الإنسان لنفسه الظهار؛ فانظر الفرق بين الحالين!

١٤ ـ رحمة الله تعالى بعباده ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ ألا تراه عفا عن أخطائهم، وغفر لهم زلَّاتهم!

١٥ - عقوبة الشريعة على قدر ذنبك وتعدِّيك على حدوده ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٢﴾ ﴾ اعتبرت الشريعة الظهار منكراً من القول وزوراً.

١٦ - من فقه الشريعة ورعايتها للإنسان أنها سنَّت له أنظمة كفيلة بردعه عن أخطائه، وتأديبه على سوء تصرفاته ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾.

١٧ - من فقه المربِّي أن يسنَّ أنظمةً تكفُّ من يربِّيه عن تكرار خطئه، والاستمرار في مشكلاته ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾.

١٨ - من أدب المؤمن مع ربه تعالى إجلال شعائره تعالى، وتعظيم حدوده ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾.

١٩ - هل تصوَّرت يوماً أن ترى مخلوقاً ينازع الله تعالى في شريعته، ويجادله في أحكامه! ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥﴾ ﴾.

٢٠ ـ بشـارةٌ لكلِّ من نازع الله تعالى في حكمه، وجادله في شـريعته ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾.

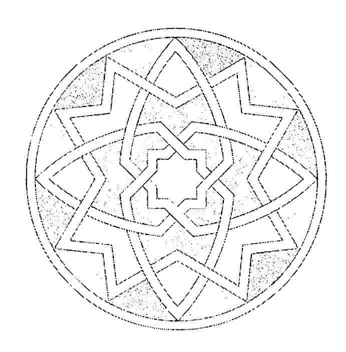
٢١ ـ ثمَّة يومٌ ترد على أخبارك، وأحداث دنياك، وتاريخ عمرك فاستعدَّ لذلك! ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾.

٢٢ ـ كم مِنْ كلمةٍ، ونظـرةٍ، ولحظة غشٍّ، وظلام ليلٍ، وسـفرٍ طويلٍ، وأماناتٍ ومسؤولياتٍ ستأتي تحكي تفاصيل تلك الأيام ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

٢٣ ـ لا تحتقر ذنبك، أو تستقلَّ خطيئتك! فثمَّةَ يومٌ يجري فيه كشف الحسنات والسيئات ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

٢٤ ـ تحفَّظ قدر وسـعك، فما يجري منك يُدوَّن في سـجلَّاتك ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.





أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ
مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟
بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

التفسير

• ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ﴾ من سرٍّ أو حديثٍ بين عدد من الناس ﴿ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ بعلمه وإحاطته ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يخبرهم بكلِّ ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⑦﴾ فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أيها الرسول ﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾ من اليهود أو المنافقين الذين كانوا يتناجون فيما بينهم بما فيه إثم ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من النجوى المحرَّمة ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ﴾ بالذنب ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ على الآخرين ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ مخالفة أمره ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ كقولهم: السام عليك ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ لو كان الرسول حقًّا لعاجلنا بالعقوبة ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ يكفيهم عذاباً نار جهنَّم يوم القيامة ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يذوقون حرَّها ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ⑧﴾ المرجع والمآب.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ﴾ فيما بينكم ﴿فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ﴾ بالذنب ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ على الآخرين ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ مخالفة أمره ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ﴾ بالخير والمعروف ﴿وَالتَّقْوَىٰ﴾ ما يقربكم إلى الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وعقابه وقايةً؛ بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ⑨﴾ تُرجعون.

• ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾ المسارَّة بين اثنين دون الثالث ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ من تسويله ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ليدخل على نفوسهم الحزن والألم ﴿وَلَيْسَ

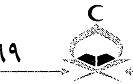
بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا﴾ لن ينالهم من آثار الشيطان شيء يسوؤهم ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بتقديره وإذنه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ فلا يلتفتوا إلى غيره فيما ينفعهم أو يضرُّهم.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ توسَّعوا فيها ﴿فَٱفْسَحُواْ﴾ توسَّعوا ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يوسِّع الله تعالى لكم في دينكم ودنياكم ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ ارتفعوا من مجالسكم وقوموا منها ﴿فَٱنشُزُواْ﴾ قوموا منها ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ يُعلي الله تعالى منازل أهل الإيمان والعلم بقدر إيمانهم وعلمهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾ فلا تخفى عليه خافية.

التَّدَبُّر

١ ـ كل ما يجري في الأرض لا يفوت على الله تعالى منه شيء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾.

٢ ـ إنَّ نيَّتك يراها الله تعالى ويرقبها، ويعرف تطلُّعاتها وأحداثها ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾.



٣ ـ خطواتك، وجهدك، وتعبك، وأيام رحلتك لا يفوت على الله تعالى منها شيء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾.

٤ ـ حتى الذين يتناجون على قارعة الطريق، أو من خلف الجدران، أو في ظلام الليل! كلُّها تجري في هذا المعنى الكبير ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾.

٥ ـ غاب عن عمله ورسـالته ووظيفته وجاء لمسـؤوله بورقةٍ من مستوصف أنه تلقى العلاج لديهم، وهم لم يرونه، وفاتَ الجميع هذا المعنى الدقيق ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾.

٦ ـ في نهاية كلِّ شهرٍ يسجِّل له انتداباً خارج دوام، ويأخذ من مال المسلمين العام، وهو لم يشارك في شيء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾.

٧ ـ دينك يرعى نفسيَّتك، ويحارب كلَّ طارئٍ يذهب بأمنك، ويدخل التشويشَ على ذاتك ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ

لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

٨ ـ قبّح الله النفاق وأهله! ما حضر مجلساً إلا شوَّشه، ولا جاء في صفٍّ إلَّا فرَّقه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾.

٩ ـ طهِّر لسانك عن كل ما يعارض منهج الله تعالى، وترفَّعْ عن كل نقيصةٍ تراها، أو تسمع بها في مخلوق ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

١٠ ـ تفتح قلبك ومشاعرك لكلِّ طارق ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

١١ ـ لا تكدِّر خاطر زميلك في السفر، وصاحبك في الغربة، وصديقك في الطريق بنجوى مع إنسان وهو بمنأى عن تلك الأسرار ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

١٢ ـ أثر العقيدة في حفظ توازن النفوس واستقبال عوارض الحياة ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

١٣ ـ رمِّمْ عقيدتك؛ فلن يضـرَّك أحدٌ من العالمين ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

١٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ فافسحوا في مجالسكم، وصدوركم، وأوقاتكم، وأموالكم، يفسح الله تعالى لكم في كلِّ شيء.

١٥ ـ الخطوة الأولى تصنع مباهج الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ تفسَّحوا يفسح الله لكم.

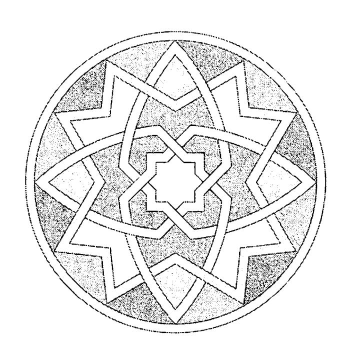
١٦ ـ كان في مجلس، فلمَّا رأى قادماً ازورَّ وانشغل بنفسه حتى لا يُحْرَجَ في ترك مكانه من أجله، وفاته بذلك خيرٌ كبير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

١٧ ـ كان في مجلس، فأقبل زائر، فلمَّا رآه توسَّـع له فـي محله رغبةً في وارف العطاء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ وآخر ازورَّ بوجهه حتى لا يفارق مكانه.

١٨ ـ الإيمان والعلم سببان في علوٍّ صاحبهما، ورفعة درجاته في الدارين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

١٩ ـ تفاضل الناس بحسب ما معهم من الإيمان والعمل الصالح ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ وليس على قدر مسؤولياتهم ومناصبهم ووظائفهم!





يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾

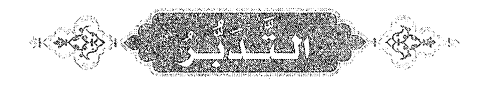


التفسير

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ حدَّثتموه سرّاً بينكم وبينه ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ تدفعونها إلى الفقراء ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الصدقة عند إرادة النجوى ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأَطۡهَرُ﴾ لقلوبكم ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ ما تتصدَّقون به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾ يتجاوز ويغفر لكم مناجاتكم بدون صدقة.
- ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾ خشيتم الفقر من ذلك ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ أي الصدقة عند إرادة النجوى ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ في عدم تصدُّقكم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كاملة بشروطها وأركانها وواجباتها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أعطوها مستحقيها ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بفعل ما أمرا به، وترك ما نهيا عنه ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾ فلا تخفى عليه خافية.
- ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ أيها الرسول إلى المنافقين ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ من اليهود ﴿مَّا هُم مِّنكُمۡ﴾ في إيمانكم ﴿وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ في كفرهم ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤﴾ أنهم يكذبون.
- ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًا﴾ قاسياً ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥﴾ ما أسوأ أعمالهم!
- ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ جعلوا تلك الأيمان الكاذبة وقايةً لنفاقهم ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعرضوا عن طريقه وشرعه ﴿فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦﴾ مُخْزٍ ومُذِلٌّ.
- ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ لا تدفع عنهم من عذاب الله تعالى شيئاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧﴾ لا يحولون عنها ولا يزولون.

• ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ أنهم على الحقِّ والهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ في حلفهم وأنه نافعهم ودافعٌ عنهم ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ غلبهم وسيطر عليهم ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ أغفلهم عن طاعة الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أنصاره وأعوانه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ في الدارين.

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ كل مخالف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ فلا غالب لأمره.



التدبر

١ ـ مكانة النبي ﷺ عند ربه تبارك وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ دفع الله تعالى عنه المشقَّة التي كان يلقاها من كثرة الأسئلة بدفع صدقةٍ لمن أراد أن يناجيه.

٢ ـ قيمة أوقات العلماء والمصلحين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ فرض عليهم صدقةً عند مناجاته ﷺ حتى لا تُنتهك أوقاته، وتضيع في غير طائل!

٣ ـ الواجب على عامة الناس احترام أوقات هؤلاء الكبار من أن تذهب في هوامش الحياة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

٤ ـ الوقت هو الحياة! ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ لقد حفظ الله تعالى وقت نبيِّه ﷺ بفرض هذا المقابل حين أخذ جزءاً منه.

٥ ـ كل ما ينفقه الإنسان من مالٍ في سبيل العلم ومعرفة حكم الله تعالى فهو أجلُّ ما ينفقه في حياته ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ ألا ترى كيف أن الله تعالى اقتطع مالاً واجباً يدفعه الإنسان مقدمة لحديثه مع رسوله ﷺ ؟!

٦ ـ سعة شريعة الله تعالى ورحمتها بالضعفاء والمعوزين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ فقد نُسخ هذا الحكم لما فيه من مشقَّةٍ على الفقراء ولم يُعْمَلْ به.

٧ ـ بذل الأموال في سبيل الله تعالى من أشقِّ الأشياء على النفوس ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ فإنَّ قوماً تركوا تكليم رسول الله ﷺ رغبةً في المال، وخشيةً من إنفاقه في ذلك الطريق.

٨ ـ الصلاة أعظم ما تقرَّب به الإنسان إلى ربه تبارك وتعالى؛ لأنها كانت أول عوض عن الصدقة بين يدي رسول الله ﷺ ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

٩ ـ المنافقون أسوأ جماعة في تاريخ الإسلام ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ تولَّوا اليهود من دون المؤمنين، ويحلفون كذباً وزوراً ولا يبالون! وهكذا هم في كلِّ زمانٍ ومكان.

١٠ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ هذه صورة الأمس كما هي ذاتها صورة اليوم لا فرق! يلهثون وراء اليهود، ويشترون ولاءهم على حساب الإسلام بكل ما يملكون.

١١ ـ ما أشبه الليلة بالبارحة! ها هم يخاصمون من أجل اليهود، وينازعون الإسلام والمسلمين في حبِّهم والولاء لهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

١٢ ـ سوء عاقبة النفاق والمنافقين ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ

لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

١٣ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ تحذير كل من وقف دون منهج الله تعالى وجعل من نفسه عدوّاً لشريعة الله تعالى ودينه في الأرض. سيظلُّ ذليلاً ما عاش!

١٤ ـ إذا رأيته ينازع في ديـن الله تعالى، ويقف دون مباهج الحق؛ فاعلم أن ذلك من أعظم مواقف الخذلان في حياته ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾.

١٥ ـ كل من خالف أمر الله تعالى، وتولَّى طريقاً غير طريقه؛ فهو ذليلٌ لا كرامة له ولا عزّة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾.

١٦ ـ الغلبة والنصر والعزُّ والتمكين لمن أطاع الله تعالى، وسار على طريقه ومنهجه ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾.

١٧ ـ هذه الحقيقة ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ يجب ألَّا تفارقَ قلبك وعقلك ومشاعرك كلَّ حين.

١٨ ـ لو زحفوا عليك بكلِّ ما يملكون من قوّةٍ وعتادٍ! تأكد أنك الأقوى والأغلب في النهاية ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾.

١٩ ـ يجب أن تتحوَّل هذه الحقيقة ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ إلى عقيدةٍ في قلبك، وقوّةٍ قاهرةٍ في مشاعرك وعقلك.

❀ ❀ ❀

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

التفسير

• ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يحبُّون من خالف أمر الله تعالى ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ قبيلتهم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ فأتمَّه وثبَّته فيها ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ بوحيه ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يوم القيامة ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لإيمانهم وأعمالهم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بما وفَّقهم إليه من أسباب الإيمان والثبات ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ أنصاره وأعوانه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ في الدارين.

التَّدَبُّر

١ ـ البراءة من أهل الكفر أصلٌ في عقيدة أهل الإيمان ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

٢ ـ كلُّ عقيدةٍ لا تقوم على الولاء والبراء فهي عقيدةٌ هشةٌ لا تمثّل شيئاً في حياة صاحبها ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

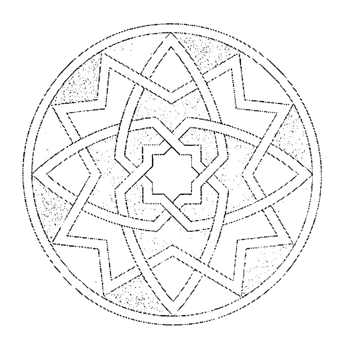
٣ ـ العقيدة عملٌ وتطبيقٌ وممارسةٌ، وليست شعارات قَبَليّة لا علاقة لها بواقع صاحبها ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

٤ ـ للعقيدة في قلب صاحبها مكاسب ضخمةٌ من أهمِّها ثبات الإيمان واستقراره في قلوب أصحابه، وتأييد الله تعالى لهم، ودخول الجنة، ورضا الله تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ

أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

٥ ـ كلُّ مَنْ فقد شيئاً من أجل الله تعالى عوَّضه الله تعالى خيراً منه ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ فقدوا من أجل هذه العقيدة صلات النسب، فعوَّضهم الله تعالى رضاه!

❀ ❀ ❀



سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

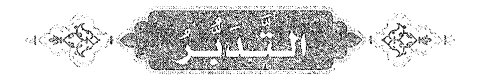
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾

التفسير

- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ نزَّه الله تعالى كلُّ مخلوقاته ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ في تدبير خلقه.
- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي يهود بني النضير ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ التي يسكنون فيها ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ الحشر: الجمع، أي إنّ أول حشر وجلاء على يدي النبي ﷺ كان إلى خيبر، وتبعه حشرٌ آخر بالإخراج من

خيبر، ثم كان عاقبة الأمر إخراجهم كليّاً ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ لم تتوقَّعوا خروجهم من ديارهم ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وهم كذلك حسبوا لجهلهم أنَّ حصونهم مانعتهم من الإجلاء أو القتل ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ جاءهم أمر الله من حيث لم يتوقعوا ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ أوقع في قلوبهم الخوف والهزيمة ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ كان الواحد منهم يهدم بيته لينقل ما يستطيع معه أثناء الفرار ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين أجبروهم على الخروج ﴿فَٱعْتَبِرُواْ﴾ خذوا العبرة والعظة من حال هؤلاء ﴿يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ يا أهل العقول.

- ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ الخروج من ديارهم وترك أموالهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل أو السبي كما فعل بغيرهم ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾ يوم القيامة.



التدبر

١ ـ من مباهج علمك وكمال وعيك أن تجلَّ ربَّك وتعظِّمَه وتنزِّهَه عن كلِّ نقيصة ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾.

٢ ـ هل تريد أن تشعر بمعيَّة هذا الكون! اشترك في قافلة المسبِّحين ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾.

٣ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً كان، وإذا كتب على شيء الزوال زال ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾.

٤ ـ لكلِّ قَدَرٍ سبب ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ قدَّر الله تعالى جلاء هؤلاء اليهود، وهيَّج رسوله ﷺ وعباده المؤمنين لحربهم وجلائهم.

٥ ـ كل من اعتصم بغير الله تعالى وتعلّق به خُذل من جهته ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ ظنوا أن حصونهم مانعتهم فسلَّط الله تعالى عليهم رسوله ﷺ والمؤمنين.

٦ ـ عذاب الله تعالى وعقابه للمتخلِّفين عن منهجه فوق تصوُّرك وأكبر من خيالك ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ قذف في قلوبهم الرعب، وكتب عليهم الجلاء، وسلَّط عليهم عباده المؤمنين فقط؛ فكيف لو أراد لهم شيئاً أكبر من هذا؟!

٧ ـ حياتك وشقاؤك وقفٌ على صلاح قلبك وعَطَبِهِ ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ كيف يعتبر من ليس في قلبه حياة!

٨ ـ جنود الله تعالى أكبر من تصوُّرك ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

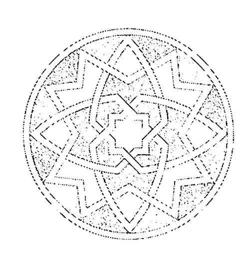
٩ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً أجرى له الأسباب الكفيلة بتمامه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم

مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾﴾ ما كانوا يظنون الخروج فسلَّط الله تعالى عليهم الخوف والرعب الذي بدَّد تلك الثقة وأغراهم بالفرار!

١٠ ـ لا تتَّكلْ على نفسك ومقدراتك ومواهبك؛ فما يدريك متى يجري عليك الخذلان ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾﴾.

١١ ـ تعلَّم دائماً اللجوء إلى الله تعالى، والضراعة إليه، والتشبُّث بتوفيقه، وإياك والاعتداد بالنفس! ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾﴾.





ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

التفسير

• ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ حلَّ بهم ذلك بسبب مخالفتهم لأمر الله تعالى ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ يخالف أمره، ويرتكب نهيه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ④﴾ عظيم الجزاء لمن فعل ذلك.

• ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ من نخلة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ فلم تقطعوها ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فذلك كله بأمر الله تعالى وإرادته ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ⑤﴾ ليُذِلَّ الخارجين عن طاعة الله تعالى.

• ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ ما ردَّه الله تعالى وأرجعه على رسوله ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ فما أسرعتم عليه ونلتموه ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ بخيلكم ولا إبلكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ وإنما ذلك أمر الله تعالى في تسليط رسله على هؤلاء ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ⑥ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ ما ردَّه الله تعالى من أموال أهل القرى بدون قتال ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ سهم ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ لقرابة رسول الله ﷺ سهم ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ سهم ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ سهم ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سهم ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ يتداوله الأغنياء بينهم ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ سواء من الفيء أو الأحكام عامة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقايةً بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ⑦﴾ عظيم المؤاخذة على الذنب.

• ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ⑧﴾ أي إن الفيء

لهؤلاء الفقراء الذين خرجوا من ديارهم وتركوا أموالهم ابتغاء ما عند الله تعالى وتحقيقاً لنصرة دينه.

• ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ سكنوا دار الهجرة ـ المدينة ـ من قبلهم من الأنصار ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ من إخوانهم المؤمنين ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ﴾ لا يحسُّون ولا يجدون شيئاً في صدورهم تجاه إخوانهم المؤمنين ﴿حَاجَةً﴾ من حسدٍ أو ضغينةٍ أو حزازة ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ بسبب ما أُعطِيَ إخوانهم المهاجرون من الغنيمة دونهم، حيث قسم رسول الله ﷺ غنائم بني النضير في المهاجرين، ولم يعطِ الأنصار منها شيئاً ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يقدمون إخوانهم على أنفسهم في كل شيء ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجةٌ وفقرٌ وفاقة ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ يسلم من بخلها وقترها ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ الفائزون بخيري الدنيا والآخرة.



التَّدَبُّر

١ ـ كلُّ ما يصيب الإنسان من سوء؛ بسبب إعراضه عن الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾.

٢ ـ غالب النعم التي تتبدَّد من حياتك من خطو ظالمٍ وأثرٍ سيِّءٍ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾ كهؤلاء الذين شاقوا الله تعالى وشاقوا رسوله ﷺ.

٣ ـ كل ما يجري في حياتك فهو بإذن الله تعالى وسابق توفيقه وفضله عليك ليس إلا ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾.

٤ ـ كمال دين الله تعالى وجماله ورعايته لمصالح الدارين ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ حتى المال نظَّمه ورتَّبه وسَنَّ الأنظمة الكفيلة بحمايته.

٥ ـ وحدة المصدر الذي تأخذ منه الأمة منهجها ورسالتها ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.

٦ ـ ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ خارطة الطريق التي لا يمكن أن تسير الأمة بدونها.

٧ ـ التقوى هي الوصية التي تكفل صلاح صاحبها وفوزه وتحقيق غاياته في الحياة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾.

٨ ـ نصر دين الله تعالى وقفٌ على الحركة الفاعلة والإيجابية ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ أُخرجوا من أجل الله تعالى، وما قعدوا، بل قاموا ينصرون الله تعالى!

٩ ـ صحِّح مقصدك من كلِّ خروج، وتأكّد من خلو نيَّتك من شوائب الرياء ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

١٠ ـ العيش لدين الله تعالى وللأفكار الناهضة حياة في حدِّ ذاته ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

١١ ـ جزء من مشكلة الأمة اليوم ضعف الشعور بحاجة الأمة إلى مشاركتها واقعيًّا ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾.

١٢ ـ التشكي البارد على أوجاع الأمة ليس من شأن الصادقين ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾.

١٣ ـ مشاعر الحب بين المؤمنين أصلٌ لضمان وحدة الأمة ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ ما أحوجنا لهذا المعنى الكبير في بيوتنا، ومع إخواننا، وبين جيراننا، ومع كلِّ مسلمٍ يهتف بالتوحيد.

١٤ ـ إذا أردت أن تتخلَّص من شحِّ نفسك فتعلَّم الإيثار ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾.

١٥ ـ جرِّب إيثارك حين ينتهي جوالك من الشحن مع حاجة أخيك إلى الشاحن، وحين يوجد فراش واحد والمحتاجون أكثر من ذلك، وحين تنتظر عند دورات المياه مع جموع كثيرة، وعند ازدحام الطريق وحاجتك وحاجة غيرك إلى هذا الموقف، ترى أين حقيقة الإسلام من واقعك؟! ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾.

وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

التفسير

• ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ من بعد المهاجرين والأنصار ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ وذلك لكمال محبَّتهم لهم، واعترافهم بفضلهم.

• ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ كعبد الله بن أُبي بن سلول وأصحابه ﴿يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من يهود بني النضير ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ﴾ من المدينة ﴿لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ﴾ فلا نبقى فيها بعدكم ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا﴾ في عدم نصرتكم ﴿وَإِن قُوتِلۡتُمۡ﴾ من قبل محمد وأصحابه ﴿لَنَنصُرَنَّكُمۡ﴾ بالقتال معكم ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١﴾ في كلِّ ذلك.

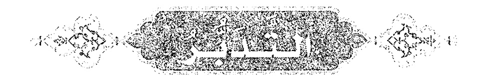
• ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ﴾ فلا يبرحون المدينة، ولا يَصْدُقون في وعدهم لهم ﴿وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ﴾ بالقتال معهم ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ﴾ بأن قاتلوا معهم ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾ هرباً ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢ لَأَنتُمۡ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أعظم خوفاً من الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣﴾ لا علم عندهم بأمر الله تعالى.

• ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا﴾ لا يقوى اليهود على قتالكم ﴿إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ﴾ إلا وهم داخل الحصون ﴿أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭ﴾ من خلف الحيطان والأسوار ﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞ﴾ عداوتهم لبعضهم كبيرةٌ شديدة ﴿تَحۡسَبُهُمۡ﴾ حين تنظر إليهم ﴿جَمِيعٗا﴾ مؤتلفين مجتمعين ﴿وَقُلُوبُهُمۡ

شَتَّىٰ ﴾ متفرِّقة متباعدة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ فلا عقول لهم يدركون بها ما حلَّ بهم.

• ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ﴾ أي أن يهود بني النضير كيهود بني قينقاع الذين أجلاهم رسـول الله ﷺ قبل ذلك ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ ذاقوا عاقبة أمرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ يوم القيامة.

• ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ مَثَلُ المنافقين مع اليهود كمثل الشيطان مع الإنسان ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾.



١ ـ ما أحوج الأمة إلى هذه المشـاعر الفيَّاضة فـي قلوب المؤمنين ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

٢ ـ تفقَّد قلبك من أكثر أمراض العصر خطورة: الغل والحسد والبغضاء والنفاق ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ وعلامة صحتك وعافيتك خلوُّ قلبك من هذه الأمراض.

٣ ـ يُجري كشـفاً سـنويّاً على جسـده، وفاتَهُ أن قلبه يحتاج إلى مراجعة يوميَّة ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

٤ ـ الكذب والتلوُّن من صفات المنافقين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾.

٥ ـ تأجيج الفتن، وإثارة الرأي العام، وتشويش المجتمعات بأفكار الفُرقة، كلُّ ذلك من صفات المنافقين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾.

٦ ـ لا تستكثرون بهم في موقف، ولا تؤمِّلون عليهم في راية ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ خونة في كلِّ بيئةٍ أو مساحةٍ أو مجتمع عاشوا فيه!

٧ ـ الخوف والجبن والهلع من صفات المنافقين ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾.

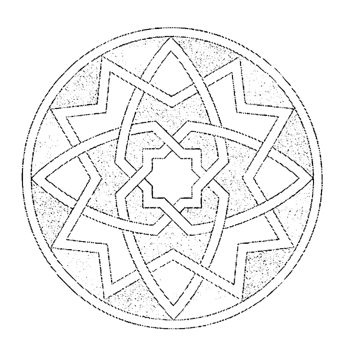
٨ ـ نافذةٌ على جُبن اليهود وخوفهم وذعرهم ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

٩ ـ كُرُّوا عليهم، وقِفُوا في وجوههم، وحاصروهم في كلِّ مكان، سيشهد العالم على موتهم مذعورين ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

١٠ ـ لا تظنّنَّ بأن يهود مجتمعين مؤتلفين متحابِّين ﴿لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

١١ ـ لا تهولنَّك تلك المؤتمرات والتحالفـات والرايات، بين قلوبهم كما بين المشـرقين والمغربين ﴿لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ كل ما تراه من العهـود والمواثيق بين القوم إنما هي صورة لا واقع لها.

❀ ❀ ❀



فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

التفسير

• ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ الشيطان الآمر بالكفر والإنسان الواقع فيه ﴿أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾ لا سبيل لخروجهما منها ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ الخلود في النار.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يوم القيامة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ غفلوا عن أمره ونهيه، وتركوا العمل لدينه ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ فلم يعملوا لها ما ينفعها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ الخارجون عن طاعة الله تعالى.

• ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ من الكافرين والمنافقين والفاسقين ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ من المؤمنين المتّقين ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ عند الله تعالى يوم القيامة.

• ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا﴾ ذليلاً خاضعاً ﴿مُّتَصَدِّعًا﴾ متشقِّقاً ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ من خوفه وتقديره وإجلاله وتعظيمه، ومعنى الآية: أنه لو جُعل في الجبل عقل كما جُعل فيكم، ثم أُنزل عليه القرآن لخشع وخضع وتشقَّق من خشية الله تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ فيما ينفعهم ويعينهم على الخير.

• ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا معبودَ سواه ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ ما خفي ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ العلانية ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ ذو الرحمة الواسعة.

- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ المالك لجميع الخلق ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ المُعظَّم المُمجَّد ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ السالم من كلِّ عيبٍ ونقص ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ المصدق لأنبيائه ورسله ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ الشهيد على خلقه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب في ملكه ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ القاهر لجميع الخلق ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ من له الكبرياء والعظمة ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزَّه عن كلِّ عيبٍ ونقص ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ عما يلحق به أهل الشرك من الأوصاف والأمثال.
- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ لجميع المخلوقات ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ الذي أنشأ الخلق وأخرجهم ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ مصوّر الأشياء على هيئات مختلفة ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لفظاً ومعنىً ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ينزِّهه كلُّ المخلوقات ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب في أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ في حكمه وتصرفه.

التَّدَبُّر

١ ـ ذكِّر نفسك بوصية الله تعالى في كل حين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

٢ ـ من كمال عقلك وفقهك في دينك أن تُجري حساباً دقيقاً لواقعك كل حين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ يمكنك أن تُجري كشفاً للأسبوع الفائت من حياتك، وسترى أين أنت من هذا المعنى الكبير في مستقبلك؟!

٣ ـ لا يشعر بفقد صلاة الجماعة في قلبه، ويحضر المنكر، ويشارك في تكثير سواد الضالِّين، ويقع في المحرمات ولا يبالي؛ هذه صور من نسيان الإنسان لنفسه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

٤ ـ إذا وجدت من نفسك أنك لا تكترث بالمنكر، ولا تتألم لمشاركتك في مظاهره، وتتخلَّف عن الطاعة، وليس في قلبك شيء من الألم فتلك بوادر النسيان عافانا الله تعالى وإياك من الخذلان ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

٥ ـ إذا لم تتألَّم على ذهاب يومك في غير طائل، ولم تجد في قلبك حرقة لتلك الأوقات البائدة من وقتك فذلك من علامات النسيان ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

٦ ـ إذا كان يومك فارغاً من كل قضية، وليس لك هموم لمجتمعك ورحمك ومن حولك، فذلك من النسيان ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

٧ ـ إذا لم تجد ألماً لفوات صلاة الجماعة، ولم تكترث بمحَرَّم تواقعه؛ فاعلم أن ذلك من النسيان ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

٨ ـ إذا كان لسانك يلغ في عباد الله تعالى صباحَ مساء، ولا تشعر بأسفٍ على واقعك؛ فذلك من النسيان ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

٩ ـ إذا كنت ترى الصالحين المقبلين على الخيرات والمسابقين على الفضيلة، ولا تجد في قلبك دافعاً للحاق بهم؛ فذلك من النسيان ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

١٠ ـ شتان بين النهايتين ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

١١ ـ لا يستوي عبدة الأهواء وأصحاب الشهوات، والمتَّقون المصلحون في الحياة! ولا يستوي خائفٌ من ربه خاضعٌ لأمره يجري في فلك حكمه، وضائعٌ ضالٌ في طريق الشُّبهِ والشهوات ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

١٢ ـ يمكنك أن تختارَ مكانك، وتحدِّدَ مصيرك بنفسك ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

١٣ ـ إذا أردت أن تعرف حقيقة هذا القرآن فألقِ ببصرك إلى جبلٍ يتصدَّع من خشيته، ويتفلَّق من أثره! ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

١٤ ـ ما حاجة الأمة اليوم إلى شيءٍ كحاجتها إلى تدبُّر هذا القرآن ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

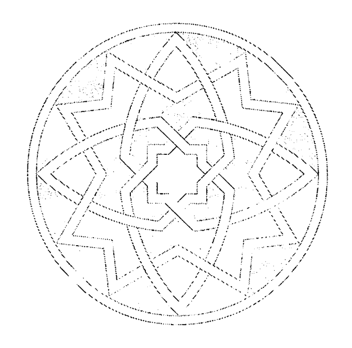
١٥ ـ إذا لم تتحوَّل حِلَقُ التحفيظ إلى العناية بتدبُّر هذا القرآن، وإلَّا ستظلُّ بعيداً عن الحقيقة الكبرى لهذه النعمة ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

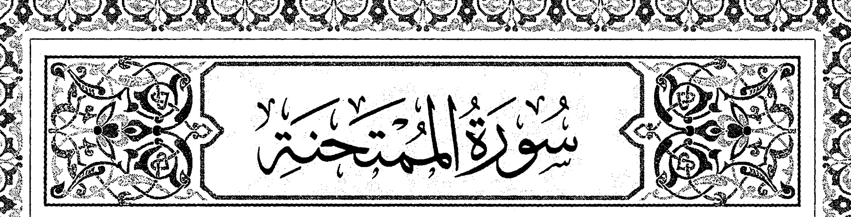
١٦ ـ يمكنك أن تبدأ هذه الحقيقة مع نفسك وأهل بيتك وجماعة مسجدك وأهل حيك ومجموعة زملائك ورفاق العمل، وسترى كيف تتهادى الأفراح إلى قلبك ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

١٧ ـ أَقِـمْ لربك شـأناً فـي قلبـك ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾.

١٨ ـ قراءة الأسماء والصفات أوسع الطرق إلى تعظيم ربك وإجلاله ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾.







بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾

التفسير

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ﴾ من الكفار ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ أنصاراً ﴿تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ توادُّونهم ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ فهم كُفَّار لا إيمان معهم يقتضي مودَّتكم لهم ﴿يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ من أرضه بمكة ﴿وَإِيَّاكُمۡ﴾ ويخرجونكم كذلك من أرضكم ﴿أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ﴾ وليس لذلك سبب سوى إيمانكم ﴿إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِي﴾ إن كان سبب خروجكم الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته ﴿تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ توادُّونهم وتخفون ذلك ﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ فلا يخفى عليَّ شيء من إسراركم أو جهركم بتلك المودَّة ﴿وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ﴾ فيودّهم ﴿فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾ فقد خالف طريق الحق.

• ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾ يقدرون عليكم ويتمكَّنون منكم ﴿يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ تظهر عداوتهم حينئذ ﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ بالبطش ﴿وَأَلۡسِنَتَهُم﴾ بالقول ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ بما يسوؤكم ويؤذيكم ﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢﴾ فتتركون إيمانكم وتعودون كافرين.

• ﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡ﴾ فلا ينفع قريب قريبه إذا اتصل به على غير مراد الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣﴾ فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ قدوة في خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وأتباعه ﴿إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

• ﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ بدينكم وطريقكم ﴿وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ﴾ فلا مودَّة تجمع بيننا ﴿أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ فتعبدوه وتوحِّدوه ﴿إِلَّا

قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ فهذا ممَّا ليس لكم فيه أســوة؛ لأنَّ ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدةٍ وعدهــا إياه قبل أن يتبيَّن له أنه له عدوٌّ لله تعالى ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ من هدايةٍ ونحوها ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ اعتمدنا ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ تُبنا ورجعنا ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ المرجع والمآل.

- ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فلا تسلِّطهم علينا بالأذى من القتل ونحوه ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ﴾ اســتر ذنوبنا واعفُ عنها ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب في ملكك ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ في تدبير خلقك.



١ ـ تعرَّف على عدوِّك أولاً، ثمَّ أَدِرْ شأن قصة البراء معه بإمعان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾.

٢ ـ الخطأ جِبِلَّةٌ في حياة كلِّ إنســان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ نزلت هذه السورة في الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة في كتابه الذي كتبه لقريش يخبرهم بخبر جيش رسول الله ﷺ.

٣ ـ مهما بلغ شأنك وعظم جنابك لن تتخلَّص من بشريَّتك، وستقع في الأخطاء مراراً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ مَنْ حاطب! وكيف يوالي عدوّاً في الأرض لولا هذا المعنى!

٤ ـ إذا بلغ الماء قُلَّتين لم يحمل الخبث ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ يكتب خطاباً لعدوِّ الله تعالى وعدوِّ رسوله ﷺ، ويصفه الله تعالى بالإيمان!

٥ ـ إذا أخطأت زوجتك أو ولدك وطالبك ومن تربيه، فانظر إلى الجزء المملوء من الكوب قبل نظرك للجزء الفارغ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾.

٦ ـ لا عاصم لك من الفتن ومواقف السوء والخذلان إلَّا بتوفيق الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾.

٧ ـ أخطر ما على دينك موالاة عدوِّك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ لهذا المعنى أنزل الله تعالى قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة.

٨ ـ هذه حقيقة عدوِّك ولو أطعمته عسلاً طيلة عمرك ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾.

٩ ـ إياك أن تُقدِّم شيئاً على رضا ربك ومنهجه وشريعته ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

١٠ ـ كلُّ عملٍ لا يصلك بالآخرة؛ فلا مفروح به ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ حتى لو كانوا أبناءً يعيشون معك.

١١ ـ في كلِّ عملٍ ورسالةٍ ووظيفةٍ تأكد أنها تدفع بك إلى نهاية الطريق الصحيح ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

١٢ ـ ارفع رأسك! فجذورك ضاربة في التاريخ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾.

١٣ ـ إذا أردت أن تكتب حظَّك من النجاح؛ فانظر ببصرك إلى قدوةٍ وشمِّر للحاق بها ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.

١٤ ـ ركِّز في قدوتك على مَنْ تولَّى الله تعالى تزكيتهم ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.

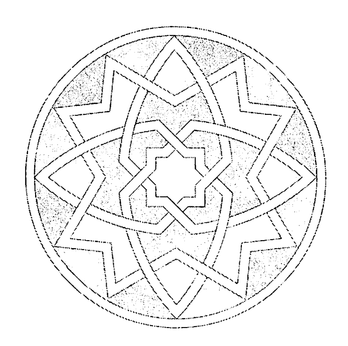
١٥ ـ إذا أردت تجربةً دعويَّـــةً ضخمةً في التعامل مع المعرضين على مســـتوى الأسرة والمجتمع؛ فاقرأ قصة إبراهيم عليه السلام بإمعان ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾.

١٦ ـ من كمال عقلك ووعيك أن تُحسِنَ قرع باب الدعاء كثيراً ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾.

١٧ ـ سل الله تعالى أن يُثبِّت قلبك على دينه ومنهجه كل حين ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾.

١٨ ـ إذا أردت أن تعرف صدق هذه الدعوة وعمقها؛ فانظر لواقعك! كم من شباب الأمة مسجون في ديار الغرب من سنين وتهمته الأولى والأخيرة أنه من أنصار الله ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾.





لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَۚ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةًۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن
دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾
إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ
وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ
فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ
إِلَى ٱلْكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمْسِكُواْ
بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِۖ
يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ
إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْۚ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

التفسير

• ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ في إبراهيم عليه السلام ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ يرجو ما عند الله تعالى من ثواب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن ما أمره الله تعالى به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ ⁽٦⁾﴾ المحمود بكرمه وجوده.

• ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ لعل الله تعالى يغيِّر الحال فيسلم الكافر، فيجعل بينكم وبين من عاديتم من أقاربكم محبَّةً ومودَّةً ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على تبديل تلك العداوة بإسلام الكافر منهم، وتبديل تلك العداوة بمحبة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⁽٧⁾﴾ على ما وقعتم من إسرار المودة بينكم وبينهم أول مرة.

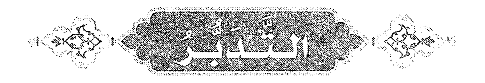
• ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ تحسنوا إليهم ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ وتعدلوا معهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⁽٨⁾﴾ يحبُّ من يعدل، ويحرص على تحرِّي العدل في معاملتهم.

• ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ عاونوا على إخراجكم من دياركم ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بأن تكونوا لهم أولياء وأنصاراً ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ فيجعلهم أنصاراً وأولياء ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ⁽٩⁾﴾ المخالفون لأمر الله تعالى وشرعه، وهذه الآية في المحاربين، وقد علمت ما ورد فيهم من الزجر والتعنيف.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ اختبروهن في خروجهن وسبب هجرتهن ﴿اللَّهُ

أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾ فلا يخفى عليه أمرهن ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾ صادقات في إيمانهنَّ ﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ﴾ لا تردُّونهنَّ إلى أزواجهنَّ الكفَّار ﴿لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾ فلا تحلُّ المؤمنـــة لكافر ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾ أعطوا أزواجهم الكفار ما أنفقوه من المهر ونحوه ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ لا حرج ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ﴾ أن تتزوَّجوا هؤلاء إذا بذلتم مهورهنَّ كغيرهنّ من النســاء بعد وفاء الشــروط ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ لا تمسكوا بعقود زوجاتكم الكافرات، فليس بينكم وبينهنَّ عصمة؛ لأنَّ الإســلام فرَّق بينكــم، وهذا نهيٌ عن الاســتمرار في النــكاح، فكذلك بدء الــزواج، فكما أن المســلمة لا تحلُّ للكافر، فكذلك الكافرة مــن غير أهل الكتاب لا تحلُّ للمســلم ﴿وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ﴾ خذوا مهوركم التي بذلتموها في أزواجكم اللاتي رجعن إلى الكفار ﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ هم كذلك يأخذون ما أنفقوه على من أسلمت وفرَّق بينهم الإسلام ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ﴾ من المفارقة وبذل المهور حكم الله تعالى وشرعه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يصلح عباده ﴿حَكِيمٞ ١٠﴾ فيما يأمر به وينهى عنه.

• ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ ذهبت بعض زوجاتكم إلى الكفار، ولم يردُّوا عليكم ما أنفقتم عليهم ﴿فَعَاقَبۡتُمۡ﴾ غزوتم وأصبتم من الكفار غنيمة ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ فأعطوا من الغنيمة لمن فرَّت زوجته مثل ما أنفق عليها من المهر تعويضاً له ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١﴾ راقبوه في أقوالكم وأعمالكم وأحكامكم.



١ ـ إذا كثرت القدوات بين عينيك فيمِّمْ وجهك لخيار الله تعالى لك ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾.

٢ ـ قراءة سيرة إبراهيم بإمعان، وتتبُّع مواطن القدوة في سيرته استجابةٌ لأمر ربك، ودرسٌ عمليٌّ كبيرٌ في العناية بباب القدوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾.

٣ ـ قد تجد في مكتبة أحدهم عشرين سيرةً ذاتيَّةً لكفار وأنصار باطل، ولم يُتِمَّ قراءة سيرة إبراهيم عليه السلام حتى الآن ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾.

٤ ـ الخصام الدائر بينا وبين أعدائنا مردُّه للعقيدة فحسب، فإذا ما عادوا للحقِّ عدنا لمباهج الإخاء ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

٥ ـ ما ألطف هـذا المعنى على قلب مؤمـن ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

٦ ـ لا تيأس من ذلك الشـارد عن منهج الله تعالى، الواقـف في صف الأعداء، المناهض للدعوة والرسـالة! لعل يوماً يأتي به ويعود الإخاء ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

٧ ـ رفقاً بإخوانكم في الحق ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ هذا المعنى مع كافرٍ وعدوٍّ؛ فيكف بمؤمن وصديق!

٨ ـ الأصل في معاملة غير المحارب أن يُعامل بكلِّ برٍّ ومعروفٍ إلَّا في مسألة الولاء والحب ومشاركتهم في أعيادهم الدينية، وما عدا ذلك فيجري على فاضل الأخلاق وموائد المعروف ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

٩ ـ إذا لم تعرف الإسلام فيكفيك قراءة هذه الآية ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

١٠ ـ هذه الآية ردٌّ على الذين يصفون الإسلام بأنه دين لا يقوم إلَّا على قتل الأبرياء، وإراقة الدماء، وإشاعة الفوضى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

١١ ـ الذين سلُّوا سيف العداء، وانتهكوا الحرمات، واعتدوا على حقوق المسلمين ليس لهم في الإسلام إلا بوارق السيوف ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

١٢ ـ حتى مع العدو المحارب يتعامل الإسلام بالعدل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ لا تعود زوجه له لكفره، ويُعطى ما دفعه من مال في زواجها!

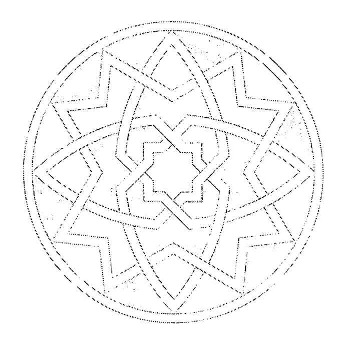
١٣ ـ الإيمان أعظم مكتسبات الإنسان في الحياة، فإذا وُجِدَ لا يضرُّ فائتٌ بعد ذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ

فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

١٤ ـ رعاية الإسلام لنفس الإنسان وتقديره لمشاعره ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ عوّضوا من فقد زوجته بشيء من لعاع الحياة العاجل!

١٥ ـ تكافلوا وأعينوا بعضكم بعضاً، وسدُّوا حاجة صاحب الجراح والآلام والمصيبة ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

❀ ❀ ❀



يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

التفسير

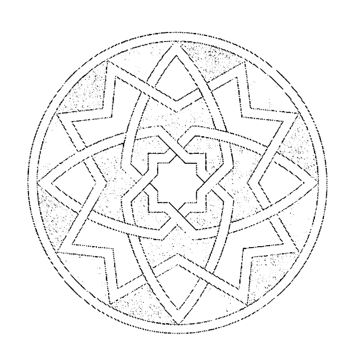
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ يعاهدنك ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ لا يأتين بحملٍ يلدنه وينسبنه كذباً إلى أزواجهنَّ ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ﴾ تأمرهن به ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ فعاهدهنَّ على الإسلام ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾ اطلب لهن المغفرة من الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لا تتَّخذوا مَنْ غَضِبَ الله عليه وليّاً من دون الله تعالى ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فلا حظَّ لهم فيها ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ كيأسهم من رجوع موتاهم إليهم لكفرهم بالبعث.

التدبر

١ ـ للعقيدة مقومات كبرى تتكئ عليها، وتكون عماد الحياة فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ لا يمكن للعقيدة أن تقــوم إلَّا على قلوبٍ صافيةٍ متحرِّرةٍ من الشــرك والأوثان وأصنام الجاهلية، ثم عليها بعد ذلك أن تتهذَّب بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور.

٢ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ رسالةٌ ألا يتدنَّس القلب بأوساخ الشرك والجاهلية، ويتوجَّه إلى المغضوب عليهم يطلب مناصرتهــم، ويجد لهم من الولاء في قلبه كما يجد للمؤمنين.





سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

التفسير

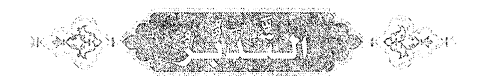
- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ نـزَّه الله تعالـى كلُّ مخلوقاته ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب في ملكه ﴿الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ في تدبير خلقه.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ إنكارٌ على من يقول قولاً أو يحث عليه وهو لا يعمل به، أو ينهى عن شيء ثم يقع فيه.

• ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ③﴾ عظم بغضاً وسوءاً في حكم الله تعالى مثل هذا الفعل، وهذه النقيصة.

• ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ من أجل إعلاء دين الله تعالى ﴿صَفًّا﴾ مصطفين في جهة العدو ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ④﴾ ملتصق ببعضهم البعض دليل اجتماع كلمتهم.

• ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ حين قالوا إنه رجل آدر أي منتفخ الخصيتين ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ وحق الرسول أن يُعظَّم ويُقدَّر ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ عن الحقِّ إلى الباطل ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أمالها عن الهدى ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ⑤﴾ لا يوفِّقهم للحقِّ ولا يهديهم إليه.



١ ـ هذا العالم كلُّه يسبِّح ربك، وينزِّهه، ويجلِّه، ويعظِّمه، فأين موقعك؟! ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾.

٢ ـ هذه هي الوحدة الشعورية التي يشعر بها الكون لخالقه ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾.

٣ ـ كل من تخلَّف عن هذا المعنى فهو نشاز ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾.

٤ ـ من أسوأ مواقف الإنسان أن يتناقض قوله مع فعله، وظاهره مع باطنه، وقيمه مع سلوكه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ③﴾.

٥ ـ جاهد نفسك أن تكون نسخة طبق الأصل من قيمك التي تؤمن بها ومعتقداتك التي تناضل في سبيلها، وإياك والفوضى! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾.

٦ ـ إذا رأيت تناقضاً بين قولك وفعلك، وقيمك وعاداتك، وسلوكك ومعتقداتك، فاعلم أن الطريق مُفْضٍ بك للنفاق إن لم يـؤب بك واعظ القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾.

٧ ـ قال عبد الله بن عامر بن ربيعة رضي الله عنه: أتانا رسـول الله ﷺ وأنا صبيٌّ فذهبت لأخرج لألعب فقالت أمي: يا عبد الله! تعالَ أعطك، فقال لها ﷺ: «**وما أردت أن تعطيه!**» فقالت: تمراً، فقال ﷺ: «**أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة**»[1].

٨ ـ الاجتماع والائتلاف مـن أعظم مقاصد هـذا الدين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾.

٩ ـ صورة لاتحاد الكلمة، وائتلاف الرأي، ووحدة الجماعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾.

١٠ ـ الاجتماع لا يحسب بكثرة أفراده، وإنما يحسب باجتماع هؤلاء الأفراد، ووعيهم بمسـؤولياتهم، وقيامهم بواجبهم في سـلك منتظـم وروح مؤتلفة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾.

١١ ـ إن لم يكـن الاجتماع بهذه الصـورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ لن تبلغ الأُمّة أملها كما تريد.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩١) عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه.

١٢ ـ تفقَّد نيَّتك في جهادك الذي تُجريه في عالم الحياة! هل هو في سبيل الله تعالى، أو لراية قومية، أو جماعة، أو حزب أو لون وجنس؟! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾.

١٣ ـ حدِّد معالم الطريق أولاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ في سبيله وليس إلى أيِّ سبيل!

١٤ ـ دعوتك، ورسالتك، ومشروعك في الحياة، وفكرتك التي تعيش من أجلها، لمن كل هذه الجهود؟! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾.

١٥ ـ تخلَّص من حظوظك الشخصية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾.

١٦ ـ إذا أردت أن تعرف سبيل الله تعالى فلا يهمُّك أن تُذكر أو تُنسى، تجلس في مقدِّمة الصفِّ أو في مؤخرته، تكتب في بداية السطور أو في هامش الورق، تُكرَّم تلك الليلة أو لا يأتي لك تكريم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾.

١٧ ـ إذا غضبت لنفسك، وتألَّمت لذاتك، وتعصَّبت لمشروعك؛ فاعلم أنك في خصامٍ مع أكثر الغايات أهمية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾.

١٨ ـ مَنْ لم يقم في قلبه إجلال الله تعالى لا يمكن أن يُعظِّم شعائره أو يجلَّ رسله ومنهجه ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾.

١٩ ـ تخلَّص من حظوظ نفسك، وإياك والأنا! لا تؤذونني! لا لأني موسى، وإنما لأني رسول الله، وحامل منهجه، وصاحب رسالته ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾.

٢٠ ـ الخطوة الأولى تقع عليها تبعات النهاية ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

٢١ ـ هل تجد شعثاً يقلقك، ووهماً يطاردك، وقلقاً يهاجمك، ودَيناً يرهقك، ومسؤولية تثقلك؟! تفقَّد نفسك، فلعلَّ عبثاً في الظلام، وفساداً في الخلوات ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

٢٢ ـ كن فطناً! أول ما تجد عارضاً من سوء توفيق ففتِّش في واقعك، وانظر في أيامك السالفة بإمعان ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

٢٣ ـ خطوات الفسق مانعةٌ من هداية الطريق ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

٢٤ ـ جلس معهم في المقهى، وشاركهم في سهرة معصية، ورافقهم ذات مرة في سفر، فلم يبقَ معه من دين الله تعالى شيء ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

٢٥ ـ تساهل في بعض الأقوال، وتسامح في بعض المسائل، وزعم أن في بعضها تشديداً، وما زال حتى تخلَّف عن الهداية ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

٢٦ ـ حتى الضلال يأتي متدرِّجاً! يبدأ بشعرات اللحية الزائدة، ويأخذ الثوب في النزول ويتخلَّف عن أول الجماعة، يترخَّص في بعض المسائل، ثم يودع الطريق في النهاية ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

❀ ❀ ❀

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

التفسير

- ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ مرسل من الله تعالى بالإنجيل ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ فلم آتكم بشيء يخالفها ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ وجئت مبشراً ببعثة رسول الله محمد ﷺ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ بالحجج الواضحات ﴿قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ سحر بيِّنٌ واضحٌ لا شكَّ فيه.

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ﴾ لا أحد أظلم ولا أفجر ممَّن يُدعى إلى الإسلام، وتُبيَّن له أدلته وبراهينه الصادقة، وهو مع ذلك يكذِّب رسل الله تعالى، ويستهزئ بهم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ لا يدلُّهم على الحق.

- ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ ليبطلوا الحق بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة والمشوهة لدين الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ ماضيه وناصره وممكّن له ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ ذلك المضي والنصر والتمكين، فلا رادَّ لأمر الله تعالى.

- ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ليُعليه على ما عداه من الأديان الباطلة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ ذلك الإعلاء والتمكين؛ فإنَّ سُنَّةَ الله تعالى ماضية.

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ تشويق وترغيب إلى تجارةٍ رابحة.

- ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ تصدِّقون بموعود الله تعالى، وموعود رسوله ﷺ، وتعملون بهما ﴿وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في دين الله تعالى بما يمكِّن له في

الواقع ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ فتنفقونها في سبيل ذلك ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ فتقدِّمونها فداءً لدين الله ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الإيمان والجهاد في سبيل الله تعالى ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من التخاذل عن النصرة والتمكين ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١)﴾ طريق نجاتكم وفلاحكم.

• ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ بسترها والصفح عنها ومغفرتها ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بساتين تجري من تحتها الأنهار زيادة في النعيم ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ ويدخلكم قصوراً عالية بهيجة في تلك الجنان الدائمة ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)﴾ فلا فوز أفضل منه، بل هو المقصد والنهاية.

• ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ غير عاقبة الدار الآخرة وما يحصل لكم فيها ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ على أعدائكم، وكبتٌ لهم، وتمكين لكم ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ تتَّسع به دائرة الإسلام ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾ بهذا الثواب الحاصل لهم في العاجلة والآجلة.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ أنصار دينه قولاً وفعلاً ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ من يعينني على نصر دين الله تعالى ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ أعوانه وأنصاره ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بسبب هذه النصرة وهؤلاء الأعوان ﴿وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ فلم تنقدْ لأمر الله تعالى ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ قوّيناهم ونصرناهم ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)﴾ عالين منتصرين.



التدبر

١ ـ إذا أمضَّك الانتظار، وتعثرت في طريقك الآمال، فاستحضر في قلبك وفكرك ومشاعرك سير الماضين في هذا الطريق ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦)﴾.

٢ ـ قراءة سير الصالحين أكبر مُعين على قيامك بواجباتك، وشقِّ طريق مستقبلك بإمعـــان ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾.

٣ ـ وجود الدعاة والمصلحين بين الناس نعمةٌ عظيمةٌ كبيرة ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ هذه البشـــارة من عيسى عليه السلام برسول الله ﷺ من هذا الباب.

٤ ـ لو لم يكـــن من وجود المصلحين فـــي الأرض إلا تحقيق تلك الغاية ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هـود: ١١٧] لكان كافياً، فكيف وهم يُعلِّمون الناس دينهم، ويرونهم ويُجْلُون لهم الحقائق، ويدفعون عنهم عوائق الطريق، ويصنعون أماناً للأمة من جـــارف الأوهام ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾.

٥ ـ من أقبح الصور، وأسوأ المناظر، وأدهش مواقف الألم، أن ترى مفترياً على الله تعالى متبجِّحاً بالضلال ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾.

٦ ـ يريدون، والله تعالى يريد غيـــر إرادتهم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

٧ ـ ليتهم طهَّروا عقولهم العفنة من أفكار الضلال ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

٨ ـ مضت سنة الله تعالى أنه ناصرٌ دينه ومُعلٍ كلمته، وباسطٌ منهجه ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

٩ ـ تفاءل، وارفع رأسك عالياً، فدينك بالغٌ أمانيه ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

١٠ ـ لا تيأس أو تقلق أو تساورك الظنون! دينك ماضٍ إلى غاياته الكبرى رغم أنوف المعارضين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

١١ ـ إذا سمعت بحشودهم على الإسلام فاستحضر في قلبك هذا الوعد الكريم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

١٢ ـ يحاولون أن يطفئوا ذلك الضوء ولكن هيهات ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

١٣ ـ خطر الإعلام الفاسد على دين الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ عبَّر الله تعالى عن قصدهم في إطفاء نور الدين بالأفواه لشدَّة أثرها في ذلك.

١٤ ـ دِينك هو تجارتك وصفقة عمرك، فرابط على أبواب الاستثمار فيه بجد ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٥ ـ إياك أن يسبقك أحد في ميدان التجارة الكبرى مع الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٦ ـ حتى نفسك يجب أن تكون عربوناً للغايات الكبرى! فما بالك بالمال! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٧ ـ تحرَّك في واقعك، واجتهد في بناء مشروعك، وتقمَّص فكرتك، وعش قضيتك وأنت تشعر أنك تخوض معركة الحياة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٨ ـ حتى نفسك يجب أن تتحوَّل إلى وقف في سبيل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٩ ـ ادفع مالك لا لتكاثر به نصيبك، وإنما لتمدَّ به في ساحات دينك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

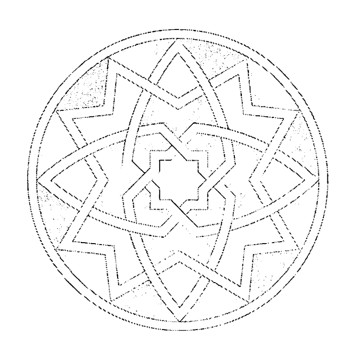
٢٠ ـ إذا سمعت بوقفٍ أو مشروعٍ خيريٍّ أو قضيةٍ تريد تبرعاً فادفع مالك على أنه جزء من أسهم الجهاد في سبيل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

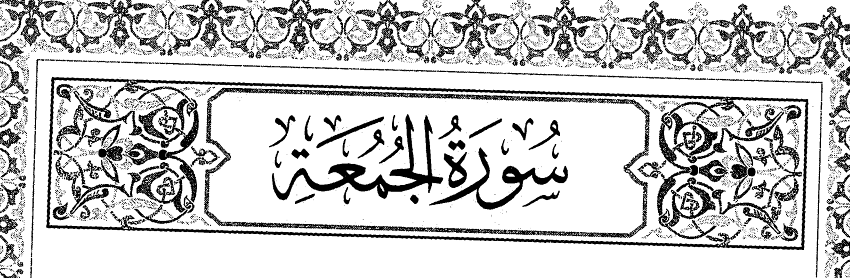
٢١ ـ حين تدفع نفسك ومالك في سبيل الله تعالى فانتظر تلك النهايات ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

٢٢ ـ احملوا هذه الفكرة ذاتها وعيشوا هذه القضية ذاتها واخرجوا مناهضين للباطل كصاحب المشروع لا فرق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

٢٣ ـ من فقه صاحب المشروع وحامل لواء القضية والفكرة أن يتخذ معه أنصاراً يعينونه في الطريق، ويحملون فكرته بعد الرحيل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

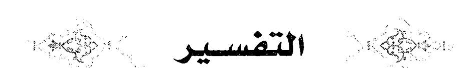






بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾



التفسير

• ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خبر من الله تعالى أن كلَّ شيءٍ في السماء والأرض ينزه الله تعالى ويعظِّمه ﴿الْمَلِكِ﴾ مالك السموات والأرض المتصرِّف فيهما بحكمه ﴿الْقُدُّوسِ﴾ الموصوف بصفات الكمال المنزَّه عن النقائص ﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب في ملكه ﴿الْحَكِيمِ ۝١﴾ في تدبير خلقه.

• ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ بعث في العرب الذين لا يقرؤون ولا يكتبون ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ عربي ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يقرأ عليهم آيات الله تعالى التي أنزلها عليه ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهِّرهم من دنس الذنوب والخطايا ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السُّنَّة ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ رسالته وإرساله إليهم ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٢﴾ لفي ضلال وعماية عن الحق.

• ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ وبُعِث رسول الله ﷺ إلى آخرين من غير العرب ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ من العجم ونحوهم وهم كل من كان بعد النبي ﷺ إلى يوم القيامة ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن أعرض منهم ﴿الْحَكِيمُ ۝٣﴾ في تدبير خلقه وشؤونه.

• ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ إرسال الله تعالى هذا الرسول لهذه الأمم فضل من الله تعالى ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤﴾ ذو الفضل الكبير والمنن العظيمة على عباده.

• ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ أُوتوا التوراة من اليهود والنصارى ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بما فيها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ مثل الحمار

الذي يحمل على ظهره كتب العلم، ولا يعقل ما فيها ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بئس هذا المثل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ لا يوفِّقهم للحق، ولا يهديهم إلى الصراط.

• ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾ لليهود ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ أحبابه وأنصاره ﴿مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ اطلبوه وسلوه أن يميتكم لتصيروا إلى نعيم الأولياء والمقربين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ فهذا برهان صدقكم ودليل قربكم.

• ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لا يتمنى اليهود الموت أبداً نظير ما اكتسبوا من الآثام، واجترحوا من السيئات ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ بأعيانهم وأعمالهم.

• ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله لليهود ﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ تكرهونه وتهربون منه ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ نازلٌ بكم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ إلى الله الذي يعلم المكنون من أعمالكم، والظاهرَ منها ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ فيخبركم بأعمالكم.

التَّدَبُّر

١ ـ ما زال العالم يسبِّح ربه وينزِّه خالقه ويعترف به! ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾.

٢ ـ بَعْثُ رسول الله ﷺ إليكَ من أجلِّ النعم ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا

مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾.

٣ ـ وجود المصلحين في أيِّ بقعةٍ ومساحةٍ من أعظم نعم الله تعالى في الوجود ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾ وإذا خلت أرض من هؤلاء فيوشك أن يحلَّ بها العذاب.

٤ ـ الرسالة هي الوجه الحضاري لهذا الإنسان ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾.

٥ ـ التزكية لا يمكن أن تكون إلا من خلال الوحي، وما عدا ذلك ليس سوى مساحات من الظلام ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾.

٦ ـ المعرفة التي لا تستند للوحي في شيء لا قيمة لها في واقع صاحبها ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾.

٧ ـ من لم يتمثل هذا الوحي، ويعتنق هذا الدين، فهو رجس ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾.

٨ ـ على قدر ما تحمل من دينك يكون زكاؤك وطهرك ونقاؤك ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾.

٩ ـ كتاب الله تعالى هو المائدة الأصل في صناعة الطهر والتزكية ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾.

١٠ ـ كل مائدةٍ يتربَّى عليها أجيال المسلمين لا يمكن أن تصنع واقعاً في نفوسهم إلا إذا كانت على علاقة بهذا الوحي ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾.

١١ ـ مهما بلغ ماضيك ثمَّة فرصةٌ لإضاءة العالم من جديد ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ مِنَ الصحابة مَنْ آمن أول ما نزل عليهم الوحي؟! ومنهم من آمن بعد أن عرفوا قيمة هذا الوحي!

١٢ ـ المهم ألَّا تَحُولَ أخطاؤك الماضية دون مستقبل الأيام ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾.

١٣ ـ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾ رسالة في أن دين الله تعالى لن يحدَّه زمانٌ أو مكان.

١٤ ـ بَلِّغوا المنافقين في كلِّ مكانٍ بأنَّ الإسلام سيبدد مستقبلهم الذي ينتظرون ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾.

١٥ ـ الرسالة التي جاءتك، والعلم الذي آتاك الله، والزكاء الذي أصابك، واستقامتك على المنهج، وانتشار الدعوة في واقعك، وقيام المصلحين بدورهم

في حيك ومجتمعك وأمتك! كل ذلك فضلٌ من الله تعالى عليك ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾.

١٦ ـ جزءٌ كبيرٌ من العالم ضالٌّ لم تصل إليه الهداية التي بلغتك، فاحمد الله تعالى على توفيقه وفضله ومِنَّته ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾.

١٧ ـ هل رأيت حماراً ينوء بأثقال كتب لا يعرف منها شيئاً! هي ذات الصورة في حاملٍ للعلم لا يقوم بشيءٍ منه في واقع الحياة ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

١٨ ـ ذات الصورة في حافظٍ للقرآن لا يُعرف له واقعٌ في حياته ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

١٩ ـ إذا لم يخلق العلم فيك واقعاً تطبيقياً؛ فما تصنع بأثقاله وهمومه؟! ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

٢٠ ـ طالبُ علمٍ يتخلَّف عن صلاة الجماعة، ولا يُعرف له وردٌ ثابتٌ في عبادة، ولا يبالي بالمنكر في بعض أحيانه ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

٢١ ـ من الظلم أن تتعلَّم علماً ثم لا تجود بأفراحه على واقعك ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

٢٢ ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾.

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينـاتٍ أصحابُهـا أدعيـاءُ

٢٣ ـ لا تجتهد في الفرار من الموت سيلتقيك وإن طال عمرك ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

٢٤ ـ من كمال فقهك ووعيك وتوفيقك أن تصنعَ واقعاً يحيل الموت إلى حياة ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

٢٥ ـ اطلبوا الموت توهب لكم الحياة ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

٢٦ ـ الإيمان والعمل الصالح أعظم قضيَّةٍ تبدِّد مخاوف الموت من قلبك ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

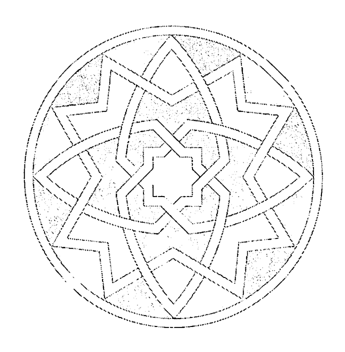
٢٧ ـ كان سلفك رضوان الله تعالى عليهم يطلبونه في ساحات الوغى، ويودِّعون الحياة قبل لقائه بلحظات، ثم يرحلون ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

٢٨ ـ أَقِمْ للعمل شـأناً، وردِّد ما كان يردِّده بلال في ليلة موته: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه! ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

٢٩ ـ تخفَّف من قلقك من الموت! سيأتيك في موعده المقرَّر، لن يتخلَّف لحظةً واحـدة ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

٣٠ ـ حتى لو لم تسافر، ولم تركب سـيارة، ولم تخرج من بيتك! سيزورك على ذات السـرير، ويرحل بك للقاء أعمالك ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.





﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾

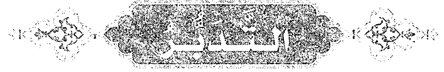
التفسير

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ إذا أُذِّن لصلاة الجمعة ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ امضوا إلى الصلاة، ولا تنشغلوا بغيرها ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ واتركوا البيع.

- ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ ذهابكم للجمعة خيرٌ لكم من البيع ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ إذا فُرِغَ منها ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ تفرَّقوا فيها ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ من رزقه ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ علَّق فلاحهم على كثرة ذكر الله تعالى.

- ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ خرجوا إليها ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾ في خطبتك ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الأجر والثواب ﴿خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾

ممَّا خرجتم إليه ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾ فما عنده أفضل وأحسـن ممَّا خرجتم إليه.



١ ـ من إجلالك لربك إجلالك لشعائره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾.

٢ ـ مؤلم أن ينادى لفريضـةٍ؛ ولم يتمكن الأذان من تحويلهم إلى تلك الحقيقة! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾.

٣ ـ إذا لم يقمك الأذان من مقعدك، ويوقـف اجتماعك، ويوقف ما في يديك، فإنَّك تحتاج إلى إعادة تأهيلٍ لقلبك ومشـاعرك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾.

٤ ـ لا تخلط في عملك، أو تصادم بين مواقيتك ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾.

٥ ـ اعرف لكلِّ شيءٍ قدره، وقم بكلِّ شيءٍ في وقته وزمنه ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾.

٦ ـ مشـكلة الكثيرين هي الصراع بين الوسائل والغايات ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ إذا قضيت الصلاة فانتشر، وإذا أُذِّن لها فاترك كلَّ شيء وأقبل إليها!

٧ ـ إدارة الأولويـات ضـرورةٌ لإدارة الحيـاة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾.

٨ ـ حتى الأجيال المثيرة في التاريخ كان يشوبها النقص، ويثيرها المال ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾ فلا تقل لا سبيل إلى لحاق تلك الأجيال!

٩ ـ إدارة شأن علاقتك مع الله تعالى موجبٌ لتحقيق آمالك التي تريد ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾.

١٠ ـ نحتاج إلى إعادة توجيه البوصلة نحو الاتجاه الحقيقي ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾.

١١ ـ إذا رأيت شيئاً أعجبك، أو متاعاً أبهجك، أو رزقاً أدهشك؛ فانظر لما بينك وبين الله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾.

١٢ ـ من أقام ما بينه وبين الله تعالى أقام الله تعالى له أمره كما يشـاء ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ المُنَافِقُون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

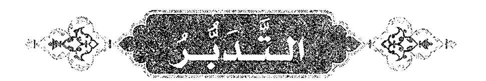
التفسير

- ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ يا رسول الله ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ بألسنتهم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ سـواء قالوا ذلك أم لـم يقولوه ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ فيما أظهروه من هذه الشهادة.

- ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ سُترةً يستترون بها ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعرضوا عن دين الله تعالى، فلم ينتفعوا بهديه، وتسبَّبوا في إعراض الناس عنه ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢﴾ بئست هذه الأعمال التي عملوها.

- ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي وقع ﴿بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ فتركوا دين الله تعالى ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٣﴾ فلا يصل إلى قلوبهم هدى، ولا يخلص إليها خير.

- ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡ﴾ في الشكل والهيئة ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ﴾ لفصاحتهم وجميل منطقهم ﴿كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ﴾ لا نفع فيها ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ﴾ لجبنهم وضعفهم ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ﴾ على الحقيقة ﴿فَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ أن تثق بقولهم، أو تسمع لكلامهم ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أخزاهم ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٤﴾ كيف يعدلون عن الحق إلى الضلال.



١ ـ المنافقون أخطر فئة على الإسلام وأهله! هم العدو فاحذرهم ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾.

٢ ـ للقوم وجهان: وجهٌ باسمٌ يلقاك به، ووجهٌ مُشوَّهٌ يعبث بدينك حين يفارقك ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢﴾.

٣ ـ يتذرَّعون بالكذب لغاياتهم، لا يتحرجون من ذلك، ولا يبالون به في شيء ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢﴾.

٤ ـ حتى لو رأيته يحلف أيماناً مغلَّظة وهو ممسك بستار الكعبة؛ فإياك أن تصدقه! ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢﴾.

٥ ـ لا تكن ساذجاً! إذا سمعته يثني على صالح، أو يشكر على موقف، أو يستنهض لقضية فاعلم أنه يدير شأناً غير الذي بدا لك ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢﴾.

٦ ـ التذبذب من أخلاق المنافقين وسيماهم وعلاماتهم التي لا ينفكُّون عنها ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾.

٧ ـ تراه يوماً في مباهج القدوة، وتراه في يومٍ آخر في حضيض الشهوة، في كل مرة له موقف، ولا تستطيع أن تقيمه على معنىً واحد ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾.

٨ ـ مُبهج في جسده يملأ عينك، ويمتع أذنك وهو في الوقت نفسه كخشبة مسندة على جدار بيتك لا فرق ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾.

٩ ـ من جمال دينك أنه لا يقيم للصور والأشكال معنى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ

أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

١٠ ـ الجبن والهلع والخوف والقلق من أعظم صفاتهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

١١ ـ عدوُّك الحقيقي ذلك الذي يلقاك في المسجد، ويصافحك في الطريق، ويزورك في بيتك، وهو في الوقت نفسه يتميَّز من الغيظ لنصرة دينك ومنهجك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

١٢ ـ لا تذهب للإعلام، وتنشغل بمواقع التواصل، تتفقَّدهم وهم بين يديك، وأقرب ما يكونون إليك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

١٣ ـ ارقبهم في أيام الفتن، وثورات المشكلات، وأوقات الأزمات، وسترى القوم على حقيقتهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

١٤ ـ لا كثَّرهم الله تعالى في جمع، ولا أبقى لهم شوكةً في مكان، وأرانا فيهم ما يسوؤهم في كلِّ حين ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

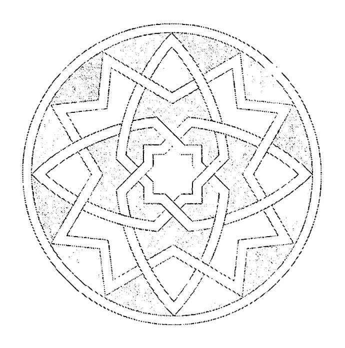
١٥ ـ الله تعالى الذي خلقهم وهو أعلم بهم يقول لك عنهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ فلا تصمَّ آذاننا بحسن ظنٍّ في غير محله.

١٦ ـ من سيماهم أنهم لا يحســنون العمل والتطبيق، قاعدون للتشدّق والتصنُّع ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾.

١٧ ـ هكذا كان كبيرهم (عبد الله بن أُبيّ) في صف المسلمين، وهو أكثر الأعداء كرهاً للمسلمين ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾.

١٨ ـ كل من رأيته أو ســمعته يثلب في مصلحٍ وداعيةٍ وعالمٍ؛ فاعلم أنه نســيب القوم، وصاحبهم في الطريــق، ورضع من الثدي نفســه حتى روي ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾.

❀ ❀ ❀



وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

التفسير

• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ هزوها وحركوها سخريةً واستهزاءً ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ يعرضون على وجه الإباء والكبر.

• ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ استغفارك يا رسول الله لهؤلاء وعدمه سواء ﴿لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لن يصفح عن ذنوبهم ، بل سيعاقبهم عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦﴾ فلا يوفق للهداية من توسم بالفسق والإعراض عن دين الله تعالى.

• ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم ومن هم معهم ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ مِنْ أصحابه المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ حتى يتفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يملك كل شيء ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾ أمر الله تعالى ومراده ومشيئته.

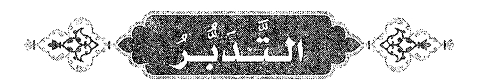
• ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ يقصدون بالأعز أنفسهم، والأذل رسول الله ﷺ وصحبه الكرام ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الشدة والقوة ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لا تشغلكم عن أمر الله تعالى ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٩﴾ من تلهيه أمواله وأولاده فهو خاسر غير رابح.

• ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ تَصدَّقوا مما أعطيناكم وأنعمنا به عليكم من الأموال والأرزاق ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ

فَأَصَّدَّقَ﴾ أبذل من الأموال سواء ما كان واجباً أو تطوعاً ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ في العمل بطاعتك واجتناب معصيتك.

- ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ فهو مقدر مكتوب ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ في كل شيء.



١ ـ يرزحون بالكبر في قلوبهم وينوؤون بأثقاله وهمومه في كل حين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾.

٢ ـ لا يمكن أن يسمعوا منك أو يرجعوا إليك أو يأخذوا منك شيئاً يرون أنفسهم أعلى درجة وأكبر منزلة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ وهم أجهل خلق الله تعالى .

٣ ـ متعالمون يرون أنفسهم أكثر منك إيماناً وأصلب عوداً وأعقل وأفقه منك بالطريق ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾.

٤ ـ لا تطمع في هدايته فهو عدوك الأول ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾.

٥ ـ ينقضون عرى الواقع الذي يعيشون فيه كل يوم، ويجهدون في تشويه صور الإصلاح كل حين، هذه رسالتهم الكبرى ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

٦ ـ لا يتحرج في لمزك واتهامك والسخرية منك والعبث بقيمك ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

٧ ـ كلما عُقد اجتماع وجدتهم مخالفين لفكرتــه، ورافضين لمبدئه، ويحاولون جاهدين في نقض عراه ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

٨ ـ وإذا قامت رذيلة أو فتنة أو مصيبة وجدتهم هم الذين يوقدون نارها وينفخون على جذورها ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

٩ ـ أهم قضاياهم تجفيف منابع دعوتك، ورســالتك، ومشروعك مادياً ومعنوياً ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾.

١٠ ـ إذا رأوا معك مالاً قالوا: يدعم الإرهاب، وإذا رأوا شــاباً مقبلاً قالوا: مغرر به، وإذا وجدوا اجتماعاً قالوا: يؤلبون على الوطن ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ قبّح الله تعالى تلك الوجوه .

١١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾ رسالة ألا تتحول الوسائل إلى غايات!

١٢ ـ ضابط الخسارة أن تتحوّل الوسيلة إلى غاية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾.

١٣ ـ كم مرة أقعدك مالك أو ولدك عن خير! وأخرك عن صلاة! وأشغلك عن أولوياتك! تلك هي الخسارة التي لا تعوض في حياتك كلها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾.

١٤ ـ في زواج ابنته هَدَمَ قيمه ومبادئه وعرى دينه، لم يبال في ذلك بشيء! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾.

١٥ ـ استثمر حياتك قبل رحيلك ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾.

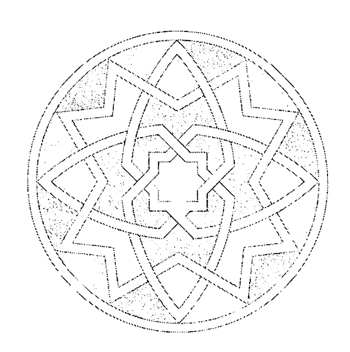
١٦ ـ أنفق من مالك، ومهاراتك، وقدراتك، وإمكاناتك قبل فوات ذلك بالموت أو العجز ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾.

١٧ ـ انهض قبل حلول أجلك وفوات الفرص من حياتك ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾.

١٨ ـ وجِّه مهاراتــك، وأفكارك، وقدراتك، وإمكاناتك إلى فكرة أو مشــروع أو قضية لتبقى خالداً بالعمل بعد الفوات ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٩ ـ من فقهك وكمال وعيك أن تختار مشروعاً تحيا به مرتين، الأولى بجسدك والأخرى بفكرتك ومشروعك ورســالتك ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.





سُورَةُ التَّغَابُنِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

التفسير

• ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ينزِّهه سبحانه وتعالى جميع مخلوقاته من كلِّ عيبٍ ونقصان ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ المتصرِّف في جميع خلقه ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ المحمود على جميع ما يخلقه ويقدِّره ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ فلا يعجزه شيء من خلقه سبحانه وتعالى.

• ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أوجدكم من عدم ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ مختلفين في الإيمان بخالقكم ما بين كافر ومؤمن ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ فلا تخفى عليه خافية من أعمالكم.

• ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل والحكمة ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أحسن خلقكم وأشكالكم ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ المرجع والمآب يوم القيامة.

• ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلا يغيب عن علمه من ذلك شيء ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ما تخفونه وما تعلنونه من أعمالكم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾ يعلم ما يضمره كل إنسان في نفسه.

• ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ خبرهم، وما كان من أمرهم ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عاقبة أمرهم، وما حصل منهم من المخالفة لأوامر الله تعالى وأوامر رسله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾ شديد.

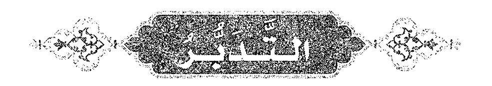
• ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج والبراهين الواضحة ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ كيف تكون الرسالة لأناسٍ من البشر ﴿فَكَفَرُوا۟﴾ بالرسل وما

جاؤوا به من الآيات ﴿وَتَوَلَّوا﴾ أعرضوا عنهم وعن العمل بما جاؤوا به ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ عن عبادتهم وإيمانهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ ليس محتاجاً لأحدٍ من العالمين ﴿حَمِيدٌ ۝٦﴾ محمود على خلقه وأفعاله.

• ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ لن يُخرجوا من قبورهم بعد موتهم ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ من قبوركم ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ لتُخبَرُنَّ بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ سهل هيِّنٌ.

• ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فصدِّقوا بما أخبركم به الله تعالى ورسوله من البعث والجزاء ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ وآمنوا بالقرآن الكريم الذي هو نور الله تعالى وهدايةٌ للناس ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨﴾ فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ يوم القيامة يجمع الله تعالى فيه الأولين والآخرين ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ يوم يحصل فيه غبنٌ كبيرٌ على الناس ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ وعدٌ من الله تعالى لكلِّ مؤمن عمل الصالحات أن يكفِّر الله تعالى سيئاته، ويدخله جنات النعيم.



١ ـ العالم من حولك يعجُّ بالتسبيح والإجلال والتعظيم والتنزيه فأين موقعك؟! ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾.

٢ ـ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء من أمرك، ولا أمانيك، ولا توقعاتك، ولا أهدافك وأحلامك، فتمنَّ ما تشاء.

٣ ـ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومن كمال قدرته أنه سينصر دينه، ويُمكّن له، ويقيم له الأسباب الكفيلة بنجاحه وتحقيق آماله.

٤ ـ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ حتى لو كان الأمل مستحيلاً، والقضية غير ممكنة، ولا سبيل ولا طريق إلى تلك الأمنية.

٥ ـ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يشفي مرضك، ويعافي بدنك، ويصح جسدك، ويفتح آفاقاً لك لم تكن منك على بال.

٦ ـ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يوظّفك، ويهيئ رزقك، ويسدُّ دينك، ويحلُّ مشكلتك، ويحسن ظروفك، ويوقف آلامك، ويعينك على تحديات واقعك.

٧ ـ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يُنجح مشروعك، ويوفّقك لبلوغ غاياتك منه، ويُسدِّدك في طريقك، ويُقرّب لك مسافات أحلامك فيه كما تشاء.

٨ ـ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يصلح زوجك وولدك، ويعينك على وظيفتك، ويشرح صدرك، ويرزقك الصبر على مصاعب الحياة.

٩ ـ من نعم الله تعالى على الإنسان أنه خلقه في أحسن صورة ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾.

١٠ ـ لا يفوت على الله تعالى شيء ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾.

١١ ـ سرُّك وجهرك، وظاهرك وباطنك، كلُّها تجري في علم الله تعالى وتحت نظره ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾.

١٢ ـ ما كل من قرأ قصةً اتَّعظ! وما كل من رأى سير الغابرين استفاد ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

١٣ ـ في قراءة التاريخ درسٌ وذكرى وعبرة ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾.

١٤ ـ الكِبْر إذا استوطن في قلب إنسانٍ صار مانعاً له من الخيرات ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾.

١٥ ـ كم حرم الكبر من خيرٍ عـن كثيرين؟! ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾.

١٦ ـ حين يأخذ تأجير العقـول حظّه من النفوس ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾.

١٧ ـ من مهمّات الوحي تصحيح الأفكار والمفاهيم والتصورات، وإعادة بنائها من جديد ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾.

١٨ ـ ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ هـذا ربك يصف كتابه وكلامه ووحيه بالنور فأين المستضيؤون!

١٩ ـ في زمن الماديات ستكون أحوج ما تكون إلى ذلك النور الذي يبعث فيك الحياة ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾.

٢٠ ـ كل غبنٍ يمكن أن يعوّض إلا غبن تلك الدار ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

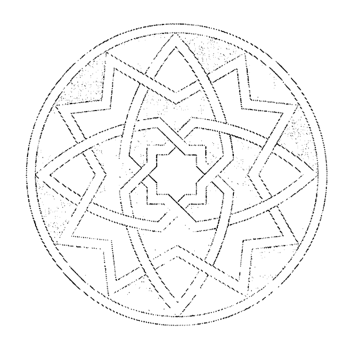
٢١ ـ الإيمان والعمل الصالح يصنع واقعك، ويبني أحلامك كما تريد ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

٢٢ ـ الفوز الحقيقي ذلك الذي يصنعه الإيمان والعمل الصالح ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

٢٣ ـ الغبن أن ترى جارك، وصديقك، وقريبك، وزميلك صنعوا لهم مجداً، وبلغوا غاياتهم الكبرى، وبينك وبينهم مفاوز واسعة ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

٢٤ ـ الغبن أن تأتي في منزلةٍ كان يمكنك أن تكون في منزلةٍ أعلى وأعظم، ولكن تأخُّرك وتخلُّفك قصَّر بك عن مناك ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.





وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ
خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا
بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾
وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا
ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ
وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟
وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ
وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا
ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾
عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

التفسير

- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ جحدوا وكذَّبوا بآيات الله تعالى ووعده ووعيده ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ ماكثين غير زائلين عنها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ بئس النهاية والعاقبة.

- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بقضائه وقدره ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يرضى بقضاء الله تعالى وقدره ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للصبر والرضا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ لا يخفى عليه خافية.

- ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما أمرا به ونهيا عنه ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ بلاغ أمر الله تعالى وبيانه لكم فحسب.

- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ فلا معبود سواه، ولا خالق غيره، فعليه توكَّلوا وبه استعينوا.

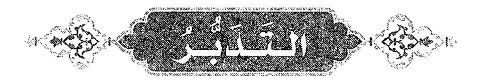
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ يصدُّونكم عن سبيل الله تعالى ويثبِّطونكم عن طاعته ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ انتبهوا لهم لئلا يوقعونكم في معصية الله تعالى بذلك. قال مجاهد: إنهما يحملانه على قطيعة رحمه، ومعصية ربه، فلا يستطيع مع حبِّه إلَّا أن يقطعه ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟﴾ على ما بدر منهم من أمثال ذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ يغفر لكم ويرحمكم.

- ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاءٌ ومحنة ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ لمن صبر على ذلك.

• ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ في ذلك ﴿وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ فيما تأمرون به وتنهون عنه ﴿وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ ابذلوا من أموالكم في سبيل الله ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ بالبذل في سبيل الله تعالى ومجانبة البخل والحرص ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ الفائزون.

• ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ يكاثره ويزيده ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بسببه ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ فيعطي الكثير مقابل اليسير ﴿حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ فلا يعاجل بالعقوبة مع كثرة الذنوب.

• ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ فلا تخفى عليه خافية ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب القاهر ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ في تدبير خلقه.



١ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾.

٢ ـ لا تقلق! فلن يصيبك سوى قدر الله تعالى ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

٣ ـ آمن أنَّ «**ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**»(١) وستعيش هانئاً في الحياة ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

---

(١) جزء من حديث ابن عباس رضي الله عنه: «يا غلام إني أعلمك كلمات...» أخرجه الترمذي وأحمد.

٤ ـ أكبر مصائبك التي ستواجهها هو الموت، وأقلُّها مصائب دنياك؛ فتجمَّل بالصبر، وتأدَّب مع قضاء ربك وحكمته ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

٥ ـ على قدر إيمانك يهدي الله تعالى قلبك ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

٦ ـ نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإيمان، وأن يُجمِّلنا بالصبر، وأن يرزقنا الرضا على أقدار الله تعالى في الحياة ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

٧ ـ ليس من شأن الرسل والدعاة والمصلحين هداية الناس! يكفيهم بلاغ دين الله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾.

٨ ـ لا تبعد كثيراً تبحث عن أعدائك، إنهم يعيشون معك بين جدران بيتك، قد يصنعون معك قصة العداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

٩ ـ جزءٌ من مشكلاتنا أننا لا نعرف أعداءنا ولا نحذرهم! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

١٠ ـ كم من زوجٍ وولدٍ فتح عليك بوائق لم تكن لك على بال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟

وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

١١ ـ تمثَّل أخلاق الكبار خاصة مع زوجك وولدك ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

١٢ ـ ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تحتاجها في بيتك مع ولدك وزوجك وأسرتك.

١٣ ـ ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تحتاجها في وظيفتك، ومع جيرانك ورحمك وأقاربك كل حين.

١٤ ـ ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تحتاجها في دعوتك ورسالتك ومشروعك.

١٥ ـ لا تترك شيئاً من تقوى الله تعالى وأنت قادرٌ على حمل تكاليفها في واقعك ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾.

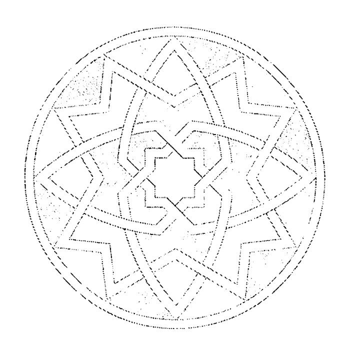
١٦ ـ لا تقف متفرِّجاً على حكم الله تعالى، بل باشرها بالسمع والطاعة والتسليم ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾.

١٧ ـ النفقة في سبيل الله تعالى واقيةٌ من مساوئ الأخلاق ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾.

١٨ ـ ثمَّة فرصٌ للتدريب والتأهيل في حياة كلِّ إنسان ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾.

١٩ ـ إذا أردت أن تعرف مباهج الصدقة فاقرأ هذا الوعد من الله تعالى. ولا أعلم تخلُّفاً في شيء أكبر من التخلُّف فيها ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ فمَنْ يصنع الفرق؟!







بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا
يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن
يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ
ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ
بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ
ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ
ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى
ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا
﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ
ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ
حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ
أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾

التفسير

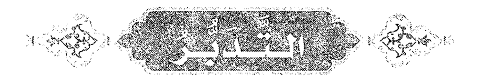
• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ إذا أردتم تطليقهن ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ طاهراً من غير جماع، أو حاملاً قد استبان حملها ﴿وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾ اعرفوا ابتداءها وانتهاءها ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ﴾ في ذلك ﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ﴾ في مدَّة العدَّة، لها حق السكنى؛ لأنَّها لا زالت في قيد الزوجية ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ بأن ترتكب فاحشة الزنى ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ شرائعه وأحكامه ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ يخرج عنها، ولا يأتمر بها ﴿فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ بتجاوز أوامر الله تعالى ونواهيه ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾ في بقاء الزوجة في بيتها أيام طلاقها، لعلَّ الله تعالى يقلب البغض إلى حب، والرغبة عنها إلى الرغبة فيها، ومن عزيمة الطلاق إلى عزيمة البقاء.

• ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ إذا شارفت المعتدات على انقضاء العدَّة، وقاربن ذلك ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ﴾ إن أردتم بقاء عقد النكاح فأمسكوهنَّ محسنين إليهنَّ في صحبتهنَّ ﴿أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾ وإما إن تريدوا مفارقتهنَّ فليكن كذلك بالمعروف من غير مقابحة ولا مشاتمة ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ إذا عزمتم على الرجعة فليشهد اثنان من ذوي العدل منكم ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ تقرباً إلى الله ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ ما أُمرتم به إنما يأتمر به حقاً المؤمن بالله تعالى، الراجي لثوابه في الدار الآخرة ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، فيما أمر به هنا على وجه الخصوص، أو ما كان أعم من ذلك ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾ في كل ضائقة.

• ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ من حيث لا يدري ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ كافيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ ما قدَّره سيقع ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ حدًّا ومنتهى.

• ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ يئست من عود الحيض إليها مرة أخرى ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ لم تدروا عدَّتهنّ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ تتربّص ثلاثة أشهر ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ الأبكار اللاتي لم يأتهنَّ الحيض بعد عدتها كذلك ثلاثة أشهر ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ الحوامل ﴿أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ زمن انقضاء عدتهن وضع الحمل ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ من اتَّقى الله تعالى في أوامره يسَّر الله تعالى له عاقبة أمره.

• ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ هذه الأحكام التي أُمرتم بها هي أوامر الله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ يعظم ويجزل له الثواب.



١ ـ بناء الأسرة وقضاياها دينٌ يجب أن يأخذ حقه من الفقه كأيِّ حكمٍ في شريعة الله تعالى لا فرق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾.

٢ ـ جزء من مشكلاتنا أنَّنا نتهيَّأ للعبادة في بيوت الله تعالى، ولا نتهيَّأ لها في بيوتنا ومع أسرنا وفي سائر أحوالنا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾.

٣ ـ ما يقع بينك وبين زوجك جزءٌ من حدود الله تعالى التي يجب ألَّا تُنتهك بحالٍ من الأحوال ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾.

٤ ـ من الظلم أن يعتدي الزوجان على حقوق بعضهما بعضاً ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾.

٥ ـ التقوى مانعة من ويلات الغضب، ونكران الحقوق، والتعدي على بعضنا بعضاً ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾.

٦ ـ ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ رسالةٌ تسلُّ سخائم النزاع والفرقة والخلاف!

٧ ـ لا تعجِّل بالفراق وانتظر ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

٨ ـ لا تقلق على مآلات الأمور والأحداث التي تجري أثناء الفراق! ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

٩ ـ إذا سمعت خصاماً ونزاعاً وأحداثاً فتذكّر هذه الآية ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

١٠ ـ املأ نفسك ومشاعرك وقلبك أملاً! فالقادم حياة ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

١١ ـ حتى لو كان القرار هو الفراق فلا تقلق أو تتألم أو تتوجع! ما يدريك؟! ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

١٢ ـ إذا آلت الأمور إلى شيءٍ فاحمد الله تعالى، واعلم أن ذلك هو مراد الله تعالى لك ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

١٣ ـ من جمال أدبك رعاية أيام الأنس والود والحب ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾.

١٤ ـ لا تشقَّ على زوجك إذا رأيتها راغبة في الفراق؛ فلا تحوجها للخصام ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

١٥ ـ من فضلك! لا تخلط دموع الفرح والذكرى ومواعيد الأنس والشوق بدموع الحسرات والأسف والنزاع والحرمان ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

١٦ ـ التقوى تصنع فروقاً في كثيرٍ من الخلافات ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾.

١٧ ـ الخلافات التي لا تجد تقوى تكبح جماحها تسوء نهاياتها ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾.

١٨ ـ فقهك في دينك يعينُك على التعبُّد لربك بصدق ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾.

١٩ ـ كلَّما كانت القضايا محلاًّ لشهوات النفوس كنت بحاجةٍ إلى تأكيد قضية التقوى ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾.

٢٠ ـ من كمال فقهك وعلمك في تعاملك مع زوجتك وتربيتك لولدك، ومن تتولَّى تأهيله للحياة أن تركِّز معه على بناء التقوى في نفسه، وتعظيم أثر شعائر الله تعالى في قلبه ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾.

٢١ ـ هل رأيت ما تصنع التقوى في حياتك؟! ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.

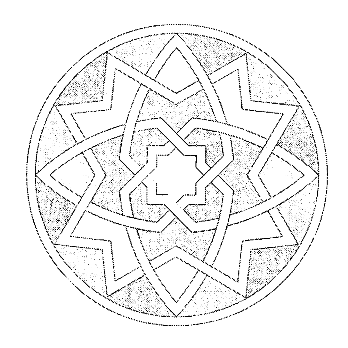
٢٢ ـ هب لهذه المعاني قلبك، وارصد لها مشاعرك، لترى ما تصنع في حياتك في قادم الأيام ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.

٢٣ ـ اتَّق الله تعالى وهو يتكفَّل لك بالمخرج من همومك، وظروفك، وآلامك، وأوجاعك التي تعانيها ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾.

٢٤ ـ اتَّق الله تعالى وهو يتكفَّل بتيسير أمورك، وسداد دينك، والخروج من محنتك وضيقك وظروفك ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾.

٢٥ ـ اتَّق الله تعالى وهو يكفِّر عنك خطيئتك، ويغفر ذنبك، ويتجاوز عن سيئاتك، ويعظم أجرك ويضاعف مثوبتك ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.





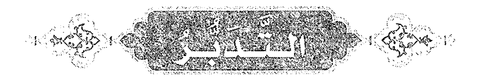
أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

التفسير

- ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم﴾ عندكم ﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ من سعتكم وطاقتكم ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ لا تؤذونهنَّ ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّ﴾ في النفقة أو في المسكن ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾ استمروا في النفقة عليهنَّ حتى يضعن الحمل ﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أجر الإرضاع ﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٍ﴾ لتكن أموركم بينكم بالمعروف دون مضارَّةٍ ببعضكم بعضاً ﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦﴾ إن اختلفتم في الإرضاع ونفقته فليسترضع له غيرها.
- ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ لينفق كل والد على ولده، أو وليٍّ على مولاه قدر وسعه، وحسب قدرته ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾ ضاق وقلَّ ﴿فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ مما أعطاه الله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ ما أعطاها من الغنى أو الفقر ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧﴾ سيأتي الله تعالى بالفرج والسعة من عنده تعالى.
- ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ تمرَّدت وطغت عن أوامر الله تعالى وما جاء من رسله ﴿فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا﴾ في الدنيا ﴿وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨﴾ في الآخرة.
- ﴿فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا﴾ عاقبة تمرُّدها وطغيانها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ٩ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾ في الدار الآخرة مع ما عجَّل لهم من العقوبة في الدنيا ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ يا أصحاب العقول لا تكونوا مثلهم، فتتكرَّر عليكم العقوبة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صدَّقوا بوعد الله تعالى وبوعيده ﴿قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ﴾ رسول يذكّركم بما

عند الله تعالى من الجزاء ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلمات الجهل والمعصية والمخالفة إلى الإيمان ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ وسَّع الله تعالى له في الجنَّات.

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ سبعاً كذلك ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ﴾ شرائعه وأحكامه ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السموات والأرضين ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ فـلا يخفى عليه منه شيء.



التدبر

١ ـ بعض مظاهر تضميد الجراح التي خلَّفها الطلاق ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾.

٢ ـ من جمال دين الله تعالى رعايته لمشـاعر الزوجين، ومحاولته الحفاظ على القلوب ألَّا تتصدَّع أكثر ممَّا حدث لها ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾.

٣ - هذه عادة الله تعالى في المستعلين على أمره، والضالِّين عن طريقه ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾.

٤ - كل قرية أو مجتمع أو أُمَّة لا ترعى دين الله تعالى في واقعها فهي على وعيد مع هذه السُّنَّة الكبرى في الحياة ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾.

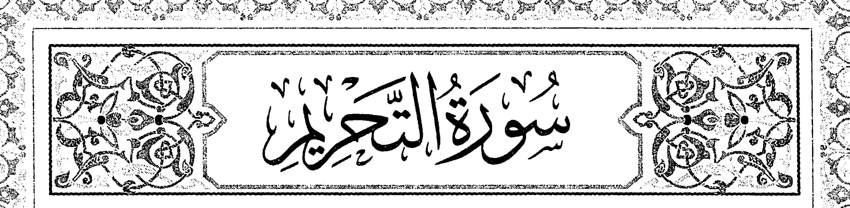
٥ - ما حاجة القرآن إلا لصاحب رسالةٍ وهديٍ يبلِّغه للعالمين كما أراد الله تعالى ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

٦ - الإيمان والعمل الصالح يصنع مباهج الحياة ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾.

٧ - خذ جولةً في هذا الكون العريض لتتعرَّف على قدرة الله تعالى، وتعظِّم شأنه تعالى في نفسك ومشـاعرك ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

٨ - الجهل مانع من كثير من الغايات التي يحقِّقها العلم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

٩ - لا يمكن أن يصل الإنسـان لتعظيم ربه، وإجلال شأنه، والقيام بحقه إلَّا من خلال العلم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

التفسير

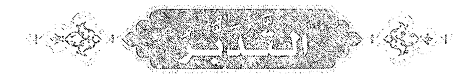
• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ لِمَ تُحرِّم ما أباح الله تعالى لك من شرب العسل، أو الاستمتاع بجاريتك مارية؟! ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ بذلك التحريم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾ لما حدث منكم من تحريم ما أحلَّه الله تعالى لكم.

• ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ شرع الله تعالى، وأوجب عليكم، وبيَّن لكم التحلل من أيمانكم بأداء الكفارة ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ وليُّكم وناصركم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بما فيه صلاحكم وفلاحكم ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ في أفعاله وأقواله.

• ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ أفضى إلى حفصة سرَّ تحريم العسل، أو تحريم الأمة التي كان يطؤها ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أخبرت به عائشة، وأطلع الله تعالى نبيَّه على إفشاء حفصة للسِّرِّ الذي بينه وبينها ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ ذكر لحفصة بعض ما أخبرت به ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ وترك بعضه الآخر ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ من ذكر لك أني قلت هذا ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ الذي لا تخفى عليه خافية.

• ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الخطاب لزوجتي النبي ﷺ حفصة وعائشة ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ عدلت ومالت عن حقِّ رسول الله ﷺ من الأدب والاحترام ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ وإن تعاونتما على إيذائه ﷺ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ هو من يتولَّى نصره؛ فلا يضرُّه تظاهركما عليه ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ ناصره ومعينه كذلك ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من أقام منهم على الحقِّ فهم أعوان له كذلك ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ أعوان على نصرته ﷺ.

- ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ إخبار من الله تعالى لنساء نبيِّه أنَّه إنْ تمَّ طلاقهن فإنَّ الله تعالى سيبدله خيراً منهن ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ جامعات بين الإسلام وهو القيام بالشرائع الظاهرة، والإيمان وهو القيام بالشرائع الباطنة ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ دائمات الطاعة ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ من الذنوب اللاتي يقعن فيها ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ متذلِّلات لله تعالى ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صائمات ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾ منهن من قد تزوجت، ومنهن بكراً لم تتزوَّج.
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ اجعلوا بين أنفسكم وأهليكم وبين النار وقايةً؛ بفعل الطاعات، واجتناب السيئات بتعليمهم وتأديبهم ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ حطبها الناس والحجارة ﴿عَلَيْهَا﴾ على هذه النار ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ خزنة من الملائكة من صفاتهم الغلظة والشدَّة على من يتولون عذابهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ لا يخالفونه في أمره ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ لا يتأخَّرون في تنفيذ شيء من أوامر الله تعالى.
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ لأنه فات وقت الاعتذار، ومضى زمن المهلة ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾ إنما نجازيكم بأعمالكم في الدنيا.



١ ـ من لطيف مشاعر نبيك ﷺ أنه يجتهد في رضا زوجاته قدر وسعه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾ حرَّم على نفسه العسل من أجل رضاهن!

٢ ـ تصوَّر بيتاً يرعى الزوج فيه مشاعر نسائه لهذه الدرجة من الألق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾.

٣ ـ ما أحوج بيوتنا إلى مشاعر الحب والأنس والود التي تثير مباهج الحياة في أرجائها ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)﴾.

٤ ـ أين هذه الصورة التي يعيشها نبيُّنا ﷺ في بيته من صور ذلك الخصام السافر والنزاع والشقاق على أشياء لا قيمة لها في واقع تلك الأسر ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)﴾.

٥ ـ في بيوت الكبار خلاف ونزاع وشقاق، وليس في بيتك فقط ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)﴾.

٦ ـ حتى الأنبياء ينتظرون من ربهم المغفرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)﴾.

٧ ـ هيِّئ نفسك على أنك بشر، وأنك تخطئ في حياتك، وتنتظر من ربك جميل عفوه وعظيم مغفرته ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)﴾.

٨ ـ إذا «**حلفت على يمين فرأيتَ غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفِّر عن يمينك**»[(١)] ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢)﴾.

٩ ـ من فقه الزوج الناجح ألَّا يُجري عتاباً على كلِّ خطأ، ويروي قصة مشاهد تلك التفاصيل مرَّة أخرى ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ التكرار غير مليح في مثل هذه المواقف!

١٠ ـ في مرَّاتٍ كثيرةٍ لسنا بحاجة إلى التفاصيل، ما أحاط بالعنق ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ خاصة ما يجرح المشاعر!

١١ ـ سألتْه ذات مرة بعد نقاشٍ طويلٍ مَنْ أخبرك؟! قال: ليس من شُغْلِك ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ أين أخلاق الكبار؟!

١٢ ـ في كثيرٍ من المرات يغضب، ويأخذ على خاطره، وتموج مشاعره بالأسى، ويبقى شهراً أو يزيد، وهي لا تعرف أصلاً ما هو الخطأ التي وقعت فيه ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ وأدٌ لمشاعر حبيبةٍ رضيت به زوجاً، ويُجري عليها الحسرات!

١٣ ـ حتى صاحبك لا تحرجه وتقرِّره، وتجلب عليه شهوداً! يكفيك ما يذكّر بالدرس، واللبيب من الإشارة يفهم ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾.

١٤ ـ تذكيرك بالخطأ من أجل صلاحه وتوبته، لا من أجل اعتذاره لشخصك الكريم ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

١٥ ـ تأملْ هذا المعنى ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ وانظر لمقابله من الآخر: لئن عُدتِّ لأُأَدِّبنَّكِ وأصنع بك ما لا تتوقعينه في عمرك!

١٦ ـ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ رسالة شاعرية تحمل تأديباً حانياً، وإعراضاً عن صناعة القلق في طريقه ﷺ !

١٧ ـ الإصلاح حركة وعمل وجهـاد وتحدٍّ وبناء، وليس تنظيـراً فارغاً من الجهاد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ الوقاية عمل وتطبيق!

١٨ ـ مارس دورك، وانهض بمسـؤولياتك، وقم بتفاصيل قصتك، وتفاصيل العشاء والغداء يأتي بهـا غيـرك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

١٩ ـ أوقظهم للصلاة، وذكرهم بتقوى الله ﷻ، وراقب كل وسيلةٍ أو مَنْشَطٍ أو نافذةٍ يتخلَّـل منها الفسـاد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ وكن بلسماً على الجراح.

٢٠ ـ عـش تفاصيـل دور الإصلاح في أجواءٍ مـن الحب والود ومشـاعر التعاون والشـورى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

٢١ ـ في مرَّاتٍ كثيرةٍ يأتي الاعتذار في غير وقته وزمنه المتاح؛ فلا ينفع في شيء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾.

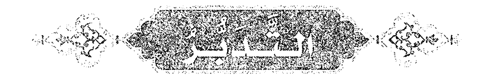
❀ ❀ ❀

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

التفسير

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ توبةً صادقةً جازمة ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ يسترها ويمحوها بهذه التوبة ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ يوم القيامة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ ينتشر ويمتدُّ على الصراط يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ يدعون الله تعالى بتمام النور ومغفرة الزلَّات، وذلك حين يرون أن نور المنافقين قد أطفئ في عرصات القيامة ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾.
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ بالسيف والحجة والبرهان ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ واشدد عليهم، وذلك بعد قيام الحجة وعدم إيمانهم، وعدم نفع الرفق معهم، أو أغلظ عليهم بإقامة الحدود ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مردُّهم إلى نار جهنم يوم القيامة ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ بئس المرجع والمآل يوم القيامة.
- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ المرأتان ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ﴾ وهما نوح ولوط عليهما السلام ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين، فلم يوافقاهما على الإيمان ولا صدَّقاهما في الرسالة ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ يوم القيامة لا يغني نوح ولوط عن زوجتيهما شيئاً لكفر تلك الزوجتين، وعدم إيمانهما ﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ قيل هذا للمرأتين.
- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ آسية بنت مزاحم ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ

﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ ١١﴾ طلبت النجاة من فرعون، وعمله، وقومه الظالمين، فاستجاب الله دعاءها، ونجَّاها من ذلك كله حتى كمل إيمانها ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته وصانته عن الفواحش ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ نفخ جبريل في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فجاء منها عيسى عليه السلام ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ بقدره وشرعه ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ١٢﴾ المداومين على طاعة الله تعالى.



١ ـ توبتك من ذنبك وتقصيرك، وحسن إقبالك على ربك مؤذنٌ بآمالك وأمانيك الكبار ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٨﴾.

٢ ـ نورك الذي تستضيء به في ساحات القيامة على قدر عملك وجهدك وتعبك في ساحات الدنيا؛ فلا تستكثر شيئاً عليه مدارج الفوز والفلاح ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٨﴾.

٣ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ٩﴾ خطاب لنبيِّنا ﷺ ورسالةٌ لحملة منهجه وأتباع دينه من بعده!

لا تتوقَّفوا عن جهاد عدوِّكم؛ أغيروا عليهم في ساعات الصباح الباكر، وحرِّموا على جفونهم النوم في كل مســاء، وهذا في جهاد الكلمة والقلم، بخلاف جهاد السيف فذاك له أحكامه وكباره.

٤ ـ ارفعوا راية الإصلاح، وأشيعوا أفكار التغيير، وهلمُّوا لعالم البناء والتحديات؛ وإياكم والتنــازل عن معركة الحيــاة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩﴾.

٥ ـ اصنعوا مشاريع تدكُّ أفكار الباطل، وتبدد مساحات المفاهيم التي يشيعها، وتعارض مشــاريعه التي يســعى فيها لتمجيد فكرته وبسط واقعه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩﴾.

٦ ـ هل تخيَّلت كافرةً تعيش مع مؤمن! هل تخيَّلت زوجةً مناقضةً لأفكار زوجها معارضةً لمنهجه تكون معه بين جدران أربعة! هل تخيلت كيف عاش أنبياء الله تعالى على أوجاع الظروف والأزمات والمشــكلات الكبرى ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ كل هذا حتى لا تأتي شاكياً من زوجك وولدك وزميلك في العمل.

٧ ـ سل نفسك: ما الفارق بين زوجة هذين النبيَّين على كفرهما ومخالفة منهجهما ومناقضة فكرتهما، وزوجك المؤمن الموافقة لأفكارك، ويأتي الخلاف منها عارضةً في شــيء من جبلة النفوس وطبائعها؟! ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾.

٨ ـ حين نعرف واقع كثير من البيوت سنعرف حينها أننا أكثر البيوت أمناً وسعادةً ورقيَّاً ووئاماً ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا

تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

٩ ـ هل تخيَّلت هذه المؤمنة في بيت ذلك الطاغية! كيف عاشت حياتها وبَنَتْ مستقبلها، وأتت على كل آمالها؟! ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾.

١٠ ـ لا تشتكِ ظروف واقعك، ومشكلات زمانك، وعدم وجود رفقة تعينك؛ فامرأة فرعون تُلغي كل هذه الأعذار من طريقك ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾.

١١ ـ امرأةٌ بلا معينٍ تثبت على دينها وقضيتها في بيت أعظم الطغاة، وتناضل من أجل الحياة ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ رسالة لكل فتاة مهما كانت ظروف واقعك فثمة قدوة تستعلي على كل الظروف والصعاب وتبني مجداً للحياة.

١٢ ـ كلَّما امتلأت الحياة بالظروف الصعبة والعقبات الكبيرة والمشكلات العويصة ارتفعت همَّتك، وزادت قواك، واستعلت مشاعرك على كثير منها في واقع الحياة ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾.

١٣ ـ لم يكن أمام زوجة فرعون واقعاً آخر غير واقعها، ولا مكاناً مناسباً غير مكانها، لم يكن أمامها سوى آمال الآخرة ولو بعد حين ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ وقدَّمت درساً في الثبات.

١٤ ـ في زمن الفوضى، وتسيُّب الأخلاق، وحالات الإخفاق التي تعيشها المرأة تظلُّ مريم نموذج الطهر والعفاف والصفاء والحرية ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

١٥ ـ يستحقُّ العفاف والطهر أن تصنع له مباهج عظيمة ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

١٦ ـ إذا صحب الطهر والعفاف قنوتاً وتبتُّلاً بين يدي الله تعالى صارت صاحبة هذا المعنى مثالاً لكلِّ شيء ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

١٧ ـ المرأة تصلح نموذجاً للنجاح والتحدِّي والبناء، وليس ذلك من شأن الرجال فحسب ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

❀ ❀ ❀



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

التفسير

- ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ تعاظم وتعالى الذي بيده أمر السموات والأرض، وملكه نافذ فيهما ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ لا يعجزه شيء، بل يتصرف في ملكه كيف شاء.

- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قـدَّر الموت والحياة علـى الخلق ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أخلصه وأصوبه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القوي الشديد في انتقامه ممن عصاه ﴿ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ لمن تاب وأناب إليه.

- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض كل سـماء منفصلة عن الأخرى بينهما خلاء ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ من تناقض ولا تباين ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ أعده وكـرره ناظراً ومعتبراً ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ من شقوق أو من خلل .

- ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ مرتيـن ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ﴾ يرجـع إليك ﴿خَاسِئًا﴾ ذليلاً صاغراً ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ كليل، منقطع عن رؤية عيب أو خلل.

- ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ جمَّلناها ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ نجوم ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي النجوم ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ يُرجم بها الشـياطين الذين يسترقون السمع ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ للشياطين في الآخرة ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ عذاب النار.

- ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ يـوم القيامـة ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾ بئس المآل والمنقلب ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ إذا طُرح أهل الكفر في نار جهنم ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾ لجنَّهم ﴿شَهِيقًا﴾ صياحاً ﴿وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾ تغلي غليان القدر بالماء.

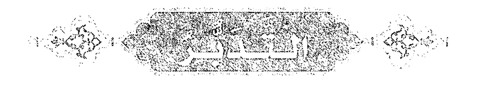
- ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ تكاد تتقطَّع وينفصل بعضها عن بعض من شدة غيظها على الكفار ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة من الناس ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ من الملائكة سؤال توبيخ وتقريع ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ في الدنيا ﴿نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ يخوفكم ويحذركم هذه العاقبة.

- ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ رسول من عند الله تعالى ﴿فَكَذَّبْنَا﴾ بذلك النذير ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ من أمور الغيب عليكم ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ من كلام أهل النار لرسلهم ومن ينذروهم أن ما جاؤوا به سوى الضلال والبهتان.

- ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ﴾ لو كنا نسمع سمع من يعي أو نعقل عقل من يميِّز وينظر ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ من أهل النار.

- ﴿ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ ﴾الذي استحقوا به هذا الوعيد ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ بعداً لهم من رحمة الله تعالى.

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ يخافونه وهم لم يروه ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ ستر لذنوبهم وعفو عنها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ ثواب وجزاء عظيم.



١ ـ ما أحوج القلوب إلى التعرف على الله تعالى ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ وإذا كان كل شيء في يده، وتحت قبضته وتصرفه فما يصنع العبيد بالتوجه إلى غيره وسؤال سواه!

٢ - بناء التصورات أصل في سلامة الطريق، وكم من سائر في ظلام الليل لا يهتدي لطريقه فضلاً أن يصل إلى مناه! ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ ومن أعطى هذا المعنى حقه أبصر أكثر الحقائق أثراً في واقعه.

٣ - بناء العقائد في النفوس كفيل بوصولها إلى غاياتها، ماذا لو دفع المصلحون والمربون، وصنّاع المشاريع لهذا المعنى جل أوقاتهم! ومن عرف قدر العقائد في النفوس انشغل بها عن كثير من الجهود التي تصرف في غير طائل ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾.

٤ - ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ الحقيقة التي تلقي بالأوهام، والشبهات، والشهوات كالجثث الميّتة على قارعة الطريق.

٥ - العبرة في كل مخلوق بغاياته، ومقاصده، والحكم منه، وهذه الحياة التي تراها تملأ الأفق في كل شيء، وهذا الموت الذي يطارد كل مخلوق إنما هو لغاية إحسان العمل والجزاء والحساب عليه يوم القيامة ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾.

٦ - إحسان العمل والعناية به، والانشغال بقبوله مقصد عظيم يأتي قبل الانشغال بعده والمكاثرة فيه، وقد أشار ابن القيّم رحمه الله تعالى إلى هذا المعنى فقال: ومن العابدين أناس توفرت هممهم على استكثارهم من الحسنات دون مطالعة عيب النفس والعمل، والتفتيش على دسائسها، ويحملهم على استكثارها رؤيتها والإعجاب بها، ولو تفرغوا لتفتيشها ومحاسبة النفس عليها، والتمييز بين ما فيها من الحظ والحق لشغلهم ذلك عن استكثارها، ولأجل هذا كان عمل العابد القليل المراقبة لعمله خفيفاً عليه، فيستكثر منه، ويصير بمنزلة العادة، فإذا أخذ نفسه بتخليصها من الشوائب، وتنقيتها من الكدر، وما في ذلك من شوك الرياء وجد لعمله ثقلاً كالجبال وقلّ في عينه، ولكن إذا وجد حلاوته سهل عليه حمل أثقاله، والقيام

بأعبائه، والتلذذ والتنعم به مع ثقلـه، وإذا أردت فهم هذا القدر كما ينبغي فانظر وقت أخذك في القراءة إذا أعرضت عن واجبها وتدبرها وتعقلها وفهم ما أريد بكل آية، وحظك من الخطاب بها، وتنزيلها علـى أدواء قلبك والتقيّد بها كيف تدرك الختمة، أو أكثرها أو ما قرأت منها بسهولة وخفة مستكثراً من القراءة، فإذا ألزمت نفسك التدبُّر ومعرفة المراد، والنظر إلى ما يخصك منه والتعبد به، وتنزيل دوائه على أدواء قلبك، والاستشفاء به لم تكد تجوز السورة أو الآية إلى غيرها. وكذلك إذا جمعت قلبك كله على ركعتين أعطيتهما ما تقدر عليه من الحضور والخشوع والمراقبة لـم تكد تصلي غيرهمـا إلا بجهد، فإذا خلا القلب مـن ذلك عدَّدت الركعات بلا حساب، فالاسـتكثار من الطاعات دون مراعاة آفاتها وعيوبها دليل على قلة الفقه. وقد يرى فاعلها أن له حقاً على الله في مجازاته على تلك الحسنات بالجنات والنعيم والرضوان، ولهذا كثرت في عينه مع غفلته عن أعماله لا يدري أنه لا ينجو أحد البتة مـن النار إلا بعفو الله ورحمته. ولا ريـب أن مجرد القيام بأعمال الجوارح من غير حضور ولا مراقبة، ولا إقبال على الله قليل المنفعة دنيا وآخرة، كثر المؤنة فهو كالعمل على غير متابعة الأمر والإخلاص للمعبود، فإنه ـ وإن كثر ـ متعب غير مفيد، فهكذا العمل الخارجي القشوري بمنزلة النخالة كثيرة المنظر قليلة الفائدة، فإن الله لا يكتـب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، وهكذا ينبغي أن يكون سائر الأعمال التي يؤمر بالحضور فيها والخشوع كالطواف وأعمال المناسك ونحوها. ولكن أحب العباد إلى الله الذين يستكثرون من الصالحات مع مراقبة لها، فقد ندب الله تعالى إلـى ذلك فقال: ﴿ **كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٨] وقال ﷺ: «**تابعـوا بين الحج والعمرة**» والدين كله استكثار من الطاعات، وأحب الخلق إليه أعظمهم استكثاراً منها. وفي الحديث الإلهي: ولا يزال عبدي يتقرَّب إليّ بالنوافل حتى أحبه. اهـ

٧ ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ لا تجري في العمل الصالح فحسب، وإنما في كل أصل مباح، ولو أن كل عاقل ألزم نفسه حسن العمل لبلغ غايته من أقصر الطرق. كم من مكاثر في المال، والولد، والصحبة، والعلم، والجاه، والسلطان على حساب ذلك المقصود العظيم!

٨ ـ إذا أردت أن تلمح شيئاً من مواطن الإبداع فيمكنك أن ترقب السماء أقرب المشاهد والصور إلى بصرك لترى تلك الحقيقة تملأ قلبك ومشاعرك بإمعان ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

٩ ـ الذين لم يسمعوا بالوحي إن كانوا صادقين في السؤال، متحررين من الأوهام جادين في إبصار الحقائق سيخرون ساجدين مؤمنين بمجرد النظر للسماء ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ من أكثر الحقائق دهشة أقربها للنظر صورة!

١٠ ـ ما أكثر الفرص التي عرضت لهؤلاء! وما أكثر إعراضهم عنها وقت الإمكان! ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾.

١١ ـ كم مرة عرضت عليه الحقيقة، وكثرت شواهدها التي يراها في الواقع وظل متردداً في تصحيح منهج، أو موقف، أو فكرة، أو مفهوم وتصور حتى فات أوان التصحيح ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ وما يغني الاعتراف بعد ذهاب مواطنه!

١٢ ـ التمادي في الضلال مع قيام الحجج موجب لزيادة العذاب ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾.

١٣ ـ حين تختل الموازين الحاكمة على الأحــداث تختل نتائجها في النهايات ﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ﴾ لم يكتفوا بتكذيبهم وإنما حكموا بأنهم في ضلال كبير، وخلل الموازين موجب لسوء النهايات.

١٤ ـ الحضارة الكبرى لا تصنعها لبنة بناء، أو ســكة حديد، أو نفق في جبال، يصنعها الفقه بحق الله تعالى، والقيــام بواجبه في الأرض. وعاد صُنَّاع الحضارة يعترفون أنهم أكثر الناس ســذاجة وأقلهم حظاً في التفكير ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾.

١٥ ـ العلم المعرفي المجرد لا يهدي صاحبه للحقائق الكبرى. ما لم يقف القلب بمشاعره على مقاصد كل علم لا يمكن أن يصنع لصاحبه شيئاً من مباهج الحياة ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ وكم من صانع للحضارة يصحح للخلق في مواقف القيامة جزءاً من الأوهام العارضة!

١٦ ـ ما أكثرهم أولئك الذين يعترفون بالحقائق في مواقف العرصات ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ كم من حقائق قامت كالشــمس في رابعة النهار لم يلقوا لها بــالاً، وفي النهاية عادوا يلومون تلك الأيــام الخوالي! رأيتهم يتبعــون كل ناعق، ويتعلقون بكل شــبهة، ويديلون على الدين بكل قضية وها هم يرددون عند معاينة الخسارة ﴿ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾.

١٧ ـ كم من صاحب علم وقلم وبيان سيأتي يوم القيامة معترفاً بالخذلان! ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ ما أحوج المتكثرين بعلمهم والواثقين من عقولهم، والمطمئنين لسيرهم إلى حساب عوائد الذل في ذلك اليوم.

١٨ ـ كما أن تسييب العقل لا يخرج صاحبه من المسؤولية فكذلك الاعتداد به حتى يصبح خصماً للحقائق لا ينجيه ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ ما أكثر ما رأيتهم يخاصمون الحقائق لأن عقولهم لم تقبلها وها هم يعترفون بالخسائر بعد الفوات!

١٩ ـ ما أكثر المتحسرين بـ﴿لَوْ﴾ بعد الفوات في الدنيا! وما أكثر المتحسرين بها في مواقف العرصات..! ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾.

٢٠ ـ ﴿لَوْ﴾ ملاذ الفارغين، والقاعدين، ومضيعي الفرص ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾.

٢١ ـ مجرد سماعك لا يدلك على الحق، كم من سامع للحقائق لم يدركها إلا بعد الفوات! ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾.

٢٢ ـ على قدر إجلالك لربك، وتعظيمك لشعائره تجد الحياة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾.

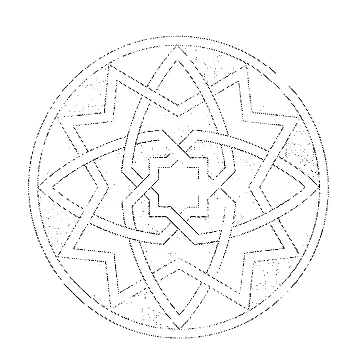
٢٣ ـ أوراد السر، وخبايا الصالحات موجبة لغفران الذنوب وتحصيل الأجور، واشوقاه للحظات الإخلاص التي لا تراها عين! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾.

٢٤ ـ حين تدخل خندقاً مظلماً، أو تستأجر فندقاً لوحدك، أو تسافر بمفردك، أو حتى تحكم باب غرفتك فتلك اللحظات فقط هي التي تعرِّف بك، وتبين عن

شخصيتك وأنت لحظتها على مفترق طريقين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾.

٢٥ ـ كم من خلوات أفضت بأصحابها إلى الفضائح في الدارين! وفي الحديث «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضاً، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عز وجل هَبَاءً مَنْثُوراً**»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**».





وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

التفسير

- ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ سـواء أخفيتم كلامكـم أو أعلنتموه فلا يغيب عن علـم الله تعالـى ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣﴾ بما فيها من النيات والإرادات.

- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ من خلق الخلق وقدر عليه كيف لا يعلم سره وجهره ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ الذي لطف صنعه وحكمته ودق حتى عجزت عنه الأفهام ﴿ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾ الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشـياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها.

- ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ سـهلة لينة منبسطة ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ طرقها وأطرافها وجوانبها ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ ما تفضل به عليكم وبثَّه لكم في هذه الأرض ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ المرجع والمآب يوم القيامة.

- ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي الله تعالـى ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ يذهب بكم فيها ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ١٦﴾ تتحرك وتضطرب.

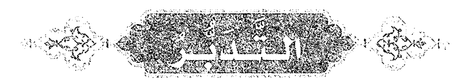
- ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي الله تعالـى ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً فيها حصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ١٧﴾ كيف يكون إنذاري وعاقبة من تخلف عنه.

- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم السابقة ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨﴾ فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم.

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ لأجنحتهـن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتهن ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عنـد القبـض والبسـط ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ القـادر على

ذلك ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩﴾ بما يصلح كل شـيء من مخلوقاته تعالى.

- ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ﴾ حزب لكم ومنعة ﴿يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ يدفع عنكم ما أراد الله بكم في حال العصيان ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠﴾ عن الله تعالى إما لظنهم أن أربابهم تملك ضرهم ونفعهم أو أنها تقربهم إلى الله تعالى زلفى.
- ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ﴾ من هذا الذي يمد بالنعم والأرزاق إن أمسـك الله تعالى عنكم نعمه ﴿بَل لَّجُّواْ﴾ اسـتمروا ﴿فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ٢١﴾ طغيان وإدبار عن الحق.
- ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى للكافر فمثله كمثل من يمشي على وجهه، كالحائر التائه الذي لا يدري أين يسلك ﴿أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢﴾ وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن فهو يمشي منتصب القامة على طريق واضح بيِّن.
- ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ أمدكم بأدوات الإدراك والفهم ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣﴾ قلَّ ما تؤدون شكر هذه النعم العظيمة.
- ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بثكم ونشـركم في أقطارها وأرجائها ﴿وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ تجمعون بعد هذا التفرُّق والشتات.
- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥﴾ متـى يقع هـذا الجمع الذي يحصل بعد التفرُّق؟!
- ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الله تعالى هو أعلم وحده بذلك دون غيره ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٢٦﴾ مبلغ عن الله تعالى.



١ ـ مهما بلغ إسرارك بسريرتك لن تفلت من رقابة ربك ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ حتى الذي يدور في عمق صدرك ويختلج في مشاعرك مفضوح مكشوف لربك فلا تغتر.

٢ ـ جميلة روايات الحب، والعفاف، والصدق، والإخاء التي يسردها لسانك في محافل الآخرين غير أن ما تخفيه في صدرك، وما ينطوي عليه سرك من الحقائق أبلغ موقعاً وأكثر إثارة ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾.

٣ ـ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ جرس يثير تصرفاتنا الغافلة، ويدق مشاعرنا للالتفات نحو هذا المعنى الكبير. ما أحوجنا لقراءته والإمعان فيه!

٤ ـ إذا صلح عملك، وصفت سريرتك فانتظر مباهج لطف الله تعالى في حياتك ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ كم من باب مقفل، وطريق مغلق، ومشكلة متعسِّرة، وتوفيق متوقف أفاض عليها لطف الله تعالى مباهجه فتحولت حياتك إلى جنان!

٥ ـ ارفق بنفسك في خطو الدنيا فما أنت نائل غير ما كتب لك ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾.

٦ ـ العاجلة لا تستحق منك غير المشي ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ والسباق والسعي إنما يكون في غايات الآخرة.

٧ ـ النهايات وقف على سلوك الطريق ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ وعناق الأماني على قدر هذا المعنى في حياة كل إنسان.

٨ ـ حتى الذي تتعب فيه، وتجهد في بلوغــه، وتصل إليه في النهاية هو رزق ربك لك فلا تغتر بمواهبك وإمكاناتك ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ ليس من عرقك ولا من جهدك.

٩ ـ من توفيق الله تعالى لإنسان أن تصحبه الغايات الكبرى في كل طريق ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ حافظة للمسار من الانحراف.

١٠ ـ الأمن من مكــر الله تعالى عقوبة يضــرب الله تعالى بها قلــوب الغافلين ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾.

١١ ـ لا قيمة للتاريخ إذا لم يُقرأ للعظات والعبر ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾.

١٢ ـ أي أمة يُحتفل فيها بتاريخ (أين، ومتى) على حســاب (كيف) سيطول أمد نجاحها في الواقع ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾.

١٣ ـ (كيف) في قراءة كل حــدث تصنع فارقاً في التجربــة وتقرِّب لأصحابها نهايات الطريق ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾.

١٤ ـ أياً كانت التجارب التي يسوقها التاريخ فهي كفيلة بتقريب مسافات النجاح ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾.

١٥ ـ إذا ضاقت عليك الطرق، وانسدت أمامك أبواب التوفيق، واحتجت إلى نصير يعينك فاملأ قلبك ثقة بربك، واقرع باب الأمل إليه طويلاً تصل من ذلك إلى أمانيــك ﴿أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾.

١٦ ـ لا تقلق على تأخر وظيفتك، أو سداد أبواب رزقك، أو فصلك من عملك فربك أقدر على كل شـيء ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ حتى الذين يمسـكون بأفواه الخزائن لا يملكون منها شيئاً إلا بإذن الرزاق العليم.

١٧ ـ ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾ قطع لأسباب الرجاء في كل مخلوق أياً كانت منزلته وكبير أثره.

١٨ ـ حرَّاس الخزائن في الأرض إنما يتصرفون على إذن مالكها في السماء ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾.

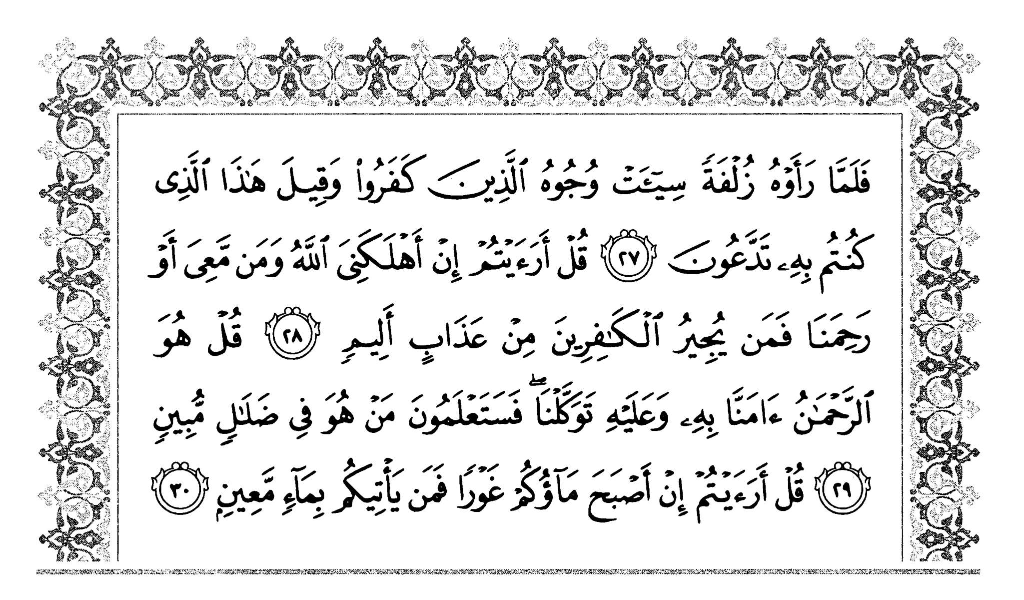
١٩ ـ الاستواء على الأرض فرع عن الاستعلاء بالحق ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

٢٠ ـ كل من لم يبصر حقيقة هذا الدين فهو كالمكبوب الذي لا يبصر إلا ما تحت قدميه ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

٢١ ـ لا يغرك استواء ظاهري تراه في جسـد معرض عن الحق فهو لا يبصر من الحقيقة شيئاً ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

٢٢ ـ أقبح الصور تلك التي يعارض فيها الإنسان دين الله تعالى بنعمه التي منحه إياها ووهبهـا لـه ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀


فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ
رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ قُلۡ هُوَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ
﴿٢٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴿٣٠﴾

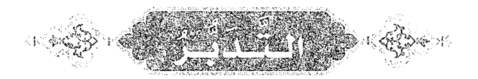
التفسير

- ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾ رأوا العذاب ﴿زُلۡفَةٗ﴾ قريباً ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ اسودت وبدت عليها الكآبة والذلة ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ تستعجلون.

- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾ بموت أو قتل كما تتمنون ذلك وتتربصون به ﴿وَمَن مَّعِيَ﴾ من المؤمنين ﴿أَوۡ رَحِمَنَا﴾ بتأجيل آجالنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٨﴾﴾ من ينجيهم من العــذاب المؤلم الذي ينزله الله تعالى بهم يوم القيامة.

- ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وحده فلا نشرك به شيئاً ﴿وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا﴾ في جميع أمورنا ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٩﴾﴾ نحن أم أنتم.

- ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا﴾ ذاهباً وغائراً في الأرض ﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴿٣٠﴾﴾ من يستطيع أن يأتيكم بماء كثير جار على وجه الأرض غير الله تعالى.



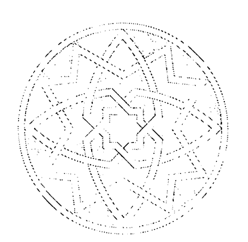
١ ـ حين تأتي الحقائق متأخرة فيرى الإنسان ما لم يكن له في الحسبان ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ كانوا يقرؤنه ويسمعون به فإذا هم وإياه وجهاً لوجه.

٢ ـ ضبابية الرؤية مفضية للضياع ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ومن لم يعرف طريقه بوضوح يبلغ هذا الضياع بإمعان.

٣ ـ القضية أكبر من الانتصارت الشخصية التي يتخيلها كثيرون ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ ليست القضية هلك هذا النبي أو بقي، القضية كيف تصلون من خلال الحقائق إلى النجاة من مواقف العذاب!

٤ ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾ رسالة في دفع عمى القلوب والأبصار عن الحقائق. الماء الذي لا تستطيعون الحياة إلا به ماذا لو غار في الأرض؟! ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾.





سُورَةُ القَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

التفسير

- ﴿نٓ﴾ حرف من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ جنس القلم الذي يُكتب به ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾﴾ وما يكتبه الناس بالقلم من العلوم.

• ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ لست بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك.

• ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا﴾ ثواباً على إبلاغك لرسالة ربك إلى الخلق ﴿غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣﴾ غير مقطوع.

• ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾ تزكيه لنبي الله ﷺ برفيع الأخلاق وحميد الفعال.

• ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥﴾ فستعلم يا رسول الله وسيعلم مخالفوك.

• ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦﴾ أيكم الضال عن الحق المفتون بالباطل.

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧﴾.

• إن الله تعالى يعلم الضال من المهتدي ﷻ ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ نهي للنبي ﷺ عن ممايلة المشركين حين كانوا يدعونه إلى الكف عنهم.

• ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩﴾ ودوا لو ركنت إليهم وتركت الحق الذي معك، فيلينون لك في عبادة إلهك.

• ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مَّهِينٍ ۝١٠﴾ حقير في رأيه وتمييزه وذلك لأنه يحلف كاذباً.

• ﴿هَمَّازٖ﴾ مغتاب للناس يأكل لحومهم ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١﴾ يمشي بين الناس بالنميمة.

• ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾ بخيل بالمال، ضنين به عن الحقوق المتعلقة به ﴿مُعۡتَدٍ﴾ على الخلق يظلمهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم ﴿أَثِيمٍ ۝١٢﴾ كثير الآثام والذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى.

• ﴿عُتُلٍّ﴾ غليظ جافٍ غير منقادٍ للحق ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ مع ذلك والمعنى أنه مع العتل هو كذلك ﴿زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ دعي في القوم ملصق بهم وليس منهم.

• ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ لأجل كثرة ماله وولده طغى واستكبر عن الحق.

• ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ إذا تقرأ عليه آيات كتابنا ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ هذا مما كتبه الأولون استهزاءً به وإنكاراً أن يكون من عند الله تعالى.



١ ـ كل من أراد أن يكتب حظه من التاريخ فعليه بقرع أبواب العلم، وفتح نوافذه فإنه رأس الأمر وأوله وآخره، وهذا القسم به في بداية السورة إشارة إلى ذلك الأثر الذي يحدثه في مساحات الواقع الذي يكون فيه ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾.

٢ ـ كل المؤثرين في الواقع هم جزء من ميراث العلم، وهو وسيلتهم الأولى في صناعة الواقع البهيج في أنفسهم وواقعهم، وَقَلَّ أن ترى مثيراً في مفاهيمه وأفكاره وتصوراته إلا وهو على علاقة كبيرة بهذا المعنى الكبير ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾.

٣ ـ العلم هو الكفيل ببناء حضارة الأمم، وكتابة تاريخها، وهو السد المنيع أمام ثورات الشبه، وعوائق الطريق ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾.

٤ ـ أثمن قلم ذاك الذي يبني فضيلة، ويوسّع في بناء القيم، وأشقى قلم ذاك الذي يحارب الحق، ويبني للباطل جدراً في مساحات الأمة ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾.

٥ ـ ما أكثر ما يبني الباطل من جُـدر الوهم! رغم اعتراف قريش عن بكرة أبيها بكمال عقل الرسول ﷺ، وأمانته، وصدقه إلا أنهم ألبسوه جداراً من وهم الحقيقة ووصفوه بالجنون خوفاً من أن تبسط الحقيقة واقعها في الأرض ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾.

٦ ـ إشاعة الأوهام في الواقع، وتكثير صورها، وإقناع الأمة بها جزء من الحرب التي يخوضها الأعداء فـي مواجهة مباهج الوحـي وحقائقه ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾.

٧ ـ الجـزاء على قدر العناء! ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣﴾ فرق بين تسـلية محددة بزمن تنتهي بنهايته، وتسلية مفتوحة الأجل. وإنما ينال الإنسان حظه على قدر عنائه.

٨ ـ الكبار فقط يحسـنون مواجهة التحديات ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾ في مواجهة تهم الجنون، والاستصغار! حين يستعلي الإنسان بمنهجه لا يبالي بصور الكيد والكبر التي يصنعها الباطل في الطريق.

٩ ـ الثبات علـى الحق في مواجهة كيـد الباطل، والصبر علـى طول الطريق، وإعراض المعرضين، وتزييف الحقائق انتصار، ومواجهة ذلك بالأخلاق العظيمة انتصار أكبر من الأول في معناه وأثمن منه في حقيقته وأجدر منه على البقاء.

١٠ ـ مهما بلغت أرباح الدعوة في واقع لن تلقى ترحيباً كافياً، وسـيظل الباطل غاصاً بها، باحثـاً عن فُرَجِها، مثيراً للشـبه حولها، ترى هـذه الصورة في زمن النبي ﷺ فما بالك بغيره من العصور!

١١ـ القدوات تصنع الفوارق! ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ ليست كلمة تردد، أو شعاراً يرفع، وإنما واقع عملي تطبيقي تأخذ القدوة فيه مداها. ولن يأخذ هذا المعنى حقه حتى تُقرأ سيرته ﷺ بوضوح.

١٢ـ الأخلاق جزء كبير من مباهج الإنسان في الحياة، وكلما زاد خلق إنسان ارتفع عن سفاسف واقعه، واستطاع أن يناهض باطله، وحرف الجر (على) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ تفيد الاستعلاء، والقدرة على مواجهة العوارض في شموخ.

١٣ـ إذا أردت أن تلحق بركاب الكبار، وتمضي في طريق العز والشرف، وتأتي بكثير من أمانيك فتجمَّل بالأخلاق تنل حظوظك في الدارين ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾.

١٤ـ من فتح لـه في الأخلاق باب فليلزمه فقد يدرك به الجنان! ولولا هذه المكانة الكبرى للأخلاق لما كان هذ الثناء العاطر لنبيه ﷺ بها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾.

١٥ـ للحقائق أمد تنكشف فيه وإن طال زمان ذلك الأمد ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾.

١٦ـ الصبر والأمل موردان عذبان لبلوغ النهايات ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾.

١٧ـ لا يمكن للباطل أن يهادن الحق الذي تحمله ولو كان يحمل له مباهج الدارين ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ إن طاعتك لهم لا تصنع جديداً للدعوة، وإنما تزيدها رهقاً وخسارة في عرض الطريق.

١٨ ـ ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ قطع لرجاء الطامعين من أصحاب الحق في تقريب المسافة بينهم وبين الباطل. إن الباطل لا يمكن أن يأتي إلى منتصف الطريق إلا بعد أن يأخذ في المقابل ذات المساحة أو أكثر.

١٩ ـ تخاصم هذه الآيــة ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ أدعياء التقريب بين الأديان، وتذكرهم أن الحق أكرم وأرفع من أن يتسوَّل الباطل أو يسترضي أصحابه للوفاق على مساحات جديدة من الواقع.

٢٠ ـ أكثر ما يؤلم الأعداء إعلان الحق، والصدع به، والسعي في تعميم مفاهيمه، ما أكثر ما تأكل قلوبهم الأمانــي أن لو داهنت معهم في طريــق أو لاينتهم في موضوع ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

٢١ ـ تليين الحقائق، وتشوهات المفاهيم، وضعف التصورات من أعظم المقاصد التي يســعى الباطل إلى توسيع مســاحاتها ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

٢٢ ـ التنازل عن بعض الحق أمام الباطل خسارتان في آن واحد، خسارة انحسار بعض مفاهيم الحق، وخسارة أخرى في تمدد الباطل على حساب ذلك الانحسار ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

٢٣ ـ كلما صلب الحق في الطريق، وعلا صوته، وامتدت مساحته رضي الباطل بأقل الحلــول ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ وهذا الود، والرجاء، والتمني نتيجة هذا الشــموخ، وفي المقابل كلما ضعف صوت الحق، وانحسر واقعه علا صوت الباطل، وامتدت أمانيه، وكم من موقف في واقع اليوم يعرض الحق متسولاً أمام استعلاء الباطل، والله المستعان!

٢٤ ـ رغم كل حظوظ الهداية الظاهرية وآثارها العاجلة على صاحبها إلا أن ما وقر منها في قلب صاحبها هو المعنى الكبير لأحداثها ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ ﴾.

٢٥ ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ ﴾ دعوة ألا ننشغل بالحكم على الآخرين، أو تصنيفهم فإن ذلك لله تعالى وحده، وليس من شأننا في قليل أو كثير.

٢٦ ـ فرَّ من هؤلاء فرارك من أسد ضار، أو مجذوم مريض ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ ﴾ فإن الاقتراب منهم فساد لدينك وخلقك.

٢٧ ـ كما أن الأخلاق الحسنة تدفع بصاحبها إلى منازل الشرفاء كذلك الأخلاق السيئة تهبط بهم إلى درك السافلين والأشقياء ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ ﴾.

٢٨ ـ إذا فُقدت الثقة احتاج صاحبها إلى أعوان لجمع شتاتها من جديد ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ ﴾ لم يعد هذا يلقى تصديقاً ممن حوله فعاد يكاثر كل قول بيمين.

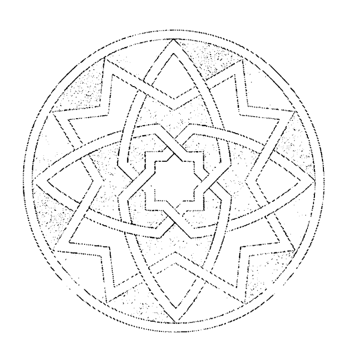
٢٩ ـ إذا اعترى إنسان نقصاً ظاهراً حاول أن يستره بلفت أنظار الناس إلى عيوب الآخرين ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ ﴾ وما يصنع الناقص بكمد روحه وهي ترى الفضائل تزوَّر عنها في كل جانب!

٣٠ ـ لا حد لسقوط القيم والفضيلة في حياة صاحبها، وما تزال به حتى يمنع كل خير، ويعتدي على كل فضيلة. ما شأنه وشأن السوءات لولا سوء التوفيق ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ ﴾.

٣١ ـ أكثر الساقطين في وحل الخذلان هم المستكثرون من النعم والخيرات ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ وهذا في النعم المكتسبة، فما بالك في النعم الذاتية من الإمكانات والقدرات التي أودعها الله تعالى في كل إنسان..!

٣٢ ـ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ صورة قبيحة للمرتدين على صاحب النعمة وواهبها بالخذلان، وما أكثرها في مثل هذا الزمان! كم من مال، وموهبة، ومكانة، ومسؤولية كانت هبة من ربه تعالى وما زال يكاثر بها في معاصيه.

❀ ❀ ❀



سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

التفسير

- ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾﴾ سنبين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخرطوم، وقيل سوف نجعل وسماً بالسواد على أنفه يوم القيامة.
- ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ﴾ اختبرناهم والمراد كفار قريش ﴿كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ كما اختبرنا أصحاب البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ﴿إِذۡ أَقۡسَمُواْ﴾ حلفوا فيما بينهم ﴿لَيَصۡرِمُنَّهَا﴾ ليقطعن ثمرها ﴿مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ عند الصباح.
- ﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾﴾ فيما حلفوا فيه.
- ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾ أصابتها آفة سماوية بأمر الله تعالى ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ كالليل الأسود، أو كالزرع إذا حصد ويبس.
- ﴿فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ لما كان الصباح نادى بعضهم بعضاً للذهاب إلى ما حلفوا عليه.
- ﴿أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ﴾ اخرجوا مبكرين إلى ما تواعدتم إليه ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ تريدون قطع تلك الثمار.
- ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يتناجون بينهم بحيث لا يسمع أحداً كلامهم.
- ﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾﴾ لا تمكنوا فقيراً يدخلها عليكم فيأخذ منها شيئاً.
- ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ﴾ على جد وجهد وغيظ ﴿قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ على حصادها فيما يزعمون.

- ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ لتائهون عنها.
- ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ بل هذه هي ولكن لا حظ لنا فيها ولا نصيب.
- ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أمثلهم وأعقلهم وخيرهم ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ لولا تتنزهون عما لا يليق بالله تعالى، ومن ذلك ظنكم أن قدرتكم مستقلة ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ تنزيهاً له عن أن يكون ظالماً فيما صنع بجنتنا ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ إنما وقع ذلك بسبب ظلمنا للمساكين.
- ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ يلوم بعضهم بعضاً على ما وقع عليهم من التآمر على حرمان المساكين من حقوقهم.
- ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ متجاوزين في حق الله تعالى، وحق عباده.
- ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ ﴾ دعاء منهم أن يبدلهم تعالى خيراً من تلك الجنة التي خسف بها ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ مؤملون في العوض والخلف.
- ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ﴾ هكذا عذاب من خالف أمر الله تعالى وبخل بما آتاه الله تعالى ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ أشق وأقوى وأعظم.
- ﴿ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ من جعلوا بينهم وبين عذاب الله تعالى وقاية ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ يوم القيامة ﴿ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾ بساتين ينعمون فيها نعيماً خالصاً لا يشوبه تنغيص ولا تكدير.
- ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ استفهام إنكاري أي أنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟!
- ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ كيف تظنون على الله تعالى أنه يجعل المسلمين كالمجرمين يوم القيامة.

• ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أم أن لكم كتاباً وجدتم فيه أن الله تعالى يجعل المسلمين كالمجرمين يوم القيامة!

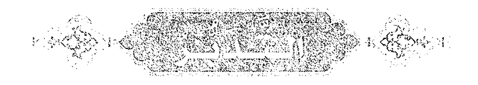
• ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أم لكم في ذلك الكتاب ما تتخيرونه من الأحكام.

• ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾ أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون.

• ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ قل لهم: من هو المتضمن المتكفل بهذا.

• ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ من الأصنام والأنداد والأعوان فيما يقولون ويصفون من الأمور بزعمهم كقولهم: إن الله تعالى يجعل المسلمين يوم القيامة كالمجرمين ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ فليأتوا بأعوانهم ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ برهاناً على صدقهم.

• ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يكشف الله تعالى لهم عن ساقه ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أن يسجدوا.



١ ـ النية السيئة كانت كفيلة بحرق جنان تملأ آفاق الأرض ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ وهي كذلك كفيلة بتبديد خيرات وموارد كثيرة من عوائد الإمكانات من حياة أصحابها. وما أنت آتٍ على عدِّ صور هذا الحرمان، وكم ممن يملك وقتاً فائضاً، وموهبة كبيرة ولم يتمكن من توظيفها في مشروع! وكم من نية سيئة كتبت على صاحبها الحرمان!

٢ ـ ما أكثر ما يأتي الحسد على خيراتنا، ويكتب عليها الزوال! ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ ما دفعهم لصرمها قبل الفجر إلا دفعاً لطلاب الفضيلة منها عند الضحى! ﴿ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ هـذا في زرع مخضر في ساحة أرض، فما بالك بالحسد في نعمة علم، أو مشروع بر! وا سوأتاه!

٣ ـ منع حقوق النعم أوسع الطرق إلى ضياعها! ما أكثر الذين يعتقدون أن منع الصدقة، والبخل بعلمهم، والضيق بجاههم وشفاعتهم تسمين لما عندهم وهي أوسع الطرق لشتاتها، وضعف بركتها، وضمور آثارها، ليتهم يعلمون ما في الإنفاق من خيرات!

٤ ـ وا شوقاه لصورة هذا المعنى لا حقيقته ﴿ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ما أحوج أصحاب المشاريع، وصنَّاع الحياة، وحمَّال الرايات في الأمة إلى التنادي على مشاريعهم، والتعاون على إيراد الفضيلة مواردها. عارٌ يا روّاد الفضيلة أن يتنادى أصحاب الباطل في البكور على رذيلة، ولا تنهضون لإفشاء الفضائل وتوسيع مساحاتها في واقع الأرض مع كل بكور.

٥ ـ مبادرة الفرص، واقتناصها، واستثمار لحظاتها منهج عند أهل الباطل في كل قضية، وإذا لم يبادر أصحاب الحق، وحمَّال راياته لاقتناص كل فرصة، وملء كل ساحة بالعمل فإن الخسائر قد تكون مكلفة ﴿ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٦ ـ الاعتراف بالنعم، والشكر عليها، ومد مساحتها وتوسيع دائرة تأثيرها هو أعظم الطرق لدوامها في ساحات صاحبها. ماذا يضير أهل الجنة لو أنهم دفعوا منها واجبها القليل، وتنعموا بباقيها الكثير! ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾.

٧ ـ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ ليست صورة عارضة في زمن مضى فكم من طائف في الطريق على نعم لم تستوف حقها عند كثيرين..! يا ليتنا ندرك قبل الفوات!

٨ ـ تعلموا يا قوم وافْقَهوا أن العطاء يوسِّع النعم، ويمد في آثارها، ويزيد في قدرها وبركتها، ما لكم ولنيران الحسد، وساحات البخل والشح!

٩ ـ كم من مشروع عانق فضاء أحلام صاحبه لحسن نية دون كبير عمل! وكم من مشروع بذل صاحبه فيه كل ما يملك لم يبرح شبراً لسوء نية..! ما أكبر أثر النيات في النجاح والإخفاق!

١٠ ـ إن للعالَم رباً يدبره! فلا تستثقل همومك، وتوسِّع دوائر يأسك، وتزيد مساحات قنوطك، فإن الذي رصد نوايا أصحاب الجنة في سرادق الظلام وبعث لها جنداً في آخره قادر على أن يهبك من الفرج والفتح ما تسعد به في الدارين ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾.

١١ ـ لشدة شوقهم إلى بلوغ غاياتهم ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ والشوق يبلغ بصاحبه إلى الطريق قبل أوانه! مؤلم أن يجهد صاحب العاجلة في دفع نفسه لبلوغ أمانيه وتتقاصر همم أصحاب الحق والفضيلة عن بلوغ أمانيهم!

١٢ ـ في مرات كثيرة لا نفقه أثر المعصية إلا بعد أن نبلغ عمق الخطيئة ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾﴾ يبدأ في طريق المخدرات ولا يسمع لأي واعظ حتى تفجؤه سلاسل القيد، ويمضي في ساحات الظلم حتى يقف على نتائج الحرمان. كثيرون يمضون لا يتوقفون إلا عند بلوغ نهايات الخزي والذل والحرمان.

١٣ ـ لا ينفع إدراك الحقائق بعد الفوات ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ لم يأت إقرارهم بالحرمان هنا حتى عاينوا النهايات! ومن فقه

الحياة أن يجري الإنسان حساباً لمفاهيمه وأفكاره وتصوراته في الحياة قبل أن يجري حساباً لماله ومقدراته في البنوك.

١٤ ـ من سمات المفرطين التلاوم بعد الفوات ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ وما يصنع التلاوم بعد الفوات من شيء! وإنَّما تتضرَّع به النفوس لتخفيف ألمها، وتصبيرها على وطأة الخطايا التي وقعوا فيها وهيهات!

١٥ ـ الحلول الجريئة والمواقف الشجاعة لا تقف بأصحابها عند التلاوم، وإنما تدفع بهم إلى الاعتراف والتصحيح فور وقوع الخسارة، أما التلاوم المجرد من لواحق العمل فذاك فن يحسنه كل إنسان.

١٦ ـ تبلغ الشـهوات بأصحابها إلى درجة العمى! ما كان لهـؤلاء أن يجتمعوا ويتفقوا، ويتآمروا لولا عمى الشهوات ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾.

١٧ ـ ما أعجب هذا الإنسـان! بالأمس يخطط، ويرتِّب، ويسـتوعب كل الطرق لنكران حق الله تعالى ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ واليوم بعد العجز والخسارة يتوجه إلى ربه من جديد ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٨ ـ أياً كانت خطيئتك، وأثر معصيتك، وواقع ذنبك لا تنحنِ لظروفها وتستسلم لواقعها، عُدْ لحصان الأمل فاركبه، وتوجه لطريق الفأل فاسلكه، فكم من فواتح الخيرات بعد الحرمان! ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٩ ـ إذا مات قريبك، أو خسرت شـيئاً من مالك، أو لم تبلغ حلمك وأمنيتك فلذ بربك سـائلاً متضرعاً وكن على انتظار ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

٢٠ ـ ثمة نفوس إذا خسرت، أو أخفقت حداها الأمل لتعويض تلك الآثار مرتين ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ لم يطلبوا مثلها وإنما طلبوا خيراً منها، وكذلك يصنع الأمل والفأل!

٢١ ـ لا بد في كل أمة من عقلاء يحمونها آثار الغفلة، ويجنبونها عمى الشهوات ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ما أكثر عوائد هذا الأوسط على إخوته لو أطاعوه! فكيف لو كانوا جماعة! وهذا المعنى يجري في كل أسرة، وإدارة، ومجتمع كما يجري في الأمة لا فرق.

٢٢ ـ من ثقوب الأزمات تنفتح فواتح الخيرات! وكم من أزمة، ومشكلة، ومصيبة حلَّت بصاحبها ثم أعادت توازنه من جديد ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ رأينا في الواقع من استقام حاله بعد حادث، ومن استفاق لموقف، ومن أعاد ترتيب حياته لعارض، وكم من أزمة فتحت أبواباً من أمل!

٢٣ ـ ادفع بنصيحتك حتى في ضائق الظروف، وضيق المساحات، وقلة المستجيبين تُعذر بها من ربك، وتقيم الحجة على واقعك، وتعيد المعرضين إلى حياض الفضيلة ولو بعد حين ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٢٤ ـ للشهوات طغيان يعمي عن كل فضيلة ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾﴾ لم تبن الحقائق لهم حتى زال أثر الطغيان.

٢٥ ـ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ رسالة ألا نقع في ذات الأخطاء أو نكرر ذات التصرفات! وكل من ساءت نيته، وعزم على تفويت حقوق الله تعالى من مظانها، وسعى في خلاف مراد الله تعالى جرت عليه السنن كما جرت على السابقين لا فرق.

٢٦ ـ أياً كانت أخطاء الدنيا، وفوات حظوظها من تاريخ إنسان فهي فرصة للإفاقة من جديد، وإذا كان ما يجري في الدنيا قاسياً لهذه الدرجة من الحرمان فما في الآخرة أشد وأقسى ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

٢٧ ـ ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ لا يقصد علماً ظاهرياً فما أكثر من يحسنه ولم يصنع له واقعاً بهيجاً، وإنما العلم الشعوري علم البصيرة بعواقب الأمور ومآلات الأحداث.

٢٨ ـ الرجاء المفرط سوء ظن بالله تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وسراب الصحراء لم يرو عطشاً فضلاً أن يهدي ضالاً أو يصحح له الطريق.

٢٩ ـ فرق بين رجاء على إثر عمل، ورجاء في ساحات تفريط! الأول مركب يحمل صاحبه على الحياء، ويدفع به إلى ساحات العمل، والآخر دثار لخطايا القعود ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

٣٠ ـ تزوير الحقائق، وتشويه المفاهيم، وصناعة التصورات الخاطئة أسلوب يحسنه الشركاء في الباطل، وسوء الظن بالله تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ فرع من تلك الشراكة في الشهوات ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾.

٣١ ـ ما أكثر ما تعرض الفرص، وما أكثر ما تفوت! ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ كم من دعوة لقيها هؤلاء المعرضون في الطريق لم تلق رواجاً في حياتهم كانت مؤذنة لهم في النهاية بمثل هذه العواقب!

٣٢ ـ لو تخيَّل المتخلِّف عن الصلاة، والمضيِّع لها هذا المشهد الذي سيجري عليه في ساحات القيامة لأفاق إن كان له قلب ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

❀ ❀ ❀

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

التفسير

- ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ خاضعة وذليلة ومنكسرة ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ تغشاهم ذلة وحسرة وندامة شديدة ﴿وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ معافون أصحاء.

- ﴿فَذَرۡنِي﴾ دعني وإياهم وخلِّ بيني وبينهم ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أن هذا نوع من الاستدراج وإنما يعتقدون أنه إكرام ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡ﴾ أُمهلهم وأؤخِّرهم وأمدُّهم.

- ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ هل تطلب منهم ثواباً على ما تدعوهم إليه من الإيمان؟!
- ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ من غرم ذلك الأجر مثقلون، والمغرم الغرامة والمعنى أي لم يطلب منهم على الهداية والتعليم أجراً فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم فيثبطهم ذلك عن الإيمان.
- ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ اللوح المحفوظ الذي فيه نبأ ما هو كائن ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ من ما فيه ويجادلونك به، ويزعمون أنهم على كفرهم بربهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به. وهو استفهام بمعنى الإنكار.
- ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ اصبر يا رسول الله على قضاء الله تعالى وقدره في القيام بواجب الدعوة والبلاغ والصبر على الأذى في مقابل ذلك.
- ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ ذو النون هو يونس بن متى عليه الصلاة والسلام، لا تكن مثله في الغضب والضجر، وملخص قصته أنَّ الله تعالى أرسله إلى أهل قرية قيل هي نينوى بالموصل، فاستبطأ إيمانهم وشق عليه تأخرهم فتركهم مغاضباً، حتى ذهب إلى شاطئ البحر ثم ركب سفينة مع قوم فلما كانوا في وسط البحر ثقلت السفينة وتعرَّضت للغرق، فأقرعوا بين الركاب للتخفّف من واحد منهم لتخف السفينة فكانت القرعة عليه فألقوه في اليم فابتلعه الحوت.
- ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ مملوء غيظاً وغماً وكرباً، والنهي عن التشبه به في السبب الذي أفضى به إلى هذه المناداة وهي مغاضبته التي أفضت به إلى حبسه في بطن الحوت وشدة ذلك عليه.

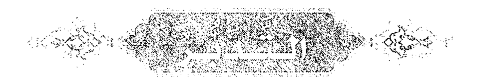
• ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهي توفيقه للتوبة، فتاب الله تعالى عليه ﴿لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ﴾ لألقي من بطن الحوت على وجه الفضاء الخالي ﴿وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩﴾ على ضجره وعجلته وعدم صبره.

• ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ استخلصه واصطفاه واختاره ونقاه من كل كدر لحقه من ذلك ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٥٠﴾ الذين صلحت أعمالهم وأقوالهم وجميع أحوالهم.

• ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ ليعينونك بأبصارهم ويحسدونك لبغضهم إياك من شدة تحديقهم إليك لولا وقاية الله تعالى لك ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ عند سماعهم للقرآن منك.

• ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١﴾ يلمزونه ﷺ بالجنون.

• ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢﴾ ذكرى وعظة للعالمين على وجه العموم.



١ ـ التخلُّف عن الصلاة مؤذن بأسوأ حالات الفشل والإخفاق في الدار الآخرة ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾.

٢ ـ إذا رأيت نعم الله تعالى عليه باسطة وهو يعصيه، فذلك استدراج ليوم الحسرات ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾.

٣ ـ متى يفيق الجاهل الذي يقرأ قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ وما زال يتمادى في صور كثيرة! وما التخلُّف عــن الصلاة، وبيعات الربا، وأكل حقوق الآخرين إلَّا بعض صور ذلك الجهل. يا قوم هذا حادي القرآن فمتى نفيق؟!

٤ ـ لا تتبرَّم من ناصح زجرك، أو شــدد عليك في الموعظة، أو واجهك بحقيقة أمرك فتلــك رحمــة ســاقها الله تعالــى إليــك ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ ما كان لله تعالى وهو القوي العزيــز أن يتهدد بعضاً من خلقه وهم أحقــر من ذلك بكثير إلا من فيض رحمته علهم أن يعودوا قبل الفوات.

٥ ـ كل نعمة ألبس الله تعالى بها إنساناً ولم يســتعملها في طاعته فهي استدراج يخشــى على صاحبها مــن عواقــب الحرمــان ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾.

٦ ـ ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ رسالة تبعث الطمأنينة، وتسكِّن روع المجهدين الخائفين تؤكِّد أن الدين لله تعالى، وأنه هو الذي يدير الخصومة والمعركة الكبرى مع المعارضين في النهاية.

٧ ـ ليس من شأن الكبار أخذ مقابل على الدعوة! إن الرسالة أكبر من أن يتقاضى الداعية على شــيء منها، وأعظم من أن يتســوَّل الناس على بلاغها، وما يصنع هؤلاء الدعاة بحجج المعتذرين غداً أن الدعوة لم تبلغهم لأن تكاليفها شاقة ولم يتمكنوا من ســماعها. لقد كان شــعار الكبار وما يزال ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٨ ـ ليس مثل الصبر شيء يعين صاحبه على بلوغ نهايته، ويأتي منه على ما يريد ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾.

٩ ـ لواعج الشوق، وحوادث الكرب، وضعف الحول والطول معجلات بحوادث التوفيق ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ نداء الحاجة، واضطرار العبد، وكمال افتقاره إلى ربه لا تدني مطلوبه، أو تعجل بفرجه فحسب، وإنما تأتي بأمانيه كما يريد.

١٠ ـ ما أكثر عوائد العقائد على أصحابها! كم من ظن لصاحب حاجة بربه زفَّ الخيرات بين يديه كما يريد ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾.

١١ ـ التجارب الحية أعظم ما يعين على بلوغ الغايات! ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ وكم من تجربة اختصرت الطريق على صاحبها، وقرَّبت آمال السائرين!

١٢ ـ كن على ثقة بأن ما سُطِّر في قدرك آتيك ولو في زمان المحن ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

١٣ ـ كم من نعمة لله تعالى على إنسان سترت قبيحاً، وأدركت شقاءً قبل أوانه فأبدلته بالخيرات ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ ما أحوجنا لفقه خيرات الله تعالى علينا!

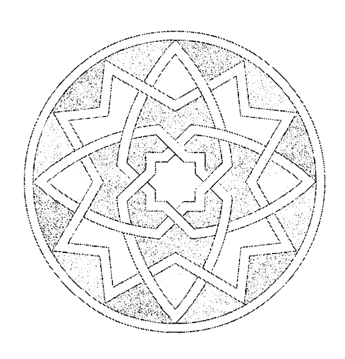
١٤ ـ ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ في خلاف الأولى فكيف لو كان في مخالفة ظاهرة ومعصية على وعي!

١٥ ـ ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ دعوة ألا تقف العثرات في طريقنا مهما بلغ شأنها وعظم قبحها واتسعت آثارها!

١٦ ـ تحصنوا يا أيها الدعاة، يا أصحاب المواهب، يا من تواجهون الناس في كل حين فكم من عين تسـارقكم ذلك النعيم! هذا نبي الله تعالى كادت تزلقه أعين الحاسدين، فكيف بغيره من العالمين! ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾.

١٧ ـ الدعوة عالمية لا حدود لها، وهي وإن ولدت في مكة، وشبت في الجزيرة فهي آتية على العالمين في كل أرض ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾

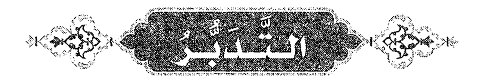
التفسير

• ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾﴾ الحاقة من أسماء يوم القيامة، وهي من حَقَّ الشيء، إذا ثبت وقوعه، سميت بذلك لأن الأمور تحقُّ فيها.

• ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾ تفخيم وتهويل وتعظيم لأمرها.

• ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ﴾ سكان الحجر الذين أرسل إليهم صالح عليه السلام ﴿وَعَادُۢ﴾ سكان حضرموت الذين أرسل إليهم هود عليه السلام ﴿بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ بيوم القيامة، وسميت بذلك لأنها تقرع الناس بأهوالها.

- ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾ الصيحة العظيمة التي قطعت قلوبهم فأصبحوا موتى.
- ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ باردة ﴿ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ شديدة الهبوب.
- ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ ﴾ سلَّطها عليهم ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ ﴾ أرسلها عليهم طيلة هذه المدة مستمرة لا تنقطع ولا تهدأ ﴿ حُسُومًا ﴾ متتابعة لا تفتر ولا تنقطع، وقيل قاطعة قطعت دابرهم وحسمت أمرهم ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا ﴾ في تلك الأيام والليالي أو في تلك الديار ﴿ صَرْعَىٰ ﴾ هلكى ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ ﴾ كأنهم جذوع نخل قطعت رؤوسها ﴿ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ خربة بالية.
- ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ هل ترى من بقايا لهم بعد ذلك العذاب.



١ ـ من أكثر حالات الشقاء في التاريخ تلك التي كانت نتيجة للاستكبار عن الحق، والتكذيب بوعيد الله تعالى في الدارين ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

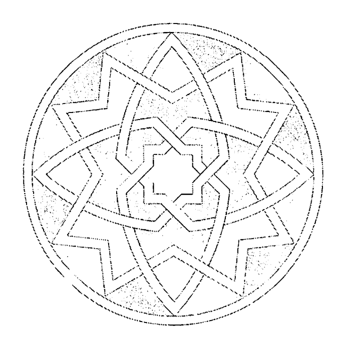
٢ ـ لا يصنع التاريخ فرقاً في واقع قرائه إلا حين يقرأ للعظة والعبرة! كم من قارئ لقصص الغابرين لم تنفعه في شيء ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

٣ ـ إذا أراد الله تعالى بواقع سوءاً لم يحفل بما يخلّفه عذابه على المعرضين ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾.

٤ ـ سنن الله تعالى جارية على الظالمين، والمكابرين، والمعاندين أن لهم ساعة إذا حانت أتت على كل شيء دون استثناء ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾.

٥ ـ الجزاء من جنس العمل، يكفي ثمود لحظة واحدة تأتي فيها صيحة تخطف قلوبهم وتصم آذانهم وتقضي على كل شيء، وعاد تجري عليهم الريح سبعة أيام ولا تغادرهم حتى تجعلهم كجذوع النخل في عرض الطريق ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾.





وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

التفسير

- ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ﴾ ممن سبقه من الأمم الكافرة ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ﴾ قرى قوم لوط، وإنما سميت مؤتفكات لأنها ائتفكت بهم أي انقلبت ﴿بِٱلۡخَاطِئَةِ ٩﴾ بالأفعال الخاطئة من الكفر والتكذيب.

- ﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ﴾ فعصت كل أمة من هذه الأمم رسول الله تعالى الذي أرسل إليها ﴿فَأَخَذَهُمۡ﴾ الله جميعاً ﴿أَخۡذَةً رَّابِيَةً ١٠﴾ شديدة عظيمة زائدة على الحد والمقدار الذي يحصل به هلاكهم.

- ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾ تجاوز حده في الارتفاع والعلو، وذلك زمان نوح عليه السلام ﴿حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١﴾ السفينة التي تجري على وجه الماء، وهذا امتنان من الله تعالى عليهم حين كانوا في صلب آبائهم وأمهاتهم حين ذلك الطوفان.

- ﴿لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةً﴾ عبرة وآية تذكرون بها صدق وعد الله تعالى في نصر رسله وإهلاك أعدائه، وذلك ببقاء جنسها في الأرض ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ تحفظها وتفهمها ﴿أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ١٢﴾ عقلت عن الله تعالى أمره وانتفعت بما سمعت من كتاب الله تعالى.

- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣﴾ وهي النفخة الأولى، فلا يبقى أحد إلا مات.

- ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾ رفعت من أماكنها وقلعت من مقارها ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤﴾ فتّتا وسوّي جميعهما.

- ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥﴾ قامت القيامة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ تصدعت.

- ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦)﴾ ضعيفة مسترخية.

- ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ على جوانبها وأطرافها ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فوق الملائكة الذين هم على أرجائها ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧)﴾ يحمل العرش ثمانية من الملائكة.

- ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ يُعرض العباد للحساب ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)﴾ لا يخفى على الله ﷻ من ذواتكم أو أقوالكم وأعمالكم خافية مهما كانت.

- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ أعطي كتابه الذي كتبته الحفظه بيمينه علامة على فوزه ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩)﴾ خذوا كتابي فاقرؤوه ابتهاجاً وسروراً بما فيه من النجاة.

- ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠)﴾ كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة.

- ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١)﴾ مرضية جامعة لما تشتهيه الأنفس.

- ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢)﴾ رفيعة القصور.

- ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣)﴾ قريبة يتناولها أحدهم وهو قاعد ومضطجع على سريره.

- ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يقال لهم ذلك في ذلك اليوم ﴿هَنِيئًا﴾ لا تكدير فيه ولا تنغيص ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾ بسبب ما قدمتم من الأعمال الصالحة في الدنيا.

- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ بيده الشمال ﴿فَيَقُولُ﴾ حزناً وكرباً لمَّا رأى سيئاته ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥)﴾ لم أعطه.

- ﴿ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ ﴾ ولم أعرف حسابي.

- ﴿ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ ﴾ الموتة الأولى.

- ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ ﴾ لم يدفع عني المال شيئاً من عذاب الله تعالى.

- ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩ ﴾ ذهب واضمحل فلم ينفع من ذلك شيء.

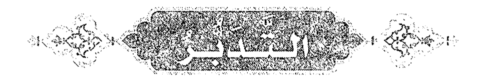
- ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ﴾ اجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال.

- ﴿ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ﴾ قلّبوه على جمرها ولهبها.

- ﴿ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢ ﴾ السلسلة حلق منتظمة من سلاسل الجحيم في غاية الحرارة، قال سفيان: بلغنا أنها تدخل في دبره، حتى تخرج من فيه.

- ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ ﴾ لا يقوم بحق الله تعالى من عبادته.

- ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤ ﴾ ولا ينفع خلقه فيؤدي حقهم.



١ ـ حمل أثقال الحق في زمن مؤذنة بشرف النهايات عند وقوع أحداث العذاب والفتن ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١ ﴾.

٢ ـ إذا كنت مع الله تعالى فلا تسل عن فرج النهايات ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١ ﴾ وإذا تصورت مشهد السفينة في حال طغيان الماء أدركت ما تصنع الاستجابة بأصحابها حين حلول المضائق.

٣ ـ إذا ضاقت الطرق، وأقفلت الأبواب، ودقت ساعات الخطر فتلك اللحظة مؤذنة بميلاد فجر الأمل وذهاب حالك الظلام ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾.

٤ ـ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ اصنعوا من أيام الرخاء مباهج النهايات.

٥ ـ لا تيأسوا! فكم من لحظة ظلام أتى عليها الفجر بالأحلام ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾.

٦ ـ إذا بلغ اليأس مداه لقيه الفأل على جناح طائر بالبشرى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾.

٧ ـ من سوء الظن بربك أن ترى أنه لا ينجيك في ساحات الكرب والضيق ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾.

٨ ـ ألطاف الله تعالى تأتي حين الشوق إليها ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾.

٩ ـ في ثقب الإبرة طريقٌ للنجاة ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾.

١٠ ـ ما كل سامع للحقائق بمطرق لها، ولا كل أذن واعية لما يقال ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

١١ ـ صلاح القلب، وسلامة المقاصد كفيلان بصناعة وعي الأذن، وكم من قول كثير جميل شوَّش عليه فساد القلوب، وسوء مقاصدها فلم يلق أذناً واعية لاستقباله والاحتفاء به. ترى اثنين في مجلس واحد وكلاهما يستمع الحق هذا عينه تذرف، وذاك عابث كأنه لم يسمع شيئاً ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

١٢ ـ إذا أردت أن تنتفع بالوحي فاقرأه قراءة واعٍ لحرفه مستقبل لمباهجه منتظر لآثاره وسترى الفرق! ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

١٣ ـ إذا رأيت من نفسك إقبالاً على محارم الله تعالى، واستثقالاً لطاعاته، وعدم تعظيم لشعائره فتذكَّر لحظات الحسم والجزاء ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾﴾.

١٤ ـ مساكين أولئك الذين يجهدون من أجل الدنيا ثم ما تلبث أن تزول في لحظة واحدة ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾﴾ ليتهم يدركون..!

١٥ ـ كم من مستور في الدنيا مفضوح في الآخرة! يا ليتنا ندرك العواقب قبل الفوات..! ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾﴾.

١٦ ـ في معترك الحياة وهدير واقعها المحموم بالفتن والشهوات قد ننجح في الاستتار من عوارها من خلال أسماء مستعارة، ومعرِّفات وهمية، وأرقام سرية ويوم القيامة تُكشف كل تلك الأستار ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾﴾.

١٧ ـ كم بين الإنسان وبين هذا الإعلان المدوِّي، والفرح المثير على رؤوس الخلائق في ساحات القيامة! ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾﴾ كم من جهد خلَّف هذه النهايات في حياة صاحبه! وا شوقاه للعمل!

١٨ ـ وضوح الطريق يصنع مباهج النهايات ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾﴾ يقين الإنسان بلقاء ربه، وإدراكه لسر وجوده، وإيمانه بالجزاء والحساب يشرف به في النهايات على هذه الأفراح.

١٩ ـ ما أحوج الناجحين والفائزين وأصحاب الأفراح إلى من يشاركهم لذائذ هذه اللحظات ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾﴾ حتى في ساحات القيامة احتاج من يشاركه هذا الهتاف.

٢٠ ـ إذا حسنت النية فلا حرج أن تذكِّر الآخرين بجزء من أسرار نجاحك، ودع سجل الإنجازات حافلاً بالفرح والإعلان والبهجة بأحداثه إلى يوم النتائج الكبرى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ ﴾.

٢١ ـ الغفلة تكتب على أصحابها خواتم الخذلان ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ما أشد حسرات المفرطين، وتمنياتهم بعد الفوات..!

٢٢ ـ ما أكثر خسائر المال والسلطان في حياة أصحابها..! ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ وكل نعمة لم تُستثمر في طريقها الصحيح كانت سبباً في الحرمان.

٢٣ ـ النفوس مجبولة على الطغيان، ولذا غالباً ما تستثمر قدراتها وإمكاناتها وطاقاتها في ذلك الطريق ما لم تتحصَّن بالإيمان، وتلوذ بالتقوى، وتواجه ذلك بمواعظ الوحي.

٢٤ ـ الدين حلقة متصلة تؤدي دورها في التعامل مع الله تعالى، وتقوم بواجباتها مع الخلق دون تعدٍّ أو تفريط ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ ﴾ وأكثر الخلل ناشئ من سوء فهم في معنى العبادة لدى كثيرين.

٢٥ ـ الرحمة بالخلق فجاج واسع إلى رضا الله تعالى، وسد منيع من سخطه وعقابه ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ ﴾ وكم من لزم صاحب حاجة بالمعروف فكانت خبيئة صالحة له في يوم الحاجات!

❀ ❀ ❀

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

التفسير

- ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ فليس له يوم القيامة في الآخرة قريب ينفعه أو يشفع له.

- ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ صديد أهل النار ومـــا اجتمع فيه من الحرارة والمرارة ونتن الريح وقبح المنظر.

- ﴿ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ أصحاب الخطايا وأرباب الذنوب.

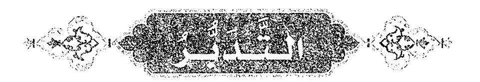
- ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ ما تشاهدون.

- ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وما لا تشاهدون.
- ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ أي القرآن الكريم فإنه تلاوة رسول كريم، والمراد رسول الله ﷺ، فإنه مبلغ عن الله تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما تزعمون لأنه ليس من أصناف الشعر.
- ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ قليلاً ما تصدقون بما ظهر صدقه وبرهانه.
- ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ كما تدعون أنه من سجع الكهان ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ قليلاً ما تتعظون وتعتبرون.
- ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي القرآن الكريم منزَّل من رب العالمين.
- ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ لو أن رسول الله ﷺ كان كما تزعمون مفترياً علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عند نفسه فنسبه إلينا لعاجلناه بالعقوبة.
- ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ قيل: لا نتقمنا منه باليمين لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذناه بيمينه.
- ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الوتين نياط القلب، وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب إذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه.
- ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فما يقدر أحد منكم أن يحجز بيننا وبينه.
- ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ أي القرآن يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم من العلم النافع والعمل الصالح.
- ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن.

• ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾ إن التكذيب سيكون حسرة على الكافرين في ذلك اليوم.

• ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٥١﴾ أي القرآن الكريم بما فيه من الخبر الصادق الحق الذي لا مرية فيه.

• ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢﴾ نزِّهه عما لا يليق به من النقائص.



١ ـ الخائضون في دين الله تعالى بلا بصيرة، والقائلون على الله تعالى بلا علم معرّضون لأبشع وعيد ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦﴾.

٢ ـ كم من أثقال الفتوى على ظهور المتعالمين يوم القيامة..! ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦﴾ ما لنا ولها! يستفتون فنجيب، فينزلون أثقالهم على ظهورنا ويذهبون، وكم من فتوى أحتاج صاحبها يوم القيامة إلى خلق معاذير..!

٣ ـ كم من فتوى جعلت صاحبها في موقف استعلاء بعلمه في الدنيا، وأوردته ذل النهايات يوم القيامة..! ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦﴾.

٤ ـ (لا أدري) ستر واقٍ عن حمل كثير من أوزار المستفتين، من تستَّر بها لقي الله تعالى خفيف العاتقين.

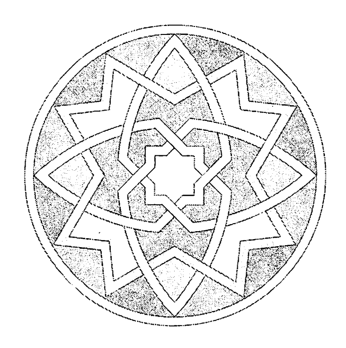
٥ ـ بِمَ يجيب القائلون على الله تعالى يوم القيامة بلا علم؟ ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦﴾ إذا كان هذا الوعيد

لرسـوله ﷺ وأعظم خلقه فما بالك بغيره من الخلق! نسـأل الله تعالى السلامة والعافية.

٦ ـ إذا لم تصادف مواعظ القرآن قلوباً صالحة فلا تنتظر فيها مباهج الربيع ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

٧ ـ الإرهاق النفسي والإحباط الذي يواجه الدعاة، والمصلحين، وصنَّاع الحياة يأتي غالباً من ضعف فقـه الوحي، وفي قـول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ دعـوة لإدراك طبيعة الواقع، وأن ثمة خلـق لا يمكن أن تأتي عليهم الدعوة بشيء.





سُورَةُ المَعَارِج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

التفسير

- ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ دعا داعٍ من الكافرين بعذاب ينزل عليهم تكذيباً لوعد الله تعالى.
- ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ هذا العذاب عليهم ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ لا يدفعه عنهم أحد.
- ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ واقع من جهته سبحانه وتعالى ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ ذو العلو والجلال والعظمة.
- ﴿تَعْرُجُ﴾ تصعد إليه ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ جبريل ﴿إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ مدة موقف العباد للحساب.

• ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه ﴿صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ لا شكوى فيه ولا جزع.

• ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾﴾ وقوع العذاب وقيام الساعة.

• ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ نعلمه كائناً قريباً.

• ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾ كالرصاص المذاب.

• ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ كالصوف المنفوش.

• ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ لا يسأل القريب قريبه عن شأنه في ذلك اليوم لشدة ما يراه من الهول.



١ ـ التطاول على الله تعالى أثر من آثار الغفلة، وَقَلَّ أن تجد مضيعاً لحقوق الله تعالى إلا وهو يرزح في أمراض الغفلة، وينوء بأثقال الذنوب والمعاصي ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ لو لم تأخذ الغفلة حقها من قلب هذا لما كان هذا السؤال في قضية حسمها القرآن في باكر نزوله.

٢ ـ ليس من وعد لرسل الله تعالى وهم يكابدون الطريق، وينوؤون بأثقاله ويحملون مشاقه من فجر الدعوة إلى انقضاء مدة الرسالة إلا الصبر. وهو الإرث الباقي لحمَّال المهمة بعد الرسل إلى يوم الدين. ومن سار على الطريق عليه أن يستعين بذات الزاد إلى حين اللقاء ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾.

٣ ـ العجلة، والجزع، والنوح المثرِّب على تأخُّر الثمار ليست من شأن أصحاب المشاريع! من شأن الكبار الصبر، والصبر الجميل الذي تصحبه الطمأنينة

ويحدوه الفأل، وترافقه السكينة بوعد الله تعالى بالتمكين في العواقب والنهايات ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾.

٤ ـ ليس من شأن الدعوة تصفية الحسابات مع الخصوم، ذاك شأن أصحاب العاجلة الذين يكابدون من أجل حظ عاجل فحسب! الدعوة مشروع لا يحمل لمستقبليه سوى الهداية التي يسعدون بها في الدارين ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ فإن قبلوها فذلك عاجل بشراهم، وإن رفضوها فذاك شأنهم لا شأن الدعاة والمصلحين.

٥ ـ استبطاء النهايات فرع عن ضعف النفوس ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦﴾ وقل أن يصل إلى نهايات الطريق أحد من المستعجلين! طرق الأحلام والأماني بعيدة المدى، كثيرة المشاق، ثقيلة التكاليف، ولا يثبت في الطريق إليها إلا الكبار!

٦ ـ ما طال طريق على سائر! وإذا دهمك اليأس، وأمضك الانتظار، وكلّت راحلتك من المشي فأسمعها شيئاً من حادي الطريق ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾.

٧ ـ كم من آصرة وشيجة أتت عليها القيامة بالانفصال..! إذا أردت أن تستوعب صور القيامة فانظر إلى أم رؤوم في ساحاتها ترى ولدها في لجج الغرق ولا تلوي عنقاً إليه ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾.

٨ ـ السؤال عن الأرحام والأقارب والأصدقاء روح الحياة وألقها وجمالها المشاعري يجب ألا يضيع من حياتنا إلا في لحظات القيامة الكبرى ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾.

٩ ـ لعظم أواصر الرحم في قلوبنا عبَّر الله تعالى عن عظم يوم القيامة وشدة أهواله بفقدانها ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾.

يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

التفسير

• ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يرونهم في ذلك اليوم ويعرفونهم ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ يتمنى ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ من عذاب يوم القيامة ﴿بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾ بأبنائه.

• ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾﴾ إخوته.

• ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ قبيلته وعشيرته ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾ التي تنصره وتضمه إليها عند الشدائد.

• ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يتمنى المجرم لو افتدى يوم القيامة بمن في الأرض جميعاً ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ يخلصه ذلك من العذاب.

• ﴿كَلَّآ﴾ لن يصل إلى ما يتمنى ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ أي النار تتلهب نيرانها.

• ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ تبري اللحم والجلد من شدة لهبها.

• ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ أي النار تدعو المدبرين والمتولين عن الحق في الدنيا إلى الوقوع فيها تدعوهم بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر، يخلق الله تعالى الكلام في جرم النار حتى تقول صريحاً: إليّ يا كافر! إليّ يا منافق! ثم تلتقطهم التقاط الحب!

• ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ جمـع المال فجعله في وعاء وكنـزه ومنع حق الله تعالى فيه.

• ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ قليل الصبر شديد الحرص، وما بعده تفسير له.

• ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ إذا أصابه الضر من المرض والفقر ونحو ذلك ﴿جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾ اشتد جزعه وخوفه واضطرابه.

- ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ ﴾ من النعم والخصب والسعة ﴿ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها.
- ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المقيمين للصلاة فإن توفيق الله تعالى لهم عظيم.
- ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ المداومين على صلاتهم، والمحافظين عليها في أوقاتها والقائمين بشروطها، وواجباتها، ومكملاتها.
- ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ نصيب مقرر.
- ﴿ لِّلسَّآئِلِ ﴾ الذي يتعرَّض للسؤال ﴿ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ المتعفف الذي أدبرت عنه الدنيا فلا يسأل الناس شيئاً، ولا يتفطن له فيتصدق عليه.
- ﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ ﴾ يؤمنون بالمعاد والجزاء والحساب.
- ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ خائفون وجلون.
- ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله تعالى أمره.
- ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فلا يوقعونها فيما حرَّم الله تعالى عليهم.
- ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ ﴾ من الإماء ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ غير مؤاخذين في ذلك.
- ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ غير الزوجة وملك اليمين.
- ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ المتجاوزون لما أحل الله تعالى.
- ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ ﴾ لم يخونوا ﴿ وَعَهْدِهِمْ ﴾ إذا اؤتمنوا وإذا عاهدوا لم يغدروا ﴿ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ محافظين عليها.

• ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣)﴾ محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها.

• ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤)﴾ على مواقيتها وأركانها وواجباتها وسائر ما يتعلّق بها.

• ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥)﴾ بأنواع الملاذ والمسار.

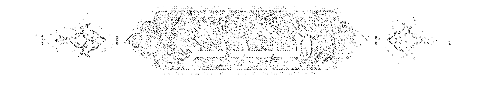
• ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦)﴾ مسرعين إليك، وهذا الإسراع إما للتكذيب، وإما للعيب والاستهزاء، فتراهم مسرعين إليك، مادين أعناقهم للسماع دون استفادة أو حصول غاية، وقيل مهطعين أي معرضين.

• ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ عن يمين النبي ﷺ وعن شماله.

• ﴿عِزِينَ (٣٧)﴾ جماعات متفرقة.

• ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨)﴾ أيطمع هؤلاء وهم على هذا الحال من الفرقة والاختلاف في دخول جنات النعيم.

• ﴿كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩)﴾ من المني الضعيف.



١ ـ الأصل في الإنسان أنه مجبول على النقص ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١)﴾ والإيمان يصنع مدارج الكمال في كل إنسان.

٢ ـ الإيمان ليس كلمة يتلفظ بها لســان، ولا فكرة تأخذ حظها من التجربة، ولا شعائر تُؤدَّى في أثواب العادة، وإنما منهج حياة يبني شخصية صاحبه، ويأخذ به لمواطن الشرف والكمال. لولا هذا المعنى لما كان للإنسان قيمة في واقعه، ولا أثر له في مستقبل أيامه ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾.

٣ ـ الانضباط في الصلاة أول الطريق إلى عالم السكينة والراحة والطمأنينة ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٤ ـ إذا دهمك القلق، وكثرت مشكلاتك، وزاد جزعك، وامتدت لحظات اليأس في حياتك فليس أمامك سوى إعادة النظر في صلاتك وإصلاح واقعها من جديد ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٥ ـ الشعور بالآخرين وسيلة من وسائل الاستقرار الروحي ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾.

٦ ـ الإيمان باليوم الآخر أكثر الوسائل أثراً في ثراء الحياة الطيبة ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٧ ـ أرض المحرومين هي الأرض التي لا تأخذ الزكاة فيها واقعها، ولا تمتد فيها يد العطاء للمحتاجين ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾.

٨ ـ إذا رأيت متثاقلاً في الطريق، بارداً في العمل، متخلفاً عن ساحات الجهاد فتلك موارد الإيمان جفَّت من قلبه فامتدت على إثرها مساحات الصحراء ﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٩ ـ كانت مجالس الوعظ عند الكبار مجالس إيمان (تعال بنا نؤمن ساعة) فصنعت منهم أجيالاً لن تتكرر، وتحوَّلت في حياتنا إلى ترف ثقافي فترهَّلت قلوبنا للدرجة التي لم تعد قادرة على حمل تبعات الإيمان ﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ ﴾ والتصديق أثر لتلك المواعظ، ومساحة باسطة واقعها من ربوع ذلك الفيض.

١٠ ـ من أكثر الحقائق فزعاً تلك التي يقررها الوحي ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ ﴾.

١١ ـ في مثل زماننا تستحق كل لحظة عفة أن يقام لها حفل زفاف ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

١٢ ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ لم تعد وراء الجدران، وفي لحظات الظلام، بل تحولت إلى شريعة بأسماء مستعارة، وعاد الحرام كلأً مباحاً يكفي فيها فتيا جاهل في وسائل التواصل الاجتماعي.

١٣ ـ ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ قطع لكل الحيل والأوهام ومسارب الضلال التي تلبس ثياب التقى ظاهرياً وهي عارية من كل أوجه الحياء.

١٤ ـ صور الاعتداء على الشريعة لا حصر لها في الواقع، ومن أكثرها شيوعاً في زماننا ما يتعلَّق بشهوات الفروج ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

١٥ ـ الإسلام منهج حياة يأتي على تنظيم حياة الإنسان من كل جانب فيرتب ما بينه وبين ربه ﴿ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ويخلق فيه

الفاعلية مع من حوله ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ ويدرب صاحبه على العفة ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾﴾ ويرعى الحقوق المكلف بها الفرد في واقعه ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وكلما أمعن الإنسان في التأمل زادت مباهج الغبطة بهذا الدين في حياته.

١٦ ـ يربِّي الإسلام على التوازن، ويخلق شخصية متكاملة في وعيها وأدوارها المختلفة في الواقع ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وغالب الخلل في حياة الناس يأتي من اختلال هذا المفهوم في واقعهم.

١٧ ـ تعطي السورة ملامح مثيرة من جمال هذا الدين من حيث تكامله، وتوازنه ورعايته للحقوق على اختلافها وتنوعها، ولو عُرض الإسلام منهج حياة للآخرين من خلال هذه السورة فقط لكان حدثاً مثيراً في واقعهم مع الأيام.

١٨ ـ لو أدرك كل مسؤول معنى هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ لتقاسمت الأمة حقوقها من أوطانها بإنصاف! كم من مسؤول حابى في حق وينوء بأثقاله بين يدي الله تعالى في ساعات الحساب!

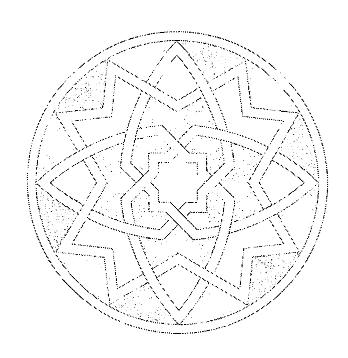
١٩ ـ المجتمعات المتحضرة تلك التي تقوم بحقوق خالقها وحقوق الآخرين في ذات الوقت، وكل شقاق بين هذين الحظين في واقع ما هو انشطار في مفاهيم هذا الدين.

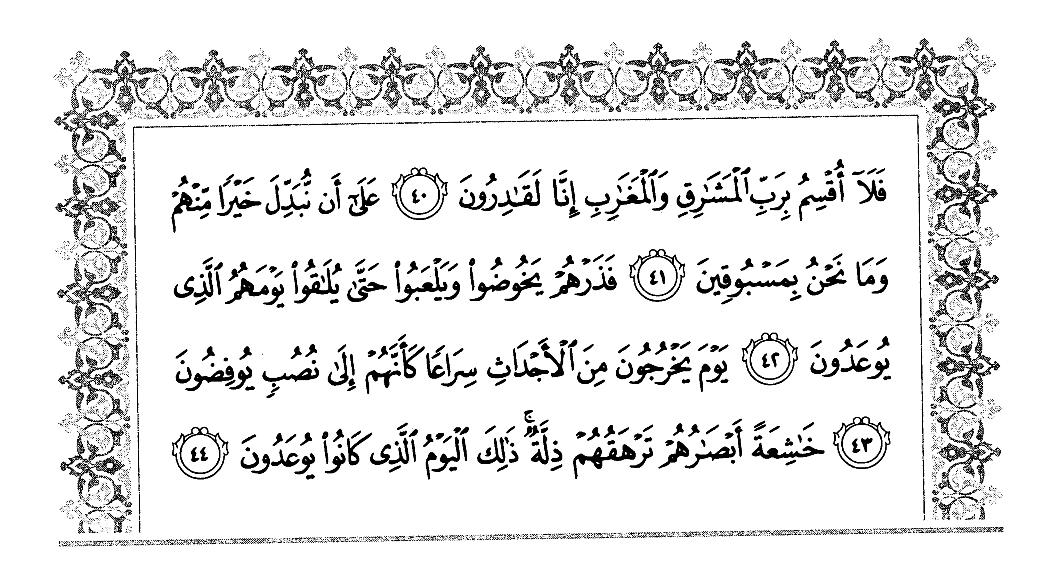


٢٠ ـ الشهادة جزء من الالتزام بالمنهج أياً كانت علاقتها بالآخر، وهي دليل على صدق الالتزام بالحق ووعي الإنسان بمسؤولياته ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

٢١ ـ كل المكتسبات التي يحوزها الإنسان في حياته إذا لم تعانق به الجنان فلا قيمة لها في شيء ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾ ويظل الفوز الحقيقي، والنصر الكبير وقفاً على عناق هذه الأماني في تاريخ صاحبها.






فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

التفسير

- ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ مشرق كل يوم من أيام السنة ومغربه ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ نخلق أمثل وأطوع لله منهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ بعاجزين.

- ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يوم القيامة.

- ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعًا﴾ مسرعين ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ كأنهم إلى عَلَمٍ أو غاية يسعون.

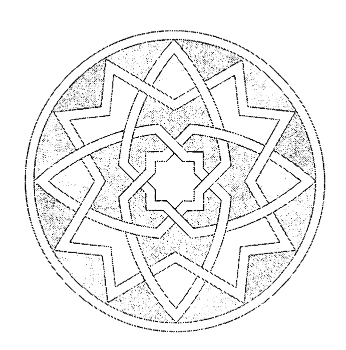
- ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ خاضعة ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ تغشاهم ذلة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يوم القيامة وما فيه من الجزاء والحساب الذي وعد الله تعالى بلقياه.



التدبر

١ ـ لا تكترث بالمعرضين من حولك، ولا تلقِ لهم بالاً في طريقك، ثمَّة موعد يجمع الفريقين في ســاحات القصــاص ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

التفسير

- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ لدعوتهم إلى الحق ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ بلغهم وحذِّرهم ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ شديد، وهو إما الطوفان أو النار.
- ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ محذِّراً لكم من عقاب الله تعالى ﴿مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ عن ما فيه نجاتكم وخلاصكم من العذاب.

- ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أفردوه بالعبادة ووحّدوه ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ اجعلوا فيما بينكم وبين عذابه وقاية؛ بفعل أوامــره واجتناب نواهيه ﴿وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ فيما آمركم به.

- ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ يعفو عنها ويسترها على معنى أن «من» هنا تأتي بمعنى عن، وقيل أن «من» زائدة للتوكيد، وقيل بل هي تبعيضية فيكون المعنى يغفر لكم بعض ذنوبكم ذنوب الإشــراك وما معه، أو الذنوب الســابقة دون المتأخــرة القادمــة ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يمــد في أعماركم ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ أن ما قدره لكم إذا جاء وأنتم باقون علــى الكفر لا يؤخَّر بل يقــع لا محالة، فبادروا إلى الإيمان والطاعة قبل حلول الآجال.

- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى﴾ إلــى ما يقربهم إليــك ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾ في الليل والنهار من غير تقصير ولا توانٍ.

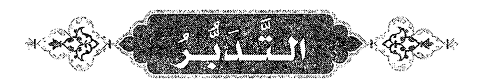
- ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ نفوراً وإعراضاً عن الحق الذي دعوتهم إليه.

- ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ كلما دعوتهم إلى أسباب المغفرة من الإيمان والطاعة لك ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ لكيلا يسمعوا هذه الدعوة ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ غطوا بهــا وجوههم حتى لا يروني أو يســمعوا كلامي ﴿وَأَصَرُّوا۟﴾ على الكفر والعصيان ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن قبول الحق ﴿ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ غاية الاستكبار.

- ﴿ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨﴾ ظاهــراً مــن غير خفــاء ﴿ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ صرخت وصحت بالذي أمرتني به.

- ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ فيما بيني وبينهم في خفاء.

• ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ سلوه المغفرة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ كثير المغفرة لمن تاب واستغفر.



١ ـ هذه السورة تصف لنا وقائع المعركة بين الحق والباطل، معركة العقيدة التي يديرها نبي الله تعالى نوح عليه السلام مع الخرافة والأوهام التي يديرها المخدوعون بالأوهام والخرافات. معركة يبدو في أحداثها كيف يعيش الدعاة والمصلحون لدعوتهم! ويحيون لها! ويبذلون لها كل شيء! ما دور الأفكار الحية في الواقع! وكيف تكون هذه الأفكار جزءاً من صاحبها لا تنفك عنه في شيء! معركة في المقابل تبين أثر الأفكار المشوهة وكيف أنها هي كذلك تتخذ لها أنصاراً يعيشون لها ويدفعون من أجلها كل شيء! ولن تتخيّل الولاء لفكرة إلا إذا تخيلت الزمن الذي بذل فيها ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولن تتخيّل العداء لذات الفكرة إلا تخيلت ذات الزمن المصروف لعدائها.

٢ ـ الأفكار الحية لا تستمد حياتها من خلال الواقع الذي تعيش فيه، وإنما تستمد تلك الحياة من خلال صدق أصلها، وصحة منشئها، ونسبها العريض في دين الله تعالى! كم من فكرة حين تراها لأول وهلة فترى لها بريقاً لامعاً، ثم ما تلبث أن تُجْتَثَّ من على الأرض، وتموت لضعف أصلها، وهشاشة نسبها بالوحي. إن أي فكرة أراد لها الإنسان الحياة لا بد أن تولد من رحم هذا الدين قبل أن تخرج للأرض تبحث عن الهواء الذي تتنفَّس به ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ لم يكن نوح هنا يعرض فكرة شخصية رأى

فيها الحياة لذلك الواقع الذي يعيش فيــه، وإنما مبعوث بدين أراد الله تعالى أن ينشئ أجيالاً عليه في قادم الأيام.

٣ ـ في السورة مدد روحي، ومشاعري، ووجداني لكل السائرين في الطريق! إنهم ليســوا وحدهم رغم ما في الطريق من لأواء. إنهم يســيرون في موكب الشرفاء والكبار وصُنَّاع الحياة من زمن نوح إلى تاريخ لحظتهم التي يعيشون فيها. يكفي هذا المعنى ســقاء للأرواح الظامئة، والنفوس المتلهفة، والأجساد التي أضناها طول الطريق وأمضها أمد الانتظار ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾.

٤ ـ الحقيقة واحدة لا تتجزأ! هي هذا الدين، وكل ما عداه باطل لا واقع له! ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ يكفي هذه الحقيقة أنها هي التي بعث بها الخالق، وأرادها لخلقه، وجعلها ديناً يتعبَّد به في العالمين. وما عدا ذلك من الأفكار، والمفاهيم، والتصورات التي يرى فيها الناس شيئاً من الحياة هي باطل لا قيمة له.

٥ ـ رحمة الله تعالى بخلقه فلم يتركهم يتلقون هذا الدين بأفرادهم وإنما أرســل إليهم الأنبياء، وبعث فيهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب وأوصل لهم دينه وشرعه، وأقام عليهم الحجج بكل طريق ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾.

٦ ـ مستقبل الإنسان ونجاحه وتحدياته لا تقاس من خلال جهود وأحداث ومظاهر مفصولة عن حقائق هذا الديــن، وإنما تقاس من خلال تحقيــق غايات الوحي الكبرى ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾.

٧ ـ ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ هي الغاية من مشاريع الإصلاح التي تشيَّد في واقع الأرض! وكلما استوثقت المشاريع من هذه الغاية نالت حظها من التوفيق.

٨ ـ الاستغراق الشعوري في المشروع يستفرغ وسع صاحبه في استثمار كل الوسائل الممكنة لبلاغ تلك النهايات التي يرجوها ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾.

٩ ـ الحضارة ليست هي هذا العمران الذي يعانق السحاب، ولا هذه المدنية المترفة في النعم، إنما هي استقرار حقيقة الإيمان وقيمه ومبادئه في قلب إنسان ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ ﴾ هذه التي صرف لها نوح من عمره ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما أشرقت الأرض إلا على ندائها ولن تغرب شمس الكون إلا على مباهجها. يا ليتهم يدركون!

١٠ ـ ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ أحد مباهج الدعوة العاجلة والآجلة غفران الذنوب؛ سترها ومحوها والتخليص من آثارها في الآخرة، وخلو الحياة من مكدراتها، والعيش في باحات السعادة، وفضاءاتها الكبيرة كما يشاء أصحابها.

١١ ـ الدعوة من أعظم المشاريع أثراً في الواقع! يكفيها أثراً أنها تدل الناس على ربهم، وتبين الغايات التي خلقوا من أجلها، وتسعى لفكاكهم من آثار التخلُّف عنها، ولذلك كانت مشروع الرسل والأنبياء.

١٢ ـ لا يمكن للدعوة أن تصبح مشروعاً لصاحبها حتى لا يشعر بما يبذل فيها، وكذلك كل مشروع. وإن نفساً تحسب جهدها، وتَعُدُّ تكاليفها فيه لن تلقى هي في ذاتها ألقاً لذلك الفن الذي تجد نفسها فيه فضلاً أن يلقاه أولئك المنتظرون في جنبات الطريق. إن الصورة التي يعرضها القرآن لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في ثنايا هذه السورة تُعطي تصوُّراً واضحاً للعلاقة التي يجب أن تكون بين المشروع وصاحبه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ

لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ لا تدري هنا ماذا تحسب! هل تحسب مشاعر الداعية وهو يخوض رحلة دعوته، أو تحسب تكاليف الجهد والعناء خلال تلك الرحلة، أو تحسب الزمن الطويل الذي استغرقه هذا المشروع في واقع الأرض.

١٣ ـ الاستغراق في المشاريع شرط لنجاحها، وأصل في تحقيق غاياتها، وما لم يصل صاحب المشروع إلى هذا المعنى فلن يصل إلى كبير غاية ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾.

١٤ ـ ليست الثمرة هي معيار النجاح! لو كانت كذلك لكان الأنبياء وأولي العزم خاصة هم أحق بهذا الشرف من غيرهم! المعيار الذي يجب أن تحاكم إليه الدعوات والمشاريع هو استنفاد كافة الطاقات والقدرات الممكنة في سبيل الوصول إلى غاياتها وأهدافها وآمالها فحسب ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ وفي الحديث يأتي النبي ومعه الرجل، ويأتي النبي ومعه الرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد.

١٥ ـ العقبات والصعاب والظروف العاثرة هي التي تصنع واقع المشاريع المثير، وتكتب حظها من الثبات ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ

وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ لولا هذه الظروف والعقبات لم يستنفد نوح عليه السلام هذه الطاقات والقدرات والإمكانات والوسائل في سبيل تحقيق مقصوده. ولا اكتفى بأدنى من ذلك، غير أن من حسنات هذه الظروف أنها تستفز هذه الطاقات، وتستنفر هذه القدرات إلى أقصى حد ممكن. وكم هي المشاريع التي لولا عقباتها لما عانقت نهاياتها.

١٦ ـ المشاريع الضخمة تحتاج إلى جهود ضخمة، والأفكار الكبيرة تحتاج في المقابل إلى طاقات وإمكانات كبيرة. فرق كبير بين مشروع ينفق فيه صاحبه ألف سنة من عمره، ويستغرق فيه أوقاته، ويبذل فيه فكره وجهده ومشاعره، ومشروع يشح من وقته، ويكفيه من الفتات. فرق في العمل والفكر والجهد وفرق في ذات الوقت في النتائج والآثار العائدة على صاحبه في الدارين.

١٧ ـ القناعة بالمشاريع تصنع فروقاً مثيرة في النتائج! وكم من مشروع ظل بهيجاً في الأرض لقناعة صاحبه به رغم الظروف والعقبات والصعاب التي واجهت طريقه! وكم من مشروع تهدَّمت أركانه، وتصدعت جدرانه من أول عقبة عرضت له في الطريق! إن القناعات هي التي تحمل مشاريع أصحابها وتسير بها في فجاج الأرض على أكتافهم لا يجدون مضها، ولا يشعرون بشيء من حملها وأثقالها. وهي في ذات الوقت التي تقعد بمشاريع آخرين في منتصف الطريق تتسوَّل المارة عوناً، وتشتكي ضعف قوامها وقلة حيلتها أمام الجماهير.

❀ ❀ ❀

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

التفسير

- ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم﴾ بالغيث ﴿مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ متتابعاً.
- ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ يكثِّر أموالكم وأولادكم ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين الدنيا ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ جارية.
- ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ لا تخافون الله تعالى ولا تجعلون له قدْراً .
- ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ خلقاً من بعد خلق بدءاً بخلقكم في بطون أمهاتكم وانتهاءً بآخر أعماركم ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ متطابقة بعضها أعلى من بعض.
- ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ منوِّراً لوجه الأرض في ظلمة الليل ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ كالمصباح لأهل الأرض.
- ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ أنشأكم منها ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ في الأرض بعد الموت.
- ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ للجزاء والحساب.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ مبسوطة وممهدة مهيأة لكم.
- ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ طرقاً واسعة مختلفة.
- ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ شاكياً لربه ما لقيه من قومه من العصيان فيما أمرهم به ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ عصوا رسولهم واتبعوا الملأ والأكابر منهم الذين لم تزدهم أموالهم وأولادهم سوى الضلال والهلاك.

- ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢﴾ كبيراً عظيماً في معاندة الحق وأهله ﴿وَقَالُواْ﴾ قال الرؤساء للأتباع ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ لا تتركوا عبادة آلهتكم من الأصنام.

- ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ هذه أسماء رجال صالحين ماتوا فزيَّن الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم ليروهم فينشطوا للطاعة، ثم طال الأمد وجاء غير أولئك القوم، فقال لهم الشيطان: إن أسلافكم كانوا يعبدونهم ويتوسلون بهم، فعبدوهم من دون الله تعالى.

- ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤﴾ دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم ألا تزدهم إلا خسراناً ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ﴾ من أجل خطاياهم وبسببها ﴿أُغۡرِقُواْ﴾ أغرقوا بالطوفان ﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ عقب ذلك، وهي نار الآخرة.

- ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥﴾ لم يجدوا لهم أحداً يمنعهم مما حل بهم من العذاب والنكال.

- ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ لا تترك أحداً يسكن الديار ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ﴾ عن طريق الحق والهدى ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا﴾ بترك طاعتك.

- ﴿كَفَّارٗا ٢٧﴾ لنعمتك.

- ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ دعاء لنفسه ووالديه ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ عامة إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ٢٨﴾ خساراً.

التَّدَبُّر

١ ـ ما أكثر مباهج الدعوة على مستقبليها! إنها لا تكلفهم سوى الاستجابة، ثم تعود عليهم بما يشتهون ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾.

٢ ـ الاستغفار اعتراف بالذنب، وإقرار بالخطيئة، وهو في ذات الوقت يرسم صورة لضعف المخلوق، ويبين عن حاجته القصوى لخالقه، ويأتي في الخاتمة بمباهج الحياة كلها لصاحبه ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾.

٣ ـ ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ دعوة للفأل والأمل، مهما بلغ ذنبك، وعظمت خطيئتك، وكبر جرمك فالاستغفار آتٍ على كل ذلك. كم من أمل موقوف على الاستغفار..!

٤ ـ ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ ما لكم لا تعظِّمون ربكم ولا تقومون له بحق! ما أحوج قلوبنا إلى هذا العتاب! تُرى كم هي المرات التي كانت نفوسنا بحاجة إلى هذا الجرس المشاعري! كم مرة سقطت نفوسنا في وحل الخطيئة، واستهانت بجلال خالقها، وعاشت في الحرام وكانت أحوج ما تكون إلى سماع هذه الرسالة ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾. ما أرق هذا العتاب على قلوب المتقين! وما ألظاه على قلوب المخطئين!

٥ ـ ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ تخاصم المتخلفين عن واجبات الله تعالى، والواقعين في حياض الحرمات، وتعظ قلوباً تجهل عظمة ربها فلا تمنحه قدراً، ولا تقيم له وزناً، وهو آخر شيء في الاهتمامات.

٦ ـ ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ اقرأ مراحل نموك وتأمل مسيرة خلقك تكفيك للتعرُّف على ربك من كل الأدلة المبثوثة في الكون من حولك.

٧ ـ من دلائل تعظيم الإنسان لربه الأدب في خطابه ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ فأسند عصيانهم له مع أنه في الحقيقة عصيان لله تعالى، وكلما استشعرت القلوب جلال ربها زكى منها كل شيء.

٨ ـ العلم ليس نصاً محفوظاً، أو جزءاً مقروءاً، وإنما صور يزاحم بعضها بعضاً في التطبيق تقوم على إجلال الله تعالى، وتعظيم شعائره. ما أكثر حرف العلم عند قوم وما أقل عوائده عليهم! وما أقل حرف العلم عند آخرين وما أكثر عوائده عليهم!

٩ ـ العلم زينة! وما ركض أحدٌ في رحابه إلا ألبسه تيجان الفضيلة، وأول ما ينبئك بخبره لسان صاحبه.

١٠ ـ ما بين أن تكون تبعاً لكل ناعق وشخصاً مستقلاً أمام كل طارق ساحة العلم. أكثر ما صنع الأتباع هنا هو الجهل ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ ﴾ وهو ذاته الذي يوسِّع جموعهم في كل حين.

١١ ـ من أخطر ما يواجه الإنسان في حياته كلها فساد التصورات ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ ﴾ ظنوا أن المال والولد من دلائل التفوُّق وموجبات الاتباع.

١٢ ـ من أكبر عوائق المشاريع الإصلاحية في الأرض الكبار والمسؤولون والقادة والزعماء الذين يصنعون حمى لذواتهم، ويدفعون من أجل ذلك الحمى كل شيء ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

١٣ ـ تعظم الشهوات في نفوس أصحابها حتى تُصَيِّرَهُمْ دعاة لها في كل طريق ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾.

١٤ ـ أسوأ أنواع الشهوات شهوات النفوس حين تلبس أثواب الكبر والعلو، وتستنشق هوى ذواتها، وتدفع من أجل ذلك كل شيء ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ كل هذا من أجل نفوسهم، وحظوظ ذواتهم فحسب.

١٥ ـ إضلال الناس هو الراية التي يحملها قادة الضلال في المجتمعات. فرق بين إنسان تدثره الشهوة بالغفلة، وآخر يلبسه قادة الضلال أقنعة تمنعه من الرؤية، الأول سرعان ما يفيق، والآخر يموت وقناعه على عينيه ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾.

١٦ ـ إحياء مفاهيم الحرية، والمسؤولية الفردية، ونطاق التبعية من خلال نصوص الوحي أكثر الأدوات أثراً في مواجهة سلاطين الشهوات، وإيقاف مدهم، وحصر أفكارهم في مساحات ضيقة من الواقع.

١٧ ـ ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ هكذا يصنع قادة الضلال حتى يتمكنوا في النهاية من الحيلولة بين الناس وبين هذه الدعوة التي تواجههم كل حين. وإذا أرادت الدعوة أن تتنفَّس واقعها فعليها أن ترفع راية تحطيم القدوات الضالة، وتصحح تصورات الجماهير، وتبين أثر التبعية من خلال الوحي، وتحيي في الناس المسؤولية الفردية.

١٨ ـ أخطر الدعوات أثراً في الواقع تلك التي تركِّز على المفاهيم وبناء التصورات وتبني منظومة الأفــكار ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ صنعــوا لها تماثيل، وصــوروا لهم آلهة، وجعلــوا لهم ديناً ينتسبون إليه، فما لهم بعد ذلك ولدعاة الحق!

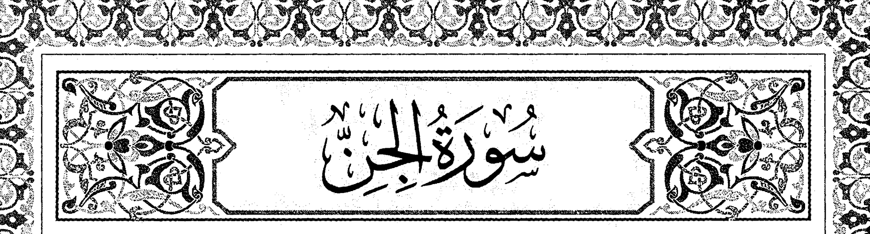
١٩ ـ توسُّــع الدعوة في أي واقع تعيش فيه مطلب ضروري، فإن لم يكن لذلك المطلب من أمل فرأس المال ضرورة أخرى يجب العناية به والمحافظة عليه بأي ســبيل ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ إن هــذه الدعوة التــي أطلقها نوح على الكافرين كان مقصودها المحافظة على رأس المال، ويبدو والله تعالى أعلم أنه لم يكن من سبيل للحفاظ على تلك الضرورة إلا بإهلاك المعرضين ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾.

٢٠ ـ الوعي بإدارة الأولويات منهج من مناهج الأنبياء ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ بدأ بالدعاء لنفسه، وثنى بوالديه، وثلَّث بالمؤمنين. وكل هذا رعاية لهذه القضية الكبيرة.

٢١ ـ لن يستغرق مشــروع مهما بلغت أهميته ومكانته وأثره في واقع هذا الزمن الذي اســتغرقه هذا المشروع، ولن يأتي واقع أســوأ من هذا الواقع الذي عاشه رســول الله نوح عليه السلام ،ومع ذلك بقي على الطريق، وأخذ على عاتقه هموم هذا المشــروع وتحمَّل تبعاته هذا الزمن الطويل، وهي رسالة في المقابل لأصحاب المشاريع، وصُنَّاع الحياة ألا يستثقلوا مشاريعهم، وأن يمضوا فيها ولو طال زمان الاســتجابة، وأن يعوا أن الطريق مكلف ومجهدة ومضن، وليس عليهم ســوى الصبر. والله المستعان وعليه التكلان ومنه الحول والطول.

❀ ❀ ❀





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

التفسير

• ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ قل يا أيها الرسـول لأمتك أن الله تعالى أوحى إليَّ على لسان جبريل ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ أستمع إلى قراءتي للقرآن عدد من الجن ﴿فَقَالُوا﴾ الجـن ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ①﴾ عجيبـاً في فصاحته وبلاغته وحقائقه.

• ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ إلى الحق والصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ صَدَّقنا أنه من عند الله تعالى ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ②﴾ لن نتخذ معه أحداً من خلقه إلهاً.

• ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ ارتفع ﷻ عظمةً وملكاً ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ③﴾ لم يكن له زوجة ولا أولاد، تعالى الله عما يقول السفهاء علواً كبيراً.

• ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ④﴾ جوراً وظلماً وزوراً.

• ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ⑤﴾ ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالؤون على الكذب في نسـبة الصاحبة والولد لله تعالى، فَصَدَّقناهم فيما قالوا حتى سمعنا القرآن، فعلمنا بطلان قولهم.

• ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ كانوا يقولـون إذا هبطوا وادياً نعوذ بعظماء هذا الوادي ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ⑥﴾ أن الجن زادوا الإنس ذعراً وخوفاً نظير اسـتعاذتهم بهم، وقيل: إن الإنس زادوا الجن رهقاً طغياناً وكبراً لاستعاذتهم بهم.

• ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ⑦﴾ أن كفار الجن ظنُّوا كما ظن كفرة الناس أنه لا بعث بعد الموت.

• ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ طلبنا خبرها كما جرت به عادتنا ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا﴾ قوياً ﴿وَشُهُبًا ۝٨﴾ ناراً من الكواكب التي يُرجم بها الشياطين.

• ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ نقعد من السماء لنتلقف أخبارها ونلقي بها إلى الكهنة ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ مانعاً من الوصول إلى ما كان يصل إليه أولاً.

• ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بسبب هذه الحراسة للسماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ خيراً بسبب ذلك.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ المسلمون العاملون بطاعة الله تعالى ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ في الصلاح ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾ فرقاً متنوعة وأهواء مختلفة.

• ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ علمنا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إن أراد بنا سوءاً ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢﴾ إن طلبنا سبحانه وتعالى فلا ينفعنا الفرار منه.

• ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ صدقنا أنه من عند الله تعالى ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ نقصاناً في أجره وحسناته ﴿وَلَا رَهَقًا ۝١٣﴾ ولا عدواناً وطغياناً وظلماً فيحمَّل ما ليس عليه.

التَّدَبُّر

١ ـ مهما بلغ وصفك لهذا القرآن سيظل أقصر من واقعه، وأقل بكثير من حقائقه! مجرد مقطع واحد أصغى إليه الجن كان كافياً في إقرارهم بِعُجْبِهِ ودهشته ﴿قُلْ

أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾ يا ليتنا نفيق لقراءة هذه الحقيقة التي أدركها الجن كل حين!

٢ ـ على قدر إقبالك يهبك الله تعالى من أثر القرآن ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾ حين أقبل الجن على سماعه بشغف ثارت في قلوبهم عجائب التنزيل.

٣ ـ القراءة التدبرية، والسماع الوجداني هما اللذان يصنعان الحياة الروحية. فرق كبير بين من يقرأ للأجر، وآخر يقرأ للحياة! وفرق مثير بين سماع الأذن، وسماع القلب. وا شوقاه للحقائق الكبرى! ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾.

٤ ـ أعظم المواعظ أثراً تلك التي يكون القرآن وسيلتها الأولى ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ مجرد السماع كان كافياً في هداية القلب.

٥ ـ كل عمل في مساحة القرآن فله نصيب من وعد الله تعالى بحفظه وبلاغ رسالته. إذا كان هذا الإطراء من الجن لكتاب الله تعالى في لحظة عارضة ما زال مثيراً من أزمان الرسالة؛ فما بالك بالمشاريع التي تقوم لإثراء واقع هذا الوحي في الأرض! ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾.

٦ ـ لن تلقى الأمة حظها الكبير في الواقع حتى تضع القرآن في سلَّم أولوياتها! ومثل ذلك الأشخاص! أدرك الجن ذلك، فبدؤوا بإجلال شأنه وتعظيم أمره، وتزكية حاله حتى تقع موعظته في قلوب قومهم مكانها ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾.

٧ ـ أقصر المسافات تلك التي حكاها القرآن بين استماعه واستجابة الجن له ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ وكلما قلصت هذه المسافة زاد حظ صاحبها من النعيم.

٨ ـ صلاح القلوب وحسن المقاصد هي الأبواب التي تُمَكِّنُ للقرآن من أخذ حظه وافياً من نفوس قرّائه ومستمعيه ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ فلو لم يكونوا قاصدين الفائدة لما صار للوحي في قلوبهم صداه، وا شوقاه للنوايا الصادقة!

٩ ـ إذا لم يكن لك وقت في التدبُّر، فلم يحن وقت اللذة في حياتك بعد ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ إن حكاية الجن لأثر القرآن في لحظة حكاية للذة التي خامرت مشاعرهم لدرجة الدهشة والألق. فكيف بمن صلحت نيته، وصدق في الطلب، وحدد وقتاً، ووضع مشروع التدبُّر في سلم أولوياته!

١٠ ـ قيمة العلم في العمل ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ وكل علم لا يترتب عليه عمل فهو هامش لا قيمة له في واقع صاحبه.

١١ ـ ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ قصة تستحق مدارس للتدريب عليها والتأهيل في مدارجها. ما أروع العمل!

١٢ ـ شرف العلم على قدر شرف المعلوم، وكلما عُنِيَ العلم بإصلاح القلوب وتصحيح العقائد علا شرفه وعظمت قيمته ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾.

١٣ ـ من توفيق الله تعالى للإنسان أن تتقلّص المسافة بين ما تعلمه وما يطبقه في واقعه ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى

ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ وكلما توسَّعت هذه المسافة توسع شقاء الإنسان وزادت فرقته وشعثه.

١٤ ـ لم تأخذ هذه الآية ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ في قلبي مساحتها الكافية حتى رأيت من لا يعرف القرآن أصلاً حين تُلِيَ عليه تحدّر الدمع فصار كالغيث الذي نزل على أرض موات.

١٥ ـ يا له من فرق! قلب يؤمن بالله تعالى لهزة القرآن في لحظة، ويتخلَّص من أغلال الشرك، ويعظِّم الله تعالى، ويجل شعائره، وآخر يسمع القرآن مراراً في كل يوم ولا يحرك ساكناً، ولا يقوم لربه بواجب ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾.

١٦ ـ إذا لم يترتب على العلم الذي تتعلمه تعظيم ربك وإجلال شأنه فلا مفروح بحرفه ولو ألبسك التيجان ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾.

١٧ ـ الأفكار الخاطئة والتصورات السقيمة لا تأخذ حظها من قلوب الأصفياء ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾.

١٨ ـ ما أسهل ما تُنسف المفاهيم التي لا تستند على قواعد الشريعة، ولا يصمد لها بنيان. آمن الجن في لحظة فأتوا على قواعد بناء أخذ حظه من عقول النصارى والعرب زمناً طويلاً ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾.

١٩ ـ لا يزيل الخرافات والأساطير من عقول أصحابها، ويجتثها من واقعهم إلا إشراقات الوحي ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١

يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾.

٢٠ ـ المنضوون تحت راية هذا الدين من أعلام الباطل لا يأتون على تصحيح التصورات في مساحة ماضيهم فحسب، وإنما يجتثون قواعد ذلك الباطل من أصلها ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾ كانت العرب تعتقد أن الملائكة بنات الله تعالى جاءته من صهر مع الجن فجاء الجن يهدمون أصول ذلك البنيان في لحظة.

٢١ ـ التركيز على رؤوس أهل الباطل وقادتهم وكبارهم، والعناية بهم، ودعوتهم لحياض الحق يختصر علينا شقة الباطل ومسافته، ويأتي على مشروع الباطل من جذره وقاعدته. وقد رأينا ذلك من خلال المهتدين من فرق الباطل، ومذاهبه في الواقع. هذه جماعة عارضة من الجن اجتثت باطلاً في قلوب كثيرين من سنين، فكيف لو كانوا رؤساء قوم، وكبار ساحة!

٢٢ ـ في كل زمان سفهاء قوم يتهكمون بالوحي، ويجرؤون على الله تعالى، ويثيرون الشبه في الطريق ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ ﴾.

٢٣ ـ معرفة أصحاب الوحي، وحمّال الشريعة في كل زمان، والتلقي عنهم أمان من الضلال، وما كان لهؤلاء الجن أن يسمعوا للعوام لولا خلوُّ الأرض من حُمَّال الشريعة ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾.

٢٤ ـ الثقة المطلقة في المجهولين والنكرات من أعظم أسباب الانحرافات التي حلت بكثيرين ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ ودين الله تعالى أكبر من أن يؤخذ من الغرباء.

٢٥ ـ من دلائل الخذلان، وضياع مقاصد الحياة الكبـرى الجرأة على الله تعالى والاعتداء على منهجه، والإسفاف في شريعته ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ استغرب الجن أن يأتي مخلوق لينال من جناب ربه ويكذب على خالقه، وما كانوا يظنون أن يصنع هذا مخلوق.

٢٦ ـ للباطل قشرة رقيقة، وجدار يوشك على السقوط لا يحتاج كبير جهد، يكفي مواجهتها وتسـقط عند أول لقاء، اعتقد الجن في الله تعالـى ما لا يليق ثقة في المجهولين ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ فلما جاء الحق عادوا به مبتهجيـن ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾.

٢٧ ـ كل من تعلَّق بغيـر الله تعالى وكل إليه وناله من الرهق والمشـقة والعنت والشقاء ما يجعله في شتات ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾.

٢٨ ـ الطمأنينة والراحة والأنس الشعوري أثر من آثار التعلُّق بالله تعالى والإقبال عليه والصدق معه، وهي جنة عاجلة لصاحبها.

٢٩ ـ تقدير العلماء وإجلالهم قضية كبرى في ديـن الله تعالى فهم حُمَّال الوحي وحرَّاس الشـريعة، وإذا كان الله تعالى جعل من شهب السماء ما يحرس الوحي ويحميه من شياطين الجن، فكذلك العلماء حراس الشريعة وحماتها من شياطين الإنس ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾.

٣٠ ـ على الأمة أن تعتني بالنابهين من الطلاب، والمقبلين منهم، وتؤهلهم للعلم وتعينهم على بلوغ غاياتهم حتى يقوموا بواجب العلماء، ويحرسوا هذه الشريعة

من المنتحلين. وإذا كان الله تعالى جعل للوحي حرساً من الشياطين، فعلى الأمة أن تعد حرساً للشريعة وحمالاً للوحي ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾.

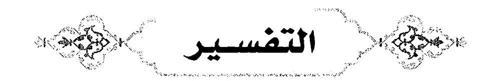
٣١ ـ من جمال الإنسان أن يكون لطيف الأدب، أنيق الذوق، رائق الكلمة، تأمل هنا ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ لما جاؤوا لذكر الخير والشر ـ وكلاهما من الله تعالى ـ نسبوا إليه الخير، وأجملوا في الشر، فلم ينسبوه لله تعالى. وإذا رزق الإنسان أدباً وذوقاً ومشاعر رزق كل شيء.

٣٢ ـ من قبح التصورات، وسوء أثر الجهل على صاحبه، وهشاشة العقيدة أن تجد إنساناً يهب من حق الله تعالى لغيره من الخلق فيصنع من الجن آلهة ويقوم حظها في قلبه كما يقوم حظ خالقها وهم أعجز المخلوقين عن نفع أنفسهم ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ فما أبقت هذه الآية للمتعلقين بالجن أو غيرهم من المخلوقين إلا خيوط العنكبوت.

٣٣ ـ الإيمان بالله تعالى يصنع للإنسان مباهج الحياة ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.

❀ ❀ ❀

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾



التفسير

- ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ المستسلمون لربهم، الطائعون له تعالى ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون الظالمون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ قصدوا طريق الحق والخير ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ سلكوا سبل النجاة والفلاح والرشاد.
- ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ توقد بهم النار.
- ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ الجن والإنس ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ طريقة الحق والعدل ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ هنيئاً مريئاً كثيراً وخيراً واسعاً وعظيماً.
- ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم فنعلم شكرهم على تلك النعمة من كفرهم بها ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ عبادته ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ شديداً شاقاً.
- ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ أي المواضع المعدة للصلاة والعبادة مختصة بالله تعالى ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ فلا تعبدوا فيها غيره.
- ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ النبي الكريم محمد ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يدعو إلى الله تعالى ويعبده ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ﴾ أي المشركون من الجن والإنس من تكاثرهم ﴿لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ متراكمين من ازدحامهم لسماع القرآن منه، ودعوته إلى عبادة الله تعالى، وهذا الاجتماع والالتفاف اجتماع غيظ وغضب، ونية على الأذى لما يفعله بهذه الدعوة، وتلك العبادة في دينهم.
- ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ أعبده وأبتهل إليه وحده ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ من الناس أياً كان.
- ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ لا أقدر أن أدفع عنكم ضراً ولا أسوق إليكم خيراً سواء اهتديتم أو غويتم.

• ﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾ لا يدفع عني أحد عذاب الله تعالى إن نزل بي ﴿وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢﴾ ملجأً ومنتصراً.

• ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ إلا ما أبلغكم به عن الله تعالى وعن رسالاته استثناء من قوله: ﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ﴾ فلا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها عليّ ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يخالف أمر الله تعالى ونهيه، وأمر رسوله ﷺ ونهيه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾ فلا يخرجون منها، والخلود المشار إليه في حق المعاصي الكفرية.

• ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة عياناً وجزموا أنه واقع بهم ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ حين يرون ذلك ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ٢٤﴾ جند الرحمن أم جند الشيطان.

• ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ٢٥﴾ لست أعلم عن قرب عذاب الله تعالى الذي وعدكم به من طول أمده.

• ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾ من الخلق.

• ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ فإنه يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾ فإنه تعالى يجعل بين يدي الرسول ومن خلفه حرساً من الملائكة يحرسونه على ما معه من الوحي.

• ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ بهذا الحفظ من الملائكة ﴿أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ بما جعله لهم من الأسباب ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ بما عندهم ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾ فرداً فرداً لسعة علمه سبحانه وتعالى.

التدبُّر

١ ـ من سنن الله تعالى أن الرخاء فرع عن الاستقامة على أمر الله تعالى وسلوك طريقه المستقيم ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ وهذا عام في الأفراد والجماعات. وعلى قدر سلوك هذا الطريق تستقيم الحياة.

٢ ـ ما أكثر بلاء النعيم في حياة الناس! وما أقل الاعتبار به!! ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾..! كم من معتبر بالبلاء، وكم من غافل عن النعيم! رغم قسوة الشدة وألمها على مشاعر الإنسان إلا أنك ترى من ينجح فيها ويستعلي على ألمها ومضها، ويسقط كثيرون في لحاف النعيم وبرد عطافه.

٣ ـ ما أقسى صور الإعراض عن ذكر الله تعالى! ما يزال بصاحبه حتى يكبّده الرهق والإشقاق. كثيرون الذين تضيق بهم الحياة للدرجة التي يتمنّى الواحد منهم أن يقتل نفسه كمداً مما يجد، وذلك بعض جزاء الإعراض ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.

٤ ـ تقرير التوحيد وتعظيم شأنه في قلوب العباد من أعظم واجبات الدعاة ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾.

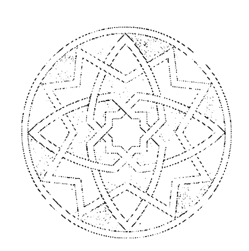
٥ ـ التجرُّد من الأنا، والارتفاع عن حظوظ النفس، والفصل بين المنهج وشخص الداعية قاعدة تمتن عليها الدعوة، ويصلب عودها، وتشرق شمسها، ولا تقف في الطريق لتخلُّف صوت الداعية أو تركه لها يوماً ما ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ

مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾.

٦ ـ الدعوة ليست فضولاً في أوقات الدعاة، أو تطوعاً يؤدونها متى شاؤوا. الدعوة مسؤولية ضخمة، وتكاليف باهظة، وأثقال ينوء بها الكبار، حين كان شعور الداعية كذلك كانت الدعوة تقتات من روحه ومشاعره ووقته وتفكيره وماله وجهده كما تشاء، وحين تحولت في ذهن الداعية إلى مجرد مشاركة فقدت منه كل شيء، وعادت تبحث عن فضول الأوقات والمشاعر والأرواح، ثم لا تجد من ذلك إلا النزر اليسير ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ وسؤال هذا الواجب يوم القيامة على قدر منن الله تعالى على صاحبه في الدنيا، وكم من خيرات لم تلق ترحيباً كافياً بعد.

٧ ـ مع كل مباهج الفرص يحين وقت لفواتها وزوال مباهجها وانتهاء زمنها، وكم من فائت لا تجدي فيه حسرة! ولا يمكن أن يعود ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾.





سُورَةُ المُزَّمِّلِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

التفسير

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١﴾ المتغطي المتلفِّف بثيابه.
- ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢﴾ متعبداً بالصلاة فيه.
- ﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣﴾ قم نصف الليل أو أقل منه بقليل.
- ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ أو زد على النصف ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾ اقرأه على مهل فإن ذلك أعون على فهمه وتدبره.
- ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥﴾ سنوحي إليك هذا القرآن العظيم.
- ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ الصلاة فيه بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾ أثقل على المصلي من صلاة النهار ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦﴾ أثبت قراءة وأسدُّ مقالاً.
- ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧﴾ ترددا وانشغالاً بحوائجك، ومعاشك ما يوجب لك اشتغال القلب وعدم التفرغ للعبادة.
- ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ أكثر من ذكره ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾ انقطع إليه وتفرغ لعبادته.
- ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ المالك المتصرِّف في الكون بمشارقه ومغاربه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود إلا هو سبحانه وتعالى ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ حافظاً ومدبراً لأمورك كلها.
- ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾ وهو ما لا أذيَّة فيه، ولا عتاب معه.

- ﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ دعني وإياهم على سبيل الوعيد والتهديد ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ ﴾ أصحاب النعمة والترف ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ زمناً قريباً.

- ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ ﴾ عندنا لهم ﴿أَنكَالًا ﴾ أغلالاً وقيوداً ﴿وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾ ناراً حامية مستعرة.

- ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ طعاماً ينشب في الحلق، فلا يدخل ولا يخرج ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ موجعاً مؤلماً.

- ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾ تتحرك وتضطرب ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ ككثبان الرمل في لينها ورخاوتها وضعفها.

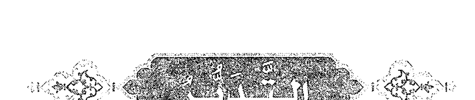
- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا ﴾ يمتن الله تعالى عليهم بهذه النعمة ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ يوم القيامة بأعمالكم ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ كما فعلنا في إرسال موسى إلى فرعون، فإنه يأتي شهيداً عليه يوم القيام.

- ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ كذَّبه ولم يؤمن به ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ شديداً بليغاً.

- ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ ﴾ كيف تحصل لكم النجاة، وتتقون العذاب يوم القيامة إن لم تؤمنوا بالله تعالى ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ يصير الصغار بيض الشعور لهول ذلك اليوم وشدته.

- ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ متشققة من شدته وهوله ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾﴾ واقعاً لا محالة منه وكائناً لا محيد عنه.

- ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ﴾ موعظة يتذكر بها أولوا الألباب ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ طريقاً موصلاً إليه بالإيمان والعمل الصالح.



١ ـ الأفكار التي يراد لها أن تجتاح العالم وتغيّره، وتصنع فيه الجديد تحتاج إلى روح تستعين بها على محاربة القديم، وطي صفحاته، وهذه الروح لا تكسبها الفكرة من ذاتها مع ضرورتها وأهميتها، وإنما تكتسبها من شخصية الحامل لها، الرافع لرايتها، الذي سيخوض بها المعركة في أرض النزال ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾.

٢ ـ ليس كل شخص قادراً على أن يصنع بريقاً لفكرته في أرض الواقع! بريق الأفكار في العادة لا تصنعه إلا شخصيات مقتنعة بتلك الأفكار معتزة بها قادرة على حمل تبعاتها، والنوء بأثقالها، والسعي بها في العالمين دون مقابل. وإذا أردت أن تعرف ذلك فتأمل سير حُمَّال هذه العقيدة من زمن نوح إلى زمن نبينا ﷺ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾.

٣ ـ الاستغراق الشعوري في الفكرة هو القاعدة الصلبة للنهوض بها، وحمل التكاليف التي تمكنهم من مد أفكارهم وبسطها في أرض الواقع ولو بعد حين، يكفي لرؤية هذا الواقع قراءة سيرة نبيك ﷺ بعد نزول هذا النداء الإلٰهي عليه.

٤ ـ أياً كان مشروعك إذا لم يشرب من روحك، ويلظى بهمومك، ويأخذ من سنام وقتك، ويسيطر على تفكيرك فلا يستطيع في العادة أن يقف على قدميه فضلاً أن يكوِّن له مساحة، ويكتب له حظٌّ من التأثير.

٥ ـ رأيت بعيني مشاريع تنتهي عند مجرد الإعلان عنها، وأخرى تولد ولا تستكمل فترة الرضاع، وثالثة تبدأ وتقف في منتصف الطريق، وقلة قليلة تلك التي تظل

رايتها ترفرف حتى مع عاديات الزمان، وكل ذلك راجع إلى توفيق الله تعالى أولاً، ثم ملكات حُمَّالها، ورافعي رايتها، والمعلنين عنها في أرض ذلك الواقع.

٦ ـ الصلة بالله تعالى والعلاقة به من أعظم العوامل التي تسقي أفكارنا روحاً وتجعل فيها إشراقاً، وتكسوها جلالاً ومحبة، وتلقي لها القبول والتمكين في تلك المساحات التي نعمل فيها. حين أراد الله تعالى لهذا الدين أن يأخذ حظه من الواقع أمر نبيه ﷺ أن يتزوَّد من الصالحات التي تعينه على بلوغ أمانيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾.

٧ ـ الأوراد الأوراد يا صنَّاع الحياة! إن الكلمة لا تكتسب روحاً من خلال مقروء أو مسموع، وإنما تكتسب روحها من خلال ورد ثابت يأتي عليه صاحب المشروع كل يوم وليلة يأتي منه على مرضاة ربه، ويتحقق له به دفع مشروعه.

٨ ـ إذا أقضَّتك هموم واقعك، وأجلبت عليك العقبات، ونازعتك الأحداث من حولك، وشعرت بضعف أمام هذه المثيرات، فيمِّم وجهك لربك، وابدأ رحلة إيمانية تدفع عنك همومك وتثبت قلبك، وتحيي شعورك، وتأتي بك من جديد إلى طريق مشروعك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾.

٩ ـ الدفاع عن الأفكار، والنهوض بالمشاريع لا يأتي من خلال عزلة جسدية أو شعورية عن واقع العمل، بل النهوض بها، وحمل تبعاتها، والفرح بمضامينها هو الكفيل بتوسيع رقعتها وتمدد مساحتها ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾.

١٠ ـ يحتاج صاحب المشروع حركتين تلازم بعضهما: حركة تأهيلية لنفس الداعية وصاحب المشروع من خلال قيام الليل، وشجن السحر، وترتيل كتاب

الله تعالى، وحركة ميدانيـة تطبيقية في صورة العمل للمشـروع والنهوض به وتوسيع دائرته. الأولى قاعدة والثانية ساق وثمرة، الأولى: تلك التي سنها الله تعالى لنبيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ والثانية: تلك التي ترى تطبيقاتها في واقع سـيرة على مدى ثلاثة وعشرين عاماً.

١١ ـ للمشاريع أثقال وأحمال تنوء بها هموم الكبار ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾ وهذه الأحمال والأثقال لا يعين على تبعاتها إلا الطاعات! كان شـيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يصلي الفجر ثم يجلس في مصلاه إلى أن ينتصف النهار، وحين سئل عن ذلك قال: هذه غدوتي لو لم أتغدها لم تحملني قـواي، وفي الوحي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**».

١٢ ـ حين اختـار الله تعالى نبيه محمداً ﷺ ليقوم بأعباء الرسـالة هيَّأه لذلك من خلال الخلوة التي حببها إليه في الغـار، ولم ينزل عليه الوحي حتى كان جاهزاً مستعداً لتكاليف الرسـالة. وعلى صناع الحياة أن يفقهوا أن الانشغال بالواقع، والانغماس مع جماهيره، والارتكاس في حمئه مـؤذن بذهاب صفاء الأرواح، وفوات الشـعور بوهج المشـاريع، فعليهم أن يتخذوا أوقاتاً للخلـوة، والعزلة الشـعورية، والجسـدية من ركام هذا الواقع إلى بناء الغايات الكبرى في واقع الحياة، وفي قول الله تعالـى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧﴾ دعوة لتأمل قلق الواقع، ومعرفة مشتتاته، والاسـتعداد له بمثل هذه الخلوات التي تقاوم شعثه، وتتغلَّب على مثيراته.

١٣ ـ من أسوأ ما رأيت انشغال أصحاب المشاريع بمشاريعهم للدرجة التي تكون هي سبباً في بعض الأحيان في تخلفهم عن موارد التوفيق. رأيت من يجتمع لمشروعه بعد الأذان، ويتخلّف عن الأوراد لذات المشروع، وتراه يجري ويلهث وراء فكرة يراد لها أن تقوم على أنقاض قاعدتها.

١٤ ـ يتقدَّم لصلاته مع الأذان أو قبله بقليل، ويبكِّر يوم جمعته، ويكرر عمرته ويدمن على قراءة ورده من الأذكار، وله ورد يتقوّى به من كلام ربه، ويتفرَّغ يوم جمعته، وله أوقات طويلة مع الدعاء، وفي السحر حكايات من ترانيم التالين مع خلوات وخبايا يحتسبها لدفع مشروعه، وصفاء قلبه، وجمع شعثه يأتي بكل ذلك إجلالاً لوصية ربِّه لنبيه ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ أي انقطع انقطاعاً تاماً إلى ربك ومولاك في تلك الأوقات.

١٥ ـ فرق بين عبادة يخرج بها صاحبها من تبعاتها، وأخرى يهب فيها الإنسان كل شيء. إن الله تعالى يدعو رسوله، وحامل راية الدعوة وصاحب المشروع إلى التفرغ الكلي لإعداد الروح القادرة على إدارة المعركة ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ ويهب الله تعالى لكل حامل راية على قدر جهده من هذا المعنى الكبير.

١٦ ـ استغرقت فكرة المشروع أكثر من عشرين عاماً من عمر محمد ﷺ جاب فيها الأرض، ولقي فيها العذاب، واستقبل فيها المشاق، ودفع لها من وقته، وفكره، وماله، وسالت لأجلها الدماء، وفي النهاية آمن الناس بها وجاؤوا إليها أفواجاً، وكذلك كل فكرة استعذبها صاحبها، وأحبها، وكان مستعداً للتضحية في سبيلها، وتجمَّل بأسباب العون فيها لقي فيها ذات الأفراح، لا فرق.

١٧ ـ إن المعركة التي يديرها حمَّال رايات المشاريع في الواقع لا تكتمل عدتها حتى تدار قبلها معركة مع نفس حامل الفكرة تستخلصها من شهوات

الأرض وتحول بينها وبين الأمراض المستلقية في أخاديد النفس. إن هذا النداء الرباني ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ وإن كان ظاهراً في الجوانب العبادية الظاهرة إلا أنه دعوة للصدق، والإخلاص، وقناعة بالطريق وتكاليفه للنهاية.

١٨ ـ إنَّ في قيام الليل خاصة أنساً مثيراً، وشعوراً غامراً بالفرح وأثراً ممتداً في باكر اليوم، ولعل هذا بعض معاني الوصية به، ولعل فيه قصة نجاح المشاريع في ضحى النهار!

١٩ ـ للتدبُّر أثر في قراءة الليل خاصة، وإذا رُتلت آيات الوعد والوعيد والنصر والتمكين، وحكايات أصحاب المشاريع أتت على قلب صاحبها وصنعت فيه ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ دعوة لتحريك قلوب التالين في لحظات السحر بمثل هذه المعاني الكبار.

٢٠ ـ مع كل ما مضى تظل حاجة الداعية، وصاحب المشروع إلى صدق التوكل على ربه، والتوجه إليه، وحسن الإقبال عليه شعورياً ووجدانياً غاية في الأهمية ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ أي حافظاً ومدبراً وراعياً لكل شؤونك، وهذا لا يأتي إلا بهذا الشعور الملازم للإنسان في كل خطوة يخطوها في فكرته ومشروعه.

٢١ ـ ما يميِّز الكبار وصناع الحياة أنهم يتعلقون بالله تعالى للدرجة التي لا تشغلهم جلبة الواقع من حولهم، بل يمضون في سكينة وثقة وطمأنينة عازمين على قطع الطريق بهذه المعاني الوجدانية التي تصحبهم كل حين ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾.

٢٢ ـ كل مشــروع محفوف بعوارض وعقبات تقف حائلة دون بلوغ نهاياته، ولم يحدث بعد أن قام مشروع على تصفيق المباركين! علمتنا الحياة أن ثمن المشاريع ليس في الأوقات التي تبذل لها أو فيها ومن أجلها فحسب! وإنما ثمنها النفوس التي تودّع الأرض، وترحل وهي ترى نفوســها رخيصة في سبيل تلك الغايات. وهذه الوصية ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ بعض دلائل هذا المعنى الكبير.

٢٣ ـ لا يمكن للباطل أن يرضى ببوارق الحق في مساحاته! ولم يحدث أن تهادنا في مســاحة ما! إن المعركة التي جرت في زمن الرسالة بين الحق والباطل هي ذاتها ستجري إلى قيام الساعة، وكلما قام أصحاب الحق بمشروعهم قام أصحاب الباطل يناكفون ذلك المشروع، ويقفون أمام توسعه، ويجهدون في تقليص دائرته ووصية الله تعالى بالصبر ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ تأكيد على هذه القضية.

٢٤ ـ الطريق شاقة، والمســافة مكلفة، ودون النهايات أشلاء ودماء وأنفس! ولا سبيل للوصول إلى النهايات إلا بالصبر. الصبر على كد الضمائر وقلق النفوس، وطول مسافة النصر، وذهاب الأعوان، وفراق الأهل، ومرارة الواقع. الصبر لكل هذا ولغيره ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾.

٢٥ ـ الاســتعلاء بالحق ضــرورة! وإذا ارتفــع صوت الباطــل، وحمي وطيس المواجهة، وبدأت رحى المعركة فعلينا بالصبر في مقابل هذا الضياع الذي نراه في سلوك المعارضين ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾.

٢٦ ـ إن الحق الذي أمرنا الله تعالى بســلوك طريقــه لا يحتاج إلى مراجعة حتى نتأكد من صدقه. لو كان يحتاج إلى مراجعة لأمرنا بإعادة النظر والتريث والمطالبة بالهدنة والصلح في مقابل مساحات الوقت التي نحتاجها لإعادة النظر في المنهج

الذي نسير عليه. أما وقد أمرنا بالصبر فهي دعوة ألا يشغلنا نعيق المعرضين، وأن نتقوَّى بالصبر لمواجهة تلك الجهالات العارضة في الطريق ﴿ (٩) وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا (١٠) ﴾.

٢٧ ـ المفاصلة مع المعرضين لا تحمل على سبهم، وشتمهم، وتكفيرهم، إنما تمضي مستعلية بالحق الذي معها، صابرة على وعثاء الطريق، متخلية عن أحقاد النفوس حتى وإن هجرت أعوان الباطل فإن هجرها هجر جميل، هجر لا أذية فيه ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا (١٠) ﴾.

٢٨ ـ فرق بين الانتصار للدعوة، والانتصار لنفس الداعية! الانتصار للدعوة والشغف بها، وحمل تكاليفها، والنهوض بأعباء الطريق في سبيلها دون النظر إلى شخوص أهل الباطل، والانتصار للداعية والخصومة الذاتية التي يديرها الداعية في كل موقف ظاهرها أنها للدعوة وباطنها لشفاء النفوس وإشباعها. الانتصار الأول هو المؤذن بالنصر ولو بعد حين، والانتصار الآخر هو المؤذن بالهزيمة ولو طال زمان الانتصار.

٢٩ ـ الأصل في الوحي أنه لا يتعرَّض للأشخاص؛ لأنه أرحم بهم من أنفسهم، وما يصنع بخصومة مع قوم يمرضون ويصحون، ويحيون ويموتون، ويضلون ثم يهتدون! وهذه الوصية ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا (١٠) ﴾ دعوة للإقبال على المنهج، والعناية به، والتركيز عليه، والإعراض عن ذوات المعرضين وشخوصهم مهما بلغ كيدهم، ومهما اشتد إعراضهم وبغيهم.

٣٠ ـ الضوضاء لا تصنع انتصاراً زمن المعارك! الهدوء والسكينة والهجر الجميل من صنائع الكبار لحظات أمواج الفتن، وأخطاء التصورات والمفاهيم ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا (١٠) ﴾.

٣١ ـ لا تستعجل فوات أهل الباطل وزوالهم، فذلك ليس من شأنك! شأنك أن تمضي في طريق مشروعك، وتبذل في سبيله، وتجهد في بنائه، وتراغم به الأعداء في الطريق، وتدفعهم عن التوسع في مساحات الواقع قدر جهدك، وجزاء المعرضين وحمال راية الباطل وأنصار الشهوات من شأن الله تعالى وحده ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾.

٣٢ ـ ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ دعوة للعمل في مساحات الممكن، ودوائر التأثير، والانشغال بما نحسن، وعدم الالتفات إلى دوائر الغير، ومساحات الآخرين.

٣٣ ـ التجربة، والمثال الواقعي، والتطبيق العملي أكثر الأشياء أثراً في نفوس الآخرين. أراد الله تعالى أن تبلغ الموعظة من نفوس المعرضين مبلغها، فأحالهم على صورة تصلح للقراءة والاعتبار صورة فرعون وهو يعارض رسول الله موسى عليه السلام، وعاقبة ذلك الإعراض في النهاية. إذا أردت أن تقرِّب للناس صورة العمل وتدعوهم إليها بشوق فأحلهم إلى صورة قريبة يرون فيها الواقع الذي ينشدون ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾.

٣٤ ـ الطريق سالكة، كثيرة الصور، غزيزة التجربة بمشاهد الخذلان لأهل الضلال والانحراف، وإذا طال عليك ظلام الليل فاقرأ خواتم المعارضين، وسنن الله تعالى في المبطلين ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾.

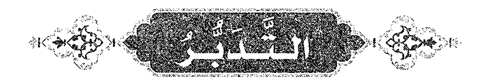
❀ ❀ ❀

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

التفسير

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ أي أن الله تعالى علم تهجُّدَك أنـت ومن معك هذه الأوقـات والأزمان قلة وكثرة ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يعلم مقاديرهما وأحوالهما من الزيادة والنقصان ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ لن تطيقوا قيام الليل على سبيل الوجوب عليكم، وقيل أي لن تطيقوا علم مقادير الليل والنهار على الحقيقة ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ فخفف عنكم، وعاد عليكم باليسر، ورفع الحرج ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ في صلاة الليل بلا تقديـر ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ فلا يطيقون قيام الليل ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ للتجـارة وغيرهـا فـلا يستطيعون مع ذلك القيام ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لنصرة الدين فلا

يتفرغون لقيامه ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ﴾ من القرآن دون حرج أو مشقة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بأركانها وحدودها وشروطها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبة خالصة لوجه الله تعالى ﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ من الصدقات والتطوعات ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرًا وَأَعۡظَمَ أَجۡرًا﴾ وعد من الله تعالى بالجزاء العظيم على ما تقدمونه ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمُۢ ۝٢٠﴾ أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها فإنه غفور رحيم لمن استغفره وتاب إليه.



١ ـ يا أيُّها الداعي، يا صاحب المشروع: إن الله تعالى يرى ركضك في ساحات الأرض، ويرقب مشاهد جهدك في الواقع، وهو الكفيل بجزائك وتحقيق مرادك وتعويضك عن تعبك وجهدك، فواصل الطريق وأنت على يقين بكل مشاهد هذه الصورة في النهاية ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾.

٢ ـ قد يأتي التعويض عاجلاً عن جهدك، وترى مساحات الأمل تملأ واقعك، وصور ومشاهد البهجة تعمر قلبك، وكل ذلك على قدر استجابتك لربك وتعظيمك لشعائره ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ فأزاح عنكم واجب قيام الليل، وأراحكم من عناء السهر والتعب وعوضكم على قدر استجابتكم لأمره وإجلالكم لشعائره.

٣ ـ على الأمة أن تتقاسم مشاريعها كلٌّ فيما يخصه ويحسنه حتى تكتمل منظومة البناء، وتأتي على مقاصدها من الواقع كما تريد ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾.

٤ ـ ثمَّة حد أدنى في صلتك بالله تعالى لا ينبغي أن تتخلى عنه مهما بلغ إرهاقك، وكذلك في مشروعك الذي تقوم عليه، ومسافة يومية لا بد أن تقطعها في الطريق مهما كان واقعك ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ إن للنفوس إقبالاً وإدباراً! ومن كمال فقه النفوس أن تستثمرها غاية ما يمكن وقت إقبالها، وحين تقف في الطريق أو تكل وتجهد من طول المسافة عليك أن تعود بها للحد الأدنى الذي يمكنك من الاستمرار، ولا يثقل عليها في الطريق.

٥ ـ ورد القرآن من أعظم الأوراد تأثيراً في ساحة المشاريع ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ﴾ دعوة لثباته في كل يوم من حياتك.

٦ ـ إذا أردت دواءً يمسح همومك، ومساحة مشاعر تداوي جراح تعبك، ولمسة عزاء تعوضك أثر كدحك وعناء مشروعك فارتع في مساحة هذا الوعد الكبير من ربك ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ﴾.

٧ ـ مهما بلغ جهدك، ومساحة سعيك في مشروعك ودائرة تأثيرك، فأنت في حاجة لاستعتاب ربك عن تقصيرك ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾.

٨ ـ ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ دعوة لإدراك نقص نفوسنا، وضعف ذواتنا وتربية على التواضع واستشعار نعم الله تعالى، وسوابق فضله، وكبير نعيمه علينا في كل حين.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

التفسير

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ نداء للنبي ﷺ وقد تدثَّر بثيابه، وتلحَّف بها عند فزعه من نزول الوحي ﴿قُمْ﴾ انهض بجد وعزم.

- ﴿فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ حذِّر قومك من العذاب إن لم يؤمنوا.

- ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾ عظِّم ربك بتوحيدك إياه وإخلاصك له.

- ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ طهِّر أعمالك من كل ما يفسدها أو يلوثها أو ينقصها، وجمهور المفسرين من السلف ومَنْ بعدهم على أن المراد بالثياب هاهنا القلب، والمراد بالطهارة إصلاح الأعمال والأخلاق، ويدخل في ذلك طهارة الثياب وطيب المكسب ونحو ذلك.

- ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ اترك كل أعمال الشرك من الأصنام، وما دونها من المعاصي ونحوها وتبرأ منها.

- ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾ لا تمنن على الناس بما أسديت إليهم من معروف وإحسان، بل ابتغي ما عند ربك من جزاء.

- ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ احتسب صبرك واقصد به وجه الله تعالى.

- ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ نفخ في الصور للقيام من القبور.

- ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾﴾ لأهواله وشدائده وما يكون فيه.

- ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ غير سهل.

- ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ لا مال له، ولا ولد أول الأمر.

- ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ صار له مال واسع كثير.

- ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ أولاداً لا يغيبون عنه لكثرتهم واستغنائهم عن التكسب.

- ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾ بسطت له الدنيا ومكَّنته منها.

- ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾ من المال والولد والجاه، وقيل من نعيم الآخرة بإدخاله في الجنة.

- ﴿كَلَّآ﴾ ردع وزجر أي لا يكون الأمــر كما يأمله ويرجوه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾ معانداً.
- ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ عذاباً لا راحة فيه.

التَّدَبُّر

١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴿٥﴾ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴿٧﴾﴾ ليست رسالة للنبي ﷺ في باكر الدعوة فحسب! وإنما دعوة لكل صاحب مشروع أن يقوم بمشروعه، وينهض بفكرته، ويقوم بأعباء رسالته، ويتحمَّل تكاليف المنهج مهما كان ثقيلاً ومكلفاً. إن المشاريع لا يمكَّن لها في الواقع حتى يدفع لها حُمَّــال راياتها، وصنَّاع تاريخهــا من أرواحهــم وأفكارهم وأوقاتهم وهمومهم ما يعينها على بلوغ غاياتها، وتحقيق آمالها، وبسط واقعها في قادم الأيام.

٢ ـ ﴿قُمۡ﴾ فما لك ولِلِحَافِ النوم! ﴿قُمۡ﴾ ففرش النوم، وأسرَّة الراحة، ومساحات الفراغ لا تصنع لأصحابها واقعاً بهيجاً، ولا تعينهم على بلوغ غاياتهم في مساحة ما. انهض فقد بدت طلائع الفجر، وحان موعد اللقاء! المسألة يا محمد ضخمة كبيرة مثيرة لا يصنع لها الفراش شيئاً! ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ فهذا الجهل العارض لا تقشعه إلا هموم الناهضين. ما أحوج صنَّاع الحياة إلى الحركة المثيرة في مســاحاتهم ودوائر تأثيرهم. وما قتل الأمة وأضاع تأثيرها، وقلل شأنها في العالمين مثل هذا التخلي الذي يعيشه أفرادها وطاقاتها في واقع الأرض.

٣ ـ الدعوة ضوء الظلام، وسِــراج الليل، وهواتف الخير لكل شارد عن الطريق ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ قبل فوات هذه المعاني، وضياع هــذه الخيرات. وهذا الأمر بالنذارة دليل ما في هذه الدعوة من خيرات.

٤ ـ المواجهة الواثقة بالنصر، والقيام بأدوارك في دوائر التأثير، وإشغال مساحاتك الممكنة هي أنجع وسيلة لخلق الأجواء الآمنة في ساحات النزال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾.

٥ ـ رحمة الله تعالى بعباده، وحبه لهم، وشفقته عليهم. وما الرسل والكتب والنذارة إلا بعض معاني هذه الرحمة بالخلق.

٦ ـ الاستعلاء ضرورة للدعوة التي تواجه كير الجاهلية، وزيف الباطل، وعلو المستكبرين ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾! ربك تعالى هو الأجدر بالتعظيم، والإجلال، والخوف! لا هذه الجموع الضائعة في عرض الطريق. إن الدعوة التي تعرض نفسها على أنها الحق في الأرض، والحقيقة الضائعة على كثيرين، والكنز المفقود في عالم الحياة هي الأجدر بالإجلال والتقدير من تلك الدعوة التي تتسوّل المعرضين، وتقف في وسط طريقهم ترجوهم وتتوسل إليهم قبولها لتكاثر بهم، وتتقوى بهم في العالمين.

٧ ـ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ دعوة لاستعلاء الداعية في مواجهة جموع الباطل! ليس استعلاء يورث كبراً في مواجهة العصاة والمتخلفين عن موارد الهداية، كلا! فذاك شأن المخذولين، وإنما استعلاء بالفكرة في مقابل الأفكار المبثوثة في الأرض، واستعلاء بالمنهج في مواجهة مناهج الباطل، واستعلاء بالطريق في مقابل طرق الضلال، واستعلاء بالحقيقة في مقابل الأوهام.

٨ ـ المؤهلات الروحية من الثقة بالله تعالى، والاستعلاء بالمنهج، والصبر على طول الطريق هي التي تصنع الفروقات في واقع المشاريع. وغالب ما تراه من مباهج الواقع هو نتيجة لهذه المعاني في واقع أصحابها ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ باب على مصراعيه لمثل هذه المعاني.

٩ ـ فرق كبير بين من يؤدي الدعوة كواجب شرعي يخشى من آثار التخلّف عنه، وبين من يؤديها وكأنها جزء من روحه، وقطعة من مشاعره! الأول يكفيه عددها بغض النظر عن آثارها، والآخر يجهد في بنائها ويحلم برؤية ثمارها، والمشاريع التي لا تختلط بأرواحنا وتصبح جزءاً من مشاعرنا لا تنبت في الأرض على استواء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾.

١٠ ـ التلبُّس بالفكرة أعظم ما يمكنها ويبسط واقعها في الأرض! ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ إن تعظيم الله تعالى، وتمثّل قيم ما يدعو إليه الإنسان أعظم الأدلة على قناعته بفكرته، وشعوره بسموها، وتفانيه في بسط مساحاتها في قادم الأيام.

١١ ـ بريق الواقع مؤثّر في صفاء النهايات! وكلما كان صاحب المشروع لامعاً في قدوته، مثيراً في واقعه صفت له النهايات ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ دعوة لأثر القدوات في صناعة واقع النهايات.

١٢ ـ لا تبلغ الدعوة غاياتها الكبرى إلا من خلال المفاصلة الكلية بين الحق والباطل! ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ رغم أنه ﷺ لم يتدنّس بشيء من قاذورات الجاهلية! تأكيد على ضرورة هذه المفاصلة وأهميتها في واقع الدعوة. إن الذي يظن أن الدعوة لا تؤتي ثمارها إلا من خلال التخلي عن بعض قيمها ومثلها في بدايات الطريق لهو موغل في الخطأ، غارق فيه، ضال في بدايات الطريق، ومثل هذا لا يمكن أن يقف على مسافة من الطريق فضلاً أن يقف منه على قاعدة صلبة.

١٣ ـ لا يثق الناس بالحق إلا حين يشربونه صافياً! وكلما اختلط بأجاج الباطل تعكّر في أذواق الناس، فزهدوا فيه ولم يجدوا له أثراً ماتعاً في نفوسهم، فتركوه وتخلوا عنه أو لم يسعدوا به كما يشاؤون ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾.

١٤ ـ الاستغراق في المشاريع يحميها رؤية الأثقال والأحمال التي ينوء بها أصحابها! وما لم يصل حمّال راياتها إلى هذا الاستغراق الشعوري لا يستطيعون أن يصلوا بها إلى تلك الغايات التي تحلم بها ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ إن الذين يشعرون بما يدفعون في سبيل مشاريعهم مضطرون في النهاية إلى حساب التكاليف والعوائد لتلك المشاريع، بخلاف المستغرقين فيها فهم يدفعون كل شيء ويرون بأنهم لم يدفعوا فيها ولا من أجلها شيئاً. ما أقعد كثيرين إلا حساب التكاليف والعوائد! وما قفز بكثيرين إلى بلوغ آمالهم إلا الاستغراق في مشاريعهم وأهدافهم.

١٥ ـ الاستغراق في المشروع جزء من استشعار فضل الله تعالى وتوفيقه على عبده في الدارين حين فتح له باب مشروع، وهيأ نفسه لقبوله، وفتح له باب الإقبال والعمل في ثناياه. ومن تأمل فيمن حوله رأى أمماً لا تملك هدفاً فضلاً على أن تدرك غاية.

١٦ ـ قاعدة كل النجاحات التي يحققها الإنسان في مشروعه الشخصي وأصلها وأولها وآخرها وذروة سنامها توفيق الله تعالى، ولولا ذلك لما تنفَّس الإنسان مشروعه، وتوجه إليه بكل شيء ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ أي على ربك بشيء من عملك ونجاحك.

١٧ ـ لا يمكن أن تستقيم دعوتك ومشروعك إلَّا حين لا تشعر بما تبذل في سبيلها، وحين نحسب العوائد في كل مشروع نصبح كالأجراء الذين يقدمون شيئاً وينتظرون مقابلاً لذلك التقديم ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾.

١٨ ـ لا تستكثر عملك، فتُدْلي به على ربك أو على الآخرين، فما يدريك ما قبل منه وما رُد، وكم من مشروع بذل صاحبه في سبيله كل ما يملك ولم يكن له سوى الحسرات! ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾.

١٩ ـ مشـروع الدعوة مكلف، ومجهد، وشـاق على النفوس، ويحتاج إلى صبر طويل ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴿٧﴾ ﴾.

٢٠ ـ يوصي الله بالصبر ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴿٧﴾ ﴾ لعلمه تعالى أن المشاريع لا تقوى إلا على قاعدته، ولا تنهض إلا على سلالمه. وَقَلَّ أن ترى مشروعاً ناهضاً إلا وقد تحمّل صُنّاعه في الواقع تكاليفه، وصبروا على أحمالـه وأثقاله. وإذا أردت أن تعرف أثر هذه الفضيلة فاقرأ سير الأنبياء في فصول مشاريع الدعوة وتبعاتها في سور القرآن.

٢١ ـ تتفاوت المعاصي ويتفاوت بذلك أثرها على أصحابها! ما قرأ عاقل بؤسـاً ينتظر صاحبه، ووعيداً شاقاً في الطريق لصاحبه مثل هذا الوعيد ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ ﴾.

٢٢ ـ الكبـر لا يكاد يتـرك فضيلة في واقع صاحبـه! مدَّ الله تعالـى في النعيم للوليد بن المغيرة حتى تحقق له مـا يريد، ولم يعرها اهتماماً، بل ما زال يطلب المزيد وهو لم يقم بأصل الواجب ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ ﴾ وهذا من أعظم مشاهد خذلان الله تعالى.

٢٣ ـ سـاحة المعركة إنما تدور رحاها علـى الأفكار والمفاهيـم لا علاقة لها بالأشـخاص! مَنْ الوليد بن المغيرة حتى يصنع له القرآن تمثالاً! الأشـخاص يحيون ويموتون، ويكفرون ويؤمنون، ويقوون ويضعفون فما للدعوة ولهم!

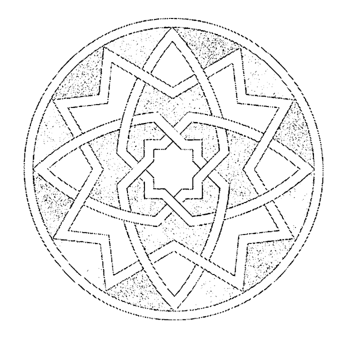
٢٤ ـ من أسوأ أبواب الخذلان أن تستثمر نعم الله تعالى في معارضة منهجه، فمع كل النعم التي وهبها الله تعالـى للوليد بن المغيرة ﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾ ﴾ لم يستفق من غفلته وحاول توظيفها في

مواجهة منهــج الله تعالى ومعارضــة دينــه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ١٦﴾ وكم من صاحب قلم، ومسؤولية، وجاه وسلطان مكنهم الله تعالى، وفتح لهم أبواب النعم، وأمدهم بما يشاؤون فعادوا أنصاراً للباطل، ودعاة للرذيلة، وأعداء للحق وحرباً للقيم والمثل والفضيلة. مساكين!

كناطح صخــرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ

٢٥ ـ النعم إذا لم يستقبلها صاحبها بالشكر ويوظفها توظيفها الأمثل وإلا سلبت منه وضاعت بعد الإمكان. لقد مد الله تعالى هذا الشــقي بكل وسائل التوفيق فرفض أن يستقبلها بالشــكر فكانت النهاية ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧﴾ أي سأزيد مشقته من العذاب.

❀ ❀ ❀



إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

التفسير

- ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ في نفسه ﴿وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾ ما فكر فيه ليقول قولاً يبطل به القرآن.

- ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ لقد لُعِنَ فكيف قدَّر ذلك الافتراء الباطل؟!

- ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ فيما قاله من الافتـــراء ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قطَّب وجهه كبراً وتهيأ لتلك المقالة.

- ﴿وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾ كلح وجهه.

- ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ عن الإيمان به.

- ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾﴾ أي أن القرآن ســـحر ينقله محمد عن غيره ممن جاء قبله.

- ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ ليس بكلام الله تعالى وما هو إلا قول بشر من الناس.

- ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ سأدخله نار جهنم.

- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ تهويل وتفخيم لأمرها.

- ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ لا تبقي شيئاً منهم لا يبلغه العذاب إلا بلغته.

- ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ محرقة للجلود، من قولهم: لوحته الشمس، إذا سودت ظاهره، والبشر: جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد.

- ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ من الخزنة القائمين عليها، وهذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة، وهي في كل من كذب بالحق وعارضه.
- ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ اختباراً للمصدق من المكذب ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ لمطابقة هذا العدد ما في كتبهم ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم ﷺ ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ليزول عنهم الشك والريب ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك وشبهة، قال الحسن بن الفضل: السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق، وإنما المرض في هذه الآية الاضطراب وضعف الإيمان ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ يتساءلون عن الحكمة من ذكر هذا العدد ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ إنما ذكره الله تعالى عنه ليتمايز أهل الإيمان من غيرهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ ما يعلم جنده في عددهم وكثرتهم إلا هو ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ وما ذكر النار وذكر صفتها وعددها إلا عظة وذكرى للناس.
- ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر لمن أنكر العدة أو سقر أو الآيات ﴿وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾﴾ أي الكوكب، وهذا قسم به لعجائبه وقدرة الله تعالى في خلقه.
- ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ إذا ولّى، وفي قراءة: إذا دَبَرَ.
- ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ أضاء.
- ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ العظام يعني النار وما ذكر من صفاتها.
- ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾ واعظاً لهم ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ﴾ بالإيمان والعمل الصالح.
- ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ بالكفر أو المعاصي.

- ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ مرهونة محبوسة بعملها يوم القيامة.
- ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ من أهل الإيمان فإنهم لا يرتهنون بأعمالهم.
- ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يسأل بعضهم بعضاً.
- ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ أيّ شيء أدخلكم النار؟!
- ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ لسنا ممن يؤدي هذا الركن العظيم.
- ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ لم نحسن إلى الفقراء والضعفاء.
- ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ في الباطل.
- ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ بيوم الجزاء والحساب.
- ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ الموت.



١ ـ لا نهاية لسوء التوفيق! وإذا تمدد في ساحة إنسان وواقعه لم يترك له شيئاً من نعيم ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾.

٢ ـ من شقاء العبد أن يستثمر طاقاته ومواهبه وإمكاناته في غير الحق! هذه العقلية، وتلك المواهب والطاقات، والمكانة التي يملكها الوليد بن المغيرة حاول جاهداً في توظيفها في الباطل، واستثمرها في معارضة الحق ونصرة المفسدين ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ

وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾.
ورأيت كثيرين يمدون في ذات الصور، ويخلِّفون ذات المشاهد.

٣ ـ كل الجهود التي يبذلها أصحابها في سبيل معارضة الوحي مردها للخذلان ﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

٤ ـ لا تحسب أن الله تعالى يغفل عن جهود الباطل في مواجهة الحق ومعارضة المنهج ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ﴾ لقد عـدَّ الله تعالى على هذا المخذول حتـى تقطيب جبينه وتمعُّر وجهه، فما بالك بصنائع المبطلين!

٥ ـ نهايات كل صاحب باطل على قدر جهده وتضحيته في سبيل ذلك الباطل ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

٦ ـ التسليم لكل ما في الشرع هو دأب المؤمن وأدبه مع ربه تبارك وتعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ وفـي مقابـل ذلك أهل النفاق، فكم أغاروا على نصوص الوحي محاولين هدم الشريعة وتشويه صورتها!

٧ ـ خلل الأفكار والمفاهيم والتصـورات أثر من مرض القلوب ﴿ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ وغالب ما تراه من خلاف المنافقين في الوحي إنما هو أثر لتلك الأمراض.

٨ ـ كم في إسفار الفجر من بركات! وهذا القسم الرباني ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤﴾ دعوة لاستثمار لحظاته والركض في ساحاته بالخيرات! ومن جرَّب عرف، ومن ذاق استلذَّ.

٩ ـ ما رأيت في حياتي كلها مثل أسفار الفأل والأمل! ولو عاش الإنسان هذا المعنى في حياته لعاش ربيع الأيام! ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤﴾ وما كل صبح قطعة من كون، وكم من صبح في المشاعر والوجدان أسفر قبل صبح الكون!

١٠ ـ ما من ظلمة إلا وهي إلى زوال طالت أيامها أو قصرت، وإذا كانت ظلمة الليل الحسية لا تدوم فكذلك ظلام المشكلات والأزمات هي كذلك إلى زوال ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣﴾.

١١ ـ كلما اشتدَّ ظلام الليل في واقعك، فقم إلى جدار قلبك وافتح فيه نافذة من أمل، وارقب من خلالها طلائع الفجر يوشك بك أن تعانق فأل الأمل قبل حلول وقته بزمن طويل.

١٢ ـ المسؤولية فردية، وقد زوَّد الله تعالى كل إنسان بوسائل النجاح، وأمده بالقدرات والطاقات التي تعينه على بلوغ أمانيه وترك له صناعة قراره، والخطو إليه كيف يشاء ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨﴾.

١٣ ـ ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ دعوة لقراءة واقعنا والانشغال به وإصلاحه وتقويمه قبل قراءة واقع الآخرين.

١٤ ـ إما أن تتقدم في أفكارك ومفاهيمك ومشاريعك وإما أن تتخلَّف! هذه سُنَّة الحياة. ليس ثم وقوف أو انتظار. تأكد أنك حين تقف تنتظر شيئاً إنما تتخلَّف عن الطريق بقدر ذلك الانتظار ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧﴾.

١٥ ـ التقدم والتأخر في موازين الآخرة لا يقاس بالعمران الماثل في ساحات الأرض، وإنما بالأفكار والمفاهيم والتصورات والأعمال التي يرقى بها الإنسان في عالم الآخرة.

١٦ ـ الحياة فرص! وكم من مواعظ لم تأخذ حظها من قلوب أصحابها إلا بعد الفوات! ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾.

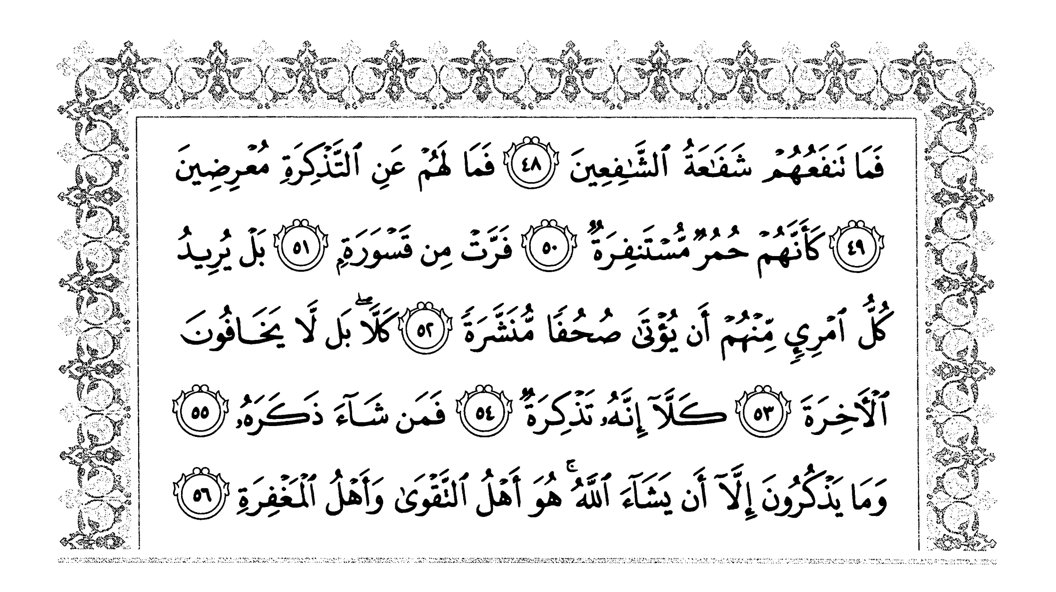
١٧ ـ أكثر الأسئلة مضاضة وأشدها ألماً سؤال التفريط ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ ﴾ وأصدق الأجوبة اعترافاً بالخذلان والندامة ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

١٨ ـ كم من رفقة أودت بصاحبها في مواقف الخذلان! ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

١٩ ـ تعطيل الإنسان لملكاته وقدراته وإمكاناته من أسوأ ما يواجهه في حياته، وكم من إنسان سلّم قياد نفسه للآخرين! ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

٢٠ ـ كثير من مواقف الخذلان تلك التي تتم في وسط مجموعة الأصدقاء، والخلان ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ فتخيّر من يعينك على طريق الحق.

❀ ❀ ❀



فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

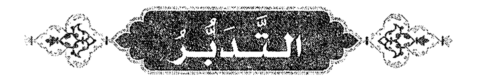
التفسير

- ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ فلا ينتفعون بشفاعة أحد يوم القيامة لسوء أعمالهم.
- ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ صادين غافلين.
- ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ كأنما هم حمير وحش.
- ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ من أسد.
- ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزّل عليه كتاب كما أنزل على النبي ﷺ.
- ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ إنما أوصلهم إلى ما هم عليه عدم إيمانهم بالآخرة، وتكذيبهم بوقوعها.

• ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ٥٤﴾ أي هـذا القرآن العظيم ومـا فيه من مثل هذه المواعظ.

• ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ٥٥﴾ اتعظ به، واستفاد مما فيه ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ وما ينتفعون إلا إذا أراد الله لهم الانتفاع ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ هو أهل لأن يتقى.

• ﴿وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦﴾ وأهل لأن يغفر ذنب من تاب وأناب إليه.



١ ـ خطأ التصورات مشكلة تطارد كثيرين، وتقذف بهم في مرات كثيرة في تيه الظلام! ما الذي جعل الإنسان يعرض عن الموعظة مع أنها لا تكلفه حملها والنوء بأثقالها! ما الذي دعاه لأن يتصوَّر أنها عدو يطارده وهو يفر منها في كل حين! إنها التصورات الخاطئة حملته على كل ذلك، وفي النهاية فاتت عليه الفرص، وبات ضحية النهايات ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ٤٩ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ٥٠ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ٥١﴾.

٢ ـ الموعظة مجرد رسالة يمكن للإنسان أن يقرأها ويوظفها في حياته بالطريقة التي يراها، ولست مجبراً أمام هذه الموعظة بشيء. أنت صاحب القرار في النهاية فما لك وللهروب! ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ٤٩ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ٥٠ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ٥١﴾.

٣ ـ الكبر غالباً ما يصد عن الهداية! ويقف أمام سيلها الهادر بالفضائل، رفض هؤلاء الهداية، ولم يجلسوا بين يدي الوعاظ لأن نفوسهم لا تقبل إلا كتباً تنزل

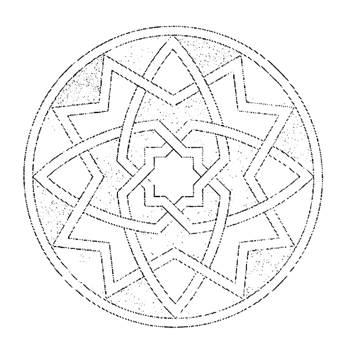
عليهم من السماء تدعوهم وتدلهم على الخيرات ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ حين نعتقد أن لنا شـيئاً خاصاً، وأننا نسـتحق أن نتميّز عن غيرنا تتجافى الخيرات عن طريقنا، وكم من سيل هادر لم يجاوز المنخفضات!

٤ ـ الهداية حق مشاع بين الجميع ليست حكراً لطائفة أو مذهب أو جماعة أو حتى فرد. وهذا القرآن إنمـا هو لمجرد الذكرى ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾.

٥ ـ كل إنسـان حر في خياره، وهو المسـؤول عن تبعات ذلك الاختيار، لست مجبراً على اعتناق فكرة أو منهج أو دعوة، بل لك الخيار في كل ذلك ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾.

٦ ـ أيّاً كان ماضيك فلا تجعله عقبة في طريق مسـتقبلك ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ ما أكثر ما يضع الشيطان صاحب الخطيئة في خندق الجريمة! وما أكثر حاجة المذنبين إلى ظلال هذا الوصف المثير لربهم تعالى ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.





سُورَةُ القِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

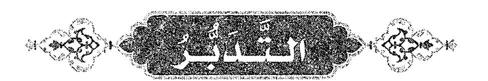
التفسير

- ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾ لا للاستفتاح والاهتمام بما بعدها، وهو القسم بيوم القيامة وما فيه من أحداث وأهوال.

- ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ جميع النفوس الخيّرة والفاجرة، وسميت لوامة لكثرة تلونها وترددها وعدم ثبوتها على حال.

- ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ أيظن أنـــا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها بعد تفرقها في القبور.
- ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ على أكثر من ذلك ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ إننا قادرين على أن نعيد البنان على صغره، ونؤلِّف بينها حتى تســتوي، ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار أقدر، وقيل: أي قادرين على أن نجعل أصابع يديه ورجليه شــيئاً واحداً كخف البعير أو كحافــر الحمار لا يمكن أن يعمل بها شيئاً.
- ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ يكذّب بما أمامه من البعث والحساب.
- ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ متى يكون.
- ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ تحيَّر وشــخص من شــدة هول ما رأى من أحداث القيامة.
- ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨﴾ ذهب ضوؤه.
- ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ جمع الله بينهما يوم القيامة وكُوِّرا في النار.
- ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾ حين يعاين هذه الأهوال، يقول: أين الملاذ والمهرب؟!
- ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١﴾ لا ملجأ لأحد دون الله تعالى.
- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ المرجــع والمصيــر ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ﴾ يخبر بجميع أعماله حسنها وقبيحها صغيرها وكبيرها.
- ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها.

- ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ يعرف حقيقة ما هو عليه من إيمان أو كفر، أو طاعة ومعصية، وقيل شاهد على نفسه بما اقترف.
- ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ ولو جادل عنها واعتذر إلا أنه عارف بما وقع فيه أيام الدنيا.
- ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ لا تحرك لسانك بالقرآن عند إلقاء الوحي عليك لتأخذه على عجل مخافة أن يتفلّت منك.
- ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ ﴾ في صدرك حتى لا يذهب عليك منه شيء.
- ﴿ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ وتسهيل قراءته وحفظه حتى تتمكن منه، وهذا وعد من الله تعالى وقد حصل.
- ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ تلاه عليك الملك ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ فاستمع له.
- ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ بيان معانيه، وتفسير ما أشكل فيه.



التَّدَبُّر

١ ـ تثير السورة ثلاث قضايا مصيرية: قضية الموت كقدر مكتوب على كل مخلوق في الدنيا ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ وتبعث حقيقة يوم القيامة ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾ ثم تذكّر بمآل الخلق في ذلك اليوم ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ وإذا أبصر

الإنسان هذه الحقائق أدرك أن نجاحه في هذه الحياة مرهون بإدراك هذه الحقائق الكبرى والعمل لها والقيام بحقوقها.

٢ ـ ما أوسع الآثار السيئة التي تحدثها الغفلة في واقع صاحبها! وكم من أهداف وغايات حال هذا المرض دون بلوغها، وما رأيت شـؤماً يطارد إنساناً مثل هذا الشؤم! وما رأيت علاجاً يجتث هذا المرض من أصله ويأتي على برئه وعلاجه مثل القرآن. وما يحول بين الإنسان وهذه الغايات إلا مثل هذه الأمراض.

٣ ـ ما أكثر سياط النفوس اللوامة على قلوب أصحابها! كم من خطيئة ضربت بثقلها في عمق نفوسـنا وكانت من أشـد العقوبات العاجلة ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ النفس التي تلظى صاحبها عند فوات كل حظ من خير، وعند كل تقصير. ما أكثر ما يقع لنا من هذا اللوم، وما أقل ما نتعظ!

٤ ـ كم من خصام سافر في دواخلنا بيننا وبين الأخطاء التي نقع فيها! في نفوسنا ما يكفي من السياط لو كنا نشعر بأثر الجرائم. وما لجرح بميت إيلام ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: والله ما نرى المؤمن إلا يلوم نفسه يوم القيامة: ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسـي. اهـ وهذا ليس في الآخرة بل يجري مع الإنسـان في كثير مـن المواقف الصالحين منهم وغير الصالحين!

٥ ـ ما أجلب على مستقبل إنسان بالخسارة كما أجلبت عليه الشهوات ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ أي يكذب بمستقبل الجزاء والحساب، وما يصنع ذلك بنفسه إلا حب الشهوات.

٦ ـ إذا أردنا تأثيراً للخطاب الدعوي، فيجب أن يقوم هذا الخطاب على مرتكزات كثيرة من أهمها خطاب العقل بمـا يحمل من أدلة ودلالات وقناعات تجعله في موضع الاحتفاء والسرور به، والقناعة فيه. وفي قول الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ

أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ إشارة إلى هذا المعنى فالقادر على خلق البنان أول وهلة رغم دقته قادر على إعادة ما بقي من الجسد وهو ترقٍّ من الأصعب إلى الأسهل، ودعوة لإعمال العقل في هذه الصور من جديد.

٧ ـ فرق بين البلاغ الذي يعد مهمة الدعوة في الأصل (إن عليك إلا البلاغ) المزوّد بكل أدوات التأثير، والحامل في جنباته كل عواطف الوجدان للتأثير على المدعو وإقناعه بهذه الرسالة، والبلاغ الذي يتخلّص به صاحبه من تبعات الدعوة حتى ولو في الظاهر. إن هذا القسم الكبير الذي يستهل به القرآن خطاب الدعوة، ويواجه العقل، ويستحث الوجدان رسالة أن الدعوة مسؤولية ضخمة يجب أن تأخذ حظها من العناية والاهتمام ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾.

٨ ـ الموعظة فن! تبدأ بهذا السؤال الاستنكاري ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ ثم تجيب بهذا التحدي العريض ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ فرق كبير بين موعظة باردة لا أثر لها، وموعظة تستفز القلب، وتأتي على مشاعر الإنسان، وتأخذ حظاً مثيراً من وعيه، ثم تدلف عليه بالخير العميم.

٩ ـ إنكار يوم القيامة إما متولد عن شبهة لأن هؤلاء لما رأوا تفرُّق الجسد قالوا محال أن يعود مرة أخرى ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ وإما متولّد عن شهوة، لأن هؤلاء لما تدنسوا بالشهوات واللذات رأوا أن في إثبات ذلك تنغيصاً لهذه الشهوات ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ وغالب الخلق إنما يؤتون من هذين الطريقين.

١٠ ـ ما أكثر عواقب التفريط على أصحابه! هل كان يظن الواحد من هؤلاء أنه سيأتي يوم يبحث فيه عن الفرار ثم لا يجد طريقاً إليه! ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ﴾

كم في أيام الدنيا من فُسح! وكم في حياة كل إنسان من فُرص! وليأتين على الإنسان أيام يبحث فيها عن الفرار من مواجهة مصيره فلا يجد إلى ذلك سبيلاً.

١١ ـ العدل هو الناموس الذي قامت عليه السموات والأرض ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾ لا يفلت من تاريخ إنسان شيء. أياً كان رجلاً أو امرأة، وفي أي حقبة من زمن، وفي أي مساحة من مكان، سيأتي في النهاية يقرأ سيرته وتاريخه وعمله وتراثه كما لو أنه صنعه الآن.

١٢ ـ قد ننجح في خلق الأعذار لأخطائنا الشخصية، ونجد تبريراً وافياً لقعودنا عن دوائر التأثير لكننا لا نملك دفع تلك الحقيقة التي تواجهنا من الداخل ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ هذا في الدنيا فكيف بالوقوف بين يدي الله تعالى في العرصات! ما أكثر ما نبحث لأنفسنا عن الأعذار التي تبرر لنا الخلاص من مواقفنا، ومشكلاتنا، وما أكثر ما تصفعنا هذه الحقيقة ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ في كل ساعة خلوة!

١٣ ـ (الأنا) أسوأ ما يواجه نجاحنا وتقدمنا! وكلما حاول الواحد منا الاعتراف بخطئه وواقعه واجهته (الأنا) فستر كل شيء ومضى مكابراً في الطريق رغم الأمراض التي يعيش مراراتها في واقعه.

١٤ ـ المصارحة، ومواجهة واقعنا وأخطائنا بوضوح، واعتبار الخطأ جزءاً من بشريتنا، والخلاص من الأنا الزائفة هو المساحة التي يمكن أن نتوسع من خلالها ونأتي على آمالنا الكبار كما نريد.

١٥ ـ أنت أعرف بنفسك، وكل ما تراه وتسمعه من حولك لا يعدو أن يكون ظاهراً لا علاقة له بواقعك بعمق. فلا يغرك المادحون، ولا يؤثِّر فيك اللائمون؛ فالحقيقة لا تعدوك قيد شبر ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾.

١٦ ـ الوحي أعظم الوسائل أثراً في البناء سواء على مستوى ذواتنا أو مشاريعنا، وقد تكفَّل الله تعالى بحفظه من الخطأ والضياع ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ لو أن كل فرد استقطع جزءاً من سنام وقته لهذا الوحي وتربى من خلاله لتحقق للأمة جزءٌ من تاريخها من خلال تلك الأوقات.

١٧ ـ بداية المشاريع، والخطوة الأولى فيها، وإشعال سراج ظلام البدايات صناعة يملكها أصحابها، وعلى قدر تلك البدايات، وذلك الخطو وقدر الضوء في ذلك الفتيل تبدأ رحلتها الجادة في الواقع، والنهايات بيد الله تعالى، لولا هذا الشوق وتلك البدايات ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ لما جاء فيض تلك النهايات ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾.

١٨ ـ الحَدَبُ على المشـــاريع، والشـــوق إليها، والهتاف بها هـــي صناعة الكبار والرواحل! ما أشد رغبة النبي ﷺ وحرصه على حفظ الوحي وضبطه، والخوف على فواته! وكذلك يفعل صُنَّاع الحياة ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ وغالباً لا تحقق المشاريع واقعاً بهيجاً إلا من خلال تلك الأشواق في قلوب أصحابها.

١٩ ـ أخذ المشاريع بجد هو منهج الكبار! لقد عاش النبي ﷺ مشغولاً بمشروعه ورسالته للدرجة التي يلاحق فيها جبريل في أخذ القرآن خوفاً من فواته ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ جزء كبير من مشاريعنا الشخصية تتوقف قبل تمامها، وتموت قبل أوانها لأننا لا نأخذها بتلك المســاحة الجادة التي كان رسولنا ﷺ يأخذها. حين تقرأ هـــذا الصورة من الحدب على اللحاق في حياة رســولنا ﷺ بواجبه ومشروعه ورســالته تقرأ في مقابلها تلك الجوانب التطبيقية التي عاش عليها ﷺ حتى النهاية.

❀ ❀ ❀

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

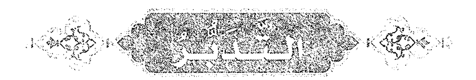
التفسير

- ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾ الدنيا وما فيها من اللذات.
- ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ تدعونها وتتشاغلون عنها.
- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ حسنة بهية.
- ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ تنظر إلى ربها عياناً زيادة في نعيمها.
- ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ كالحة عابسة كئيبة.
- ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ داهية.

- ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ في حال الاحتضار، وما يصاحب ذلك من الأهوال، والتراقي: جمع ترقوة، وهي العظام التي بين ثغر النحر والعاتق، كناية عن رحيل الروح من الجسد.
- ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾﴾ مَنْ يرقيه؟!
- ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ وأيقن الذي نزل به ذلك أنه فراق الدنيا بما فيها.
- ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ التوت ساقه بساقه الأخرى عند الموت، فماتت رجلاه ويبست ساقاه، ولم تعد قادرة على حمله.
- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ المرجع والمآب.
- ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ بالدين والجزاء ﴿وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ ولا أدى الصلاة المفروضة عليه، وقيل: لا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه، وهذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدنيا مكذباً للحق بقلبه، متولياً عن العمل، فلا خير فيه ظاهراً ولا باطناً.
- ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالحق الذي جاءه من ربه ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ عن الأمر والنهي.
- ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ جذلان أشراً بطراً لا هَمَّ له ولا عمل.
- ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ تهديد ووعيد لمن كان هذا حاله في الدنيا.
- ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ فلا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يسأل.
- ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ من قطرة ماء تمنى في الرحم.
- ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ دماً بعد النطفة ﴿فَخَلَقَ﴾ فقدّره بأن جعله مضغة مخلقة ﴿فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ فعدله، وكمّل نشأته، ونفخ فيه الروح.

• ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ من المنـــي، وقيل من الإنســـان ﴿ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ الرجل والمرأة.

• ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ أليس الذي أنشأ هذا الخلق البديع وقدر عليه ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ يعيد الأجسام بالبعث على ما كانت عليه في الدنيا.



١ ـ حب العاجلة، وقصور الرؤى، وضعف الأحــلام، والرضى بالدون هو الذي وقف حائلاً أمام كثير من غايات وأحلام الكبار في الواقع ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ وهذا في كل شــيء. كم من صاحب هدف اســتطال الطريق وترك مرابع الجادين! وكم من صاحب مشروع فارق مشروعه بعد أن أوشك على التمام! وكم من مستعجل للشهوات فاته حظ الدارين منها!

٢ ـ كم من سهم في الدنيا كان على حساب أسهم الآخرة! ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ لو وعـــى الواحد منا ما ينتظره في الآخـــرة لتحولت إلى هم يلاحقه، ويســـيطر على وقته وفكره وهمومه، وإلّا لن تصل لتلك الغايات التي تؤملها والأشواق التي تحلم بها.

٣ ـ يمثّل الحافز دوراً مثيراً في حمل التكاليف، والقيام بالواجبات، وكلما كان الحافز مثيـــراً كانت النتائـــج كبيـــرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ وعلى المربين، وصنّاع المشاريع، وحمّال رايات الإصلاح أن يفطنوا لحاجة النفوس إلى لعاع الحياة العاجل، ومثيرها الآجل، ويدفعون من الأول ما يعين على بلوغ الثاني بإمعان.

٤ ـ النفوس تكل، وتتعب، وتجهد، وإن لم يأتها شيء من الغيث العاجل توقفت عاجزة عن حمل أثقال الأهداف، والمشاريع، والآمال، وكل إنسان بصير بنفسه

ومن معه، وعليه أن يعينها على بلوغ غاياتها من خلال الحافز المناسب سواء كان عاجلاً في اللحظة أو آجلاً إلى حين ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾.

٥ ـ الجزاء من جنس العمل! ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ للنفوس الكادحة المجهدة المتعبة في الطريق الطويل، الحالمة بآمال المستقبل، والباذلة في سبيله كل شيء ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) ﴾ للنفوس القاعدة عن ساحات العمل، وللأماني الفارغة من البناء.

٦ ـ في الحياة نعيمان! نعيم الجمال الذي يراه الإنسان في الكون من خلال صورة أو مشهد، ونعيم الروح الذي لا يصنعه إلا العمل الصالح. الأول تلقاه في عرض الطريق، ويهبه الله تعالى من شاء من خلقه حياً أو جماداً، والآخر لا يوجد إلا في مباهج الروح. الأول: لا صناعة لنا فيه، والثاني: كله من صناعة الإنسان. ولو تخيّل عاقل مباهج هذا الجمال في نفسه ومشاعره يوم القيامة لجالد عليه بالسيوف ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾.

٧ ـ إذا جال بنظرك جمال بهيج في موقف ما، فاقرأ على نفسك تلك اللحظة مباهج تلك الدار ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾.

٨ ـ وإن لحظة تنتظرك في قادم الأيام ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ لهي كفيلة بالسلوى عن كل نعيم ترجوه ولو لم تدركه إلا بعد حين!

٩ ـ ما أوسع الفرق بين موازين الدنيا والآخرة! وكم من قبيح صورة في عرض الدنيا جاء يوم القيامة في ظلال ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾.

١٠ ـ الموت حقيقة تدفع للعمل، وتبني المستقبل، وتزيد في رقعة التحديات، وتصنع الفوارق الكبرى في واقع المخلوقين! ما لنا وللتشاؤم به! إنه لحظة وجدت للتكريم، والابتهاج، ورؤية النتائج، والفرح بالنجاح، وكم من ميت ودّع

دنيا الأسى واستقبل عالم الأفراح ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ (٢٨) وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ (٣٠)﴾ أكثر ما يثيرني أمنيات الكبار ومنها قول الأول: (غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه) وقول الآخر: (يا مرحباً بالموت حبيب جاء على فاقه).

١١ ـ لن تجد دافعاً لأمانيك الكبار، وموقفاً لزحزحة التفاهات في حياتك مثل الموت! هو الحقيقة التي يجب ألا تغادر ذهنك في كل حين، وما قتل الناس مثل طول الأمل ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ (٢٨) وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ (٣٠)﴾ وفي الحديث: «أكثروا ذكر هاذم اللذات».

١٢ ـ الخسارة ذاتية! والتفريط الذي نمارسه في واقعنا نحن الذين سنجني ثماره المرة في النهاية! وذاك الذي تولى غير آبه بكل ما حوله سيعود لائماً ذاته بعد ذهاب أوان التعويض ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ (٣٣)﴾.

١٣ ـ ليست الحياة صدفة عارضة، ولا حركة عابثة بل هي نظام دقيق محكم لغايات تنتظر كل إنسان ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)﴾ ما يبعث البهجة في هذا الكون أنه لغاية، وما يثير فيه الشجن أن ثمة نظام دقيق يدير عجلة الحياة. وما يدعو للعمل هو الجزاء الذي ينتظر كل إنسان في نهاية المطاف.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ الإِنسَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

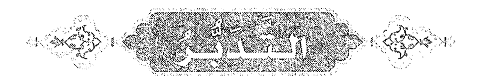
هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

التفسير

- ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ قد أتى على الإنسان زمن من الدهر لم يكن شيئاً مخلوقاً ولا مذكوراً.
- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ بني آدم ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نختبره ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية.
- ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ﴾ عرّفناه، وبيّنّا له ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ طريق الخير وطريق الشر، أو طريق الهدى وطريق الضلال ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ بالاهتداء فيه ﴿وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ بالإعراض عنه.

• ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ أرصدنا لهم ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ يسحبون بها ﴿وَأَغۡلَٰلًا﴾ قيوداً يُغلون بها ﴿وَسَعِيرًا ۝٤﴾ ناراً تسعّر عليهم.

• ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ أهل الطاعة والإخلاص الذين بروا بطاعة ربهم تعالى، ﴿يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٍ﴾ خمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج وتخلط به ﴿كَافُورًا ۝٥﴾ في طيب رائحتها كالكافور.



١ ـ هذه السورة تُقرأ في صبح كل جمعة اليوم الذي تقوم فيه الساعة تهتف بأرواح المؤمنين، وتذكرهم ما ينتظرهم من غايات! وتدعوهم للثبات على الطريق حتى موعد اللقاء!

٢ ـ تواجه السورة في بدايتها كبرياء الإنسان، وتقف في وجه تمرده على المنهج وإعراضه عن الحق، وتعرفه بحقيقته، وتبين له واقعه قبل أن يكون شيئاً مذكوراً في الأرض ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ ما أسوأ كبرياء الإنسان على الحقائق!

٣ ـ قيمة الإنسان ليست في الصور التي تعرض له في الحياة، أو في المكتسبات التي يجدها في طرقها، قيمته الحقيقية في تحقيق الغايات الكبرى التي خُلق لها، ومن أجلها وجد ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ﴾.

٤ ـ ثمة صلة كبرى بين النعم التي يهبها الله تعالى للإنسان وبين الواجبات المنوطة به. وكلما زادت تلك النعم زادت قيمة التكاليف المنوطة به ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ ليست عبثاً، وهامشاً، وإنما طريق لغاية كبرى ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ كم من

نعمة استوفت حظها في حياة صاحبها لم تلق شكراً! وكم من محروم أتى على كثير من الغايات!

٥ ـ وسائل المعرفة تمثّل دوراً كبيراً ومؤثراً في نضج الإنسان، وكمال تأثيره، وعلى قدر العناية بها تأتي النهايات، وما يصنع مخلوق في الأرض لولا هذه الوسائل في حياته ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾!

٦ ـ من رحمة الله تعالى بالإنسان أن زوّده بوسائل المعرفة والإدراك، ومكّنه من الوصول للحق، ثم ترك له الحرية في الطريق التي يختار. إن إنساناً يهبه الله تعالى كل شيء، ويعينه على بلوغ الحقيقة بشتى الوسائل ثم يتنكّب الطريق، ويدبر باحثاً عن الضلالة لهو حقيق بها، ولا شرف له بالإسلام ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾.

٧ ـ من روائع الجمال في الإسلام هذه الحرية التي يهبها للإنسان! فلا يكلفه أن يعتنقه مجبراً، أو يأتي إليه مغلولاً في الآصار! ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ أبان الله تعالى الطريق، وذكّره بنهاياته، وجعل موعداً للجزاء، ومن اختار طريقاً عليه أن يستقبل نهاياته.

٨ ـ من أسوأ ما يواجه الإنسان في حياته هذا الاستسلام السلبي أمام القدر. في كثير من الأخطاء التي يرتكبها، والعادات السلبية التي يقع ضحيتها يرمي بها للقدر متخلياً فيها عن مسؤوليته مع أنه يملك فيها القرار، ويستطيع أن يصنع فيها التغيير ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾.

٩ ـ تولّى القرآن الكريم تصحيح المفاهيم والأفكار بصورة لم يسبق لها مثيل، وما من كتاب يحمل قارئه على أفكار ناهضة في الواقع إلا وهو جزء من مفاهيم هذا القرآن. وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ أحد المفاهيم الكبرى التي حررها القرآن، وما زالت تلقى انحرافاً في واقع كثير من المسلمين.

١٠ ـ النهايات معقودة على البدايات، وهذه النهايات الخاتمة لأصحابها ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥﴾ أثر من آثار تلك البدايات.

١١ ـ لا فرق من حيث أصل النتيجة والنهاية بين الطريق الحسي الذي تقود فيه سيارتك وأنت موعود في آخره بحتفك وسوء نهايتك، والطريق المعنوي الذي تقود فيه نفسك إلى ما ينتظرها من سوء. مَنْ هذا العاقل الذي يضع قدمه في الأسر، ويده في الغل، وجسده في شعاب النار! ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤﴾ لو كنا نقرأ بوعي لصنع فينا القرآن عجائب الدهر!

١٢ ـ ما أكثر عوائد العمل الصالح على أصحابه! ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦﴾ وكم من جهد أفاض على أصحابه بالخيرات! يكفي من ذلك هذا الفيض من الكرم، وهذه النهايات من النعيم ﴿يَشۡرَبُونَ﴾ و ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ في يوم أحوج ما يكون فيه الناس لذرات الأعمال.

١٣ ـ ما أحوجنا للخيال هنا بالذات! ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦﴾ إنها ليست خمراً محضاً! وإنما ممزوجة بالكافور! وليست كأساً واحدة وإنما عين تفيض بالشراب يفجرونها كيف شاؤوا، إلى أين شاؤوا، متى ما شاؤوا، وا شوقاه لهذا النعيم! ذاك المحروم يبحث عن جرعة ماء، وهذا البر يجر عينه حيث شاء وينعم كيفما أراد.

❀ ❀ ❀

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ
مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا
نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا
قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا
صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا
﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ
وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ
مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ
مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا
﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ
رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ
كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ
وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ
وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ
أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا
﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ
مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

التفسير

- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ يشربون منها الخمر ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ يجرونها إلى حيث يريدون، وينتفعون بها كما يشاؤون في قصورهم ومجالسهم ومحالهم.
- ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ يسوق الله تعالى هنا سبب استحقاقهم لهذا النعيم ومحالهم.
- ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ إذا أوجبوا على أنفسهم طاعة وفَّوا بها ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ يخشون يوم القيامة الذي يكون عذابه فاشياً منتشراً ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ على حال محبتهم له، وشهوتهم فيه، وتعلقهم به ﴿مِسْكِينًا﴾ ذا مسكنة وهو الطوّاف الذي يسأل المال ﴿وَيَتِيمًا﴾ وهو الصبي الذي لا أب له ﴿وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ أسير الحرب، وهو عام في أسرى المسلمين والكافرين لا فرق، قال الحسن: ما كان أسراهم إلا مشركين لأن في كل كبدٍ رطبةٍ أجراً.
- ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ رجاء ثواب الله تعالى ورضاه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ مقابلاً مالياً لما نقوم به ﴿وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ ثناءً قولياً.
- ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ عبست فيه الوجوه وقبضت ما بين أعينها كراهية لذلك اليوم ﴿قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ طويلاً.
- ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ أَمَّنَهُمْ مما خافوا منه ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ في وجوههم ﴿وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ في قلوبهم، وذلك أن القلب إذا سُرّ استنار الوجه.
- ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ أعطاهم جزاء صبرهم على الطاعات، وجزاء صبرهم عن الشهوات ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ منزلاً رحباً، وعيشاً رغيداً، ولباساً حسناً،

جمع لهم بين سعة المنزل، وجمال اللباس، وطيب العيش، ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ على الأسرّة ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا ﴾ في الجنة ﴿ شَمْسًا ﴾ حراً مؤذياً ﴿ وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ برداً شديداً.

- ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا ﴾ ظلال أشجارها قريبة منهم مطلة عليهم ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ سخرت لمتناوليها حتى أنه متى رغب الآكل في شيء منها دنت إليه، وتدلّت عليه.

- ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ ﴾ يطوف عليهم الخدم إذا أرادوا الشراب بأواني الفضة ﴿ وَأَكْوَابٍ ﴾ جمع كوب، وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم ﴿ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ ﴾ أي أن تلك الأكواب كالقوارير في الصفاء، وكالفضة في البياض.

- ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ على قدر ريِّهم لا تزيد ولا تنقص، وهذا أبلغ في لذة الشارب، وأعذب في حصول المقصود.

- ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا ﴾ يسقى أهل الجنة فيها كذلك ﴿ كَأْسًا ﴾ خمراً ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ ﴾ ممزوجاً لهم بالزنجبيل مبالغة لهم في النعيم، تارة تمزج لهم بالكافور لأنه بارد وتارة تمزج لهم بالزنجبيل.

- ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ عين في الجنة تسمى سلسبيلاً، وإنما سميت بذلك لسلاسة سيلها، وحدة جريها، وسلاستها في الحلق ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ ﴾ يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ على حالة واحدة لا يتغيرون عنها من الشباب والجمال والنظافة.

- ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ من كثرتهم، وحسنهم، وجمالهم، وانبثاثهم في تلك الأماكن ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ إذا نظرت في الجنة ورميت

بطرفك هناك فرأيت ما أوتي الأبرار ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ لا يوصف من الجمال والبهاء.

- ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ في السعة والعدد والكثرة.
- ﴿عَالِيَهُمْ﴾ لباسهم الذي على ظواهرهم، والتعبير بعالي في هذا الموطن بأن هذه الثياب هي ثياب الزينة والجمال ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ حرير ناعم مما يلي الباطن من أجسامهم ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ حرير فيه بريق ولمعان مما يلي الظاهر من أجسامهم ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ ألبسوا في أيديهم أساور الفضة ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ لا كدر فيه بوجه من الوجوه.
- ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ على ما قدمتم من الأعمال الصالحة ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ مجازى عليه غير مضيّع.
- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ منة يمتن الله تعالى بها على نبيه أن نزّل عليه القرآن مفرّقاً.
- ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ كما أكرمك بما أنزل عليك اصبر على قضائه وقدره، وتبليغ أمره، والعمل لدينه ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا﴾ فاعلاً للإثم ﴿أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ واقعاً في الكفر، نهاه أن يطيع العصاة والكفرة.
- ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ بالدعاء والصلاة والذكر ﴿بُكْرَةً﴾ أول النهار ﴿وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ آخر النهار.
- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ أكثر له من السجود ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ أطل في ذكره وعبادته.
- ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ أي الكفار والفجار ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ من اللذات الدنيوية ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ يوم القيامة.

- ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ﴾ أوجدناهم من العدم ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أحكمنا خلقهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ بإهلاكهم والإتيان مكانهم بآخرين.
- ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ هذه الموعظة من السورة ذكرى وعظة للمعرضين المدبرين ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ بالطاعة والقربى إليه.
- ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وما القربى إلى الله تعالى والزلفى إليه إلا بتوفيقه وهدايته، فإنه عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له، عليم بمن لا يستحقها فيصرفها عنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ عليماً بمن يستحق الهداية حكيماً في تدبيره وأمره ومشيئته.
- ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ فيختصه بعنايته ويوفقه لأسباب السعادة، ويهديه لطرقها ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين اختاروا طريق الغواية والشقاء ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ مؤلماً قاسياً شديداً.

التدبُّر

١ ـ إذا أتعبك الانتظار، وطال عليك الأمد، ونأت بك الدار، ولم تلق حادياً يعينك على طول الطريق، فأعد قراءة هذا المعنى مراراً ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞﴾.

٢ ـ ماذا بقي من نعيم وقد جمع الله تعالى للأبرار في الجنة بين نضارة الأجسام وسرور القلوب مع ذهاب الخوف واستقرار الأمن والطمأنينة في حياتهم؟! ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾.

٣ ـ كم من مجهد مكدود في أيام الدنيا عاد بهيجاً مخدوماً في ساحات الآخرة ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾.

٤ ـ القدرة على الوفاء، وحمل التكاليف، والقيام بتبعات المسؤولية هي التي تصنع الفارق في حياة أصحابها سواء اليوم في واقع الدنيا، أو غداً في ساحات الآخرة ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾. ما كان لهؤلاء أن يلقوا هذا النعيم وتتحقق لهم هذه النهايات لولا مباهج العمل في حياتهم بالأمس.

٥ ـ الأصل أن الحياة قائمة على مبدأ الحقوق والواجبات، ونعيم الإنسان في الآخرة على قدر عطائه. وعلى قدر ما تهب من وقتك وجهدك تأتيك الخيرات! وهذا النعيم البهيج للأبرار، والخسارة للكفار جاءت نتيجة لهذا المبدأ وتكريساً لمفاهيمه في واقع كل إنسان ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٩﴾ ﴾.

٦ ـ أعظم ما في هذه العقيدة أنها وحي السماء، وأنها منهج رباني صالح لكل زمان ومكان، وليست تنظيماً بشرياً تُستنفد فيه طاقات مجبولة على النقص ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ بكل ما فيه من أحكام وآداب وشرائع مرتبة مفصلة لا يأتيها الباطل، ولا يعتريها النقص. وأياً كانت مباهج المصالح الظاهرة في واقعة إذا لم تلتق مع هذه الشريعة في ذات الطريق فهي هباء لا قيمة لها، ولا مصلحة من ورائها.

٧ ـ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ رسالة في مواجهة زيف الجاهلية وكيرها النتن، وعروضها المغرية في عرض الطريق. إن هذه الرسالة منهج لا يستقيم مع واقع الجاهلية الزائفة في الأرض! منهج له كيانه، وقيمه، ومبادئه وأولوياته مواجهٌ تماماً لكيان الجاهلية، وقيمها، ومبادئها، وأولوياتها لا يمكن أن

يلتقي معها في طريق، أو يجتمع معها في مكان، أو تجمعهما أولوية واحدة في واقع الأرض. تلك من السماء، وهذه من الأرض، تلك وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذه أهواء وشهوات وملذات.

٨ ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ دعوة للدعاة، والمصلحين، وأصحاب المشاريع، وصُنَّاع الحياة أن يدركوا أصل رسالتهم ودعوتهم، فإن هذا أمكن لهم في مواجهة الباطل وزيف الجاهلية بعز وشموخ. من زمن بدء الرسالة إلى يومنا هذا كلما قامت الرسالة في مكان قامت الجاهلية في ذات المكان تصاول عن مكانتها الوهمية، وتدافع عن قيمها الواهية. تحاول جاهدة أن تدفع الرسالة لإدراكها أن من شأن الرسالة أن تنقض مكانتهم الاجتماعية، وتحارب قيمهم السائدة، وتواجه مصالحهم المادية، وتقف في وجه شهواتهم وحياتهم العابثة. ولن تقف الجاهلية مكتوفة الأيدي أمام قيم الرسالة الجديدة، بل ستحاول جاهدة بشتى الطرق إيقاف مدها، والحيلولة دون مواصلة سيرها، والواقع طافح بذلك من تاريخ شروق شمسها إلى يومنا هذا وستظل! حاولت الجاهلية من خلال إيذاء تلك الفئات التي استجابت للرسالة مبكراً واقتيادتهم للرمضاء في حر الظهيرة، ولم تُبْقِ جهداً في محاولة ردهم عن الطريق حتى لا تستكثر بهم الدعوة ولا تقوى بهم في الطريق، وجمعت من الشبه والأفكار والمفاهيم المشوهة وبثتها في الواقع محاولةً لصدِّ الفئة التي يساورها الهروب من رق الجاهلية إلى فسح الإسلام ومباهجه، وعادت لصاحب الفكرة، وحامل الراية، وموقد السراج في الظلام لتوقف حماسه لفكرته، وتعطل عزيمته في حمل تلك الراية، وتجهد في إخفات ذلك السراج الذي بات يتمدد في الأرض بصورة مثيرة وسريعة تارة بالإغراء، وتارة بالتشويه، وتاره بالتهديد. وفي مقابل كل ذلك كانت الرسالة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾.

٩ ـ تعرض السورة أربع صفات لحمَّال المشاريع، وصُنَّاع الحياة، والرواحل في أمتهم تمكنهم من مواجهة كير الجاهلية، والتصدي لـــه، وإيقاف مده، وتمكين الحق في مقابل ذلك: الصبر، والتجافي عن أصحاب الباطل، والذكر، وقيام الليل ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ الصبر على حمل راية الحق، والسعي به في العالمين، والاستمرار في نشره وتبليغه مهما كانت كلفة الطريق، وشقة المسافات. والبعد عن أصحاب الباطل، وعدم السماع لهم، أو قبول شيء من الحلول التي يقاربون بها بين الطريقين. والإقبـــال على الله تعالى، واللجوء إليه، والتوكل عليه. إن هذه المقومات كافية في النهوض بمشروع الحق، وتمكينه من الواقع، والوصول به إلى غاياته.

١٠ ـ كل الحلول التي يطرحها أهل الباطل مع أصحاب الحق هي جزء من المعركة التي تدار في الواقع، وكل الظنون بها أوهام. والرضا بأي شيء منها رضا بتأخير عجلة الحق في مواجهة عجلـــة الباطل. إن أصحاب الباطل لا يمكن أن يعرضوا صلحاً مجرداً من المصالح، وهم في الأصل لا يعرضون صلحاً إلا حين يشعرون بالهزيمة، فمجرد الوقوف معهم في منتصف الطريق تعويق للحق وإبطاء بمسيرته الكبرى في الطريق ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾﴾.

١١ ـ لا مصالح مشتركة بين الحق والباطل، ولا لقاء في منتصف الطريق، يجب أن يكون الحق في كل مســـاحة هو الأعلى، ويظل الباطـــل محصوراً في أضيق المساحات ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾﴾.

١٢ ـ الإقبال على الله تعالى أعظم أدوات النصر في المعارك التي تدار بين الحق والباطل! إن العبادة ليست شـــيئاً يزيد في رصيد صاحبه غداً بين يدي الله تعالى قط، كلا! وإنما هي الجزء الأكبر مـــن أدوات المعارك حين تدار رحى الحروب

والأزمات. إذا احتدمت الخطوب، وخيّم الظلام في رقعة من الأرض، فليحسن صناع الحياة التوجه إلى الله تعالى، والإقبال عليه، وحسن التضرع بين يديه. وهذا أيها القرَّاء ليس بالضرورة في هيجان المعارك، وإنما في كل نائبة بمؤمن، وفي كل مشكلة تواجهه ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾.

١٣ ـ الصبر الصبر أيها الكبار! مهما كانت الصور العارضة توحي بالهزيمة، والفشل، والإخفاق، وتبني بينك وبين أحلامك آماداً من الزمان فتغلَّب عليها بسكينة الصبر. لا تعجل لبوادر الواقع المشاهد، ولا تقنط إذا احلولك الظلام الدامس ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فاصبر! فما تراه من مشاهد حِكَمٌ يديرها ربك، ومقاصد يأتي عليها من خلال القدر. وإذا تجاوز بصرك الواقعة التي تعيشها أدركت بصيرتك بعضاً من تلك الحكم. وكم من ظاهر وعاجل أبغضناه كان أعود ما يكون علينا بالخيرات!

١٤ ـ تعرض السورة وسائل الحق التي يجب أن يواجه بها الباطل وهي: الشعور بقيمة المصدر، وأنه إلٰهي محض، وأنه لا يمكن بناء جسر من الباطل ليعلو عليه الحق، والاستعانة بالله تعالى من خلال الإقبال عليه، والتوجه إليه، وحسن الظن به، والصبر على طول الطريق، وشقتها مهما كانت آماد مسافتها ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾.

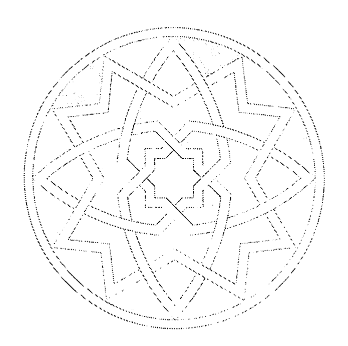
١٥ ـ من أسوأ ما في الإنسان ضمور همته، وضحالة تفكيره، وضعف وعيه حين يترك آجلاً مثيراً في مقابل عاجل رخيص! ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ ما أكثر هذه الصور في واقع الخلق! يتنافسون على عاجل زهيد في مقابل آجل بهيج! إذا أراد الإنسان أن يرى صوراً لأثر التصورات،

وضعف الاهتمامات، وقلة الطموح؛ فلينظر إلى هذه الجموع المتكالبة على هذه الدنيا في مقابل مباهج الآخرة.

١٦ ـ ليس من شرط الموعظة أن تأتي بمستقبليها إلى حياض آمالها! هي ذكرى ودعوة واستنهاض همم لكل من تصله، ويكفيها وضوح رسالتها وحدبها على قومها، وليس عليها بلوغ الآمال ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩﴾.

١٧ ـ النفوس الكبيرة، والقلوب القابلة للهدى والصلاح تستحق هذا الإكرام والإجلال ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ كم من قلب أورد بصاحبه أماكن الهدى! وكم من قلب تنكَّب بصاحبه عن الخيرات!





سُورَةُ المُرسَلات

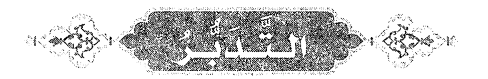
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

التفسير

- ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ الملائكة أو الرياح أو الرسل ﴿عُرْفًا ﴿١﴾﴾ أرسلت بالعرف والحكمة والمصلحة لا بالنكر والعبث.
- ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾﴾ الملائكة أو الرياح، أي الملائكة الموكلون بالرياح تعصف بها، أو الملائكة تعصف بأرواح الكافرين، أو الرياح العواصف التي تأتي بالعصف من ورق الزرع ونحوه.

- ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣﴾ الملائكة أو الرياح، الملائكة التي تنشر السحب أو الرياح التي يرسلها الله تعالى لنشر السحاب للغيث.
- ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥﴾ الملائكة تنزل بأمر الله تعالى على الرسل، فتفرِّق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام .
- ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦﴾ إعذاراً وإنذاراً من الله تعالى لخلقه.
- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾ الذي توعدون به من يوم القيامة كائن نازل لا محالة.
- ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾ ذهب ضوؤها.
- ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾ شققت وصُدِّعت.
- ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠﴾ ذُهب بها، فلم يبق لها عين ولا أثر.
- ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١﴾ جُمعت أو أجلت للاجتماع لوقتها الذي تجمع فيه مع أممها.
- ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣﴾ يوم القيامة.
- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤﴾ استفهام للتهويل والتعظيم.
- ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ بيوم الفصل.
- ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦﴾ من المكذبين للرسل المخالفين لما جاؤوا به من الحق.
- ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٧﴾ ممن أشبههم في العناد والتكذيب.
- ﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٨﴾ مثل هـذا الأخذ العظيم نفعل بالمكذبين في المستقبل.
- ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٩﴾ ما أشد ما أعد الله تعالى لهم يوم القيامة!



١ ـ قضية اليوم الآخــر من أعظم القضايا التي أكّد عليهــا القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ لأنها الأصل في بناء العقيدة، وعليها تقوم تصورات الحياة، وتُبنى على موازينها القيم الكبرى. وما هذا القَسَمُ إلا لتأكيدها في النفوس، وبعثها في الأرواح، وجعلها الحاكمة لتصرفات الإنسان في كل شيء من شؤون حياته. وهذا التباين الكبير الذي تراه في واقع الناس في علاقتهم بالله تعالى وبخلقه هو فرع عن تصوّر اليوم الآخر ومدى الإيمان به.

٢ ـ عظمة الله تعالى، وكمال قدرته، ترى هذا في مشاهد خلق الملائكة وأعمالهم في ملــك الله تعالــى ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا (١) فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا (٢) وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا (٣) فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا (٤) فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا (٥)﴾ وفي الترمذي قال ﷺ: «**أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً لِلهِ**».

٣ ـ جرت حكمة الله تعالى أن الأسباب معقودة بمسبباتها، وأن لكل شيء قدراً، وأن الكون كله يسير في فلك الأسباب والمسببات، لا حاجة لله تعالى أن يجعل شــيئاً من أمره على يد أحد مــن خلقه، وإنمــا لحكم أرادها تعالــى في ملكه ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا (١) فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا (٢) وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا (٣) فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا (٤) فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا (٥)﴾ .

٤ ـ رحمة الله تعالى بخلقه، وما هذه الملائكة التــي تدير هذه الأعمال وتقوم بهذه الشؤون إلا بعض فيض هذه الرحمة إعذاراً للخلق، وإنذاراً لهم ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا (١) فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا (٢) وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا (٣) فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا (٤) فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦)﴾.

٥ ـ النجاح الحقيقي ليس هذه الصور التي نراها في الدنيا في مال أو جاه أو سلطان، وإنما النجاح الكبير في غايات الدار الآخرة. إن هذا الإعذار والإنذار لا يمكن أن يكون على شيء عادي، كلا! لا تغبط مخلوقاً مهما بلغ شأنه في الطريق ما لم تره يسابق لغايات الآخرة، وشرف النهايات الكبرى بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

٦ ـ الأحداث الكبيرة تحتاج إلى مقدمات مثيرة! ولو لم يكن اليوم الآخر مثيراً لدرجة لا يتصورها الإنسان لم تأت هذه المقدمات التي يقف العقل حائراً أمام أحداثها ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ ﴾ وأنت إذا أردت أن تصنع لحدث أثراً وموقعاً فاصنع له مقدمات كبيرة مثيرة! وغالب ما يسكن القلب هو ما سبق بحدث مثير!

٧ ـ على قدر ما معك من الحقائق احشد لها من المقدمات والأحداث الدالة عليها ما يكفي لوصولها إلى أذهان المنكرين، ترى هذه المقدمات التي قدَّم الله تعالى بها على حقائق اليوم الآخر كانت ضرورية لقضية كبرى كاليوم الآخر في مقابل من ينكرها ويتمرد على معرفة فصولها وحقائقها في الواقع.

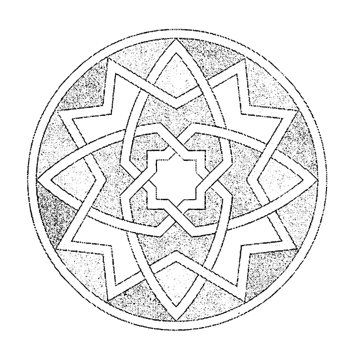
٨ ـ لا تنتظر حقاً كاملاً في الدنيا، أو انتصاراً بيناً دائماً، أو حقائق ليس عليها شيء من الرين، فتلك لا تمنحك إياها إلا مواقف الحساب بين يدي الله تعالى ﴿ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ ﴾ الفصل الذي لا تختلط فيه الحقائق بغيرها، ولا يشوبه شيء من رين الوقائع.

٩ ـ يا حسرة المكذبين بعد فوات أوان الاعتذار! كم كانت جولة الحياة كافية للاعتذار من كل ما يحول بين الإنسان وبين غاياته الكبرى! وما يجدي البكاء بعد الفوات! ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ وكلٌّ على قدره من هذا الويل بدءاً من كافر لا يؤمن بأي قضية فيه إلى آخر أخذ منه ما أحب وترك منه ما يريد، وغداً تبين آماد هذا الويل في حق كل إنسان.

١٠ ـ ما أكثر حقائق القرآن في قلوب المتعظين! وما أقل الذكرى بها في قلوب المعرضين! ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ ليست آيات تتلى، وحروف يتعبد بها فقط، بل هي حقائق يصدح بها القرآن في حياة الغافلين كل حين. أحداث بالأسماء، والأمكنة، والأزمنة وقصص لأقوام أعرضوا عن الطريق وأصروا على مواقف لا تسندها البيّنات فكانت هذه النهايات!

١١ ـ لا تستبطئوا نصر الله تعالى! ولا تقفوا في عرض الطريق متأسفين على فوات العذاب عن المجرمين! وإن طال زمان ظالم في الأرض فإن له موعداً مع النهايات! ولله تعالى حكم تجل عن الوصف في تأخير كثير من الصور يستكمل بها الله تعالى قضاءه وقدره في العالمين ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾.





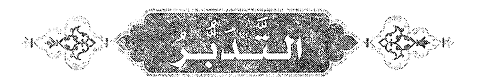
أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ
﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ
كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً
فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ
﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ
﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ
كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ
﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟
قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ
ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ
بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

التفسير

- ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ ضعيف حقير.
- ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١﴾ جمعناه في الرحم.
- ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢﴾ وقت مقدَّر.
- ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣﴾ قدرنا ودبرنا ذلك الجنين في أطواره حتى ظهر في أتم حال وأوفاه.
- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤﴾ تهديد ووعيد.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾ تضمهم وتجمعهم إليها، تكفت الأحياء في المساكن، والأموات في بطونها من المقابر.
- ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ جبالاً شاهقات ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧﴾ عذْباً.
- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٨﴾ تهديد ووعيد.
- ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩﴾ خطاب للمكذبين بنعم الله تعالى.
- ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠﴾ لهب النار من شدته، إذا ارتفع صعد منه دخان له ثلاث قطع.
- ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١﴾ ظـل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه، ولا يقيهم من حر ذلك اللهب.
- ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢﴾ يتطاير الشرر من لهبها كالحصون والقصور في عظمها.
- ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣﴾ كأنها جمل لعظم حجمها صفراء في لونها.

- ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) ﴾ تهديد ووعيد.
- ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) ﴾ لا يتكلمون.
- ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) ﴾ ولا يؤذن لهم في الكلام فيعتذرون.
- ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) ﴾ تهديد ووعيد.
- ﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) ﴾ يوم القيامة جمعناكم أنتم ومن سبقكم.
- ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) ﴾ إن كان لكم حيلــة أو مكيدة تنجيكم من حكمنا عليكم فافعلوها.
- ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) ﴾ تهديد ووعيد.
- ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) ﴾ المتقون من جعلوا بينهم وبين عذاب الله تعالى وقاية؛ بفعل ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.
- ﴿ فِي ظِلَالٍ ﴾ كِنان يقيهم الحرِّ والبرد ﴿ وَعُيُونٍ (٤١) ﴾ من الأنهار جارية.
- ﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) ﴾ من سائر أنواع الثمار مما يطلبون.
- ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) ﴾ يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان والامتنان إليهم.
- ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) ﴾ هذا جزاؤنا لمن قام بالواجب وأحسن العمل.
- ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) ﴾ تهديد ووعيد.
- ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا ﴾ مدة قليلــة قريبة قصيــرة ﴿ إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) ﴾ تهديد ووعيد.
- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) ﴾ إذا أمروا بالصلاة مع الجماعة امتنعوا واستكبروا.

- ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ تهديد ووعيد.
- ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام بعد ذلك يؤمنون.



١ ـ لا أسوأ من الكبر! ولا أقبح من نكران الجميل! يخلق الله تعالى هذا الإنسان ويرعاه حتى يستوي على سوقه ثم يُدْبِرُ وكأنه لا يعرف من هذا المعنى شيئاً. ليته أدرك الحقائق قبل الفوات! ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

٢ ـ لطف الله تعالى ورحمته بعباده، ترى ذلك في إعراض الخلق وإشفاق الخالق، ما أكثر ما يعرض تعالى صوراً يقـرِّب بها الحق، ويبين بهـا الطريق، ويرد بها المعتبرين إلى الحقائق كل حين ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

٣ ـ ما أجلَّ الله تعالى، وما أعظم شأنه! ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ دعوة لتعظيم الله تعالى، والقيام بأمره، وإجلال شأنه، والقيام بحقوقه تعالى. وصور هذه القدرة أكبر من أن يحيط بها عقل إنسان مهما بلغ علمه وشأنه.

٤ ـ يطربك كتاب الله تعالى بأسـاليبه التصويرية البيانية، فيحكي لك صوراً من الخطاب الدعوي المثير، ويقلِّب نظرك في بدائـع توجيهه حتى يأتي منك على النهاية التـي يريد. بدأ أولاً بعـرض لقدرة الله تعالى في الكون، ثم اسـتعرض أحداث اليوم الآخر، وأبان عاقبة الله تعالى في المكذبين، ثم ذكَّر ببديع منن الله تعالى على الخلق، وأبان في الخاتمة النهايات التي يَرُدُّ إليها المتعاطين مع هذا

الخطاب سـلباً وإيجاباً. وخطابنا الدعوي ينبغي أن يستفيد من هذه الصور، وأن يوظفها توظيفاً مثمراً يأتي منها على ما يريد.

٥ ـ ما أسـوأ ما ينتظر المعرضين بين يدي الله تعالى فـي أحداث القيامة! إذا كانت الشـرارة الواحدة التي تنطلـق من جهنم يوم القيامـة في حجم القصر الضخم، والجمـل الكبير فما بالـك بأهلها والمعذبين فيهـا! وفي الحديث قال ﷺ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**» قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا**».

٦ ـ الفرص تعرض وتزول! وكم من فرص وقفت على باب صاحبها، وتعرَّضت له فـي الطريق، فرفض قبولها أو اسـتثمارها، ثم عاد يلهـث وراءها بعد فوات المقصود ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ درس على ألم ضياع الفرص، وفوات الخيرات بعد الزوال.

٧ ـ إذا أراد الإنسان أن تترقى مفاهيمه، ويأتي على مباهج الحياة من خلال مقروء فعليه بكتاب الله تعالى، وأياً كانت الأوقات المصروفة في كتاب بهيجة في حياة صاحبها فهي لا تعدل جزءاً يسيراً من المباهج التي يلقاها المقبل على كتاب الله تعالى قراءةً وتدبراً ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

٨ ـ يا أيها الدعاة! يا أصحاب المنهج! يا أتباع الرسل! لن تجدوا سبيلاً لقلوب الناس أعظم وأكثر أثراً من هذا القرآن! فهبوا له من أوقاتكم ما يدفع بكم وبغيركم إلى ما ترجون من أحلام.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

التفسير

- ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ عن أي شيء يتساءلون، والسؤال هنا سؤال تهكم واستغراب؛ إذ كيف يُسأل عن شيء لا يحتاج إلى بيان؟!
- ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ الخبر العظيم، خبر يوم القيامة.
- ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ مختلفون في الإيمان والتصديق به.
- ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ كلا في القرآن الكريم لفظة وضعت لردع شيء تقدم، والمعنى هنا ليس الأمر كما يقوله هؤلاء، وقيل: بل هي لفظة معناها حقاً، وهي هنا تهديد ووعيد، والمعنى: أنهم سيعلمون حقيقة هذا اليوم غداً حين يقفون بين يدي الله تعالى.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ ممهدة ذلولاً قارَّةً ساكنة.
- ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ جعلها أوتاداً للأرض كي لا تتحرك بأهلها.
- ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ ذكوراً وإناثاً على قول، وعلى قول آخر كل متقابلين من الأشياء من القبيح والحسن، والقصير والطويل ونحو ذلك.
- ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ قاطعاً للتعب.
- ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ غِشاء يتغشاكم سواده، وتغطيكم ظلمته.
- ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ منيراً تطلبون فيه أرزاقكم ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ سبع سموات.
- ﴿شِدَادًا ۝١٢﴾ محكمات.
- ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ شمساً ساطعة قوية في وهجها وضوئها ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ من السحاب.

- ﴿مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ منصباً متتابعاً كثيراً ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾ من البر والشعير وسائر الحبوب التي يأكلها الآدميون.
- ﴿وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ ما جعله الله قوتاً للمواشي.
- ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ أي بساتين مجتمعة ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ يوم القيامة.
- ﴿كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾ مؤقت بأجل محدد.
- ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ البوق الذي ينفخ فيه إسرافيل نفختين بأمر الله تعالى بين كل نفخة وأخرى أربعون عاماً.
- ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ زمراً زمراً.
- ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ طرقاً ومسالك لنزول الملائكة إلى أرض المحشر.
- ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ يخيَّل للناظر أنها شيء وليست بشيء.
- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ معدة ومهيأة.
- ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ المتجاوزين لحدود الله تعالى ﴿مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾ منزلاً ومرجعاً يرجعون إليه، ويسكنون فيه.
- ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ أزماناً.
- ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ لا يجدون فيها برداً لأجسادهم، ولا شراباً بارداً في أجوافهم، والمراد أنهم لا يذوقون مع شدة الحر ما يكون فيه راحة من ريح باردة، أو ظل يمنع من نار، ولا يجدون شراباً يسكّن عطشهم، ويزيل الحرقة عن بواطنهم.

• ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ إلا ماءً حاراً بلغ الغليان من شـدة حرارته ﴿وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾ صديد أهل النار وعرقهم وجروحهم.

• ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ جوزوا بذلك جزاءً موافقاً لما ارتكبوه من الأعمال.

• ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧﴾ إنهم لم يعتقدوا أن هناك داراً يجازون ويحاسبون على أعمالهم فيها.

• ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨﴾ لم يصدقوا بما جاء من البراهين والأدلة على حدوث مثل هذه المجازاة.

• ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ۝٢٩﴾ فكل أعمالهم محصية عليهم مدونة في سجل أعمالهم.

• ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾ توبيخاً وتقريعاً، فليس لكم إلا مزيد من العذاب والنكال.



التدبر

١ ـ ضياع الرؤية أخطر ما يواجه الإنسان في حياته كلها ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ يتساءلون على وجه العبث والاستهزاء عن أخطر قضية في حياتهم وأولى الأولويات. ماذا بقي لهم!

٢ ـ إذا ألفت النفوس شـيئاً، وطال زمن ذلك الإلف صعب معه قبول الحق، واحتاج إلى جهود مضاعفة لنزعـه من تلك النفوس، فهـذه الجاهلية التي امتدت قيمها في النفـوس زمناً طويلاً احتاج الرسـول ﷺ لتصحيح بعضها وإزالة بعضها الآخر إلى زمن مليء بالجهود والمحاولات ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾.

٣ ـ العادات كالقيد الذي يأسر صاحبه، ويجعله يتحرّك بطريقة ركيكة في مساحة من الأرض، وكم من عادة أعاقت صاحبها عن التفكير، وظل أسيراً لها فترة طويلة من حياته. إن الخلاف الدائر في الوحي بين هؤلاء جاء في جزء منه لركام العوائد التي تربت عليها هذه الأمم من زمن طويل. وما زالت بعض العوائد تأخذ حظها في واقعنا، وتقف معارضة للوحي في كثير من الأحيان. وقُلْ مثل ذلك في حياتنا الشخصية، فإن جزءاً من العادات التي تربى عليها الإنسان هي سبب ضعف تفكيره، وانحراف سلوكه، وذبول مشروعه ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾.

٤ ـ من أسوأ الأشياء في حياة بعضنا أنه يؤجِّر عقله لغيره، فيفكِّر بتفكيره، ويتحدث بنمطه، ويحلل من خلال رؤاه، ويصبح أجيراً دون وعي، فهذه الأجيال التي تختلف وتتنازع في الوحي كانت مؤجّرة عقولها لغيرها، ولذا لم تستطع أن تمنح نفسها فرصة للتفكير في تصديق هذا الوحي رغم كل الدلائل والبينات على صحته. وفي زماننا هذا ذات القضية تأخذ حظها من نفوس كثيرين، فترى من يؤجّر عقله لقناة فضائية، أو صحيفة يومية، أو لكاتب معين، أو محلل، ويبقى في النهاية أجيراً في أعز ما يملك في عقله دون وعي. وفي القرآن عرض متنوّع وكثير لإعادة هذه العقول لأصحابها من خلال منهج التفكير المبثوث في ثناياه ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾.

٥ ـ المعتقدات السائدة، والأفكار التي بنتها الجاهلية، والزمن الطويل الذي عاشت فيه تلك القيم والمعتقدات لا يمكن أن تُجتثّ من عقول أصحابها بحديث عابر في وقت قصير، وإنما يحتاج اقتلاع هذا الموروث الكبير إلى زمن طويل من العمل على المفاهيم، والأفكار، والقيم حتى تأتي في النهاية على كمال المشروع، ولعل هذا هو السر وراء قضية عناية السور المكية باليوم الآخر، والبعث منها على وجه الخصوص ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾.

٦ ـ كل ما يتعلَّق بيوم القيامة من أخبار وأحداث حقيق بالقراءة، والفهم والإدراك وفي وصف الله تعالى هذا اليوم بالنبأ العظيم إشارة إلى هذا المعنى الكبير ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾.

٧ ـ الكبار يجب أن ترقى موضوعاتهم التي تدار للنقاش أثناء لقاءاتهم، وزمن الكبار أثمن من أن يضيع في التوافه، والقيل والقال، وحكايات الشارع والعوام. وكم من وقت مصروف في غير طريق، وكم من قضية أخـذت أوقات الكبار وحرفتهم عن مشـاريعهم، وقضايا أمتهم، وفي النهاية دفعت بهم إلى الهامش وهم لا يشعرون. على الرغم من عظمة هذا الموضـوع الذي أدير في هذه المسـاحة للنقاش ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ لولا أنه أدير للنقاش تكذيباً واستبعاداً.

٨ ـ ما أكثر أثر الشـائعات في حياة كثيرين! وما أكثر من تعلَّق بها، وبنى عليها توجهاً وتصوراً، وخرجت في النهاية في صورة عمل، وهي في النهاية لا تعدو أن تكون شـائعة لا حقيقة لها في الواقع. إن هؤلاء الذين صُرفوا عن الحق لم تكن مصادرهم عن النبـي ﷺ، والحق الذي جـاء به مصادر موثوقـة، وإنما كانت شـائعات لا صلة لها بالحقيقة، وبنوا عليها في النهاية معتقدات دفعت بهم في النهاية إلى هذا التساؤل تكذيباً واستبعداً ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾.

٩ ـ أثر التجـرُّد والصدق والإخلاص فـي الوصول إلى الحـق، وكم من فكرة صحيحة أعمى عنها سـوء القصد! إن هؤلاء الذين ظلوا يتساءلون ويختلفون لم يكن لديهم من التجرد للحق شيء، وإنما كانوا يبحثون عن كل وسيلة تقف عثرة أمام هذا الطريق فحسب ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾.

١٠ ـ لا بد أن يلقى الحق رواجاً في قلوب الناس مهما كان الواقع الذي يعيشونه إن هذا الخلاف المبثوث بين هؤلاء أحد الطرق التي سيسـلك منها الحق إلى قلوب كثيرين، ويؤتي منها آثـاره في حياتهم يوماً ما ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ

ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ وفي مرات لا يأخذ الحق موقعه في مساحة معينة إلا من خلال الخلاف فيه والنزاع حوله، كما تراه اليوم في واقع الغرب حين تثار على الإسلام الشبه، أو تأتي بعض الحوادث يبدأ الناس في البحث عن حقائق هذا الدين وتأتي أفواج جديدة للإسلام من جديد.

١١ ـ تأخذ القضايا حقها من الاهتمام، والحرص، والسؤال على قدر أهميتها في واقع الإنسان، وهذا الوعيد ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ جاء على أكثر القضايا أهمية في واقع إنسان قضية الإيمان بالله تعالى. وكم من قضايا توسعت وأديرت فيها نقاشات في مثل زمانك ليس فيها سوى الضياع (وسائل التواصل أنموذجاً).

١٢ ـ ستتلاشى كل الأعذار التي حالت دون الإيمان بالله تعالى يوم القيامة، ولن يبقى منها عذر قائم لتخلّف إنسان، وهذا التهديد ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ يدلك على بوار كل الحجج التي يأتي بها أصحابها طلباً للاعتذار.

١٣ ـ إثارة العقل، ودعوته للتفكُّر، والتأمل، وحضه على إعمال مدخراته في الوصول للحق منهج قرآني ينبغي العناية به في كل مشروع. وفي سرد الآيات الدالة على قدرة الله تعالى، وعظيم صنعه في الخلق عقب إنكار البعث تأكيد على ضرورة إعمال العقل وإثارة التفكير ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾.

١٤ ـ كل الجوارح التي يمنُّ الله تعالى بها على إنسان هي أقصر من أن تهدي صاحبها للحق ما لم يصحبها توفيق! كم من الجوارح التي كان يملكها كل فرد من هؤلاء، ومع ذلك قصرت أن تهديهم إلى الطريق. إن نظرة تأمل واحدة في مشاهد الأرض، والجبال، والسماء كافية أن تأخذ بعقل الإنسان ومشاعره، ولا

يملك معها إلا أن يخر ساجداً لله تعالى تعظيماً وإجلالاً ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾.

١٥ ـ يحتفي الوحي بالعقل ويدعوه للتفكير والتأمل، فإذا ما أسقط حقه في ذلك، وغلبته العادات، وأسرته العوائد، وتخلَّى عن مكانه كان سبيلاً للضلال والضياع. إن الله تعالى هنا لم يأبه بخلاف هؤلاء حول قضية اليوم الآخر، وتوعَّد المخالف بمشاهد الحساب، وقيمة العقل تأتي من قبوله للحق وصدوره عنه لا من إثارة الجدل حول حقائقه ومفاهيمه ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.

١٦ ـ قضايا الوحي أكثر القضايا أهمية في الحياة، ومهما بلغ علم الإنسان في الواقع فلا قيمة له ما لم يرتبط بهذا المعنى، وأي علم لا يعلِّق صاحبه بحقائق الآخرة فلا قيمة له في شيء ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ ومن شؤم العلم على صاحبه أن يحول بينه وبين حقائق الآخرة.

١٧ ـ مشـــروع الدعوة كبيــر، ويجب أن يأخذ حقــه من الإعــداد والتأهيل، وفي الاستفهام بقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ مــا يستثير عقول القرّاء ويحفزهم على التفكير، والسؤال، والنقاش، وأخذ العلم بشوق. وكم من معلومة ممتعة جاءت في قالب ضعيف فذهبت لا قيمة لها في ذهن سامع!

١٨ ـ لا تكتمل حياة مخلوق إلا بزوج! وقــل أن ترى فرداً إلا ويؤوب إلى ذلك الرفيق، وفي الإنسان بالذات من صور هذا المعنى ما يفوق الوصف، وثمة غايات تتصل بهــذا المعنى من بقاء الإنســان في الأرض، وتجديد الرســالة، وتحقيق مصالح الدارين ما فيه ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾.

١٩ ـ ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ تراها في واقع أســرة تهيض بالأفراح، وتراها في واقع آخر مفصولة عن معانيها الكبار. ومن فقه الحياة أجرى هذه السنن على مراد الله تعالى.

٢٠ ـ حاجة الإنســان إلى النوم دليل على ضعفه، ودليل في المقابل على منّة الله تعالى به، فوصف النوم بالســبات لأنه يقطع رتابة الحياة، ويضفي عليها نشاطاً وجدّة، وإذا ما لقي منه الإنسان قدر حاجته قام يتنفّس الحياة من جديد ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾.

٢١ ـ من أعظم الأدلة على ضعفك حاجتك للنوم ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ كم من مريض يبيت يرقب ســاعات الليل محروم من هذه النعمة! وكم من صحيح معافى بــات يتقلّب فــي أعطافها ممنوناً بنعــم الله تعالى عليــه وهو لا يدري! ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾.

٢٢ ـ الليل لباس، فكما أن اللباس يستر عورة الإنسان عن الانكشاف فكذلك الليل يخفي ما لا يحب الإنسان إطلاع غيره عليه، ومثل ما يزداد الإنسان باللباس قوة وجمالاً يزداد بالليل كذلك قوة وجمالاً أشار إلى ذلك الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ ﴾ كم فيه من شاكر لآلاء الله تعالى! وكم فيه من ناكر للجميل ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ ﴾.

٢٣ ـ ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾ نافذة على إبداع الله تعالى في هذا الكون، وجعله بديعاً متناسقاً رائعاً، يأخذ الإنسان حظه في النهار من النشاط والحركة والجهد والتعب، فيأتي الليل يسل سخائم هذا التعب ويعيده جديداً في الحياة.

٢٤ ـ من كمال عقلك وفقهك وتوفيقك أن تأخذ من هذه الآيات ما يعينك على الشكر والعرفان لله تعالى، وألا تذهب في شيء يعارض منهج الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾ وإذا قلّبت مشاعرك في قول ربك: (وجعلنا) أدركت هذا المعنى بجلاء.

٢٥ ـ لا تنتظر حلولاً جذرية لخلافك مع الباطل، ثمة يوم تنجلي فيه الحقائق ويبين كل شيء ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ ﴾ سمَّاه الله تعالى يوم الفصل؛ لأنه يفصل بين الحق والباطل، وبين أهل الحق وأهل الباطل، وبين الحقيقة الكبرى التي عاش من أجلها الإنسان والأوهام العارضة في منتصف الطريق، وإذا طال أمد دعاوى الباطل والدجل والكذب في واقع اليوم فسيأتي يوم القيامة بالفصل المبين.

٢٦ ـ ضياع الأهداف والغايات الكبرى من أكثر الأزمات التي تواجه إنسان اليوم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ﴾ هذه مشكلتهم التي أودت بهم في النهاية إلى الضياع. وكل من تراه يتخبط في عرض الطريق فهو أثر لغياب هذا المعنى من واقع حياته.

٢٧ ـ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ﴾ ليست هذه مشكلتهم وحدهم بل مشكلة كثيرين في عالم اليوم. يمضي يومه، وأسبوعه، وشهره، وينتهي عامه وهمُّه هذه الحياة التي بين عينيه فحسب.

٢٨ ـ كل صور العبث والفوضى التي تراها من كثيرين في واقعك هي نتيجة لهذه الحقيقة المرة في واقعهم ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

٢٩ ـ لا تستغرب إذا رأيته يعمل في بنك ربوي، أو يبني بيته، ويشتري سيارته على أموال الربا، أو رأيته لا يحتفل بحق والديه، ولا يبالي بحضور أي مشهد من مشاهد المنكر، أو يتخلّف عن أكثر القضايا ضرورة في حياته كالصلاة مثلاً، كل ذلك بعض نتائج لهـذا المعنى الكبير ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

٣٠ ـ ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ كل شيء، فلا يأتي على بالك أن ثمة شيء ليس مكتوباً أو محصى!

٣١ ـ حتى النظـرة الخائنة، وكلمة النفـاق، والخطوة التي سـرت في الظلام، والتوقيع الذي مرر قراراً فاسداً ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

٣٢ ـ حتى تعبك لرضا أمك، ومالك الذي تعين به والدك، وجهدك الذي تبذله في مشروع، وقصة الدمع التي تهراق منك على فجائع إخوانك المسلمين ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

٣٣ ـ وما ينفع ظلام الليل أمام هذا الرقابة اللصيقة والحصار الكبير ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ حتى لو كان الظلام دامساً، ولا سبيل إلى الوصول إليك ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

٣٤ ـ حتى لو سافرت، وخرجت من كل دوائر الرقابة التي تخشاها ستجري عليك أحداث هذا المعنى الكبير ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ وسيأتي في كتابك مشهد المنكر بتاريخه، ومكانه، وملابساته، ولن يغيب من ذلك شيء.

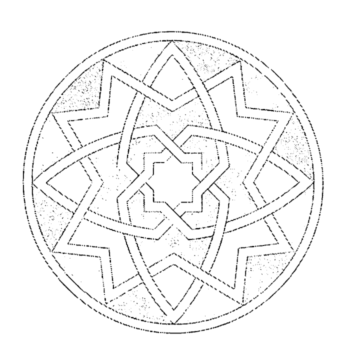
٣٥ ـ يا صاحبي في كتابك (كل شيء) وليس فيه شيء دون شيء ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾﴾.

٣٦ ـ حتى نيتك التي تجري في قلبك، أو الرياء الذي خالط مشاعرك ستأتي في صفحات ذلك الكتاب ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾﴾.

٣٧ ـ ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ مشهد من مشاهد الحسرات، كان يكفي أن يُدفع بهم إلى النار، فإذا ما قيل لهم وهم في دركاتها ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ ذقوا أثر تلك الفوضى التي ملأتم بها أزمانكم وعشتم فيها بلا منهج. ذوقوا عواقب التفريط، وويلات الندم، وخسارة مواقف الحياة.

٣٨ ـ كثيرة هي المواعظ التي طرقت أذنه، والأحداث التي جرت أمام عينه وكان هائماً في مشاهد الضلال ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.





إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

التفسير

- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ فوزاً بالمطلوب ونجاةً من المرهوب، ومفازاً من النار إلى الجنة أو موضع فوز فيكون بمعنى متنزّهاً.
- ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ بساتين تجمع كل ما يمكن أن يتمتع به الإنسان فيها من نعيم ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ نواهد وهي الأثـــداء التي لم تتدل، كناية عن صغر النساء اللاتي يجدهن المؤمن في الجنة في ذلك اليوم.
- ﴿أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ في سن واحدة.
- ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ صافية، ممتلئة، متتابعة.
- ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ ليس فيهـــا كلام لاغٍ لا فائدة فيه، وهو كذلك كلام خالٍ من الكذب والإثم.

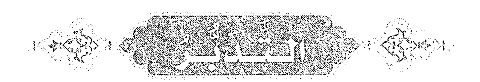
• ﴿ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ كافياً وافراً شاملاً.

• ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ لا يقدر أحد على مخاطبته من أهل السموات والأرض إلا بإذنه لعظمته وجلاله ﷻ.

• ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ﴾ جبريـل عليه السلام ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴿٣٨﴾ ﴾ يوم القيامة لا يتكلم أحـد منهم إلا أن يأذن له الرحمن أولاً، ويقول الحق والصواب ثانياً.

• ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ يوم القيامة حق لا شـك فيه ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾ عَمِل عملاً صالحاً ينجو به يوم القيامة.

• ﴿ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا ﴾ يوم القيامة وإنما عبَّر الله تعالى عنه بالقرب لتأكّد وقوعـه ﴿ يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ ﴾ من خير أو شـر ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ يتمنـى أنه لم يخلق ولـم يبعث، وكان مثل البهائم التي يقال لها يوم القيامة كوني تراباً.



١ ـ نافذة على مشهد النعيم ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴿٣٦﴾ ﴾.

٢ ـ ستظل المرأة بهيجة حتى في غرف الجنان ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ ﴾.

٣ ـ الحدائق التي تأسرك، والبساتين التي كانت تغرق مشاعرك كلها لا شيء أمام مشهد الجنان ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ ﴾.

٤ ـ مهما بلغ جمال تلك المرأة التي تراها في الشاشة أو في أرض الغربة، أو في ساحات النزهة، حدّث نفسك عن هذا النعيم، وألق بقلبك في مشاهده، وتهيأ لبلوغ منازله ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ الكواعب من قوتها وشبابها ما زال ثديها في تمام قوته وجماله، والأتراب في سن واحدة، ولا زمن يغير على هذه المشاهد الممتعة هناك.

٥ ـ المرأة التقية من صُنَّاع البهجة في الدارين، في الدنيا ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨﴾ وفي الآخرة ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾.

٦ ـ من مباهج الجنة أنك لا تسمع فيها أحاديث البطالين، وعراك السفهاء وأصوات الرعاع ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ۝٣٥﴾ فدل على أنه من البلاء الذي يصم أذنيك في مشاهد الحياة.

٧ ـ الاستعلاء عن أحاديث الفارغين في دنياك نوع من النعيم العاجل لصاحبه ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ۝٣٥﴾.

٨ ـ من مكدرات الحياة أن تبقى في مكان مع رعاع الفوضى ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ۝٣٥﴾.

٩ ـ حتى كأس الشراب التي يلتذُّ بها أهل الجنة مملوءة، صافية، ممتعة لا تبقى معها شيء من اللذات ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤﴾.

١٠ ـ فرق كبير في جزاء النهايات، حين عرض الله تعالى جزاء الكافرين قال: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ وحين عرض جزاء المتقين قال: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۝٣٦﴾ هناك في جزاء الكافرين محض العدل، وهنا في جزاء المتقين زيادة فضل، وفرق كبير بين الجزاء والعطاء.

١١ ـ لا تستكثر هذا النعيم على ربك فهو يملك كل شيء ﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٧﴾.

١٢ ـ من عرف ربه قام له بواجبه ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ لما عرفوا ربهم تعالى حق المعرفة وقفوا خاشعين معظمين! وكم من قائم في أعظم العبادات صلة (الصلاة) لا يدري ما يصنع في ذلك المقام!

١٣ ـ كل علم لا يصل بك إلى هذه الحقائق فليس بعلم ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾.

١٤ ـ يُعلِّم القرآن، وهو أكثر المتخاصمين معه، أين هذه الصور عن حفّاظ القرآن والتالين له صباح مساء ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾.

١٥ ـ يحمل سراج العلم، ويجمع في كتبه، ويجلس لطلابه ويدرِّس وقلبه خالٍ من التعظيم ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾.

١٦ ـ وانتهت كل أقاويل الدجل لا إلى شيء ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾.

١٧ ـ هذا ميعاد انكشاف حوادث النفاق والغش والكذب والباطل ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ وكل شيء.

١٨ ـ انتهت قصة تزوير الحقائق كلها وجاءت تتهادى بين أعين أصحابها لا يحجبها عنهم شيء ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾.

١٩ ـ طول الأمد من أكثر مشكلاتنا وأزماتنا في الحياة ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ ما أكثر ما طرقت آذاننا هذه الذكرى! وما أقل العبر بها!

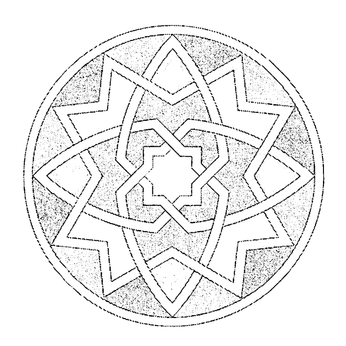
٢٠ ـ حق على الله تعالى ما ارتفع شيء إلا وضعه ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾.

٢١ ـ ما تصنع الحضارة وصواريخ الفضاء وتقنيات الدنيا كلها أمام هذا الموقف في ساحات الجزاء ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ ليتهم أدركوا أنفسهم قبل الفوات.

٢٢ ـ ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ هذا لمجرد كفره، فكيف به وقد قتَّل المسلمين، وشرَّد الأطفال ويتَّم النساء، واستعدى بقوته على الآخرين كيفما شاء!

٢٣ ـ إلى كل المظلومين، والمشردين، والمقتولين في ساحات أوطانهم! للظالم زمن يتمنى فيه لو كان ترابًا ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾

التفسير

- ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْقًا ﴿١﴾﴾ تنزعها بشدة من قولهم أغرق النازع في القوس إذا بلغ غاية المدى.
- ﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح المؤمنين ﴿نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ تسلّها برفق.
- ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾﴾ الملائكة يسبحون بأمر الله تعالى، ويترددون به بين السماء والأرض.
- ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾﴾ الملائكة تسبق إلى أمر الله تعالى.

- ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ ﴾ الملائكة تدبِّر أوامر الله تعالى على حسب ما كلفهم الله تعالى به.
- ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ ﴾ والراجفة والرادفة: النفختان في الصور الأولى والثانية، النفخة الأولى: التي تُرجف بالناس فيموتون عن آخرهم إلا من شاء الله تعالى، والنفخة الثانية: النفخة التي يقوم بها الناس من قبورهم، وينتقلون بها من الموت إلى الحياة.
- ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ خائفة، يسيطر عليها الرعب والهلع.
- ﴿ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ ذليلة منكسرة.
- ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ ﴾ نرد إلى حالنا الأولى قبل الممات، فنرجع أحياءً كما كنا قبل، والحافرة اسم لأول الأمر، ومنه رجع فلان في حافرته إذا رجع من حيث جاء.
- ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ ﴾ بالية متفتتة، أي كيف نرد إلى هذه الحياة بعد أن صرنا إلى مثل هذه الصورة من البلاء والعدم.
- ﴿ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ لئن كان هذا الكلام حقيقة أن هناك رجعة بعد الموت فإنها رجعة خاسرة.
- ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ صيحة واحدة، تلك هي النفخة الثانية التي تعقب النفخة الأولى، فتصيرون أحياءً كما كنتم.
- ﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ بالأرض المستوية البيضاء والمقصود هنا أنهم على وجه أرض المحشر أحياءً بعد الموت.
- ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ هل أتاك يا رسول الله خبر موسى.
- ﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾ حين ناداه الله تعالى وكلَّمه وامتن عليه

بالرسالة في ذلك الوادي المقدس، وطوى اسـم للمحل الذي ناداه الله تعالى فيه.



١ ـ هذا الكون يجري فيه كل شـيء بانتظام ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾ حتى الملائكة تؤدي فيه أدوارها، وتقوم بمهمتها وفق مراد الله تعالى وحكمته.

٢ ـ الجزاء من جنس العمـل ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾ ملائكة الرحمة تنشط أرواح المؤمنين برفق، وملائكة العذاب تنزع أرواح الكافرين بشدة، ومن كمال عقلك ووعيك أن تأخذ لهذه اللحظة حقها من الاسـتعداد حتى تأتي في فلك المنعمين.

٣ ـ هذه أول مشاهد النعيم والعذاب ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾ وعلى ضوء هذه البدايات تكون النهايات.

٤ ـ هذا زمان الفجائع، فما أنت صانع لنفسـك فيه! ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩﴾.

٥ ـ حاجة الدعاة والمصلحين وأصحاب المشاريع إلى التسلية. إن الطريق ممتلئ بالعوارض والعقبات، وصاحب المشروع عرضة للتعب، واليأس والملل من طول الطريق وحاجته للتسـلية فوق كل حاجة، وعرض قصة موسى في هذا الموضع تسلية لقلب رسـولنا ﷺ وإغاثة لمشـاعر الدعاة والمصلحين من بعده إلى يوم القيامة ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦﴾.

❀ ❀ ❀

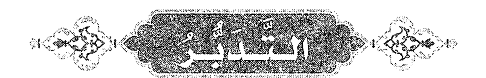
ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾
وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ
وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ
ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن
يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا
﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ
﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا
لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ
ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ
﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ
خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ
ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن
ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

التفسير

- ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧﴾ تجبُّر وتمرُّد على منهج الله تعالى.
- ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ فقل له هل لك إلى طريقٍ تزكِّي فيه نفسك، وتفوز في عاقبة أمرك.
- ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ وأدلك على ربك وأعرِّفك به، وبما يرضيه ويسخطه، فيحصل لك بعد العمل في ذلك خشيته ﷻ فتكون نجاتك وعزك وشرفك في الدارين.
- ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠﴾ العصا واليد.
- ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١﴾ فكذب بالحق الذي دعا إليه موسى، وعصى الأمر الذي وجهه وأرشده إليه.
- ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢﴾ لم يكتف بتكذيبه وعصيانه بل ولَّى مدبراً ساعياً إلى الخذلان راداً للحق وأهله.
- ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣﴾ جمع جنوده ونادى بأعلى صوته.
- ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾ جعله عبرة الدارين.
- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾ في أخذه وما حل به من العذاب عظة وعبرة لمن يخاف الله ويخشى عقابه.
- ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧﴾ أيها المنكرون للبعث أخلْقكم أشدُّ أم بناء السماء.
- ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨﴾ رفع جِرْمها فجعله عالياً، بعيداً، مستوي الأرجاء.

- ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ ﴾ أظلم ليلها وأنار نهارها.
- ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ ﴾ دحاها: فسَّره بقوله تعالى: أخرج منها ماءها ومرعاها، والأرض خلقت قبل السماء ودحيت أي أخرج ما كان فيها بعد خلق السماء.
- ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ تتمتعون به أنتم وأنعامكم .
- ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾ يوم القيامة، وإنما سماها الله تعالى الطامة؛ لأنها من عظمها وهولها تطم على كل شيء.
- ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ ما عمل من خير وشر.
- ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ فهي بارزة واضحة لا يحجبها عن رؤية معاينيها شيء.
- ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ تجاوز الحد وتجرأ على معاصي الله العظام.
- ﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ ﴾ فقدمها على دينه وآخرته.
- ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ مأواه نار جهنم.
- ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ وأما من خاف القيام بين يدي الله تعالى يوم القيامة، ونهى نفسه وزجرها عن هواها وردها إلى طاعة ربها ومولاها.
- ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ فإن الجنة هي مأواه ومصيره ونهايته وداره التي يخلد بها.
- ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ ﴾ متى يقيمها الله تعالى؟
- ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ ﴾ ليس إليك ذكرها وتحديد زمانها لأنها من الغيب.

- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤﴾ منتهى علمها إلى الله تعالى لم يؤته أحداً من خلقه.
- ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ۝٤٥﴾ ما بعثت أنت إلا لإنذار من يخاف حسابها.
- ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ العشــية ما بين الظهر إلى غروب الشمس، أو ضحاها ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار.


التدبُّر

١ ـ الأصل امتداد الصراع بين الحق والباطل ما بقيت الدنيا ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ۝٢٦﴾ فروِّض نفسك على هذه العقبات، واملأ قلبك يقيناً وتوجَّه إلى ربك وسله أن يغيثك من الأمل ما تبلغ به آمالك وأمانيك.

٢ ـ إدبار الكبراء عن الرسالة سنة إلهية، وقل أن تجد كبيراً مصغياً للرسالة، مانحاً لها قلبه، وفكره، ومشاعره، وفي حديث هرقل: (وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُم، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُم اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ) وما زالت ذات الصور تتكرر في كل زمان ومكان ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ۝١٩ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ۝٢٦﴾.

٣ ـ لم تكن رســالة نبينا ﷺ بدعاً في الطريق، وإنما هي حلقة من تلك السلسلة المباركة من زمن نوح إلى زمن نبينا ﷺ خاتم الأنبياء ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥

إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾.

٤ ـ رحمة الله تعالى بعباده وحلمه عليهم ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ حتى هذا الطاغية الظالم المعتدي على حقوقه تعالى يبعث الله تعالى إليه رسوله، ويأمره بأن يتلطَّف معه، ويأتي إليه من أوسع الأبواب.

٥ ـ لن يهلك على الله تعالى إلا هالك ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ إذا كان الله تعالى يعامل حتى هؤلاء الطغاة بهذا المعنى الكبير فما بالك بغيره من المؤمنين!

٦ ـ ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ هذا الخطاب لرسول الله ﷺ، وأنتم أيها الدعاة والمصلحون اذهبوا إلى كل محتاج لهذه الدعوة، واسعوا في استنقاذه من الضلال ما أمكنكم إليه سبيلاً.

٧ ـ لئن تظفر بأخيك ضمن صفوف الناجين أعظم ألف مرة من أن تظفر به في صفوف الهالكين ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

٨ ـ لا تدعوهم لتقيموا الحجة عليهم، بل ادعوهم ليشربوا كأسها صافياً في الدارين ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

٩ ـ إذا رأيت أباً قاسياً على ولده أو زوجه وأسرته، أو داعية غليظاً على من حوله، أو مربياً متجهماً في وجه طلابه، فاقرأ عليهم تفاصيل هذه القصة ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

١٠ ـ وسِّع في أثرك، ومد في دلالتك، واجتهد في بلاغ رسالتك، وألح على الله تعالى في الدعاء، واترك الأمر في النهاية لربك فبيده كل شيء ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

١١ ـ الأشقياء لا تنفع فيهم المواعظ شيئاً ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ جاءته في غاية الأدب ولكنه أبى إلا الشقاء.

١٢ ـ مشكلة الطغيان أنه لا يؤمن إلا بنفسه ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ (أنا ربكم الأعلى) حين جاءته الهداية في أجمل ثوب وأروعه.

١٣ ـ هكذا يصنع طوفان المسؤوليات في حياة كثيرين ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾.

١٤ ـ مشكلة المسؤوليات أنها تخلق وبقوة (خلق العُجْب، والكبر) وما تزال تنفخ فيها حتى تأتي على خيرات صاحبها ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾.

١٥ ـ من كمال عقلك أن تتعرَّف على أدواء نفسك قبل اتساع دائرة المرض ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾.

١٦ ـ إذا أراد الله تعالى أمر سوء حجب عن صاحبه موارد التوفيق ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾.

١٧ ـ جزء من مشكلات الأمة هذه الجماهير التي لا يسعها سوى الفرجة والتصفيق ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ لوى عنقه عن الهداية وذهب للجماهير يستعطفهم ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾.

١٨ ـ لا أعاد الله زماناً يأتي لواقع بهذه الرزايا الكبار ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ مثل هؤلاء لا يبقون شيئاً صالحاً للحياة.

١٩ ـ لا يغرك إمهال الله تعالى للضالِّين، فثمة موعد للقصاص ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ وكم من سادر في الطريق ذاته.

٢٠ ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ درس للطغاة في كل زمان ومكان!

٢١ ـ لا تسل لم لا يعتبرون؟ لأن غيَّ الضلالة أورث الخذلان ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

٢٢ ـ أكثر المعتبرين من الحوادث من يحسبون عوائد الأيام ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

٢٣ ـ في التاريخ عبر تحتاج إلى إعادة قراءة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ وعلى كل إنسان أن يقرأ في التاريخ، ويضع نصب عينه الدروس التي يخرج بها من خلال تلك القراءة. إن مشكلتنا في التعامل مع التاريخ أننا نكتبه ونركِّز على الزمان، والمكان، والأحداث دون أن نعمل أفكارنا في الدروس التي نفهمها من خلال ذلك التحليل، فنقرأ وننشغل بضبط التاريخ وسرد الأحداث دون أن ننزل

هذه الأحداث التي نقرؤها على أحوالنا الشخصية وواقع أمتنا، وحين نكتب أو نقرأ بمثل هذه الصــور يتحوّل التاريخ إلى قصة تسـلية لا علاقة لها بالأحداث الجارية في واقع الإنسان أو محيطه الذي يعيش فيه، وتوسَّع هذا الخلل حتى تراه في السير الذاتية للأفراد، فتجد الكاتب يوغل في تاريخ ولادته، ومكانها، وزمانها وأسرته على حساب وسائل النجاح، وعقباته، ووسائل نجاحه.

٢٤ ـ قضايا كثيرة في حياتنا تأخذ جزءاً من أخــلاق فرعون أمام الحق، فتجحد الحق وتنكره تارة، وتتصلَّب على فكرة خاطئة مــرة ثانية، وترى أن الحق معها وتبذل كل الوســائل لإقناعها وتأبى ثالثة، وتغضب لحق نفسها رابعة، وقد تزيد حتى تتملَّك من صاحبها وتســيِّره وفق الهوى، وقد تأخذ منه حظاً وافراً دون أن يشعر أن له علاقة بفرعون أو حتى قريباً منه. وعلينا أن نقرأ نفوسنا قراءة جيدة، ونتعرَّف على مواطن الخلل فيهــا، ونجهد في إصلاح عيوبها حتى تأتي على ما نريد. والله المستعان!

٢٥ ـ الجماهير ليست دليلاً على حق! والحق لا يعرف بكثرة أو قلة، وإنما يعرف بالدليل والبرهان! هذا فرعون يدعي الربوبية، ويحشد تلك الجماهير لإقرارها في صور من الرعاع والفوضى التي يكتبها التاريخ في تلك الحقبة من الزمن ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٦ ـ (استئجار العقول) فكرة قديمة، وهذه الجماهير العريضة أجَّرت عقولها لبشر مثلها، ويذهب يعبث بها في الباطل كيفما أراد، وثمة صور كثيرة في أزماننا لمن تأمل واقع الحياة ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٧ ـ (الســادة، والعبيد) منهج فرعوني قديم، فلا يملك العبد أمام ســيده سوى الطواعية، والإذعــان مهما كان أمره، ورأيه، وكم من فرعــون في أزماننا يحاول جاهداً في مد هذا المعنى في مسؤوليته وواقعه. وكم من عبيد على ذات الطريق.

٢٨ ـ كثيرة هي المعالم التي تدلك على الله تعالى، لو ترك الإنسان لبصره وعقله الإمعان في مشاهد السماء، والأرض، والليل، والنهار، والجبال لكانت العبرة في حياته أوفى ما تكون ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

٢٩ ـ وما تنفع الذكرى في حق المفرطين بعد فوات الأوان ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ يتذكّر أيام فوات الفرص، وضياع الواجبات، والتفريط في الحقوق، وأحداث الإعراض عن المنهج.

٣٠ ـ كم من ذكرى مبهجة في حق صاحبها ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ تذكّر حرصه على صلاة الجماعة، وتعظيمه لشــعائر الله تعالــى، وقيامه بواجب ربه، وقصة مشروعه في الحياة.

٣١ ـ ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ يتذكَّر حرصه على تكبيرة الإحرام، وإدراك الصف الأول، وصيام أيــام الفضائل، وتكرار العمــرة، وورد القرآن، وصدقات الخفاء وخلوات السرائر.

٣٢ ـ ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ يتذكّــر تخلفه عن الطاعة، واعتداءَه على الحرمات، وتجاوزه على حدود الله تعالى.

٣٣ ـ الطغيان وإيثار الحياة الدنيا أكثر ما تقف في عرض الطريق الموصل للآخرة ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾.

٣٤ ـ يستعجلون فيفوت بفوات الآخرة شيء كبير ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ كم من استعجل مالاً، أو رئاسة، أو وظيفة على حساب دينه ومنهجه ورسالته.

٣٥ ـ من لوازم الرؤية الجادة أنها تستطيع التأجيل لكثير من رغباتها العاجلة وتنتظر وعد الله تعالى ولو بعد حين، بخلاف ضبابية الرؤية أو ضياعها، فإنها تستعجل ما حقه التأخير ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾.

٣٦ ـ استلذ مركوباً، واستعجل بيتاً، ورغب في ملذات عاجلة فتورَّط في ربا الجاهلية على حساب مقاصد الدار الآخرة ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾.

٣٧ ـ كل المتورطين في الفساد اليوم مستعجلين للدنيا على حساب الآخرة ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾.

٣٨ ـ وقَّع معاملة، واستلم رشوة، وسرَّب معلومة مؤثِّرة في القرار، وغيَّر في أوراق الانتخاب، كل ذلك من أجل العاجلة ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾.

٣٩ ـ خوف الله تعالى سياج أمام جموح النفوس أمام الشهوات ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ كم من كبير متفوِّق على الشهوات رغم زينتها الفاتنة! كم من شهوة عارضة، وزينة بهيجة وقف دونها خوف الله تعالى.

٤٠ ـ في ديار الغربة، والغرف المظلمة، وساحات السفر ستتعرَّف على هذه الحقيقة الضخمة في قلبك ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

٤١ ـ (الهوى) أحد الأمراض التي تلاحق الإنسان وتقف أمام أهدافه الكبرى في الحياة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

٤٢ ـ كل الذين سقطوا في النهاية هم الذين انهزموا أمام الهوى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

٤٣ ـ ينشغل كثير من الناس بأسئلة لا أثر لها في العمل! ويذهب وقت عريض في أسئلة لا يتوقف عليها شيء، وإن كان سؤال هؤلاء تكذيب وسخرية إلا أنه شبيه بواقع اليوم في بعض صوره وأشكاله. ينبغي للعاقل أن ينأى بنفسه عن كل سؤال لا أثر له في الغاية الكبرى التي خلق من أجلها الإنسان، وكلما شُغل الواحد بالأسئلة التي تمس واقعه، ومشروعه، وغاياته الكبرى كان أثمر لاستثمار وقته وتحقيق غاياته ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ متى وقوعها؟ فأجابهم ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ ما الفائدة لك ولهم في ذكرها ومعرفة وقت مجيئها؟!

٤٤ ـ مؤسف أن كثيراً من أسئلة الواقع اليوم لا يتوقف عليها عمل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾.

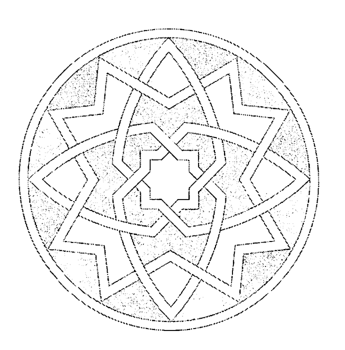
٤٥ ـ كان من فقه الصحابة (ففيم العمل يا رسول الله)؟ إدراكاً لهذا المعنى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾.

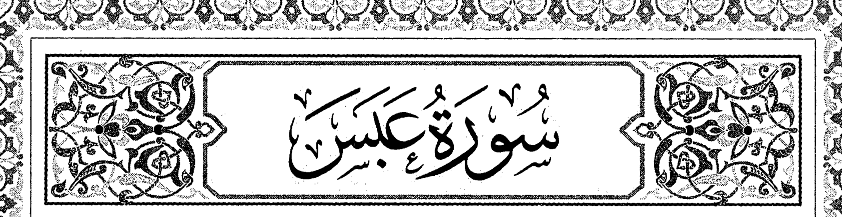
٤٦ ـ على كل مسؤول أن يتعامل بعقل المربي مع سائليه، فحين يرى أسئلة لا واقع لها ولا ثمرة فيها عليه أن يرشدهم إلى ما هو أهم من سؤالهم، وأكثر أثراً على حياتهم المستقبلية، وفي الجواب هنا بقوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ دليل هذا المعنى، ومثل ذلك قول رسول الله ﷺ للسائل عن الساعة: (ماذا أعددت لها؟) أعاده للقضية التي يترتَّب عليها عمل، وصرفه عن سؤال لا قيمة له في واقعه.

٤٧ ـ لا تستبعد طول تلك الأيام التي تنتظرها، حين تأتي كأن دنياك لا شيء ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

٤٨ ـ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ كـم من قارئ لهذا الحرف معنيّ به وهو لا يدري! وكم من طول أمل قضت عليه النهايات! لو كان قلب حي لاستفاق من طول الأمد، وعاد يسابق أيامه مع الزمن. ذهب ذلك الفراغ الطويل، وذهبت تلك الراحة الموهومة، ونُسيت كل لذة عاشـها الإنسان، وطوت الدنيا رحلتها لتقـف بصاحبها على أحداث النهايات رأي عيـن، وانتهت تلك الصور الكثيرة لتقف في النهاية على الحقيقة الكبرى. كم هو الفرق بين مئة عام، وبين لحظة من عشي أو ضحى! وما تصنع تلك الأعوام الممتدة في حياة إنسان حين تتحوّل بكل أمانيها إلى لحظة مبتورة من عرض يوم!







بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

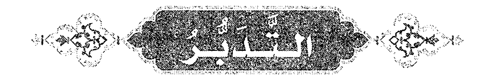
عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ
فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا
يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ
إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾
بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ
﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ
﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ
طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا
حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً
وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ
مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ
يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

التفسير

- ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾﴾ كلح وأعرض رسول الله ﷺ.
- ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾﴾ حين مجيء الأعمى إليه، وأم مكتوم أم أبيه، واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري.
- ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾﴾ ما يدريك يا رسول الله أن هذا الأعمى يزكو ويتصف بالأخلاق الجميلة، ويكون خيراً من غيره ممن تطمع في إسلامه.
- ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ أو يتذكر من آثار موعظتك، فينتفع بهذه الذكرى.
- ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾﴾ بماله وقوته ومنهجه عن الهداية والموعظة.
- ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾﴾ تتعرَّض له بالإقبال عليه رجاء أن يسلم ويهتدي.
- ﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾﴾ ليس عليك في ألّا يزكو ويتطهر.
- ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾﴾ يطلب الخير والدعوة والموعظة.
- ﴿وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾﴾ وهو يحمل صفات القبول لها من الخشية والخوف.
- ﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ تُعرض وتتشاغل بغيره.
- ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ فمن شاء تذكَّر ما نزل من هذه الموعظة واستفاد منها، ومن لم يشأ لم يتعظ من ذلك بشيء.
- ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾﴾ أي أن هذه الموعظة وهذا الذكر التي تضمنته هذه الآيات في صحف مكرمة معظَّمة عند الله تبارك وتعالى.
- ﴿مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾﴾ عالية القدر ومطهرة من الدنس والزيادة والنقص.

- ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ بأيدي الملائكة الكرام، وهم السفراء بين الله تعالى وخلقه.
- ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ كرام كثيري الخير والبركة، وبررة أي أخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة.
- ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ ﴾ دعاء على الإنسان باللعن، والمراد جنس بني آدم، وهذا الدعاء جاء بالقتل، وهو أشد شدائد الدنيا وفظائعها.
- ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ ما أشد كفره! على أن (ما) هنا تعجبية يعني: عجباً له كيف كفر مع وجود هذه الدلائل! وقيل المعنى: أي شيء أكفره؟ ما الذي حمله على الكفر؟ على أن (ما) هنا استفهامية ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ﴾ وهو استفهام غرضه زيادة التقرير في التحقير.
- ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ﴾ والسبيل هنا الطريق، وهو الطريق من بطن أمه إلى نور الدنيا والحياة، أو يسَّره إلى ما هو أشمل من ذلك بأن أبان له طريق الهداية من طريق الضلال، وطريق السعادة من طريق الشقاء، كما قال الله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البلد: ١٠].
- ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ ﴾ فارق روحه لبدنه ﴿ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ﴾ أكرمه بالدفن بعد الموت.
- ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ ﴾ بعثه بعد موته للجزاء.
- ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ ﴾ كلا ردع للإنسان عن تكبره وتجبره، أي مع هذه النعم وتكاملها في حقه لم ولن يقضي ما فرضه الله عليه بل ما زال مقصِّراً مهما فعل من شيء.
- ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ ﴾ ليتأمل في طعامه كيف يكون.
- ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ أنزلناه من السماء إلى الأرض.

- ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦)﴾ شققنا أجزاءها بعد الري لتتخلَّل وتكون أقرب شيء للنبات.
- ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧)﴾ كل أنواع الحبوب.
- ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨)﴾ القضب هو: القت، أي الرطبة إذا يبست سميت قتّاً، وقيل: هو العلف ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠)﴾ البساتين ملتفة الأشجار.
- ﴿وَفَاكِهَةً﴾ ما يتفكه فيه الإنسان ﴿وَأَبًّا (٣١)﴾ ما تأكله البهائم والأنعام.
- ﴿مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾ ما جلعنا ذلـك إلا لتتمتعوا بها، وتنعموا بما فيها. قال الحسن: متاعاً لكم الفاكهة، ولأنعامكم العشب.
- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣)﴾ يوم القيامة وعبَّر عنها هنا بالصاخة؛ لأنها تصخ الأسماع أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها من هولها وقوتها.
- ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ﴾ زوجته.
- ﴿وَبَنِيهِ (٣٦)﴾ أبناؤه.
- ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾ هذا هو سـبب الفرار من القرابة؛ لأن كل واحد منهم له شأنه الخاص به، وذلك من شدة الخوف والهول الذي يصيبهم.
- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨)﴾ منيرة مضيئة.
- ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩)﴾ فرحة مسرورة.
- ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠)﴾ يغشى وجوهم الغبار والكدر.
- ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١)﴾ تغلب عليها وتغشاها الظلمة.
- ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾ هـؤلاء أهل هذا الوصف هـم الذين كفروا بنعمة الله تعالى، وفجروا وتجرؤوا على محارمه عَزَّ وَجَلَّ وهذه هي نهايتهم.



١ ـ (القيم) هي الصورة الحية لأي مجتمع يعيش في الأرض، ولن يستقيم كيان مجتمع أو أمة إلا من خلال اتساق قيم الإسلام الكبرى في واقع حياتهم. هذا رسول الله ﷺ وقد أخذت منه الرسالة والدعوة كل مبلغ حين تصرف لهذا المشروع الكبير رغبة في تعجيل بنائه بالكبراء جاء العتاب كبيراً من الله تعالى. إن الإسلام لا يمكن أن يقيم مشروعه على أنقاض القيم مهما كانت المصالح المتوخاة من ذلك. لقد أراد رسول الله ﷺ أن يسرّع بالإسلام من خلال الإقبال على الكبراء، ومنحهم فرصة الدعوة، فجاء العتاب من الله تعالى أن ذلك لا يتوافق مع هذه الرسالة، وأن الفقير الأعمى المقبل أحق بهذا الاستقبال من الكبير المتكبر المدبر.

إن نجاح الأفراد والأمم لا يأتي إلا من خلال منظومة القيم الكبرى التي حددها الإسلام، وأي محاولة من أي مشروع مخالفاً لهذه القيم سيكون مآله الإخفاق والنكوص.

إن الفقير المسكين المعوق المقبل قد يكون أنفع لمشروع الدعوة من الكبير المعرض، ولا حرج على الدعوة أن تستقطب المتميزين اللامعين لصفوفها من خلال برامجها وخططها، لكن ليس من حقها أن تمنحهم فرصة على حساب المقبلين، والدعوة تتسع لكل فرد في الدنيا، وإنما التخطيط والتنظيم شيء، وتكافؤ الفرص، والتعامل بقيم الإسلام شيء آخر ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

٢ ـ الوحي مصدر لبناء القيم، وليس في الأرض نظام يمكن أن يشرِّع قيماً للأخلاق أو يضع منهجاً للتعامل في واقع الحياة، وإنما ذلك حق للوحي فحسب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾.

٣ ـ حين تستفتح السورة تقرأ عتاباً حانياً، خطاباً موجهاً بصيغة الغائب مع أن الوحي يخاطب رسوله محمداً ﷺ أول ما ينزل. وفي هذا من الود، والحب، والإجلال لرسول الله ﷺ ما فيه! هكذا يصنع الله تعالى لرسله، وذات المعنى لأوليائه، ولهم منه على قدر قيامهم بواجبه! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾.

٤ ـ كلما قرأت عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ من أجل هذا الأعمى أدركت ما تصنع الولاية في حق أصحابها، هذا رب العالمين يتولى الدفاع عن وليه ابن أم مكتوم، وما أقبل إنسان على الله تعالى إلا بات كبيراً في كل شيء! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾.

٥ ـ ثوبك، ومركوبك، وسكنك، وكل ما تملك لا تصنع مباهجك، حسن الصلة بالله تعالى يصنع كل شيء، ويوجب حتى الدفاع عنك ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾.

٦ ـ لا تحسب أن شيئاً ضائعاً عند الله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ حتى العبوس العارض في لحظة وفي مساحة ضيقة من الأرض استقبل هتاف السماء وعتاب الله تعالى.

٧ ـ لا أعرف ديناً أو منهجاً أو سياسة تكفل حقوق الإنسان كما يكفلها الإسلام ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ يعاتب حتى على العبوس!

٨ ـ كم من صاحب إعاقة لا تقيم له شأناً، وهو عند الله تعالى عظيم! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾.

٩ ـ الإعاقة ليست تلك التي تجري في جسدك، وإنما تلك التي تجري في روحك وقيمك ومبادئك ومنهجك في الحياة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ هذا الأعمى استنزل عتاب الله تعالى من السماء، وكم من صحيح في جسده سقيم في مفاهيمه وأفكاره وقيمه ومبادئه.

١٠ ـ رعى الإسلام حق أعمى وهو لم ير ما صُنع به، ودافع عنه وعاتب من أجله، فكيف بضعيف تهان كرامته، وهو يرى ولا يستطيع أن يدفع ذلك عنه، يا ويلهم يوم الجزاء! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾.

١١ ـ ركب مع سائق التاكسي واستنفد في الطريق إلى بيته ساعات، ثم نزل وتركه دون أن يمنحه حق ذلك العرق النازف من جبينه وهو في أرض غربة، ونسي أن الله تعالى عتب وحاسب على عُبوسٍ عارض في وجه أعمى، فكيف لا يحفظ حقوق المساكين ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾.

١٢ ـ إذا كان الله تعالى حاسب عبوساً عارضاً وعاتب من أجله، فكيف لا يحفظ موقفاً مبهجاً ويسعد عليه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾.

١٣ ـ حتى الابتسامة في وجوه المجهدين تستحق في المقابل جزاءً عاجلاً ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾.

١٤ ـ إذا رأيت كبيراً في عرض الطريق فاحمله، وعجوزاً تستعين بك في شيء فأعنها، ويتيماً يحتاج إلى مساعدة في شيء فكن له، تلك مواقف تستجلب الخيرات ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾.

١٥ ـ أعمال القلوب تستحق مباهج النصر ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾ لولا نية هذا الصالح لما كان عتاب الله تعالى حاراً في لحظته.

١٦ ـ ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾ لا تشترى بمال، ولا تستجلب إلا بالإيمان والعمل الصالح.

١٧ ـ ليس من شأن الدعوة أن تتصدى للمتكبرين وتلاحقهم، وتصرف لهم جهودها وأفكارها ومبادراتها ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ مجرد الالتفات لمثل هؤلاء مواقف تستحق العتبى.

١٨ ـ مواعظ الوحي مجرد ذكرى لا تلزمك باعتناقها، ولا تكلفك تبعاتها وأنت أمامها بالخيار، والجزاء من جنس العمل ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾.

١٩ ـ النقد وسيلة من وسائل النجاح، وأداة من أدوات تصحيح المسار، وعلى كل صاحب مشروع أن يستقبله مستمتعاً مسروراً به لما له من عوائد على أصحابه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

٢٠ ـ إسرار النقد، أو إعلانه مسألة راجعة للمصلحة، والأثر من الإسرار والإعلان على مستوى الفرد أو المشروع أو الجماعة، وعلى الناقد أن يقدِّر المصلحة قدر وسعه، ومصلحة إعلان النقد هنا ظاهرة جداً، وتحقق بها شيء كبير في واقع مشروع الدعوة سواء في حياة النبي ﷺ أو أتباعه فيما بعد ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾.

٢١ ـ النقد ليس لطائفة مخصوصة، وإنما هو عام لكل إنسان، أو مشروع، أو جماعة لا فرق، وقد وجِّه للنبي ﷺ وهو أشرف الخلق، وأقرب الناس إلى الإصابة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾.

٢٢ ـ من كمال عقل الإنسان وتوفيقه قبول النقد، والاستفادة منه قدر الوسع، وعدم التبرم أو الاستياء فإن ذلك أعون له على النجاح والتفوق، وأسلم له من كثير من الأخطاء في مستقبل أيامه، ولا ينبغي أن يعيق النقد مسيرة صاحبه أو يعثر مشروعه! وعليه أن يواصل طريقه، ويصحح الأخطاء العارضة، ويمضي في إكمال مشوار مشروعه كما رُسم له ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾.

٢٣ ـ يجب أن يكون خطاب النقد صحيحاً في مقصده، وأن يكون دافع قائله محض النصيحة، والحب، وأن يحرص صاحبه غاية الحرص في اختيار الطريق الأنسب والفاعل في تحقيقه، وألا يكون الغرض منه غرضاً من أغراض الدنيا الفانية ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ

ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠﴾ تــراه هنا جاء بصيغــة الغائب، وكان لطيفاً في حرفه ومعناه.

٢٤ ـ النقد فرع عن العمل، والمشروع، والحدث القائم في الأرض، ولن تتوجه كلمة واحدة لقاعد لا أثر له في الواقع، وهو شهادة على جهد صاحبه ومشروعه وأثــره ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠﴾ ولولا تلك القصة، وذلك اللقاء، وتلك الحركة لما سمعنا حرفاً واحداً في مثل هذا الشأن.

٢٥ ـ وجود الأخطاء في مشروع الإنسان، وتوجُّه النقد إليها حالة طبيعية، وليست فُرجة يترك من خلالها مشروعه كما يتوهم كثيرون، وإنما إثراء للتجربة وتمكين لها من الواقع ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠﴾.

٢٦ ـ كل صاحب مشــروع عرضة للخطأ، وعليه أن يستقبل كل حرف يأتيه ناقداً بالترحاب، ويستفيد منه قدر حاجته إليه، وبقدر صدقه، وواقعيته ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠﴾.

٢٧ ـ فرق كبير بين أن يوجه لك نقد في السر وترفضه أو لا ترضاه نفسك، وبين أن يوجه لك علانية فتقبله أو لا تقبله، وبين أن تقف تعلنه أمام الملأ وتصرّح بوقوعه، وتعتذر من تبعاته، هذه هي النفوس الكبيرة التي تعمل لله تعالى، وتجهد في مرضاته.

وما أحوج صاحب مشروع إلى هذا المعنى الكبير في حياته! حين نعمل لله تعالى، ونخلص له، ونصدق في الإقبال عليه نقبل أي نقد، ونشرف به، ونسعى للإفادة منه قدر الوسع، سراً كان أو علانية، عرفه الناس أم لم يعرفوه، بل ربما يتخطى ذلك إلى أننا نذكّر به من لم يعرفه حتى يستفيد منه في قادم الأيام. وحين نعمل لذواتنا نتألم منه، ونتوجع له، وقد نقطع زمناً من أعمارنا في بيان خطأ المنتقد، أو تشويه صورة صاحبه، أو إفشال مشروعه، وحظوظ النفس تأتي بأسوأ من كل هذا. والله المستعان! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ لقد كان رسول الله ﷺ في بداية الطريق، وأعداء الدعوة ينشدون أي خطأ، والمتربصون بالإخفاق كثر، ومع ذلك قرأ عليهم ذات الخبر، وفيه ما فيه على نفس بشر، وظل كلما لقي ابن أم مكتوم في عرض الطريق أو في مجلس قال له: (أهلاً بمن عاتبني فيه ربي)! إن المشاريع لا تتقدم في الواقع بردم جزء منها في الظلام، ومحاولة إبرازها في أتم صورها حتى لو كانت صورة غير حقيقية، وإنما تتقدّم بكشف ذلك الخطأ، وتسليط الضوء عليه، وجعله في بؤرة التصحيح ومحاولة العلاج حتى نفوسنا قد نمارس معها ذات الخطأ، وتظل فيها عادات سلبية، وفجوات مفتوحة، وأفكار وقيم غير صحيحة، ونظل نحاول جاهدين في تغطية تلك المعالم ظانين أنها خطوة في تحقيق النجاح، وهي في الحقيقة زيادة في الظلام والإعتام على طريقنا ومستقبلنا، وحين نكشفها، ونبين مواضعها نضعها تحت دائرة العمل وتصبح جزءاً من أولوياتنا الحقيقة بالرعاية والاهتمام.

٢٨ ـ جزء من ميلادك حين تولد في نفسك قيمة جديدة، أو تصحح قيمة سلبية، كم كان أثر هذه القيم التي تتوالد في مكة كل يوم من زمن بعثته ﷺ إلى تاريخ وفاته! ومن قرأ تاريخ تلك الأمة التي أرسل فيها رسول الله ﷺ أول ما أرسل، وقرأ

تاريخهم بعد زمن من حياته أو بعد وفاته أدرك ذلك الميلاد الكبير! لا يحسب ميلاد الأفراد، والمجتمعات، والمشاريع من تاريخ نشأتها، وإنما يحسب من لحظة ولادة القيم والمثل والمبادئ الكبرى فيها.

٢٩ ـ على الدعاة، والمصلحين، والمربين أياً كانت مشاريعهم، تعليمية كانت أو تربوية أو اجتماعية أو حتى اقتصادية وإعلامية أن يدركوا أن مسألة التربية على القيم هي مسؤوليتهم الأولى والكبرى. وأن مجتمعات اليوم أحوج ما تكون للتربية على هذا المعنى! ولن يقوم بناء وثيق في الأرض لفرد أو مجتمع أو مشروع إلا على جذر القيم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

٣٠ ـ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ نافذة على كبر الإنسان وجحوده وإعراضه، وإذا لم يقاوم الإنسان هذه الرزايا في واقعه ويعالج هذه الأمراض في نفسه وإلا صار عرضة للخذلان.

٣١ ـ إذا دعتك نفسك للكبرياء، فتذكَّر أصل منشأ تلك النطفة وبدايتها ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩﴾ بدايتك كبداية كل إنسان، ولا فرق بين مخلوق وآخر في أصل النشأة، وهي دعوة للتواضع ونبذ كل صور الكبرياء التي تواجه الإنسان.

٣٢ ـ من وعي الإنسان وتوفيقه وكمال عقله أن يستعد لتلك اللحظة التي ستواجهه في النهاية ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١﴾ وإذا قرأ الإنسان الوحي في مسألة الموت والقبر أدرك عظم ما ينتظره في تلك الأوقات، والله المستعان!

٣٣ ـ توقَّف حمار النبي ﷺ مستوحشاً ذات مساء في مساحة من الأرض فقال ﷺ: «**يهود تعذَّب في قبورها**»، وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن خيل انحبس ما في

بطنها فقال: اذهبوا بهـــا للمقبرة فأخرجت ما في بطنهـــا. وتوقف النبي ﷺ عند قبرين فقال: «**إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير: أحدهما كان يمشي بالنميمة بين الناس، والآخر لا يستنزه من بوله**» فما بالك بغيرهم من أصحاب الموبقات!

٣٤ ـ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ دعـــوة للنظر والتفكـــر والتأمل في نعم الله تعالى، وكم من نعم تذهب بالغفلة! وكم من نظر وتأمل أورث في قلب صاحبه الشكر والعرفان.

٣٥ ـ قبل أن تمد يدك إلى طعامك الذي بين يديك خذ جولة بمشـــاعرك كيف وصل إليـــك ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ أتظنونه جهدكم! كلا، إنما هو قدر الله تعالى لكم.

٣٦ ـ نافذة على أكثر المساحات إثارة في واقع إنسان ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ ومن قام بأمر الله تعالى وعظّم شعائره وأتى على واجباته أمن مخاوف تلك الدار.

٣٧ ـ الجزاء من جنس العمل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

٣٨ ـ العبرة بالنهايات ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ وحظوظك الكبرى ليست في هذه الدار، وإنما بما سيجري من تلك البشائر في يوم القيامة.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ التَّكۡوِيرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

التفسير

- ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ جُمعت ولُفَّت ورمي بها.
- ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ انتثرت من أفلاكها.
- ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ أُزيلت من أماكنها ونسفت.
- ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ العشار: جمع عشراء، وهي الناقة الحامل لعشرة أشهر، وإنما خصها بالذكر؛ لأنها أنفس الأموال عند العرب في ذلك الوقت.
- ﴿عُطِّلَتْ ۝٤﴾ تركت مهملة لا راعي لها ولا طالب.
- ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ﴾ جمع وحش، وهي كل شيء من دواب البر مما لا يُستأنس.
- ﴿حُشِرَتْ ۝٥﴾ جُمعت.
- ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ أوقدت فصارت ناراً تتوقد.
- ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ ضُمَّت إلى أشكالها في الخير والشر، وحشر كل إنسان إلى من يجانسه في العمل والمنزلة.
- ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ الأنثى التي دفنت حية ﴿سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ عن الذنب الذي قتلت من أجله.
- ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ صحف الأعمال نشـرت لهـم بعد أن كانت مطوية على ما فيها من الحسنات والسيئات.
- ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١﴾ أقلعت وأزيلت.
- ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾ أوقد عليها فأحميت.
- ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣﴾ قربت وأدنيت وزيِّنت للمؤمنين المتقين.

- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ علمت كل نفس عند ذلك ما قدمت من خير أو شر.

- ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾ بالكواكب التي تخنس بالنهار وتظهر بالليل، وقيل: القسم هنا بنوع من الكواكب التي تتأخر عن سير الكواكب العامة.

- ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ جمع جارية من الجري، والكنَّس التي تدخل في مغيبها.

- ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ إذا أدبر، وقيل: إذا أقبل.

- ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ إذا أقبل وتبيَّن.

- ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ أي هذا القرآن إنما هو قول جبريل عليه السلام باعتبار أنه بلَّغه لرسول صلى الله عليه وسلم.

- ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ على تحمُّل أعباء الرسالة ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ صاحب مكانة وشرف ومنزلة لدى الله تعالى.

- ﴿مُّطَاعٍ﴾ في الملأ الأعلى ﴿ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ ذو أمانة على وحي الله تعالى ورسالته.

- ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام بالأفق البيِّن الظاهر العالي.

- ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ ببخيل، والمعنى أنه لا يضنُّ عليكم بما يعلم، ولا يبخل صلى الله عليه وسلم بالتعليم والتبليغ.

- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥﴾ أي أن هذا القرآن ليس بقول أحد من الشياطين.
- ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦﴾ إلى أي مسلك تسلكون بعد هذا البيان، وهذه الحقائق عن الوحي المبين.
- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧﴾ أي القرآن إنما هو موعظة وذكرى للعالمين.
- ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨﴾ موعظة لمن أراد الاستقامة.
- ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ أي أن مشيئتكم تبع لمشيئة الله تعالى.

التَّدَبُّر

١ ـ لكل شيء نهاية ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ ومن تأمل مشاهد الخراب التي تجري في الكون لحظة القيامة أدرك أنه لا قيمة للحياة إلا بالإيمان والعمل الصالح.

٢ ـ مالك، ووظيفتك، ومسؤوليتك، ومركزك الاجتماعي لم يبق منها شيء ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ سل نفسك ماذا معك من الإيمان والعمل الصالح؟!

٣ ـ ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ نافذة على أن صاحبك في الدنيا هو ذاته

صاحبك في الآخرة، وعملك في الدنيا هو عملك في الآخرة، فلا تتوقع شيئاً جديداً.

٤ ـ من نعيم الجنة أنك تعيش مع من تحبه وتستلذه في الدنيا، وكذلك من شقاء النار أن تعيش مع الذين ساهموا في ضلالك، وأصروا على سوء خاتمتك، وألقوا بك في النار ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

٥ ـ إلى الذين عاشوا مع بعض على الإيمان والعمل الصالح والمشاريع الكبرى والأفكار الممتعة والمنهج الحق ورسالة الأنبياء: ستلتقون في مواقف الحساب وظلال الجنان ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

٦ ـ سافروا مع بعض، وعاقروا المعصية مع بعض، واتفقوا على كثير من تفاصيل الرذيلة في أرض الغربة، ويعودون للقاء في عرصـات القيامة على درك الرذيلة وتفاصيل الشقاء ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

٧ ـ إذا أردت أن تعرف من أنت؟ فانظر من تصاحب ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

٨ ـ ما ذنب هذه المسكينة تُسأل ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ تُسأل تأنيباً لوائدها، ومن غيَّب جسدها خشية العار مبالغة في إقامة الحجة عليه. كم جهدت تلك الجاهلية في تغييب معالم المرأة خشية العار، وهي ذاتها اليوم تجهد في دفن كل معالم الحياء. كانت الجاهلية بالأمس تحزن كثيراً لولادة أنثى، ولا تقيم لها كرامة، وعادت اليوم تجهد في العبث بذات الكرامة، وأي فرق بين جاهلية تدفنها وتغيبها عن معالم الحياة، وجاهلية تجعلها دمية بلا قيمة ولا معنى في الحياة؟! إن كانت المؤودة تُسأل غداً في عرصات القيامة أمام صاحبها تبشيعاً لصورة ما فعل، فكم من مؤودة أخرى دفنت على تراب الشهوة والرذيلة سيسأل أصحابها ذات السؤال في المكان ذاته!

٩ ـ دفنها جاهلية وإخراجها سافرة جاهلية لا فرق، الأولى بنتها العادات والتقاليد والثانية بنتها الشهوات ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾.

١٠ ـ أدخل أحدهم بنته على ضيوفه تقدِّم الشـاي، والأخرى ترتِّب الطاولات، والثالثة تفتح النوافذ المطلة على الهواء، أغاروا على جاهلية الأمس شامتين، فعادوا في الجاهلية القرن العشرين مرتكسين ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ لا فرق بين وأدها حية في قبر، ووأدها حية في ساحة قصر!

١١ ـ إذا كان الوائد يُسأل يوم القيامة عن دفنها خشية العار، فكيف بسؤال المنافق الذي أخرجها بغية الفساد ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾.

١٢ ـ مساكين أولئك الذين عاشوا لحرب الفضيلة ووأد القيم وإشاعة الرذيلة، وجعلوا المرأة وسيلتهم الأولى في ذلك ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾.

١٣ ـ تقضي المرأة ساعات طويلة أمام المرآة لا لتسعد زوجها وتبهجه، كلا! وإنما لتذبح قيمها، وتسفك ماء فضيلتها، وتكتب قصة عارها، وتتعرَّض لسرَّاق الفضيلة على جنبات الطرقات ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾.

١٤ ـ في مرات كثيرة تبدأ قصة الوأد عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي بسؤال، واستفسـار، وحديث عابر، وصورة ربيع، وفكاهة، وقصـة لقريب وقريبة، وفي النهاية تتم تفاصيل الوأد بكاملها وتنتهي الفضيلة ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ هي التي وأدت نفسها ولم تحتج إلى آخر ليئدها.

١٥ ـ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ كم من منشـور مخزٍ لصاحبـه! كم يا ترى هي أفراح صاحب رسالة، وهدف، ومشروع ظل يسعى كل عمره في البناء! وكم هي أحزان صاحب شهوة وقد أعيد التاريخ من جديد!

١٦ ـ رأيت طوابير طويلة تنتظر نتائج مسـابقة في الدنيـا وقد علاها الغم والهم والألم، فكيف بالواقفين لنتائج أخبار تلك الصحف في سـاحات القيامة ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾﴾.

١٧ ـ ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾﴾ علم النتائج والمآلات لا علم العمل والاستعداد.

١٨ ـ ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾﴾ نتيجـة نهائيـة لا تقبل محاولـة ثانية، وكل الأعذار فيها غير مقبولة.

١٩ ـ هل تدري على ماذا يقسم ربك؟ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ يقسم تعالى على هذا القرآن من كلام جبريل باعتبـار أنه مبلغ به من ربـه تعالـى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾﴾ فتأمل حق هذا القسم، وقم بواجبك تجاهه وستجد حظوظك منه كما تشاء.

٢٠ ـ ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ كأنمـا ألقى الليل عن كاهله، وعاد يستنشـق هواء الحريات.

٢١ ـ كما أن الليل يدبر ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾﴾ فكذلك اليأس والإحباط والقنوط ما يلبث أن يطوي واقعه من حياة الكثيرين.

٢٢ ـ سـيأتي صبح الفأل والأمل مهما طال ظلام اليأس والتشاؤم ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾.

٢٣ ـ تأخر حفظه، وأبطأ في مشروعه، ولم ينجح في دراسته، وتأخر في تخرجه، لا تيأس! ففجر الأمل كفجر الصبح لا فرق ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾.

٢٤ ـ يعاني من مرض، ويشكو من إحباط، ولدى ابنه مشكلة، ويعاني من ظروف زوجه، لا تقلق! فالفجر أوشك على إزاحة الظلام ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾.

٢٥ ـ قُتل جموع من المسلمين، وشُرِّد الأطفال، وكثر اليتامى، وتفشَّت الإعاقة، ولم نجد ناصراً يهتف بعون، لا تجزع! فالفجر أوشك على الحياة ﴿ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾.

٢٦ ـ إلى كل المشردين في بقاع الأرض، والأرامل في مساحات الغربة، والجوعى الباحثين عن لقمة العيش، ومن يشتكي في ليل الشتاء مس البرد قد آذن ليلكم بالبلج وصبحكم بالإسفار ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾.

٢٧ ـ هذا القرآن يحتاج إلى مدركين لشرفه، وحُمّال لرسالته، وعاملين به، ألا ترى كيف أثنى الله تعالى على حامله جبريل عليه السلام ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ ﴾.

٢٨ ـ (الجود بالعلم) من أعظم صفات الكبار! وما رأيت كبيراً أوتي حظاً من العلم إلا وهو يبذله لسائليه بأوسع ما يكون! وعلى رأس القوم وفي مقدمتهم صاحب لواء الفخر في هذا الباب رسول الله ﷺ وهذه شهادة ربه تعالى ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ وإذا رأيت من نفسك إقبالاً على نشر ما آتاك الله تعالى فذلك من فواتح التوفيق. وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى: (وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم ولا ينسب إليّ منه شيء) اهـ.

٢٩ ـ أخذ على نفسه وعداً أنه كلما تَعَلّم شيئاً علّم غيره، ما أبهج العلم في حياة هؤلاء! ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٣٠ ـ كلما وجد كتاباً ثميناً، أو رسالة مفيدة، أو مؤلفاً جميلاً، أو وسيلة مقرّبة للعلم عمّمها، وأفشاها، وأوصى الآخرين بها، تلك بعض بركات العلم في حياة أصحابه ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾.

٣١ ـ يبذل في سبيل مشــاريعه الخيرية جهوداً ضخمة، وقد عني بدعم الأوقاف وكلما زار تاجراً، أو دُعم من مؤسسة، أو وجد تجربة، أو رزق شيئاً باشر جواله ليخبر إخوانه العاملين في الجهات الخيرية باســتثمار ما وجد ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

٣٢ ـ يحزن كثيراً أن يعرف الناس ما عرف، أو يجدوا ما وجد، أو يصلوا إلى ما وصل إليه، فأين هذا من أخلاق الكبار! ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

٣٣ ـ سر المهنة بضاعة المفلسين ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

٣٤ ـ إذا أردت أن تعرف ساحات الجود والعطاء وحدودهما، فاقرأ سيرة نبيك ﷺ تجد الحقائق أبسط ما تكون ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

٣٥ ـ إذا أجدب قلبك، وذبلت مشاعرك، وثقل جسدك، فأعد قراءة هذا الحادي بإمعان ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

٣٦ ـ معرفة التاريخ وسنن الله تعالى في الأرض فرع عن هذه الذكرى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

٣٧ ـ يمكنك أن تقول ما تشاء، وتفعل ما تشاء، وتذهب حيث تشاء، وفي النهاية لن تجد مهرباً من العودة مرغماً ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

٣٨ ـ حين تقعد على كرسي المسؤولية، وتتولى شأناً من شؤون المسلمين تذكَّر هذا السؤال الكبير ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

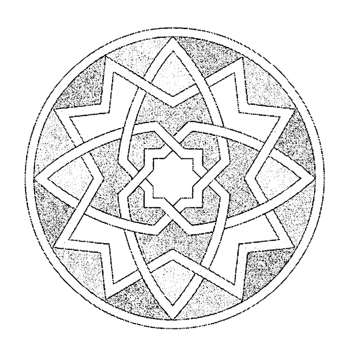
٣٩ ـ إذا جعلك الله تعالى وكيلاً على يتيم، أو ولياً على امرأة، أو بيدك إقامة عامل في أرض غربة، فتذكَّر أن ثمة موعداً للحساب ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

٤٠ ـ افتح من قنوات الإعلام ما تشاء، واسمع إلى ما تشاء، ووزِّع نظرك حيث تشاء، وتذكّر في المقابل أن كل هذه الأشياء محاطة بهذا السؤال ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

٤١ ـ الهداية وقف على مشيئتك، وطريق مفسوح للراغبين إلى قبل حلول ساعة الموت ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ وما على الراغب إلا أن يأتي إلى ربوعها، ويسلك مواطنها، ويقف سائلاً لربه تعالى أن يمنَّ عليه بها. ولن يتنزّل توفيق الله تعالى من السماء بارداً، وإنما يحتاج إلى صدق رغبة، وسلوك طريق، وحسن إقبال.

٤٢ ـ كما أن الهداية وقف على رغبتك هي في المقابل تَفَضُّل من ربك ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.





سُورَةُ الانفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

التفسير

- ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ انشقت.
- ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ تساقطت.

- ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ فتحت على بعضها واختلط ماؤها.
- ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ بحثت وأخرج موتاها.
- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ من عمل طيب ﴿وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ وما قصرت فيه.
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ أي شيء غرك وخدعك عن ربك العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق.
- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ أوجدك من العدم ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ جعلك مستوي الخلقة ﴿فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ جعلك معتدل القامة مستوي الخلقة.
- ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ أي ركبك في صورة من أبدع الصور وأعجبها.
- ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ إنما حملكم على الاغترار تكذيبكم بيوم الجزاء.
- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ رقباء يحفظون أعمالكم ويحصونها عليكم.
- ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ ملائكة الرحمن يتصفون بالكرم، فلا يظلمون أحداً، ويكتبون ما يعمل الناس.
- ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ من خير أو شر.
- ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع بر، وهم كثيرو فعل الخير ﴿لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ حياة طيبة في قلوبهم وأبدانهم.
- ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ من فجروا عن أمر الله وانشقوا عنه وخالفوه.
- ﴿لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ في نار جهنم.
- ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥﴾ يحترقون بها في يوم الجزاء والحساب يوم القيامة.

• ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ (١٦) ﴾ بخارجين.

• ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٨) ﴾ تفخيم لأمر ذلك اليوم وتعظيم لشأنه.

• ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ من دفع ضر أو كشف غم ﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩) ﴾ والأمر في ذلك اليوم لله تعالى من فصل القضاء والحكم بين العباد.



١ ـ نافذة على خراب العالم، ونهاية الكون، وبداية رحلة الجزاء والحساب ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ (١) وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) ﴾.

٢ ـ خراب هذا الكون مؤذن بإيقاظ القلب من غفلته ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) ﴾ وكم من حادث في هذا الكون كافٍ لإيقاظ الإنسان وبعثرة مشاعره لو أراد!

٣ ـ وما تنفع الذكرى بعد فوات الأوان في شيء ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) ﴾.

٤ ـ كل علم لا يكون له حظ من التطبيق في حياة صاحبه لا قيمة له في حياته ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) ﴾ كهذا العلم الذي عرفه أصحابه جاء في وقت لا قيمة له.

٥ ـ غاية كبرى تلك التي يدير الله تعالى من أجلها الكون ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ (١) وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) ﴾.

٦ ـ كم من محتاج للإجابة على هذا السؤال العريض يوم القيامة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾.

٧ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ ما أكثر سؤالات القرآن التي تخاطب قلوبنا ومشاعرنا، وتثير فينا الشجون! وما أقل استفادة كثيرين من هذه السؤالات.

٨ ـ أثر من آثار ضياع بوصلة الشمال عن جهتها الأصل ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾﴾ كذّبوا فأضاعوا هذه الرؤية من أصلها.

٩ ـ ولن يفوت على الله تعالى شيء ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

١٠ ـ يلجون الظلام، ويقفلون الأبواب، ويحكمون كل شيء وينسون في النهاية رقابة الكبير المتعال ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

١١ ـ في وقت خلوتك تحسَّس زوايا غرفتك ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

١٢ ـ هذا جرّد ثيابه، وذاك وقع أوراقه، وثالث فتح جواله، ورابع أشرف على عورات الآخرين! وفاتهم شهود الخلوات ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

١٣ ـ في اللحظة التي تتسوَّر فيها جدار القيم والفضيلة لا يبقى من عورتك شيء مستور ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

١٤ ـ كتب على شاشة جواله، وحاسوبه، وجدار غرفة نومه ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ أراد أن تكون درعاً ساتراً عند الفوضى في زمن الظلام.

١٥ ـ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ تكفي عن كل كمرات المراقبة التي تدفعون من أجلها مالاً كثيراً.

١٦ ـ كمرات المراقبة تضبط فعلك وتحملك مسؤولية وقتية، وملائكة الله تعالى يسجلون تاريخاً ويدونون أسراراً تكشف يوم الحاجات ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

١٧ ـ نظام البصمة في العمل يضبط دخولك وخروجك، وقد يحمّلك بضعة ريالات في آخر الشهر، بينما هذا المعنى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ يضبط كل لحظة من عمرك، ويسجلها في كتاب الحساب والجزاء.

١٨ ـ الرقم السـري في جهازك قد يحميك من فضائح الدنيا بينما لا يتمكن من سـترك أمام فضائح الآخرة ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

١٩ ـ ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ في أيام الدنيا، وفي القبر، وفي يوم القيامة لا فرق.

٢٠ ـ ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ إن لم تشعر بها الآن، فتحسس إيمانك، فلعل مانعاً في الطريق.

٢١ ـ أدركت الآن سر مقالة الأول: (وإنها لتمر بالقلب ساعات يرقص فيها القلب طرباً من ذكر الله) ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾.

٢٢ ـ محرومون أولئك الذين يدركون هذا المعنى ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ ثم لا يبدؤون.

٢٣ ـ ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ كلما ضعف أثر هذا النعيم في قلبك، فأفض عليه من أعمال العمل الصالح ما يثير مباهجه.

٢٤ ـ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ١٣﴾ لا يحول بينها وبينك إلا نقص في واجب أو أثر من معصية.

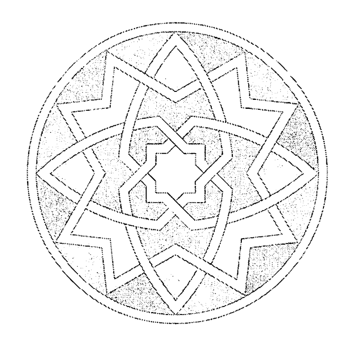
٢٥ ـ ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ١٤﴾ جحيم في كل شـيء، في الدنيا، وفي القبور، وفي ساحات القيامة لا فرق.

٢٦ ـ مساكين يلبسـون ويأكلون، ويسكنون قصور الدنيا، ويركبون مباهج الدنيا، ويموتون مراراً في عرض الطريق! ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ١٤﴾.

٢٧ ـ يلبس مباهج الثياب ويتمنى أن لو شقه عن جسده من الألم ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ١٤﴾ أما قلت لك يوماً أن مباهج القلب لا يعدلها شيء.

٢٨ ـ إذا أدركك الوهن، وطال عليك الطريق، وضعفت همتك، فاستقبل هذه الآية بوجدانك ومشاعرك ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ١٩﴾.





سُورَةُ المُطَفِّفِين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾ هلاك لهم، والتطفيف: النقص عن حق المقدار المستحق في الموزون أو المكيل.
- ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾ إذا أخذوا الكيل من الناس أخذوه وافياً.
- ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ إذا كالوا هم للناس أو وزنوا لهم أنقصوهم حقهم الواجب لهم.
- ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾﴾ إنكار وتعجب من حالهم، ألا يظنون أنهم قائمون من قبورهم بعد مماتهم؟!
- ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾ عظيم الهول جليل الخطب كثير الفزع.
- ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ لفصل القضاء وموقف الحساب.

التَّدَبُّرُ

١ ـ التعامل مع الآخرين دِيـن، ولولا ذلك لما كان هـذا الوعيد للمفرطين في حقوقهـم المضيعيـن لواجباتهـم ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ إن مشـكلتنا اليوم هذا الفصل بين حقوق الله تعالى وحقوق الآخرين.

٢ ـ التطفيف ليس شيئاً خاصاً بالمكيال الحسي في أرزاق الناس ومأكولاتهم، بل هو جار حتى في معاملات الناس المعنوية، وما أكثـر العبث بهذه المعاني في الواقع. كثيرة هي صور التطفيف التي تتوسَّط واقع الناس، وكم من مطفف اليوم على حساب زوجه، وابنه، وعامله، وجاره، ووظيفته، والله المستعان!

كثيرون أولئك الذين يطلبون حقوقهم وافية، ولا يؤدون واجباتهم كما أراد الله تعالى، وهذا طبع غالب في الناس إلا من وفقه الله تعالى، ترى هذه المعاني في صورة والد يريد من أبنائـه براً وقياماً بحقه وقد أضاع حقوقهم وأسـاء إليهم، ومثل ذلك الزوج مع زوجه، والإنسان مع خدمه وأجرائه، والمعلم مع طلابه، والمسؤول مع رعيته، وتجري هذه الصور في كثير من أحوال الناس دون وعي.

٣ ـ ثمَّة مشكلة ظاهرة، وخصام سـافر بين (الحقوق، والواجبات) ينتهي غالباً لصالح الحقوق، وقل أن تجد فرداً يترك شـيئاً من حقوقه فـي مقابل التخلُّف والتأخر في أداء واجباته ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾.

٤ ـ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ رسالة إلى كل عابث بحقوق الآخرين، ورسول نذير

للمفرطين في واجباتهم. يا ويلهم إن لم يرعووا عن هذه الأخطاء ويقيموا حقوق الله تعالى لهم.

٥ ـ ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ لو قيلت لك من مسؤول لما ذاقت عينك النوم، فكيف والمتوعّد الله!

٦ ـ ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ في حَبٍّ يأكله الناس ويسدون به جوعهم، فكيف بها في حق والد ويتيم وعامل ومسكين!

٧ ـ ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ كما هي في المكيال الحسي، فهي كذلك في المكيال المعنوي لا فرق.

٨ ـ كلما رقى الإنسان في إيمانه أدى واجبات الآخرين، وقام بحقوقهم، وتحرَّج من أدنى نقص، وفي قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ ما يبين عن هذا المعنى الكبير.

٩ ـ كم من ظنٍّ أوقع صاحبه في حمأ الرذائل ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

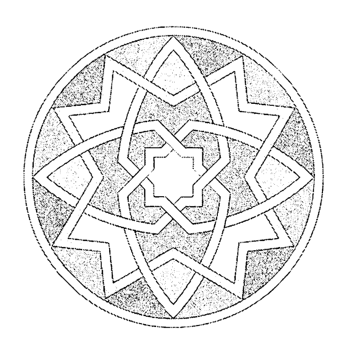
١٠ ـ يسرقون، ويغشون، ويظلمون، ويعبثون بالقيم ويظنون أنهم على الطريق ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

١١ ـ إذا رأيت سارقاً لحقوق الآخرين وغاشاً في ميدان فضيلة، منتهكاً للقيم فنادِ عليه بأعلى صوتك ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

١٢ ـ قَدَّم ولده في الوظيفة، وحابى صديقه في المناقصة، وأرسى مشاريع على شركة جاره! ونسيَ واعظ القرآن ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾.

١٣ ـ أدار معاملة ربوية، وتسلَّط على عورات المسلمين، وانتهك محارم الله تعالى فما يصنع بذكرى اليوم ومواقف الحساب بين يدي الله تعالى؟! ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾.

❀ ❀ ❀





كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ
﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ
إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ
رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ
﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾
كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ
يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ
مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾
وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا
رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾
فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ
يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

التفسير

- ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ ﴾ كلا: ردع وزجر عن ما يحصل منهم من تطفيف، أي ما كتب فيه من أعمالهم وأحصي عليهم فيه ﴿لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ المكان الضيق فهو مطروح في أسفل مكان مظلم، قال مجاهد في سجين: عملهم في الأرض السابعة لا يصعد. وإنما جُعل هناك دليلاً على خساسة منزلتهم، أو لأنه يحل من الإعراض عنه والإبعاد له محل الزجر والهوان.
- ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ ﴾ مكتوب كالرقم في الثوب لا يُنسى ولا يمحى، وهذه الآية ليست تفسيراً لسجين بل على تقدير أن كتاب الفجار لفي سجين، وهو كذلك كتاب مرقوم فيكون وصفاً له بوصفين.
- ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ﴾ تهديد لهم بحالهم ومكانهم يوم القيامة.
- ﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ ﴾ لا يصدقون بوقوع يوم الجزاء والحساب.
- ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ ﴾ هذا اليوم لا يكذب به إلَّا معتدٍ متجاوز لحدود الله تعالى، أو أثيم كثير الإثم والمخالفة.
- ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ الدالة على الحق وصدق ما جاءت به الرسل ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ ﴾ أي أن هذه هي أخبار وأحوال الأمم السابقة الغابرة ليست من عند الله تعالى.
- ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ غطى عليها ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ ﴾ ما كانوا يكسبونه من الخطايا والمعاصي.
- ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ﴾ سيحجبون عن رؤية الله تعالى.
- ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ﴾ محترقون بها.

• ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً يقال لهم هذا الجزاء بسبب تكذيبكم لهذا اليوم ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن التكذيب أو بمعنى حقاً ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ أي كتاب أعمالهم.

• ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾ أي في السماء السابعة أو في الجنة.

• ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾ أي مكتوب ومرقوم لا يتغير ولا يتبدل.

• ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي الملائكة، وقيل يشهده من كل سماء مقربوها.

• ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ الأبرار جمع بر، والبر كثير الخير، والطاعة والإحسان ﴿لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ منعمون نعيماً دائماً، وهذا النعيم جامع بين نعيم الروح والجسد، ونعيم الحياة، والبرزخ، والقيامة.

• ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ على الأسرة والمتكآت التي هُيِّئت لهم في الجنة، ينظرون إلى ملكهم، ونعيمهم، وينظرون إلى ربهم وخالقهم.

• ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ إذا نظرت إليهم ترى أثر النعيم وبهجته بادياً على وجوهم من أثر ما يجدون.

• ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾ يسقون من خمر الجنة، والرحيق هنا اسم من أسماء الخمر، ومختوم خُتم على أوانيه، فلا يداخله شيء ينقص لذته أو يفسد طعمه.

• ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ آخر ما في ذلك الشراب ريح المسك ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي في مثل هذا النعيم فليكن التنافس، والاستباق إلى الخيرات.

- ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ ما يمزج به ذلك الرحيق ﴿مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧﴾ عيناً في الجنة، قال ابن عباس: التسنيم يعلو شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين، ويمزج لأصحاب اليمين.
- ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ أي أن هذه العين خاصة للمقربين.
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ قاموا بالجرم وهو المعصية والمخالفة ﴿كَانُواْ﴾ أي في الدنيا ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩﴾ استهزاءً وسخرية واستصغاراً.
- ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠﴾ إذا مرَّ المجرمون بالمؤمنين أو المؤمنون بالمجرمين غمز بعضهم بعضاً استهزاءً وسخرية.
- ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ﴾ وإذا رجع المجرمون إلى منازلهم ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾ متلذذين بالسخرية من أهل الإيمان.
- ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ﴾ إذا رأى المجرمون المؤمنين ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢﴾ على غير طريق الحق لكونهم على غير دينهم.
- ﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣﴾ ما أرسل هؤلاء المجرمون على المؤمنين حافظين لهم ورقيبين عليهم.
- ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤﴾ مسرورين بما نزل بعدوهم من الهوان والصغار بعد العز والكبر.
- ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥﴾ على الأسرة ينظرون إلى ما أعد الله لهم من الثواب، وينظرون إلى أولئك وهم في درك الشقاء، وينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى زيادة في النعيم.
- ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ هل جوزي أهل الكفر بما كانوا يفعلون في الدنيا من الكبر والاستهزاء.

التدبر

١ ـ الأسفلون هنا هم الأسفلون هناك لا فرق ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ ﴾.

٢ ـ صَاحَبَه في السفر للرذيلة، وحضر معه سفك القيم، وشاركه في تزييف الحقائق ولم يفترقا في الدنيا، فجمع الله تعالى كتابهما في أسفل أرض، وفي أسوأ معنى ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩ ﴾.

٣ ـ اجتمعوا في الدنيا على الدنايا، فجمعهم الله تعالى يوم القيامة على نهايات السوء ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩ ﴾.

٤ ـ كل تأخر ينال الإنسان في دينه مرده لتكذيبه بالوحي ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ ﴾ وكم من مصدِّق بقوله مكذِّب بعمله وواقعه!

٥ ـ الاعتداء على حدود الله تعالى، والتعدي على حرماته فرع عن التكذيب بالوحي ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ ﴾.

٦ ـ كم من معصية حالت بين صاحبها وبين التوفيق ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾.

٧ ـ لا تستغرب حين ترى من يُلقي بنفسه في مهاوى الردى دون ضابط، وكلما خرج من أسر قضية عاد في أخرى، وكلما وجد فرصة سانحة إلى ظلم وعدوان سارع دون مبالاة، وهذه الصور بعض الدلائل على تغطية المعاصي على قلبه، وتأثيرها في حياته وحيلولتها دون وعيه وإفاقته ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾.

٨ ـ إذا رأيت من نفسك تأخراً عن طاعة، وعدم اكتراث بمعصية، وبرودة قلب عند واجب فذلك من أعظم الأدلة على مرض القلب وعلته، ولعلك رأيت من يدخل

المسجد فتعسر عليه ركعتان، ومن يبقى زمناً في المسجد لا يتمكن من مد يديه إلى كتاب الله تعالى، وكلما اشتهت نفسه خيراً وقفت جوارحه عاجزة عن التمام. والعاقل من أدرك نفسه قبل الفوات ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

٩ ـ لا تأخذ رأياً ممن يعيش في ساحات الظلام، لو كان يبصر شيئاً من الحقائق لأنقذ نفسه فما لك وللظلام! ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

١٠ ـ المجهدون من اليأس والإحباط والفشل والقنوط هم الذين قطعوا جزءاً كبيراً من حياتهم في الظلام ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ مستحيل أن تجد تقياً صالحاً في ساحات الظلام.

١١ ـ لا تقف المعصية بصاحبها عند حد، وما تزال به حتى تحرمه من كل شيء ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

١٢ ـ إنما على كتاب القوم لعلوهم في أفكارهم ومفاهيمهم وأهدافهم وطموحاتهم ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

١٣ ـ على قدر أمانيك تأتي نتائج النهايات ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

١٤ ـ إذا ضاق بك الطريق، وكلّت بك النفس، وأمضك جهد المشروع فردد هذا الحادي على قلبك ومشاعرك ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

١٥ ـ إذا رأيت بارداً متأخراً متثاقلاً عن غايات الآخرة، فاضرب قلبه بسوط الذكرى ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

١٦ ـ لا تغبط أحداً في شـيء مهما بلغ حجمه إلا في سباق على مباهج الآخرة ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

١٧ ـ ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ في مثل هـذه الميادين تكون صناعة التحديات.

١٨ ـ كل الحوافز التي تمنحها مشاريعك وأهدافك وغاياتك تجري في فلك هذه الدعوى المثيرة للنزال على الخيرات ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

١٩ ـ خلـق بيئة التنافـس مورد للسـباق على الخيـرات ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فليتفطَّن المربون لهذا المعنى الكبير. إن البيئة التي لا تخلق مورداً للتنافس ومجالاً للسباق لا تصنع بريقاً للحياة في واقعها، وعلى المربين آباءً ومعلمين أن يخلقوا هذه المعاني في كل مساحة يشغلونها.

٢٠ ـ كل تنافس تـراه من أجـل الدنيا، فلا قيمة لـه ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾. ﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ درس للذكرى!

٢١ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ لا يسمع موسيقى، ولا يصافح فتاة، ولا يشهد احتفالات، ولا يتنزه مع الناس، ويتحرجون من الربا، ولا يشهدون فوضى الحياة!! يضحكون على امتثالهم لدين الله تعالى.

٢٢ ـ من العدل أن يوصف الناس بوصفهم الحقيقي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

٢٣ ـ كل من يتعـرّض لأولياء الله تعالى، ويقـف دون امتثالهم لدينه فهو مجرم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

٢٤ ـ كم مـن مجرم في الأرض يضطهـد الأخيار صباح مسـاء، والذي يطارده المجرم الأصل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

٢٥ ـ الوحي يعيد بناء التصورات والمفاهيم في أذهان كثيرين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ المجرم من وقف دون دين الله تعالى وطارد أولياءه.

٢٦ ـ كلما أقبل شاب في مجتمعه على الاستقامة لمزه وخوَّفه وبعث لأبيه يهدده حتى ترك الاستقامة وعاد ضائعاً، صورة من صور الإجرام ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

٢٧ ـ الصراع بين الحق والباطل، والمدافعة بين أولياء كل طريق سنة ثابتة ستظل ما بقيت الحياة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

٢٨ ـ كثيرة هي الانتصارات الوهمية التي تنال تصفيقاً مدوِّياً من الجماهير ثم لا شيء ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

٢٩ ـ حتى الضحك على أولياء الله تعالى سيطوله القصاص ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٣٠ ـ سيطول أمد الحقائق لكنها في الطريق للوصول ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ اليوم! مع أنه طال انتظار موعده وأيامه.

٣١ ـ الجراح التي يلقاها المؤمنون في ساحات الدنيا معوَّضة بالجزاء في ساحات القيامة، فاصبروا يا صنَّاع الحياة ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

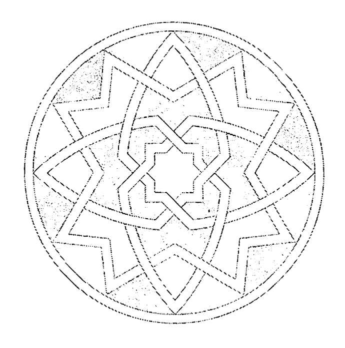
٣٢ ـ من يضحك أخيراً!! دعونا نرتقب ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٣٣ ـ كل وصف لا أصل له في الشريعة، فهو مردود على صاحبه ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ وصف الضلال الذي ألقـي على كواهل المؤمنين فرية لا سند لها ولا حقيقة.

٣٤ ـ ما أسهل الدعوى! ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ وصفوا غيرهم بالضلال وبقيت الحقيقة من حقهم فحسب.

٣٥ ـ ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ إي والله يا رب! ما من خبر هنا إلا وهو حقيقة هناك.

❀ ❀ ❀





سُورَةُ الانشِقَاق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

التفسير

• ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾ تصدعت، وتقطعت ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾ سمعت له في تصدعها وتشققها.

• ﴿وَحُقَّتۡ ۝٢﴾ حق لها ووجب عليها أن تنقاد لأمر الله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣﴾ بسطت وجعلت مستوية.

• ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤﴾ ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت منهم.

• ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥﴾ انقادت له في التخلية وحق لها ذلك الانقياد.

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ أي إنك عامل عملاً، وساعٍ سعياً، فملاقي ذلك العمل إن كان خيراً أو شراً.

• ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧﴾ يوم القيامة، وهو من آمن وعمل صالحاً واتصف بوصف الأبرار.

• ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨﴾ سهلاً يسيراً.

• ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩﴾ يرجع إلى أهله إما زوجته وأقاربه، أو قومه ممن يجانسه ويقارنه في الصالحات مسروراً بنجاته من العذاب، أو صحبة القوم ومرافقتهم، أو بما أوتي من حظوظه.

• ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠﴾ أعطي كتابه بشماله من وراء ظهره على هيئة المغضوب عليه.

• ﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١﴾ ينادي بالهلاك والهوان على نفسه، يقول حين يرى العذاب: وا ثبوراه! وا ويلاه.

• ﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ في النار.

• ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣﴾ فرحاً لا يفكِّر في العواقب.

• ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾ لن يرجع إلى ربه أو الحياة الآخرة.

• ﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾ ليرجعن إلى ربه كما كان قبل مماته، فيجازى على أعماله خيرها وشرها.

• ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦﴾ هذا قسم من الله تعالى بالشفق، والشفق: الحمرة في الأفق من ناحية المغرب.

• ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ جمع وضم وحوى من مخلوقات.

• ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾ اجتمع وتم نوره وصار كاملاً، وذلك في ليالي الإبدار.

• ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩﴾ حالاً بعد حال في الزمان والمكان والأبدان والقلوب.

• ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠﴾ أي: أيُّ شيء يمنعهم من الإيمان والحجة قائمة عليهم؟! وهذا استفهام بمعنى الإنكار.

• ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ ۩ ۝٢١﴾ لا يخضعون ولا ينقادون لأوامره وما فيه من الخير.

• ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢﴾ إنما منعهم من الإيمان بذلك تكذيبهم.

• ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣﴾ ما يسرّون ويجمعون في صدورهم من أقوال وأعمال.

- ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ بالجزاء على تكذيبهم وإعراضهم.
- ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾ ﴾ تحلَّوا بهذه الصفة، وجمعوا بين الإيمان والعمل، لهم ثواب غير مقطوع، أو غير ممنون به عليهم.



١ ـ بعض مشاهد العبودية لخلق الله تعالى ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ ﴾ فما جواب الإنسان عن تعظيمه لربه وقيامه بحق!

٢ ـ من المفارقات الكبيرة أن يأتي جماد سامع ومطيع لربه تعالى وإنسان متمرد على دينه ومنهجه! ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ ﴾.

٣ ـ التعب والكدح والمعاناة أصل في الدنيا، ولن تأتي اللحظة التي يتخلّص فيها الإنسان من هذا العناء إلا بأول قدم يضعها على عتبة الجنان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾.

٤ ـ فرق كبير بين كدح وكدح. فرق بين كدح صاحب الرسالة، والمشروع والمنهج في طريق الحق، وبين كدح صاحب الباطل! قد يتفق هذا الكدح عند كل إنسان في الجهد، والحركة، والمعاناة، لكنه يختلف اختلافاً كبيراً في أثره على واقع الإنسان وحياته، وفي يوم معاده ويوم جزائه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾.

٥ ـ حتى الطاعة تأخذ المعنى ذاته من الكدح في الحياة! ثمة صور كثيرة منها لا تأتي إلا على جسر من التعب والمعاناة، وكم من كدح فيها عاد على صاحبه بالأفراح! وإنما كانت الجنة درجات لهذا المعنى الكبير ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾.

٦ ـ كلما تعبت في طريقك، وكَلَّ جسدك من العمل، وضعفت همتك في السير فكرّ عليها بهذا الأمل الكبير ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ ملاقيه أثراً عاجلاً في نفسك، وبيتك، وعملك، وسائر حياتك، وملاقيه جزاءً في قبرك، وملاقية يوم الوقوف بين يدي ربك.

٧ ـ الجزاء من جنس العمل! وكل كادح يلقى جزاء كدحه في الدارين! كادح الطاعة يلقى هذا الوعد الكبير ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾ وكادح المعصية يلقى في النهاية ذلك الوعيد المشؤوم ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾.

٨ ـ من فقهك وكمال عقلك أن تستثمر طاقاتك ومهاراتك وقدراتك في مشروع وتعيش كادحاً في الطريق إلى الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾.

٩ ـ حتى غبار قدمك في مشروع، وليلة سفرك، وبذل أوقاتك في سبيل الله تعالى ستأتي ضمن كدح الحسنات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾.

١٠ ـ ملازمتك لأمك، وقيامك بدورك مع أبيك، والتزامك بمشروع طيلة عمرك كل ذلك كدح الخيرات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾.

١١ ـ ملازمتك لصلاة الجماعة، وحرصك على تكبيرة الإحرام، وصدقتك الدائمة وقراءتك لكتاب الله تعالى سيأتي ضمن كدح الحسنات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾.

١٢ ـ حتى ابتسامتك، وتسبحيتك، وعونك لجارك، وأخذك بيد عاجز في الطريق وقيامك على الأيتام من هذا الكـــدح الطيب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾.

١٣ ـ حتى كلمتك الجارحة، وخطوتك في غيــر صالح، وتوقيعك على خطاب فاسد، وتوظيفك لمن لا يستحق، كلها في باب كدح السيئات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾.

١٤ ـ لا تحتقر عملك أياً كان، ســيأتي يوم القيامة محســوباً في الحســنات أو السيئات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾.

١٥ ـ نافذة على النهايات ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ وكم من فائز مسرور بكدحه! وكم من حسير محزون من كدحه!

١٦ ـ كم من مســرور في أهله غير مدرك لعواقب زمانه! وكم من منعّم يظن أنه مستريح من العناء، وفي النهاية تأتي الحقائق بغير ما أراد ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣﴾.

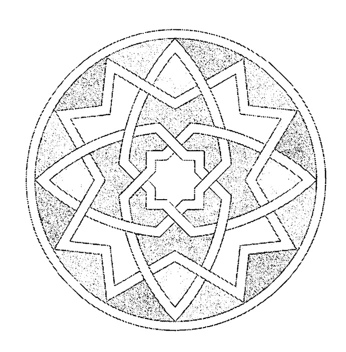
١٧ ـ لن يدوم الإنسان على حال، كم من شاب موفور الصحة عاد في النهاية شيخاً مســناً يعجز عن حمل قدمه! وكم من صحيح في جســده عاد عليلاً كســيراً من الأمراض! وكم من صاحب فكر وعقل عاد في النهاية لا يملك زمام كلمة، وكذلك

الزمان يكر في الخاتمة على الإنسان، فيورده إلى هذه الصور من النهايات، والله المستعان! وحال كهذه حقيق بصاحبها أن يبادر لحظاتها ويغتنم فرصها، ويهب من شبابه لكبره، ومن حياته لموته، ومن صحته لسقمه، وفي الحديث: «**إذا سافر العبد كتب له من العمل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً**» ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾.

١٨ ـ خلل الرؤية أخطر ما يوجه الإنسان في حياته ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

١٩ ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾ دواء لليأس والألم والمعاناة وشقة الطريق الطويل.







سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

التفسير

- ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ الكواكب والنجوم، وإنما شبهت هذه بالبروج لعلوِّها.

- ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾ أي يوم القيامة، الذي وعد الله فيه الخلائق لفصل القضاء.

- ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ الشاهد كل شاهد يشهد على آخر، والمشهود هو كل مشهود عليه من العوالم المشهودة كلها.

- ﴿قُتِلَ﴾ أي لعن أصحاب الأخدود أو قتلهم الله وأهلكهم وانتقم منهم ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ والأخدود: جمعه أخاديد، وهي الحفر في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى ما عندهم من المؤمنين بالله ﷻ، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدوداً وأججوا فيه ناراً وأعدوا لهم وقوداً يسعرونها به فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها.

- ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ ذات الحطب الكثير المتأجج.

- ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ على حافات أخاديدها قاعدون يتشفَّون من المؤمنين.

- ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ حضور يشاهدون عذاب المؤمنين.

- ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ ما أنكروا منهم ولا كان لهم ذنب ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ إلا إيمانهم بالله تعالى ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب على أعدائه بالقهر والانتقام ﴿ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ المحمود على إنعامه وإحسانه.

- ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ لا يخرج عن تصرفه أحد من العالمين ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ ﴾ مطلع على كل شيء.

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ بلوهم بالأذى ليرجعوا عن دينهم ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ ﴾ عن كفرهم وفتنتهم للمؤمنين ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ ﴾ لهم عذاب شديد ومحرق.

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ ﴾ التام الذي لا فوز مثله.

- ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ ﴾ بطشه وانتقامه من أعدائه عظيم قوي.

- ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ ﴾ يبدئ الخلق فيخلقهم ابتداءً ثم يعيدهم عند البعث.

- ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ﴾ يستر الذنب ويعفو عنه ﴿ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ﴾ الحبيب لأوليائه يحبهم ويحبونه.

- ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ المجيد صاحب العرش، وعرشه هو الذي استوى عليه سبحانه وتعالى استواء يليق بجلاله ﴿ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ ﴾ المجيد فيها قراءتان: بالرفع على أنه صفة للرب، والمجيدُ المتضمن لكثرة صفات الكمال وسعتها وعدم إحصاء الخلق لها وكثرة خيره ودوامه، وبالجر على أنها صفة للعرش فهو مجيد لسعته وحسنه وبهاء منظره.

- ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ ﴾ لا يريد شيئاً إلا فعله.

- ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ ﴾ قد أتاك يا رسول الله خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائها.

- ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ ﴾ حديثهم وما صدر عنهم من الكفر والضلال.

- ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ ﴾ للحق مع وضوح آياته وظهور بيانه.
- ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ ﴾ محصٍ عليهم أعمالهم، قادر عليهم.
- ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ ﴾ عظيم كريم في شرفه وبركته وبيانه.
- ﴿ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢ ﴾ أي أن هـــذا الكتاب في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل.



التَّدَبُّر

١ ـ رعاية الله تعالى لعباده المؤمنيـــن ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ﴾ يقســم تعالى بهذه العوالم الكبرى على طرد ولعن كل من عرض لهم في طريق الحق، وآذاهم، أو حال بينهم وبين دينهم. وأنت من تلــك الفئة التي يحبها الله تعالى ويدافــع عنها ويجلها ويرعى شؤونها في الدارين.

٢ ـ لا تتوقع من عــدوك إلا مثل هذه الجرائم ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ ﴾ إلى يومك هذا وهم يقتّلون ويذبحون ويشردون ويصنعون كل شيء.

٣ ـ العدو يعرف الفرص ويجهد في استثمارها في صالح فكرته المشؤومة ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ ﴾ لما قال الحاضرون قصة الغلام: (آمنا برب الغلام) استثمر جمعهم، ثم حفر الأخاديد، وأوقد النار، وألقاهم فيها ليشفى غليله.

٤ ـ الفكرة الحية كافية لطعن العـدو، أحرقوهم في الأخاديد لأنهم اعتنقوا فكرة الحق وآمنوا بمنهج الله تعالى فحسب ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾.

٥ ـ ليس بالضرورة أن تحمل سلاحاً للعدو في أرض المعركة يكفي إيمانك الحقيقي بدينك جالباً لسخط العدو ونزالك في أرض المعركة ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾.

٦ ـ يطيش العـدو حتى يتصرف كالأعمى لحظة انتصار الحق في مسـاحة من الأرض فقـط حين قالوا: (آمنا بـرب الغلام) أوقدوا الأخاديـد وأضرموا فيها النيران وقذفوهم فيها في الحال ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾.

٧ ـ فرق بين أن تردد الإسلام صورةً وشـكلاً، وأن تعتنقه عقيدة ومعنى! الأول يصالحك العدو لدرجة أنك جزء منه لا فرق، والثانية يقوم في طريقك ولو خسر كل شيء ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾.

٨ ـ الإسلام حركة شعورية تملأ كيان الإنسان حرية فلا يرضى بالدون، وإذا لم يكن لك من ذلك شـيء، فلا مفروح بك في أعداد المسـلمين ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾ لولا أن هذا الدين قـام في نفوس هؤلاء عقيدة ومعنى لما رضوا بالنار في مقابل الحياة العاجلة.

٩ ـ رأيت المساجين من المسلمين في بلاد الغرب، فأدركت أن العدو لا يمكن أن يدع الأحرار في فجاجها دون ربـاط ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ ﴾.

١٠ ـ لم يكن مفهوم النصر حصراً على الانتصار في معركة، أو ساحة جهاد! وإنما ممتد إلى صور كثيرة يأتي على رأسها صبر المؤمنين على منهجهم وتحملهم تكاليفه وأعباءه، والطمأنينة به حتى لو كلّف موت الإنسان ووداعه من الحياة. وهل رأى عاقل صورة مثل صورة هذا الشاب يدل الناس على الإيمان ويصنع من دمه حريات الشعوب! وفي الحديث: «**فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ**»! وهل رأت أمة صورة أعز من صورة هؤلاء الأفراد يتقاذفون في النار واحداً تلو الآخر دون أن يلوي أحد منهم عنقه للوراء! وإذا بلغ دين الله تعالى في النفوس إلى مثل هذه الصور فتلك أروع صور النصر وأمثل صور الوفاء. لا تسل عن الأرواح التي أُزْهِقت، والنفوس التي استشهدت، وقد عاد دين الله تعالى أمثل ما يكون.

١١ ـ الموت من أجل الفكرة حياة للجماهير المنتظرة «**ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ**»!

١٢ ـ رأيت أناساً يموتون فتحيا بموتهم جماهير، ورأيت أحياءً كالأموات لا فرق «**ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ**».

١٣ ـ العدو لا يقوم للإرهاب كما يدعي، يقوم لقمع راية الإسلام حين يراها بدأت تأخذ واقعها من الحياة ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾.

١٤ ـ إذا سمعت مذيعاً يردد، أو رأيت صحفياً يكتب عن هدف عدو في معركة يقيمها لغير هذا الشأن ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ فكذّبه فذلك من الاحتساب على المنافقين.

١٥ ـ إذا روَّج الإعلام زيفه وكذبه وسوَّق للعدو صورة الحرب التي يشنها في جزء من رقعة الإسلام، فاقرأ عليه هذا المعنى الكبير ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

١٦ ـ احفظ هذه الآية واضبطها جيداً ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ حتى تستطيع أن تلجم بها الأفاكين في دير الإعلام في مثل زماننا.

١٧ ـ لا تحاول أن تقنعني أن خيل العدو وعدَّته وأمواله في أرض الإسلام من أجل عيون المسلمين ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ كذبت، وصدق الله تعالى.

١٨ ـ إذا قمت تتدبَّر كتاب ربك، أو تقيم مشروعاً لفهمه، أو تفتتح مؤسسة لإحياء معانيه فقد فتحت باباً للمعركة الكبرى مع العدو ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

١٩ ـ ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ الإيمان أثر لفقه الوحي، وتدبر كتاب الله تعالى وقراءته قراءة مشاعرية وجدانية بداية الطريق وقاعدته.

٢٠ ـ للإيمان ضريبة ﴿قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾﴾ شعاع القلب المتوهج في النفوس من أثر ذلك الإيمان لا يستوثق حتى تلفحه النيران.

٢١ ـ الابتلاء على قدر الإيمان ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ ﴾ كلما زاد إيمانك زيد لك في البلاء، مساحات الربيع لا تتوسّع حتى تجد مسّ النيران.

٢٢ ـ الزمن ليس شاهداً حياً على نماء جذر إيمانك، يكفي الإيمان الصادق شواهد الحال ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ ﴾ من لحظة إيمانهم ثبتوا على تكاليف الطريق.

٢٣ ـ الإيمان لا يحتاج إلى مساحة تصنعه، يكفيه لحظة صدق في البدايات ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ ﴾ هذا يدخل النار ليموت في مقابل أن يبقى دينه، وذاك يخسر كل شيء من أجل شهوته، ما أبعد الفرق!

٢٤ ـ الدين لا يكوّن مساحات الربيع في قلب صاحبه حتى يجد مض الأيام وشقة التكاليف ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ ﴾.

٢٥ ـ الابتلاء جزء من تكاليف الطريق لم تتخلّف في عصر أو زمن، وكلما استوثق الإنسان من دينه زادت شقة الابتلاء في طريقه حتى يلقى الله تعالى أمثل ما يكون ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ ﴾.

٢٦ ـ هل مرَّ بك في حياتك مثل هذا المعنى في الرحمة! يقف هؤلاء المجرمون في طريق دينه، ويحاربون أولياءه، ويحرقونهم في أخاديد النار، وبعد كل ذلك يدعوهم للتوبة من جديد ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ ما أعظمك يا رب!

٢٧ ـ لم تُبق هذه الآية مساحة من يأس ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾.

٢٨ ـ ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ دعوة لفك أغلال الوهم.

٢٩ ـ إلى كل اليائسين والقانطين من رحمة الله تعالى: خذوا من هذه السعة مع المجرمين مراكب للنهوض من جديد ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)﴾.

٣٠ ـ أياً كانت خطيئتك، وسيئتك، وجريمتك فما زالت مراكب التوبة فارغة في انتظارك ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)﴾ لا أعني التوبة تلك الكلمة التي ترجو بها الفكاك من الخطيئة لحظة أثر الذنب، كلا! أعني الانكسار والصدق والإقبال والعزم على عدم العودة والفكاك من ربق الذنب.

٣١ ـ الإيمان والعمل الصالح يصنع أماني الإنسان ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)﴾.

٣٢ ـ كل معاني الفوز التي تتردد على مسمعك لا قيمة لها مقارنة بهذا الفوز الكبير ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)﴾.

٣٣ ـ هذا يبكي فرحاً لفوز فريقه، وذاك يبكي حزناً لهزيمة فريقه، وآخرون يفرحون ويبكون لفوز عارض من أحلام الدنيا فأين هذه الأحلام من فوز الحقائق الكبرى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)﴾.

٣٤ ـ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢)﴾ رسالة لكل المسرفين في الأرض المخدوعين بأمد الحياة الطويل.

٣٥ ـ إذا رأيت مغلوباً على أمره فذكّره بناصره ومعينه ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾.

٣٦ ـ مساكين الذين يظلمون الناس لقوتهم، أو جاههم أو مالهم أو مسؤولياتهم، نسوا ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾.

٣٧ ـ إذا قل ناصروك في الأرض، فارفع بصرك إلى السماء، وتذكّر القوة البالغة، وسله النصر ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾.

٣٨ ـ في رحاب هذا المعنى ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ حل بقومٍ ما لم يكن في الحسبان.

٣٩ ـ ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾ لمسة حنان وود للمرهقين من آثار الذنوب المجهدين من تبعات المعصية.

٤٠ ـ المسألة فوق أنك وقعت في ذنب فغُفر لك! إنها مسحة ود ومعروف وبر تلاحق جفاءك وتمسح لأواءك ،وتأتي على آثار الألم فتبرئك من كل شيء.

٤١ ـ ما أكثر حاجة القلوب إلى القراءة في آيات الصفات ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾ دعوة إلى التأمل في هذا الخَلْق العجيب، وفي حديث رسولك ﷺ (أذن لي أن أحدِّث عن ملك من ملائكة الله ﷻ من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام) فكيف بالعرش ذاته، فإذا ما قرأت قول ربك: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ أدركت كم تُخلّف هذه الصفات في قلوبنا من معانٍ وآثار!

٤٢ ـ هذا الوصف العارض (أذن لي أن أحدّث عن ملك من ملائكة الله ﷻ من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام) لملَك واحد من ملائكة ربك، فما بالك بمن معه! فما بالك بالرب!

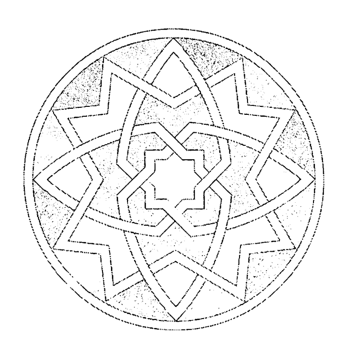
٤٣ ـ لو تخيّل عاقل وصف الملَك لما جسر على معصية صاحب المُلك! ما أبشع صور الغفلة في حياتنا!

٤٤ ـ من فجر التاريخ والحق والباطل في صراع ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾.

٤٥ ـ النصر للحق والغلبة له وإن طال الزمان ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ هذا حديث القرآن عن صراع الباطـل ومواجهته للحق، وحديث كذلك عن الهزائم التي منوا بها في تلك الأيام ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾.

٤٦ ـ يكفي أن الدين دين الله تعالى، وهو ناصر دينه ومعلي كلمته ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ الله تعالى من ورائهم وليس أهل الحق، القوة الإلهية هي تواجه باطلهم لا قوة البشـر، سلطان الله تعالى وملكه وجبروته في مقابل قوى بشرية لا تستمد أنفاسها التي تجري في أجسادها إلا من الله.





سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

التفسير

- ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾﴾ قسم من الله تعالى بالسماء وما يطرقها من النجوم الثواقب.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ وفسر هذا الطارق بالنجم الذي يثقب ضوؤه ظلمة الليل، وينفذ فيه فيبصر بنوره ويهتدي به.
- ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ مطلع على أعمالها الصالحة والسيئة، مجازيهم بما يحصيه من أعمالهم يوم القيامة.

- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾ فليتأمل الإنسان بداية خلقه.
- ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾ المنـــي يخرج دفقــاً ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ ﴾ صلب الرجل، وهو كل عظم من الظهر فيه فقار.
- ﴿ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ يخرج هذا المني من بين ترائبه أي عظام صدره، وقيل ترائب المرأة أي عظام صدرها.
- ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ على رجع الإنسان إليه يوم القيامة ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ﴾ تختبر لتظهر وتبدو.
- ﴿ ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ ﴾ ما بين العبد وربه في ظاهـــره وباطنه ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ ﴾ في نفسه تدفع عنه عذاب الله تعالى.
- ﴿ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ يدفع عنه عذاب الله تعالى.
- ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ ﴾ الغيث لأنه يرجع ويتكرر.
- ﴿ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ ﴾ ذات الشقوق ليخرج النبات منها ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ ﴾ أي القرآن.
- ﴿ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ ﴾ حق وصدق بيّن واضح.
- ﴿ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ باللعب والعبث واللهو ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أي الكفار.
- ﴿ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ ﴾ يمكرون بالناس في دعوتهم، ويصدونهم عن الحق.
- ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ وكيد الله تعالى هنا هو مكره بهم وإملاؤه إياهم على معاصيهم وكفرهم به استدراجاً لهم ومعاقبتهم على ذلك، وهذه الصفة صفة الكيد من الصفات الثابتة لله تعالى لكنها لا تثبت لله تعالى إلا على

وجه المقابلة، فـلا يقال الله كائد، ولكن يقال يكيـد الله بمن يكيد به، ويمكر بمن يمكر به.

• ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أنظرهم ولا تستعجل لهم ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ قليلاً لترى ما يحل بهم من العذاب والنكال.



١ ـ كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته، فكل ما يجري في هذا الكون، فإنما هو بأمره وتحت سلطانه وقدرته لا يفوت منه شيء عليه تعالى ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾.

٢ ـ رقابة الله تعالى، فكل ما يجري من الإنسان مرصود مكتوب لا يفوت منه على الله تعالى شيء ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾.

٣ ـ لا تأخذك نفسك بعيداً عن الله تعالى أو عن المخلوقين ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ هذا هو أصلك وبدايتك وحقيقتك فلا تبعد كثيراً. تعلّم كيف تتواضع للحق الذي يأتيك، وتُعظّم ربك وتقيم له شأناً في واقعك، وتعلَّم في المقابل كيف تؤدي حقوق الله تعالى وترعى شأنها وأنت ترى من كل حولك أفضل منك تقوى وصلاحاً وخلقاً وأدباً.

٤ ـ القلـب أصل العمل، وكل عمـل جوارحك إنما هو نتيجـة لذلك الأصل الكبير، وإذا صلح ذلك الأصل صلح سائر العمل، وإذا اختل اختل كل شيء. وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»، وأول الأسـئلة وأهمها سـؤال السرائر ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾.

٥ ـ خلواتك وسرائرك هي وجهك الحقيقي، كم رفعت هذه السرائر من عمل! وكم حسَّنت من خاتمة! وما ينفع إنســاناً ثوب يورق جمالاً وقلبٌ مظلمٌ حسداً ونفاقاً! وما ينفع حديث لسان وقلب منطوٍ على كبائر الخلوات ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩﴾ وقد قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله الله في السرائر، فما ينفع فسادها صلاح الظاهر».

٦ ـ كل الحقائق مردها لهذا الوحي ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾ وما عدا ذلك عاريّة لا قيمة لها في واقع صاحبها.

٧ ـ ما قيمة هذا المعنى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾ إذا لم يتولَّ صياغة أفكارنا، وإصلاح أرواحنــا، وبناء مفاهيمنا وتصوراتنا. مؤلــم أننا نتهافت على الكتب المترجمة ـ كمثال ـ وندفع فيها أموالاً وأوقاتاً، وندفع أعظم الحقائق بين أيدينا وبدون مقابل من الأموال.

٨ ـ كانت تلك الأجيال توقظها آية من هذا الوحي وتعود تكتب حظ الإسلام منها بأبلغ ما يكون ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾ سمع جبير بن مطعم قول الله تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] وهو مشرك فقال: كاد قلبي أن يطير! وكانت قريش تقنع كل من يفد إلى مكة أن يحترز من هذا القرآن حتى يضع في أذنه القطن، ثم مــا يلبث أن تهزمه آيات القــرآن ويعود فألاً في الحياة. وما لم نستقبل هذا الوحي بمثل هذا الوعي وإلا فسيفوتنا كل شيء.

٩ ـ القرآن الكريم أكبر الأدلة الكاشفة لتزوير الإعلام ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾ وفي زمان الفتن والظلام والأزمــات لا تفتح أذنيك لزور الإعلام، ضع بصرك بين طيات هذ الكتاب، وستأتيك الحقائق الفاصلة في أرض النزاع.

١٠ ـ كل تحليل أو رؤية لا تجعل هذا الكتاب أصلها ومقصدها فهي زور وبهتان

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ ولذلك كل هذه التخبطات في رصد الواقع الذي نعيشه يأتي من أننا لم نجعل القرآن هو الأصل وما عداه لا شيء.

١١ ـ يمكنك أن تبحث عن الدجل والكذب والزور والخيالات في مؤلفات الرجال، أما هذا الوحي، فهو الحق الصراح ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾.

١٢ ـ الحقيقة التي يجب ألا تفارق ذهنك في ساعات الليل والنهار أن عدوك يستقطع كل أحلامه في سبيل الكيد لدينك والترصد له والوقوف أمام أحلامه وأمانيه بشتى الطرق والأساليب ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾﴾.

١٣ ـ الذين ينتظرون صلحاً مع العدو ينتظرون سراباً عارضاً في الصحراء ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾﴾ هذه هي الحقيقة التي يحدِّثك ربك عنها ويفتح عينيك عليها، فلا تغرَّك عنها الأيام.

١٤ ـ قبل أن تستعرض مواقف العدو الحربية التي يشارك فيها عدواناً على أرض الإسلام تأمل تاريخه في كل صناعة أو تجارة أو قضية، فالمسألة أبعد من حرب في مساحة من الأرض ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾﴾ ومثلك أوعى بما يديره في الأسواق فضلاً عن ساحات الحرب الكاشفة.

١٥ ـ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ لا تُقلق قلبك، أو تجهد مشاعرك، أو تتعب جسدك على ما تراه.

١٦ ـ عليك بذل السبب واستفراغ الجهد في مجاهدة عدوك وقد وعدك الله تعالى بالنصر في النهاية ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾.

١٧ ـ لا تيأس! وإن طال طريق الأماني ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾.

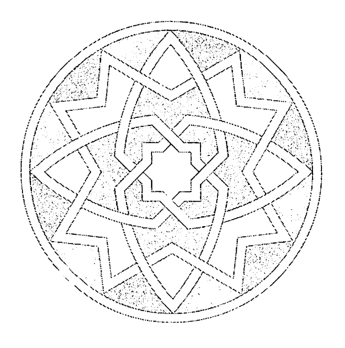
١٨ ـ كل قضايا الغلبة التي تراها تحـدث للعدو مخلوفة بعون الله تعالى بانتصار أصحاب الحق ولو طال زمان ذلك الانتظار ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾.

١٩ ـ علينا أن نديـر المعركة مع العدو، ونسـتنفد كل أدوات النصر، ونجهد في تحقيق مراد الله تعالى وندع النهايات فهي موكولة لله تعالى في كل شيء ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾.

٢٠ ـ ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾ دعوة للتفاؤل والأمل!

٢١ ـ ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾ فالمسألة لا تعدو مسألة وقت وستدور رحى النهايات على رأس العدو.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ الأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

التفسير

- ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ نزّه الله تعالى عما لا يليق بجلاله وعظمته.
- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾ خلق كل شيء فسوى خلقه في أحسن الهيئات.
- ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ قدَّر لكل شيء ما يصلحه، وهداه إليه، وعرفه وجه الانتفاع به.

• ﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) ﴾ أخرج من الأرض مرعى الأنعام من صنوف النبات.

• ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً ﴾ جافاً يابساً ﴿ أَحْوَىٰ (٥) ﴾ أسود لأن النبات إذا يبس تغيَّر إلى الحوّة وهي السواد.

• ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ (٦) ﴾ سنجعلك قارئاً فنلهمك القراءة فلا تنساها ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أي لا تنسى إلا ما اقتضت حكمة الله تعالى أن ينسيك إياه لمصلحة وحكمة.

• ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) ﴾ يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه.

• ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) ﴾ نوفقك للطريقة اليسرى والشريعة السمحة ﴿ فَذَكِّرْ ﴾ ذكّر بشرع الله وآياته وأيامه.

• ﴿ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) ﴾ في محل تنفع فيه الذكرى.

• ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) ﴾ سينتفع بهذه الذكرى من يخشى أيام الله وآياته.

• ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) ﴾ الشقي البعيد عن الهداية.

• ﴿ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ﴾ يوم القيامة.

• ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (١٣) ﴾ لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة السعداء.

• ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) ﴾ من طهَّر نفسه من رذائل الشرك.

• ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) ﴾ تذكّر جلال الله وعظمته، فخشع وقام بما عليه، ومن ذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان والتقوى.

التَّدَبُّر

١ ـ من علمك ووعيك وكمال دينك أن تنزِّه الله تعالى عن كل نقص ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾.

٢ ـ العلم موجب للخشية ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فهذا الذي يستحق التنزيه هو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ وحق هذا العلم أن يقوم بحقه ويتحوَّل إلى تطبيق.

٣ ـ إذا أردت أن تغري الناس بعمل أو تحثهم عليه، فينبغي أن تستثير كوامنهم تجاهه، بدأت السورة بطلب ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ ثم أعقبته بإغراء كبير لتنفيذ ذلك الطلب ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ حين نريد أن نغري الناس بعمل من الأعمال، فيجب أن نستثير كوامن تلك النفوس لآثار ذلك الطلب، وإلا ستبقى كثير من نفوس المستمعين جامدة لا تتحرك مشاعرها للعرض الذي قدمته في دعوتك مهما كان بليغاً واضحاً.

٤ ـ قراءة صفات الله تعالى دعوة لإجلاله وتعظيم شعائره ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ الأعلى صفة، والأعلى قدراً، والأعلى حقاً ومنزلة جل في علاه، ما أحوج نفوسنا لقيام هذا المعنى الكبير فيها! وما يعطيك، أو يهبك، أو يمن عليك مخلوق وهو فقير! وما يصنع لك الأسفلون! وما يفعلون! إنهم حين يعطونك تقديراً، ومكانة، ورفعة، فكل ذلك قدر من الأعلى، وهبة منه وتوفيق.

٥ ـ لا تبلغ العقيدة مداها في قلبك حتى يبلغ الأعلى مداه في مشاعرك ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ الأعلى قوة وغيره ضعيف، والأعلى شأناً وقدراً ومكانة وما عداه مسكين، الأعلى ملكاً وتدبيراً وغيره لا يملك شيء.

٦ ـ إذا أردت شيئاً فعلّق قلبك بالأعلى، وإذا دهمك اليأس والألم والظروف وعقبات الطريق فانظر ببصرك إلى السماء وقل يا الله! وإذا أوصدت دونك الأبواب في شيء، فاعلم أن بيده مفاتيح كل شيء، وأنه أقدر على فرجك من كل شيء ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾.

٧ ـ كل هذه النعم التي تملأ عينك وقلبك ومشاعرك من الله تعالى، فلا يذهب قلبك بعيداً عن هذا المعنى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ هو الذي صنع كل شيء.

٨ ـ من وسائل تعظيم الله تعالى التفكر في خلقه وإبداعه وملكه وسلطانه في هذا الكون ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ فهذه العوالم التي تراها تملأ هذا الكون هو الذي خلقها وهو الذي يدير شأنها وهو الذي هداها لكل شيء. ولو أبصر قلبك قبل نظر عينك لأصابتك الدهشة.

٩ ـ أما رأيت طائراً كيف يألف عشه، وحية كيف تعرف غارها، وحشرة كيف تهتدي لمكانها، إنه الله تعالى الذي هداها لكل شيء ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾.

١٠ ـ أما رأيت بقرة تخور لفقد ولدها، وشاة تثغو تبحث عن طعامها، وناقة تحن لمن حولها، من الذي هداهم لذلك؟ إنه الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾.

١١ ـ حتى هذه الطيور التي تخرج خماصاً كل صباح وتعود بطاناً في المساء، الله تعالى الذي هداها لكل شيء ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾.

١٢ ـ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ تقال لأمي لا يفقه حرفاً من العلم، ثم يصبح بها عالماً في الحياة. سيتولى الله تعالى أمرك كما تولى أمر نبيه ﷺ، سيفتح لك نافذة مغلقة وباباً موصداً، وسيجري لك الأقدار فوق توقعك وخيالك.

١٣ ـ ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ ﴾ فلا تشغل بالك بمستقبلك، ولا تغتم لحالك، الله تعالى سيتولى عنك كل شيء.

١٤ ـ إذا تعسّر أمرك، وتأخر فرجك، وضاقت بك السبل فلا تحتفل بهذه العوارض في شيء، الله تعالى سيتولى شأنك ويدير أمرك ويفتح لك أبواب الفرج والأمل ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ ﴾.

١٥ ـ ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ ﴾ رسالة في جمال شريعة الله تعالى، وأنها كلها يسر وتخفيف، وليس فيها شيء من العنت والمشقة، ومن قال غير ذلك لم يقرأ منها شيئاً.

١٦ ـ ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ ﴾ اليسرى في قلبك ومشاعرك وروحك، اليسرى في بيتك وأسرتك، وذريتك وفي كل شيء، اليسرى في وظيفتك، وعملك، ومشروعك ورسالتك. لا تظنن أن هذه اليسرى في شيء عن شيء بل هي في كل شيء.

١٧ ـ الدعوة مشروع ويجب أن تأخذ حظها من نفوس أصحابها وأوقاتهم وأفكارهم، ولا تكون شيئاً عارضاً في حياتهم ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ ﴾ ليس من حق هذا المشروع أن تدفع به على آذان الناس في كل وقت دون وعي بظروفهم وأحوالهم، بل من لوازم نجاحه وفلاحه وتحقيق مقاصده أن تختار له الوقت الذي يؤتي أكله، ويحقق ثماره ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ ﴾ إن رأيت الوقت مناسباً والمحل قابلاً وإلا فلا!

١٨ ـ دعوتك دين، فلا تأخذ حظها إلا من قلوب الخاشعين ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ ﴾ وكل من لم يشرف بها أو يقبل عليها أو تناله مواردها فليس من الخاشعين.

١٩ ـ إذا استكملت شـروط التأثير في دعوتك، فلا تغتم للمدبرين عن الدعوة، المتخلفين عن أحداثها ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ فهم لا يصلحون لآثارها في شيء.

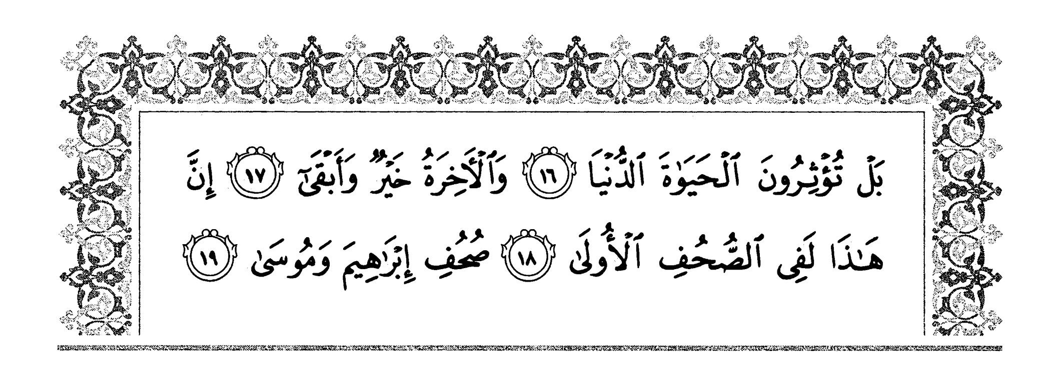
٢٠ ـ إذا رأيت من نفسك إقبالاً على المواعظ وفرحاً بالذكرى وسؤالاً عن مواطن الخيرات فتلك موارد التوفيق ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ وإذا رأيت إدباراً من قلبك عن المواعظ فتفقد قلبك لعل مانعاً وقف حائلاً دون الذكرى.

٢١ ـ الإعراض عن الدعوة دلالة على شـقاء صاحبها ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ وإذا رأيت إدباراً عن مواطنها وفـراراً من أحداثها فأدرك نفسك قبل فوات حظوظها.

٢٢ ـ فلاح الإنسـان موقوف على قدر تزكيته ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ ومن اقتفى أثر رسول الله ﷺ في هذا الشـأن وعني بعبادته والتزم بورد ثابت لا يتخلَّف عنه، فقد بلغ حظه الكبير من هذا المعنى.

٢٣ ـ أصل هذا الفلاح المشـار إليه في كتاب الله تعالى وقاعدته ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ حديث: «**وما تقرب إليَّ عبدي بأحب شيء مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه**» من خلال التركيز على الفرائض ثم الرواتب والنوافل كورد ثابت لا يتخلَّف عنه الإنسان في غالب وقته.

❀ ❀ ❀



التفسير

- ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ إنما تؤثرون اللحظات العاجلة الفانية وتقدمونها على أمر الآخرة.
- ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ أي الدار الآخرة أفضل وأدوم من الدنيا.
- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ أي المذكور في هذه السورة من الأوامر الحسنة والأخبار المستحسنة في الصحف السابقة على هذه الأمة، ومن هذه الصحف صحف إبراهيم وموسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

التدبر

١ ـ فرق كبير بين الدنيا والآخرة! فرق لا يمكن أن يقيسه عقل بشر! مع كل ما في هذه الدنيا تظل بالنسبة للآخرة كما يضع أحدنا يده في اليم ثم ينزعها وما يعود منها بشيء، فرق يبين عنه حديث النبي ﷺ في آخر من يدخل الجنة يوم القيامة، وقد لقي من وعثاء الطريق ما لقي وفاته حظ المقدمات، ويقول له ربه: «**ولك مثل**

الدنيا عشر مرات» فرق لا يمكن أن يبين عن مسافته حرف على ظلال آية، وإنما يقربه حديث رَسُول اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**». وتعجب غاية العجب مع كل هذا البون الشاسع يأتي من يؤثر هذه الفانية على الباقية، ويستعجل شهوات عارضة على نعيم الخلود ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ لو كانوا يعقلون..!

٢ ـ إذا ألقيت ببصرك على واقع الحياة سترى هذه الآية ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ تخاطب كثيرين مشغولين بها للدرجة التي تركوا كل شيء من أجلها وبسببها.

٣ ـ لا يتحرج من تخلفه عن صلاة الفريضة، ويتعامل بالربا، ويجري العقوق في حياته في كل حين، لا يكاد يعرف هدفاً ولا مشروع له في الحياة، صور من هذا الإيثار ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾.

٤ ـ إلى كل الفقراء، والمحتاجين، والمعوقين، والأيتام، وأصحاب الحاجات: لا تنشغلوا بالفائت من هذه الحياة، بل انتظروا آمالكم التي ترجون! ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾.

٥ ـ الدين حلقة واحدة تدار في فلكها كل أحداث الأنبياء ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

التفسير

- ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١﴾ هل أتاك يا رسـول الله خبر يوم القيامة وما فيه من الأهوال.

- ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَٰشِعَةٌ ٢﴾ ذليلة.

- ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣﴾ مجهـدة متعبة أي أنها تعمل يـوم القيامة عملاً فيه تعبها ومشقتها، وذلك بما يلقونه في نار جهنم من النكال والويل.

- ﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤﴾ تقاسي ناراً شديدة الحرارة.

- ﴿تُسۡقَىٰ﴾ هذه الوجوه.

- ﴿مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥﴾ من عين بلغت غايتها من شـدة الحرارة، وهذه هي صفة شراب أهل النار.

- ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦﴾ ليس لهم طعام إلا من شجر ذي شوك عظيم.

- ﴿لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧﴾ لا ينفعها ولا يسد جوعها.

- ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨﴾ حسنة بما حصل لها من النعيم، وذلك يوم القيامة.

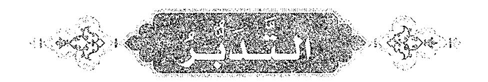
- ﴿لِّسَعۡيِهَا﴾ لعملها الذي عملته في الدنيا ﴿رَاضِيَةٞ ٩﴾ بما حصل لها من الثواب جزاء تلك الأعمال.

- ﴿فِي جَنَّةٍ﴾ مكان جامع لأنواع النعيم ﴿عَالِيَةٖ ١٠﴾ رفيعة المحل والقدر.

والنعيم.

- ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾ لغواً من الكلام باطلاً.
- ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ فيها العيون الجارية التي يفجرونها ويصرفونها كيف شاؤوا.
- ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾ مجالس مرتفعة في ذاتها، ومرتفعة بما عليها من الفرش اللينة الوطيئة ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ الأواني الممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة.
- ﴿مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ بين أيديهم لا يعوزهم تفقدها.
- ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾ وسائد من الحرير والإستبرق.
- ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ بسط حسان ﴿مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ مفروشة مملوءة بها مجالسهم من كل جانب.
- ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ أي أفلا ينظرون إلى الإبل وخلقها البديع العظيم، وكيف سخرها الله تعالى للعباد وذللها لمنافعهم؟!
- ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾ كيف أن الله تعالى رفعها وجعلها مستقرة دون عمد؟!
- ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ كيف جُعلت منصوبة قائمة ثابتة راسخة؟!
- ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ كيف بسطت ومدت ومهدت؟!
- ﴿فَذَكِّرْ﴾ بما أرسلت به من الإيمان والهدى والرشاد.
- ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ إنما أنت مبلِّغ عن الله ﷻ، والهداية بيده تعالى ليست بيدك.

- ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ بمتسلط عليهم تقهرهم على الإيمان.
- ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ الاستثناء هنا منقطع والمعنى: أن من تولى وكفر، فإن لله الولاية عليه فيعذبه العذاب الشديد على جحده للحق واستكباره عنه.
- ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ رجوعهم ومعادهم بعد الموت والبعث.
- ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ فنجازيهم على أعمالهم.



١ ـ لو لم يكن في هذا الوحي إلا بيان مستقبل الإنسان، وما ينتظره بين يدي الله تعالى لكان كافياً في الإقناع به والإقبال على قراءته وتدبره وامتثال ما فيه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾.

٢ ـ قراءة المستقبل والإعداد له وبذل كافة السبل للنجاح فيه من أعظم مقومات الإنسان العاقل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ ومن المؤلم أن يذهب وقت الإنسان في قراءات لا يعرف بها ولا من خلاها الطريق إلى ذلك المستقبل الكبير.

٣ ـ الجزاء من جنس العمل! هذا العذاب الذي نالوه والجزاء الذي وجدوه أثر من ذلك الفساد والتفريط الذي صنعوه في أيام الدنيا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾.

٤ ـ قراءة مشاهد النعيم يوم القيامة مفضية لسَلِّ تعب جسدك، وعناء روحك وقلق مشاعرك، وباعثة لأشواق الأمل في قلبك، ودافعة بك إلى مواصلة الطريق مهما كانت تكاليفه وعوائقه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾.

٥ ـ العمل والجد وبذل الأسباب الكافية للتفوُّق هو الطريق إلى بناء مشاهد الأفراح في حياتك ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ (لسعيها راضية) لجدها وتعبها ومعاناتها مشاق الطريق بلغت تلك الأماني التي كانت تجهد في بلوغها.

٦ ـ الحقيقة الكبرى أنه كلما زاد سعيك في الدنيا زاد رضاك في الآخرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾.

٧ ـ الشعور النفسي والوجداني والمشاعري بالنجاح لا تعدله لذة ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ تخيَّل أنك تقف على أعمالك وجهودك ومشاريعك في أيام الجزاء وترى أنها هي التي زفَّتك إلى عالم الأفراح!

٨ ـ اللغو في المجالس من مكدرات النعيم ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١﴾ ولذا جعل الله تعالى زواله وعدم سماعه من نعيم أهل الجنان. والقلوب الحية تعرف هذا النعيم وتجد لذته وتروق له، وكم من أماكن فيها كل شيء ولكن اللغو العارض فيها حرمه من لذّاتها!

٩ ـ من مباهج الحياة العاجلة ألا تسمع لقنوات الرذيلة وأخبار الفسق وأحاديث المنافقين ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١﴾ ومن مكدرات نعيمك أن تصم أذنيك هذه المكدرات.

١٠ ـ تأملك في كون الله تعالى، ومشاهد خلقه مؤذنة لك بكمال تعظيمك وقيامك بحقه تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾.

١١ ـ حسبك القيام بدورك وواجبك وليس عليك انتظار الثمار ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾ وهذا الدرس يعفيك من هموم الإعراض التي تراها في واقعك، ويخلّصك من حساب عوائد مشروعك وأثرك في الحياة.

١٢ ـ لا يعفيك هذا المعنى ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾ من حمل هم المشروع، والاستعداد له، والإقبال عليه، وحسن صناعته وإخراجه في أحسن صوره فذلك أمر مفروغ منه لشرف المشروع وشرف حُمّاله، وليس لك أن تتلفّت تنتظر نتائج، أو تحسب عوائد المشروع! من حقك أن تقوم بالدعوة (كمشروع) لكن ليس من حقك أن تكلّف الناس أن يستجيبوا لجهدك وتعبك.

١٣ ـ لا تنظر لأعداد السامعين لموعظتك، أو المتابعين لك في وسائل التواصل الاجتماعي! يكفيك أداء أمر ربك ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾.

١٤ ـ الالتفات الكلي لعدد قرّاء كتبك ورسائلك، وعدد متابعيك في وسائل التواصل الاجتماعي، والانشغال بذلك، وتأثيرهم على سيرك القادم في طريق مشروعك خلاف الغايات الكبرى لمشروعك ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾.

١٥ ـ الذي يســألك عن عدد حضور موعظته، ويغتم لقلتهم، ويتخلف فيما بعد لأجل ذلك، فلن ينفعك في شــيء، يكفيه غفلته عــن الوحي ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

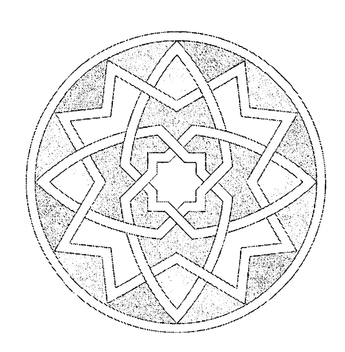
١٦ ـ ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ تعفيك من القلق، والغضب، والعتبى على أحد، امض في طريقك، وابذل مــا تقدر على بذله وتحقيقه، وإياك من حســابات لا علاقة لها بشيء في دينك. (ويأتي النبي وليس معه أحد)!

١٧ ـ من فقهك وكمــال عقلك أن تدرك عقبات طريقــك، وأن ثمة معرضين لا يمكن إقناعهم بشــيء؛ فدعهم وأمرهم إلــى الله تعالى ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾.

١٨ ـ لو قيل لك من مســؤول ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ لما وجد النوم إلى عينك طريقاً، فكيف والمتوعد الله! ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

١٩ ـ ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ دعــوة لأن تســتعد وتبلغ جهدك، وتبذل كل ما تملك من أجل بلوغك أمانيك في النهاية.





سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

التفسير

- ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١﴾ الصبح.

- ﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢﴾ أيام عشر ذي الحجة.

- ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣﴾ أي الخلق كله إما شفع وإما وتر من المخلوقات والمأمورات، والوتر فيه قراءتان بفتح الواو، وكسرها.

- ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ إذا يمضي ويذهب.

- ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥﴾ هل فيما أقسمت به من هذه الأمور مقنع لذي لب وعقل؟!

- ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ ألم تعلم كيف عذَّب ربك عاداً حين تمردوا وخرجوا عن طاعة الله تعالى؟! وعاد قبيلة من العرب البائدة، وتلقّب بإرم أيضاً، وهم الذين بُعث فيهم هودٌ عليه السلام.

- و﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان لعاد ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧﴾ ذات الأبنية القوية.

- ﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨﴾ في القوة والشدة.

- ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩﴾ الذين قطّعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتاً.

- ﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠﴾ الجنود الذين يشدون له أمره، وقيل: أي الذي له أوتاد يعلق عليها الناس.

• ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١﴾ تجاوزوا شرع الله تعالى وأمره من الكفر والعتو والتمرد والغي في بلادهم اغتراراً بالقوة وعظم السلطان.

• ﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢﴾ من الكفر بالله تعالى ومعصيته.

• ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣﴾ أنزل بهم عذابه، وأحل بهم نقمته.

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ لكل من طغى وتكبّر واعتدى سوف يعاقبه ويؤاخذه.

• ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥﴾ بالغنى واليسار، فيقول الإنسان: ما حصل لي من ربي لما لي عنده من الكرامة!

• ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ ضيّقه عليه وقتّره فلم يكثر ماله ولم يوسّع عليه ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦﴾ ربي أذلني بالفقر والحاجة.

• ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧﴾ لا تعطفون على اليتيم وترحمونه وتحسنون إليه وتبرونه.

• ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨﴾ لا يحض بعضكم بعضاً على إطعام الفقراء والمساكين والمحتاجين.

• ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ الميراث ﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩﴾ شديداً لا تتركون منه شيئاً.

• ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾ حباً شديداً كثيراً.

• ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١﴾ دكاً بعد دك حتى تذهب جبالها، وبناؤها ومَنْ عليها ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ جاء الرب لفصل

القضاء والملائكة بين يديه صفوفاً، والمجيء صفة من صفات الله تعالى الفعلية ثابتة لله تعالى، على الصفة اللائقة به سبحانه.

• ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ تقودها الملائكة بالسلاسل ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ تفريطه في طاعة الله تعالى وما يقرّب إليه من الصالحات ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ قد فات أوانها وذهب زمانها.



١ ـ هذا ميلاد الفجر عقب الظلام، وميلاد الفأل والأمل بعد زمان المحن والاضطهاد، وميلاد الفرح عقب حلول الآلام والأحزان. رسالة إلى كل مكلوم، أو مسجون، أو محزون، ومن يعيش ضائقة أو كرباً أو ألماً: سيأتي موعد الفجر ولو طال زمان الليل ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾.

٢ ـ من مباهج الفجر البركة التي لو لم يكن فيها إلا دعاء النبي ﷺ لأمته بذلك: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**» لكان كافياً في الفرح به واستثماره وتسجيل لحظات تفوّق في لحظاته ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾.

٣ ـ ثمة أوقات فاضلة في زمان كل إنسان تستدرك له ما فات من عمره، وتقرب له صور الفوز والفلاح، وتستثمر له أيام زمانه بأوسع ما يكون ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾ ومن تلك الأوقات فجر كل يوم، والعشر الأول من ذي الحجة، وقد قال فيها ﷺ: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ**» يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ: «**وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**».

٤ ـ عادة التاريخ وسنته المستقرة أن الله تعالى يمهل كل معارض لمنهجه أياً كان فرداً، أو مجتمعاً، أو أمة، ثم إذا أخذه لم يفلته، وكانت في النهاية عاقبته عظة للمتدبرين ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ ﴾.

٥ ـ سنة الله تعالى التي لا تتخلّف أنه إذا بلغ الطغيان مبلغه أخذه الله تعالى كانت نهاية صانعيه أفراداً أو جماعات ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ لمّا بلغوا غايتهم في الفساد حل بهم ذلك العذاب.

٦ ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ في أي زمان، وفي أي مكان، حين تتكرر صور الفساد تتكرر صور النكال والعقاب.

٧ ـ كل صور الفساد التي تحدث في الواقع إنما تستمد فسادها من تلك الأمراض التي أصابت تلك الأمم الهالكة (القوة، والسلطان، والمال) وعادة الله تعالى أن من سار على ذات الطريق لقي ذات النهاية، نعوذ بالله تعالى من الخذلان ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾.

٨ ـ وما تصنع الحضارة العارية من قيم الإسلام بقومها! ألم يخلق مثلها في البلاد حضارة وعمراناً وليس قيماً ومثلاً وديناً فما أغنت عنهم شيئاً ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ ﴾.

٩ ـ مسافة طويلة ما بين بداية الطغيان وكثرته في زمان هؤلاء إلى نهايته ثم حل وعيد الله تعالى وجاء في ساعته ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ ﴾.

١٠ ـ في مرات كثيرة لا تجدي العبر من قلوب أصحابها حتى يحل بها عذاب الله تعالى ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ ﴾.

١١ ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ لكل طاغية أياً كان فرداً أو جماعة وفي أي مساحة من الأرض، وفي أي زمان. كم من سادر في الغي وهو لا يدري! وكم من موعود بهذه النهايات وهو في الغفلات!

١٢ ـ ما أسوأ أدب الإنسان مع ربه تعالى! يكرمه وينعم عليه ويلبسه صنوف النعم ثم يقول متباهياً ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ ﴾ لا على سبيل الشــكر والمنة والاعتراف، وإنما على سبيل الاستكبار والإعجاب، إنما أعطاني الله تعالى لأنني حقيق بها، ويبتليه الله تعالى بقلة الرزق فيقوم معترضاً ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾.

١٣ ـ من أسوأ مشكلات الإنسان فساد التصورات! حين يكون العطاء والمنع دليلاً على الإكرام والمهانة، فإن ذلك من فساد التصوُّر، وليس في كتاب الله تعالى، أو سنته أن ذلك دليل على كرامة أو سوء، وإنما هو ابتلاء يبتلي الله تعالى به أصحابه ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾.

١٤ ـ من أكثر الرزايا في حياة إنسان أن يكرمه الله تعالى وينعم عليه ويمد له في السراء، ويقدّر عليه في رزقه ويغفل أن هذا ابتلاء واختبار ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ

رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ الأصل أن كل نعمة يهبها الله تعالى لإنسان إنما هي ابتلاء واختبار، وعلى العاقل أن يستقبلها بالشكر والعرفان، وأن يقوم بحقها من البذل والعطاء، وأن يوظفها في دين الله تعالى ويمد بها في منهجه ورسالته.

١٥ ـ قيم التكافل والتناصر من أعظم القيم في واقع مجتمع أو أمة ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ دين الله تعالى ليس تلك العبادة التي يؤديها في المسجد مفصولة عن معانيها وآثارها التي من أعظم مقاصدها.

١٦ ـ قيمة الإنسان ليست بكثرة ما في يده من مال، وإنما بقدر توظيفه لذلك المال في سبيل الله تعالى وتوظيف منهجه ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾.

١٧ ـ إذا لم تجد ما تدفعه لسد حاجة هؤلاء المساكين فلا يفتك دعوة الموسرين وأصحاب الأموال إلى إعانتهم وسد حاجتهم ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ فإن ذلك وسعك وطاقتك، ولا يكلف الله تعالى نفساً إلا وسعها.

١٨ ـ كثيرون مخفقون في التخلي عن هذه الحقيقة ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ وقلة أولئك الذين أغاثوا منها عالماً محتاجاً وأحالوا صحاري إلى ربيع أخضر.

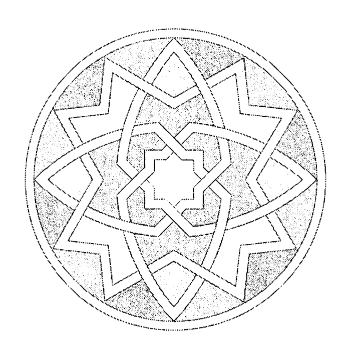
١٩ ـ إذا أردت أن تسقط قيمة من نفس إنسان فانصب له مآلها، وأَبِنْ له عن نهاياتها، وأره أين موقعها من الآخرة في أيام الجزاء والحساب، ترى ذلك في ختام السورة وهي تنقل الإنسان من بيان طبيعته في أكله للميراث، وتعلقه بالمال إلى عرض صور الآخرة، وما يبقى فيها وما يزول ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ

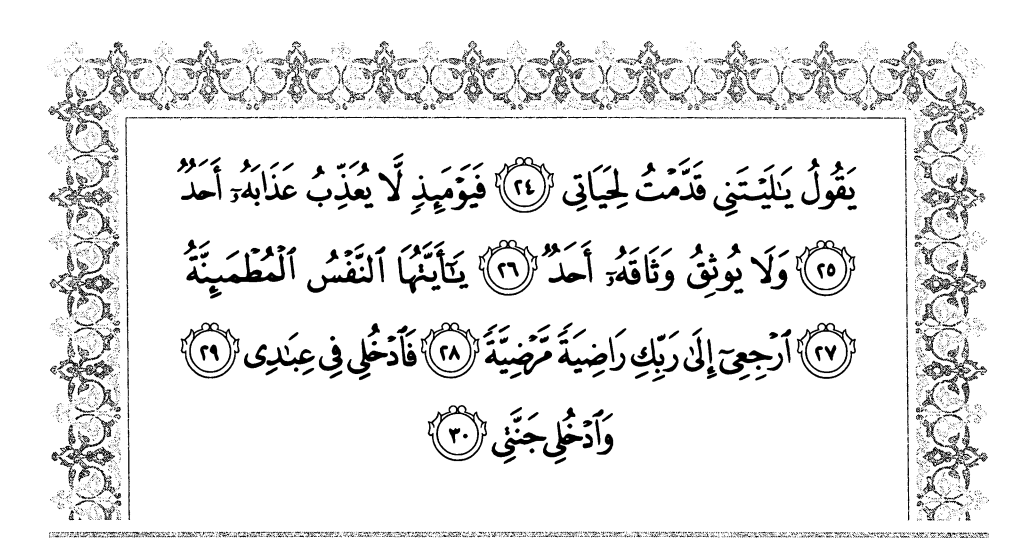
أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾.

٢٠ ـ طول الأمل من أعظم الأمراض التي تطارد الإنسـان حتى تلقيه في سراب الأمانـي ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾.

٢١ ـ يسـافرون ويكتبون ويصورون ويضحكون، وهم سـادرون عـن الحقائق الكبرى، وغداً يتمنى الواحـد من هؤلاء أن لو طوت الذكرى موعدها ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾.

❀ ❀ ❀





يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

التفسير

- ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ حياته الباقية الدائمة في الآخرة يتمنى أن لو قدّم فيها عملاً صالحاً.

- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾ لا يعذّب كعذاب الله تعالى أحد.

- ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ لا يوثق كوثاق الله تعالى أحد.

- ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ الآمنة التي لا يستفزّها خوف ولا حزن.

- ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ إلى جواره وثوابه وما أعد الله لعباده في جنته ﴿رَاضِيَةً﴾ في نفسها بما أوتيت ﴿مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ عند ربها.

- ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ في زمرتهم وهم المؤمنون الآمنون المطمئنون.

- ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ دار كرامتي.

التَّدَبُّر

١ ـ إذا تعلقت نفسك بالدنيا، وأقبلت على شهواتها، وقعدت بك طالبة لتلك الملذات فكرَّ عليها بسوط الذكرى ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

٢ ـ ما حياتك التي يزداد عليها أسفك في ذلك اليوم ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ ليس هذه التي نعبث فيها، وإنما تلك التي يجري فيها حساب الحسنات والسيئات، وخفة الموازين وثقلها.

٣ ـ تصوَّر باكياً يردد في عرصات القيامة ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ وشاكياً متأسفاً في مساحاته ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ ومتندماً بعد فوات الأوان وضياع زمانها ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾.

٤ ـ من كمال رحمة الله تعالى أنه لم يُبق حجة لأحد من العالمين حتى أماني المفلسين عرضها قبل أوانها ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾.

٥ ـ إذا زرت قبور حيك أو مدينتك، أو شاركت في جنازة قريب فتذكَّر أن كثيراً من هؤلاء الذين تراهم في المقبرة لا يمكنهم استدراك هذه الأمنية ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾.

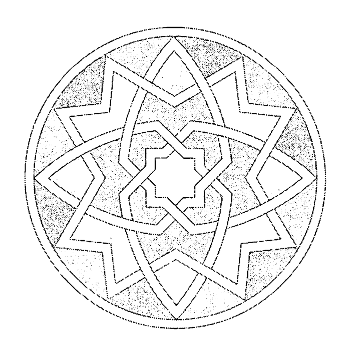
٦ ـ نافذة على الحسرات ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ هل رأيت موثَقاً معذباً بعض مشاهد ذلك اليوم في حياة المفرطين والمعرضين.

٧ ـ من هنا تبدأ قصة الحياة الكبرى ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾.

٨ ـ إلى المتأسفين والباكين والمحزونين على وداع الصالحين من الدنيا ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ إنما قدموا على الأفراح.

٩ ـ كل مسؤولياتك وترقياتك وشهاداتك العلمية وأيام أفراحك كلها لا تعدل شيئاً أمام هذه اللحظة المبهجة في عمر إنسان ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

التفسير

• ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١﴾ لا للاستفتاح: أي استفتاح الكلام وتوكيده وليست نافية، وتأتي في هذا الموطن للتنبيه والتأكيد. والبلد: مكة.

• ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢﴾ أقسم بهذا البلد حال كونك حالاً فيه لأن حلول الرسول ﷺ فيها يزيدها شرفاً ورفعة. أو وأنت تستحل هذا البلد فيكون الإقسام بمكة حال كونها حلاً لرسول الله ﷺ وذلك عام الفتح ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣﴾ كل والد ومولود.

• ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤﴾ في نصب وشدة يكابد الأمور ويعالجها في أطواره كلها.

• ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ٥﴾ يحسب ألن تقوم القيامة ولن يقدر على مجازاته وقهره وغلبته أحد.

• ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦﴾ مالاً كثيراً من تلبُّد الشيء إذا اجتمع. والمراد ما أنفقه في ملذاته وشهواته.

• ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧﴾ أيظن أن الله لم يطلع على تبذيره لهذا المال وصرفه في غير وجوهه المشروعة.

• ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩﴾ ألم ننعم عليه بعينين ليبصر بهما، وبلسان ينطق ويعبر به، وشفتين يضبط بهما نطقه وحديثه.

• ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾ طريقا الخير والشر.

• ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١﴾ فهلّا تجاوز مشقة الآخرة بإنفاق ماله فيما يرضي ربه بدل إنفاقه فيما يسخطه ويغضبه.

- ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾ ما شأن هذه العقبة؟ والاستفهام للتشويق والتفخيم.
- ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾ فكها من الرق بعتقها أو المعاونة على ذلك أو فكاكها من الأسر ونحوه.
- ﴿ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ ﴾ مجاعة.
- ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ يتيماً لك به قرابة.
- ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ فقر شديد قد التصق بالتراب من الحاجة والضرورة.
- ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بالحق الـــذي جاءهم ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ ﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿ بِٱلصَّبْرِ ﴾ على الإيمان والعمل الصالـــح والدعوة إلى الله تعالى ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ بالرحمة على بعضهم البعض.
- ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ أصحاب اليمين أهل الفوز والنجاة.
- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ بأدلتنـــا من الكتب والرســل والآيات البيّنات ﴿ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ ﴾ أصحاب الشمال أهل الخسارة والبوار.
- ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ مطبقة عليهم كناية عن حبسهم المخلّد فيها وسد سبل الخلاص منها.



١ ـ مكانة مكة وشرفها، ترى ذلك في قسم الله تعالى بها ولا يقسم ربك إلا بعظيم ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ ﴾ ومـــا أنت ماكث اليوم في بقعة أكثر بركة منها على صاحبها وهي قبلة المسلمين، والصلاة فيها بمئة ألف صلاة، وفيها بيت الله تعالى الذي جعله الله تعالى مباركاً وهدى للعالمين ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا

ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ وأنت أفقه بما لهذا المعنى من واجبات ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٢ ـ مكانة رسول الله ﷺ عند ربه تعالى. ترى ذلك في هذا الإقسام بساعة حلوله في مكة، وإن أمة تعي هذا الشرف الكبير حقيقة بأن تتمثل سيرته، وتلزم منهجه، وتقوم على دعوته ما بقيت الدنيا ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾.

٣ ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ هذه هي الحقيقة التي يجب أن يفقهها كل إنسان، كلٌ منا يغدو ويجهد ويتعب وينصب لا فرق في ذلك، الفرق الكبير في النهايات التي يصنعها ذلك الكدح العريض. هذا يكدح للذات الحياة وشهوات النفوس، وذاك يكدح في سبيل الله تعالى، ومن أجل رضاه، وفي توسيع نهجه، ويعيش لهذا المعنى ما بقيت الحياة.

٤ ـ الكبد والمشــقة والعنت جزء من طبيعة الحياة، وفهم هذا المعنى مفضٍ إلى الرضا بكل ما يعرض للإنسان فيها، والطمأنينة بقضاء الله تعالى وقدره مهما كان ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾.

٥ ـ هذا المعنى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ يعلمنا أن النجاح لا يأتي عارضاً بنفسه في الطريق، وأن ثمة عقبات تقف دون تلك الأماني، وتحتاج إلى شيء من العناء.

٦ ـ في مرات كثيرة تكون النعم أوسع الطرق إلى الشقاء ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ أعطاه الله تعالــى مالاً وذهب يردد مفاخراً ومتكبــراً وطاغيــاً ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ أنفقــت ودفعت وســافرت وصنعت، وكلها في غير طريق.

٧ ـ رقابة الله تعالى تجري على كل إنسان وفي كل حال ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ وكم من ظن في غير محله، وكم من أوهام أركست أصحابها في الضلال!

٨ ـ يسهرون، ويتعبون، ويجهدون ويعبثون بالقيم، ويظنون أنه لا يراهم في الواقع أحد ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ ﴾.

٩ ـ يختارون وقت الظلام، ويخططون للفساد، ويكتبون، ويجتمعون، ويتشاورون، وتمضي أوقاتهم في غير هدى، ونسوا أكثر الحقائق إلحاحاً ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ ﴾.

١٠ ـ أغلق بابه، وأطفأ سراجه، واستقبل شاشة جواله ظناً أنه لا طارق في ساعة ظلام، ونسيَ أن الله تعالى يرقبه، ويرصد عليه كل شيء ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ ﴾.

١١ ـ كم من لحظة ظلام قام فيها هذا المعنى يصيح بأعلى صوته ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ ﴾ وكم من ظن غدر بصاحبه، وأودى به في مهاوي الردى ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ ﴾.

١٢ ـ كم لله تعالى من نعم على الإنسان لو فقه! ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ أعطاه بصراً وهداه للطريق فأبى إلا قصة العميان.

١٣ ـ كل نعمة لا تهدي صاحبها للنعيم لا قيمة لها في واقعه ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾ وما تصنع بنعم تستكثر عليك من حجج الله تعالى في أيام الحسرات.

١٤ ـ من علامة شقائك أن الله تعالى يهبك نعماً ولا تدلك على الخيرات ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾.

١٥ ـ كم مرة تكلم لغير الله تعالى، ولغير الحق، وخاض في الحرمات، وعارض منهج الله تعالى في كل طريق، وفاته أن ذلك نكران لنعم الله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ

عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ ﴾ وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأكثر المعاصي إنما تولدها من فضول الكلام والنظر، وهما أوسع مداخل الشيطان، فإن جارحتيهما لا يملان ولا يسأمان، فجنايتهما متسعة الأطراف، كثيرة الشعب، عظيمة الآفات) اهـ.

١٦ ـ ليس لإنسان عذر في الاحتجاج بالقدر على معصية الله تعالى فإن الحجة قد قامت عليه بأصل فطرته وهدايته ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ ﴾ والقدر يحتج به في المصائب لا في المعائب.

١٧ ـ ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ دعوة للنهوض، واستقبال عوارض الطريق بالبذل والعطاء، واستنفاد نعم الله تعالى في الخيرات، ودفع ما يمكن أن يحول بينك وبين تلك النهايات ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ﴾.

١٨ ـ التكاتف والتناصر والتعاضد سيما المجتمعات الناهضة ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ وإذا تخلّف هذا المعنى عن مجتمع فقد تخلفت عنه مباهج الحياة.

١٩ ـ تشوّف الشارع إلى الحرية، وحرصه عليها، إذ بدأ بها، وجعلها أول خطوة في الطريق إلى اقتحام العقبات، وإعتاق الرقاب كبير في الإسلام، ومثله فك الأسرى، وإعانتهم، والقيام بشؤونهم ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾.

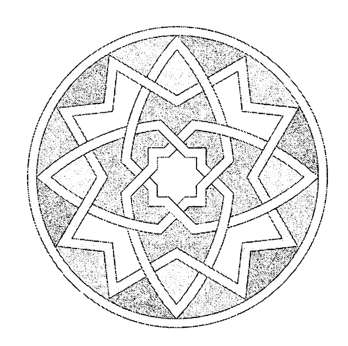
٢٠ ـ التواصي بالحق والحض عليه والتناصر من أجله من أعظم ركائز النجاح في حياة الأمم والمجتمعات ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨﴾ والوصية أكثر الطرق لإشاعة فضائل الخير بين الناس وجعل المعروف باسطاً.

٢١ ـ الإيمان حركة ناهضة في واقع صاحبه وليس ذلك الصلاح البارد الذي لا يجاوز حدود مسجده وبيته ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨﴾ والتواصي بعض مظاهر هذه الحركة وأثر من آثار ذلك الإيمان.

٢٢ ـ الحضارة الكبرى حضارة الإسلام، وكل حضارة لا تأتي من بابه ولا تنفذ للعالمين من طريقه فهي بوار ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠﴾.





سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

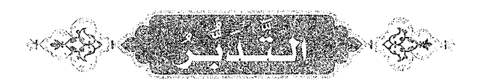
وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

التفسير

- ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾﴾ الضوء والنور الصادر منها.
- ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾﴾ إذا تبعها.
- ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾﴾ جلّى الأرض وأوضح ما عليها، وقيل جلى الشمس وأظهرها.

- ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾ يغشى وجه الأرض، وقيل يغشى الشمس ويعرض دون ضوئها، فيحجبه عن الإبصار.
- ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ ﴾ ومن بناها، فيكون قسماً بالسماء وبانيها، أو وبنيانها، وذلك إشارة لعظمة البناء وقوته.
- ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ ﴾ بسطها وسواها من كل جانب وذللها للخلق.
- ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ ﴾ خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة.
- ﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ فأرشدها إلى فجورها وتقواها، فبيَّن لها ذلك وهداها إلى ما قدر لها، والفجور: ما يقابل التقوى من المعاصي والآثام، فهو عام في كل من خرج عن طاعة الله تعالى.
- ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ خيَّب نفسه وأخملها وأرداها في المهالك بارتكاب المعاصي والآثام.
- ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴿١١﴾ ﴾ بسبب طغيانها.
- ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾ حين قام أشقاهم فعقر الناقة وهو قدار بن سالف.
- ﴿ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾ احذروا واتقوا ناقة الله تعالى أن تمسوها بسوء في يوم شربها.
- ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ في ما حذرهم به من حلول العذاب ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ قتلوها ﴿ فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ ﴾ أطبق عليهم، فأهلكهم بسبب كفرهم، وتكذيبهم لرسولهم، وعقْرهم للناقة ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾ فجعل العقوبة عليهم على حد سواء، وقيل سوى قريتهم بالأرض.

• ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾ ولا يخاف الله تعالى تَبِعَة ما أنزل بهم لأنه العزيز الذي لا غالب له.



١ ـ فلاحك معقود على تعبك وجهدك وركضك في الحياة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾.

٢ ـ الزكاء وليد التربية، وثمرة من ثمراتها، ومن عني بنفسه وحدد مشروعه وفكرته وكتب أهدافه ثم أقبل إليها راغباً في الحياة بلغها وصار زاكياً في الدارين ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾.

٣ ـ قلَّ أن ترى صاحب توفيق إلا وهو على صلة بربه يستلهم من ذلك مدارج الكمال. وقلَّ أن ترى مخذولاً إلا وقد حيل بينه وبين ذلك الطريق ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وهو يتكلم عن سيد الأعمال لدى كل إنسان: ومنهم جامع المنفذ، السالك إلى الله تعالى في كل وادٍ، الواصل إليه من كل طريق، فهو من جعل وظائف عبوديته قِبْلَةَ قَلْبِهِ، ونَصْبَ عينه، يؤمها أين كانت، ويسير معها حيث سارت، قد ضرب مع كل فريق بسهم، فحيثما كانت العبودية وجدته هناك، إن كان في علم وجدته مع أهله، أو جهاد وجدته في صف المجاهدين، أو صلاة وجدته في القانتين، أو ذكر وجدته في الذاكرين أو إحسان ونفع وجدته في زمرة المحسنين، أو محبة ومراقبة وإنابة إلى الله وجدته في زمرة المحبين المنيبين، يدين بدين العبودية أنى استقلت ركائبها، ويتوجه إليها حيث استقرت مضاربها. اهـ.

٤ ـ لم تفته صلاة الجماعة من أشهر، ولم يتخلَّف عن صيام الاثنين والخميس، وعلى علاقة متينة مع كتاب الله تعالى، ويبهج واقعه بالصدقة والإحسان، وله

برنامج أسـبوعي مع رحمه وأقاربه، وله خبايا في الطريق، ولا يمل من ذكر الله تعالى، ويمد في آثار الخير في كل مكان. هذه قصة التزكية التي يرقى بها ومن خلالها الإنسان ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾.

٥ ـ المعصية أوسـع طريق إلى الخذلان ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (ومن آثار المعاصي أن المعصية تورث الذل ولا بد)، وكان من دعاء السـلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك، وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: إنهم وإن طقطقت بهـم البغال، وهملجت بهـم البراذيـن، إن ذل المعصية لا يفارقهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه. اهـ.

٦ ـ إخفاقك، وتعسر أمورك، وتعثُّر مشاريعك، ومشكلات بيتك وعملك كلها فرع عن ما بينك وبين الله تعالى من سوء ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾.

٧ ـ الفوز والفلاح والنصر، والضلال والخسارة كلاهما من صنع الإنسان لنفسه وأثر من واقعه ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ وليس الإنسان مجبوراً على عمل، وإنما هو الذي يختار الطريق.

٨ ـ أصل الملكات منحة ربانية، فتفجير براكينها، وفتح مساربها، وتوسيع طاقاتها جهد كل إنسان ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾.

٩ ـ لا تقوم البذرة بنفسها، ولا تستوثق من الواقع بمفردها هي كغيرها تحتاج إلى سقاء ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾.

١٠ ـ للنفوس طغيان يحملها على البغي والعدوان ما لم يتعاهدها صاحبها بوعي وتفكير ويزكيها بالعمل الصالح، وما من نفس عارضت منهج الله تعالى ووقفت دون الوحي إلا بداعٍ من ذلك الطغيان ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ ﴾.

١١ ـ الطغيان شيء زائد عن الحد، إذا وجدته في نفسك، ورأيته في واقعك فيمم وجهك إليه مصلحاً ومرتباً وموازناً حتى تكبح شهواته في بداية الطريق ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾.

١٢ ـ عظم أثر خلق المبادرة في واقع إنسان! ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ هذا قدّار بن سالف يبعث القرآن قصة فجوره ويذكّر بها؛ لأنه هو الذي بدأ قصة قتل آية الله تعالى الناقة.

١٣ ـ كم هم الذين بدؤوا قصة الفساد، ورتبوا لها، وتولوا شأنها، وصنعوا لها كل شيء، وفي النهاية تجري عليهم السيئات ما بقيت الدنيا ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ ولأن تأتي ذيلاً في فضيلة أربح لك ألف مرة من أن تأتي رأساً في سوء!

١٤ ـ من فقهك وكمال عقلك ألا تبدأ مشروع فساد في واقعك مهما كانت الدواعي إلى ذلك أياً كان دورك ومسؤوليتك ووظيفتك التي تشغلها.

١٥ ـ مؤسف أن يتحمَّل هذا الشقي أعباء مبادرة السوء يُخزى بها في الدارين ولا يحمل مسلم مصلح هموم أمته في توسيع أثر هذا المعنى في واقعه ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ ماتت كثير من مظاهر الصلاح في كثير من المساحات لموت هذه الفضيلة في واقع الناس.

١٦ ـ الذي دفع بمشاريع الباطل اليوم وجعلها تأخذ حيزاً من واقع الأمة وجود أفراد ضحُّوا من أجلها وعرَّضوا أنفسهم للخطر، وأشعلوا فتيلاً من سوء في واقع بارد من المصلحين ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾.

١٧ ـ اقترح درساً في مصلى المدرسة، فبقيت هذه المساحة عشرين عاماً مكاناً للنور، وضياء للظلام. وكتب رسالة ينهى عن منكر من المنكرات، فتوقف المنكر

من تلك الليلــة، وتوجه لفتح مؤسســة فكانت فواتح بر ما زالــت تجري عليه بالحسنات ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾.

١٨ ـ ألم تلد الأمة بعد من يقاوم هذه الألعــاب الإلكترونية بألعاب تحيي القيم وتربي على الفضيلة، ويسد فراغاً مؤثراً في واقع أجيال الأمة.! أما في الأمة كاتب حاذق يتولى شؤون الفتيات ويغريهن بمشاريع تسد مساحتهن ويأتين منها على مشاركة أمتهن من أوسع نطاق ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾.

١٩ ـ ليس بالضرورة أن تكون المبادرة في مثل هذه القضايا الكبار، يكفي الأمة أن تتحرك في مســاحتك، وتحيــي واقعك، وتمد في أثرك مــن خلال قدراتك ومهاراتك وإمكاناتك ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾.

٢٠ ـ لا تحتقر رســالة، أو جهداً، أو مشــاركة في أي مجال؛ فالأفــكار الكبيرة والمشاريع الضخمة كانت لا شيء في أول مبادراتها ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾.

٢١ ـ يأســرني الصحابي الجليل ثابت بــن أقرم رضي الله عنه يوم مؤتة حيــن رأى راية المسلمين ساقطة في أرض المعركة قام يتناولها ويجمع عليها المسلمين دون أن ينتظر أمراً أو تكليفاً من الآخرين وجمع بيضة المســلمين، وبنى لهم شأناً بعد ذلك في الحرب.

٢٢ ـ أقبح ما ترى في واقعك ذاك الذي يعترض، ويقترح، ويحلل، ويبين الأخطاء وهو لم يبرح سريره، فقط يوزِّع الأخطاء على الآخرين، ويحاكمها دون أن يتقدم بخطوة مبادرة في الإصلاح ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾.

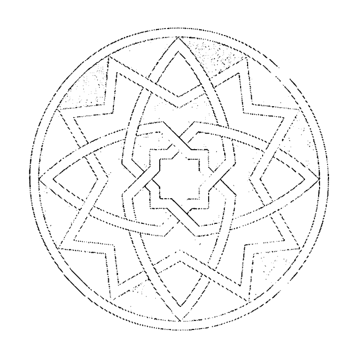
٢٣ ـ إذا رأيت زحاماً على الأسِرَّة، وقعوداً عن الفضيلة، وتخلفاً عن موارد التوفيق فصح في القوم قائلاً: أدرك شقي دوره، وقام يسهم في توسيع مساحته أما لكم في الخير راية؟! ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾.

٢٤ ـ من أسوأ ما تراه في واقعك حين يتكاتف مجتمع أو حي على إشاعة المنكرات ويدفعون بالإصلاح جانباً ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ كذبوا رسول الله ﷺ وعقروا الناقة ولا ناصح في القوم؛ فكانت عقبى السوء.

٢٥ ـ رأيتهم يتقاسمون الرذيلة، أحدهم بماله، وآخر بجاهه، وثالث بتنسيقه، ورابع بسيارته، وخامس وسادس، وفي النهاية كونوا مجتمع الرذيلة ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾.

٢٦ ـ إن الله تعالى يمهل ويمد للإنسان إلى أبعد ما يمكن، فإذا لم يرعوِ الإنسان عن الغي تولاه بالعقاب، وإذا عاقب سبحانه عاقب معاقبة كبير جبار! ولفظ (الدمدمة)، (والتسوية) في السورة يوحي بصور من العذاب لا يتصورها العقلاء ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾.





سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

التفسير

- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾ يعمُّ الكون بظلامه.
- ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ إذا ظهر بزوال ظلمة الليل.
- ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾﴾ وخالق الذكر والأنثى فيكون القسم بنفسه سبحانه وتعالى، أو وخلق الذكر والأنثى.

• ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤)﴾ متفاوت تفاوتاً عظيماً، مختلف في جزائه ومفترق في عاقبته.

• ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥)﴾ تفصيل لتلك المساعي الشتى وتبيين لمآلها ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ ما أمر بإعطائه من الأموال كالزكوات والنفقات والصدقات ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ فعل ما أمر به من الأوامر، واجتنب ما نهى عنه من النواهي.

• ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦)﴾ بالمثوبة الحسنة من وعد الله تعالى بالجنة وغيره.

• ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧)﴾ فسنهيئه ونوفقه للطريقة اليسرى من سلوك طريق الحق والصبر عليه، والوصول به إلى تحقيق أمانيه من دخول الجنة وغيره.

• ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بالنفقة في سبيل الله تعالى ﴿وَاسْتَغْنَىٰ (٨)﴾ عن ربه تبارك وتعالى فلم يعمل بطاعته.

• ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩)﴾ بالعاقبة الحسنة للمتقين.

• ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)﴾ للطريقة العسرى المؤدية إلى شقائه الأبدي من ترك طرق الخير، والوقوع في طرق الضلالة، والوصول إلى عاقبة الخسران نار جهنم.

• ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١)﴾ وما يفيده ماله الذي تعب في تحصيله وأفنى عمره في حفظه، ولم يقربه إلى ربه إذا هلك ومات، قال قتادة: إذا تردى في النار.

• ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢)﴾ علينا أن نبيّن لهم طريق الهدى ليصلوا إليه.

• ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) ﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً، فليس علينا من توليكم عن الهدى إلى الضلالة من شيء.

• ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) ﴾ حذرتكم ناراً تستعر وتتقد.



التدبر

١ ـ ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) ﴾ طال ليله وامتد زمانه ثم عاد للتجلي، وأنت كذلك يمكنك أن تتجلى مهما طال ظلام ليلك، وكثرت أحداثك، وقلت فاعليتك، فكما أن لظلمة الليل حد فكذلك لظلمة الجهل والضلال والقعود والكسل والتواني حد.

٢ ـ الأصل في النهار أنه مبدد للظلام، وهو ظرف للحركة، والعمل، والإنجاز، وكذلك الوحي في مقابل ظلام الجهل والكفر والشرك والفسوق. وإذا صدق أصحابه في حمله وبلاغه، والعمل به والتضحية من أجله أتى على كل شيء في واقع الحياة ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) ﴾.

٣ ـ ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) ﴾ رسالة في أن الاختلاف بينكم ليس في الصور والمسؤوليات والوظائف والأموال والمهارات والإمكانات بل في العمل فحسب.

٤ ـ ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) ﴾ مختلف في أصل نيته وإخلاص صاحبه، وفي نضج فكرته وفي قوته وأثره.

٥ ـ ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) ﴾ في زمانه ومكانه ورعايته للأولويات وتخلفه عنها، وفي عنايته بالمقاصد وبعده عنها.

٦ ـ ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) ﴾ في كل شيء، ولن تعرفوا هذه الحقيقة الضخمة إلا حين

تردون على الله تعالى ويوزن ذلك السعي، وترون به ومن خلالها عواقب النجاح والفوز والفلاح، وعواقب الفشل والإخفاق.

٧ ـ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤)﴾ لهذا المعنى دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أبواب الجنة الثمانية كلها يوم القيامة، وبلال رضي الله عنه مشى في الجنة وهو ما زال في الدنيا، وكبار قريش حطب لجهنَّم.

٨ ـ في معنى السعي ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤)﴾ إشارة إلى طبيعة الحياة، وصعوبتها، وأنها أحوج ما تكون إلى بذل جهد عقلي، وجسدي كبير حتى يصل الإنسان إلى أهدافه وأحلامه، وهذا تراه في كل شيء، ليس بالضرورة في أحلام الآخرة وأهداف الإنسان الكبرى، بل حتى في حياة الإنسان العامة في بيته، وعمله، ووظيفته.

٩ ـ نجاح كل إنسان وقف على الخطوة الأولى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧)﴾ التيسير لليسرى هنا نتيجة لذلك العزم الجاد في الطريق، وكم من حلم موقوف على خطى البدايات!

١٠ ـ لا حدَّ لأثر الخطوة الأولى في حياة صاحبها ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧)﴾ اليسرى في قلبه، وفي زوجه، وبيته، وذريته، وفي عمله، وماله، وكل شيء من حياته.

١١ ـ إخفاق كل إنسان موقوف على الخطوة الأولى ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)﴾.

١٢ ـ لا حد لسوء النهايات التي تحملها الخطوة الأولى لصاحبها ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)﴾ العسرى في قلبه، وفي زوجه، وبيته، وذريته، وفي عمله، وماله، وكل شيء من حياته.

١٣ ـ العطاء والبخل خلقان متضادان، الأول يجلب خيرات السماء، والآخر يصنع

كل سوء ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

١٤ ـ على قدر عطائك ينمو مالك، وجاهك، وعلمك، وتزداد بركتك، وعلى قدر بخلك ينقص كل شيء حتى تعود في النهاية صحراء من كل نعيم ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

١٥ ـ هذا طالب علم يفتي، ويدرِّس، ويكتب، ويؤلّف، ويسعى بالخير في العالمين في كل لقاء، وآخر يتسنّم مراكز الكبار ولا يعرف له الناس أثراً، ولا تشعر أن له دوراً، محبوس في زاوية ضيقة، لا يُعرف بعلـم، ولا يُؤلَفُ في طريق. فكذلك العطاء والبخل ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

١٦ ـ وذاك صاحـب جاهٍ مـنَّ الله تعالى عليه بحسـن خلق، فأقبل يصلح شـأن المختلفين، ويجمع فراق زوجين، ويؤلِّف بين متخاصمين، ويبذل في سـاعات يومه ما يحمي به بيضة الاجتماع، ويقوم حارساً في الناس من طرقات الأباليس، هذا هو العطاء ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾.

١٧ ـ وثالث مَنَّ الله تعالى عليه بالمال فسلطه على هلكته في الحق، ورابع تجري شعاب حساباته من المال وهو لا يحسن إخراج زكاته الواجبة، فكيف يجود به على جوعى الطرقات؟! ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

١٨ ـ وخامس يحسن الجوار، ويدرك فضائله، ويقوم بواجباته، ويصل رحمه، ويبر والديه، ويأتي على كثير من الخيرات، وسادس لا يحسن من ذلك شيئاً ﴿ فَأَمَّا مَنْ

أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

١٩ ـ وآخرون جعلهم الله تعالى منارات للحق والخير والهدى، ومثلهم في المقابل من لم يفتح لهم طريق توفيق. وهذه الأضداد المذكـورة إنما هي نتائج لفضيلة العطاء ورذيلة البخل ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

٢٠ ـ أهمية الأسباب، فإن الله تعالى جعل هذه الدنيا وسيلة لغايات الآخرة، وجعل لهذه الوسيلة سـببًا يبقيها حية وهو خلق الزوجين والتناسـل وإعمار الأرض، وجعل لهذا السبب أسبابًا أخرى من الشهوات التي تجعلها حية في قلوبهم إلى يوم القيامـة ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

٢١ ـ الدين كله يدور على ثلاث قواعد: (فعل المأمور، وترك المحظور، وتصديق الخبر) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ولما كان الدين يدور على ثلاث قواعد: فعل المأمور، وترك المحظـور، وتصديق الخبر، فقـد تضمنت هذه الكلمـات مراتب الدين أجمعها، فالإعطاء فعل المأمور، والتقوى ترك المحظور، والتصديق بالحسـنى تصديق الخبر، فانتظم ذلك الدين كله، وأكمـل الناس من كملت له هذه القوى الثلاث، ودخول النقص بحسـب نقصانها أو بعضها، فمن الناس من يكون قوة إعطائه وبذله أتم من قوة انكفائه وتركه، فقوة الترك فيه أضعف من قوة الإعطاء والمنع، ومن الناس من يكون فيه قوة التصديق أتم من قوة الإعطاء والمنع فقوته العلمية الشعورية أتم من قوته الإرادية، وبالعكس فيدخل النقص بحسب ما نقص من قوة هذه القوى الثلاث، ويفوته من التيسير لليسرى بحسب ما فاته منها، ومن كملت له هذه القوى يُسّر لكل يسرى. اهـ.

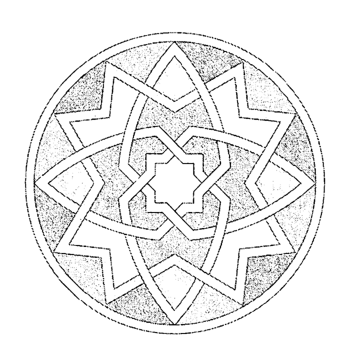
٢٢ ـ النعم إذا لم تجرِ في فلك دين الله تعالى ومنهجه وإلا كانت وبالاً على صاحبها ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾.

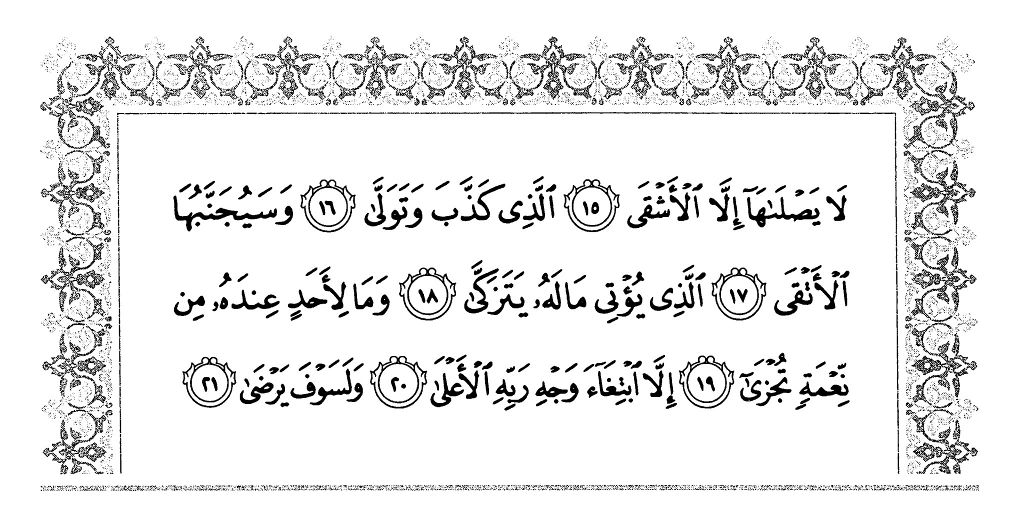
٢٣ ـ هدايتك وقف على جهدك وتعبك وإصرارك، وكذلك الضلال ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ لقد تكفَّل الله تعالى بالهدى فمن أقبل صادقاً يريد ما عند الله تعالى ناله وإلا فلا، وفي الصحيحين (إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَإِذَا أَتَانِي مَشْياً أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً).

٢٤ ـ سوء مآل الأشقياء يوم القيامة وشدة عذابهم وسوء خاتمتهم ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ وفي حديث رسول الله ﷺ: «**نَارُكُمُ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، قَالَ: «**إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً**».

٢٥ ـ كان الصالحون ـ وما زالوا ـ يعتبرون كل خطأ مُقابل بهذا الوعيد ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ ولذا يتعففون قدر وسعهم عن صغائر الذنوب، ويجهدون في مغالبة تلك الخطايا بالتوبة.






لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

التفسير

- ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ لا يحترق بها إلا من قدِّر له الشقاوة ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ بالحق الذي جاءه.
- ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ عن أمر الله تعالى، فلم يقم به ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ يُجنَّب الدخول فيها.
- ﴿ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ الأتقى اسم تفضيل من التقوى، يعني الذي اتقى الله تعالى حق تقواه وفسره بقوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ ينفق ماله يطلب زكاء نفسه وتطهيرها من رذائل البخل.
- ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ لا ينفق ماله ليد سابقة يكافئه عليها بهذا الفعل، فلا يعطي ماله مكافأة لأحد ومجازاة له.
- ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ إنما ينفق طلباً لرضوان الله تعالى والفوز بالجنة.
- ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ سوف يرضيه الله تعالى بما يعطيه من الثواب الجزيل.

التَّدَبُّرُ

١ ـ عظيم أثر الإخلاص على صاحبه ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾! لقد تكفّل الله تعالى بالنجاة لصاحبه من عذابه تعالى وضمن له الفوز في النهايات.

٢ ـ حين يكون المال وسيلة للغايات الكبرى في الحياة ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ درس في الوعي والتوفيق.

٣ ـ من كمال دينك ووعيك وعلو نفسك أن تتعفَّف عن سؤال المخلوقين قدر وسعك، وألا يكون لأحد من الخلق عليك منَّة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وإذا احتجت ووجدت من يعينك ويقف معك وأسدى إليك معروفاً، فعليك أن تبادر برده وسداده، وهذه أخلاق الأنبياء، حتى إن نبينا ﷺ في حادثة الهجرة أخذ العون من صاحبه أبي بكر رضي الله عنه وكان يقول له: (بالمثل) ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

٤ ـ ما أكثر ما تجد أيدي الكبار باسطة على إخوانهم وأقاربهم، وجيرانهم، وكل من يتعرّض لحاجة أو ظرف أو مصيبة! ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ هذا الثناء العاطر على أبي بكر رضي الله عنه لهذا المعنى.

٥ ـ كلما صدق الإنسان في توكله على ربه، وتوجهه إليه، وإقباله عليه، وعمل بالأسباب الممكنة كفاه الله تعالى كل شيء ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

٦ ـ ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾ وعد جاء على تاريخ صاحبه في مواقف متعددة وأحداث متكررة لم يتطرَّق الرياء إليها في شيء بشهادة العليم الحكيم.

٧ ـ ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾ ليست رسالة من مسؤول، أو خبر في صحيفة، أو إعلان في قناة، كلا! وإنما وعد من الكبير المتعال.

٨ ـ ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾ وعد من الله تعالى لعبد من عبيده في الأرض. أرأيتم ما تصنع الولاية في حق إنسان؟

٩ ـ ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾ ما زالت باسطة واقعها لكل من سار على الطريق، وجاء على ذات المعاني ولو بعد حين.

١٠ ـ ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾ لو قيلت لك لكان من حقك ألا تنام أياماً، ويمكنك عناقها إن أردت مع الأيام.

١١ ـ ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾ يصنعها الصدق، والبذل، والعطاء، والتضحية، والإخلاص، ويأتي عليها موفورة كما يشاء.

١٢ ـ أرجو ألا تقف في منتصف الطريق مندهشاً من هذا الوعد، وقاصراً عن الوصول، تقدَّم، واصنع الخطوات ذاتها، وابذل في سبيلها كل ما يمكن، وقد تتكرر مراراً في حياتك إذا كانت لديك ذات الأحلام ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾.

١٣ ـ من كمال عقلك ووعيك أن تجمع كل ما يتعلق بسيرة أبي بكر رضي الله عنه لتلاحظ ملامح هذه القدوة التي صنع بها كل شيء ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾.

١٤ ـ ولو أنك قَلَّبْتَ طَرْفَكَ في سيرة نبيك ﷺ ووقفت على مواطن القدوة، واستلهمت دروسها المثيرة لكنت ذلك الأمل الذي يخطو في الأرض كما يشاء ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

التفسير

- ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾﴾ أول النهار.
- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾ إذا اشتد ظلامه.
- ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما تركك ﴿وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ ما أبغضك.
- ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ وللدار الآخرة وما أعد الله لك فيها خير لك من الدار الدنيا وما فيها.

• ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ ﴾ يعطيك من فواضل نعمه في العقبى حتى ترضى.

• ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ ﴾ وجدك يتيمـاً لا أب لك ولا أم، فرعاك وهيأ لك أسباب الحفظ والعون والتوفيق.

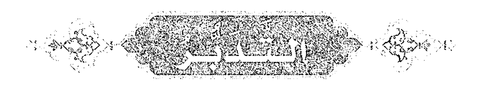
• ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ ﴾ غير عالم لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ووفقك كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

• ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ ﴾ فقيراً فأغناك ومنَّ عليك.

• ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ ﴾ كما كنت يتيماً فآواك الله فلا تذل اليتيم وتنهره وتقهره، بل عامله باللطف واللين.

• ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ ﴾ ومن سألك حاجة من مال أو علم فلا تنهره وتزجره بل أعطه ما تيسر أو رده بمعروف.

• ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١ ﴾ بشـكرها وإظهار آثارها سـواء كانت نعماً دينية أو دنيوية.



١ ـ في الصحيحين من حديث جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ رضي الله عنه، قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثاً فَجَـاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّـدُ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَـيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثاً فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣﴾ وفي لفظ لمسـلم قـال: أَبْطَأَ

جِبْرِيلُ عَلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ الْمُشْـرِكُونَ: قَـدْ وُدِّعَ مُحَمَّـدٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾.

٢ ـ امرأة يشغلها مشروع الباطل، وتهنأ بإبطاء الوحي، وتعود تبارك تأخر هدايا الرب عن رسول الله، فما يصنع أهل الحق لأفكارهم ومبادئهم ومشاريعهم في الحياة!

٣ ـ (الضحى) النور الذي يأتي على كل ليل، (والوحي) الضوء الذي يأتي على كل ظلام! فكما أن نور الضحى يقشع ظلام الليل من الكون، فكذلك الوحي يأتي على كل ظلام الجاهلية، وهذه السنة جارية في كل شيء، فما حل ظلام إلا صار إلى زوال، ولا عسـر إلَّا جاء الفرج بالأفراح ولا مصيبة إلا كانت العواقب أكبر بكثير من فواجع البدايات ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾.

٤ ـ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ ما تركك وما أبغضك، وليس كل تأخير يحمل معه الألم، وكم من تأخير جاء حاملاً للأمل! ما أرى شيطانك إلا تركك مقولة امرأة شامتة في عرض الطريق، و﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ قول ربك ومولاك يرد قولها، ويبعث مساحات الفأل في الحياة.

٥ ـ الرد علـى الأقاويل الباطلة، والحجج الواهيـة، والمقالات الكاذبة جزء من منهج القرآن، وقد جاءت هذه السورة كلها رداً على مقالة المشركين لرسول الله ﷺ في أن ربه قـلاه وتركـه ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ لكن يجب ألا تأخـذ أكبر من حجمها، وألا ينشغل بها الإنسان عن البناء والتمكين لسيرته ومنهجه، وإنما يأتي في بعض المواطن التي يورث التأخير فيها توسعاً للباطل، وتمدداً له.

٦ ـ قد تتأخر نعـم الله تعالى على الصـادق لكنها تأتي في النهاية بكل شـيء ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ وتأمـل هـذا الوعـد الكبير ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ وإلى أي حد! ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾ لا حد له إلا رضاك.

٧ ـ إذا رضي الله تعالى عنك فسيدهشك بعطاياه! وما بينك وبين هذا المعنى سوى ساحات العمل والصدق وحسن الصلة. لو أدركنا هذا المعنى وجهدنا في بنائه بوعي لاستقبلتنا عطاياه في عرض الطريق ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾.

٨ ـ ﴿وَلَلْأَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ وعد في زمن وحدته، وفقره، وظروفه البائسة، وعد من الذي يملك كل شيء، ويستطيع في كل شيء، وإذا أراد أمراً قال له: كن فيكون.

٩ ـ كل الدنيا لا شيء أمام أعطيات الآخرة الكبرى ﴿وَلَلْأَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ وفي حديث رسولك ﷺ: «**وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**».

١٠ ـ ﴿وَلَلْأَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ آخرتك خير لك من دنياك، وما فاتك هنا سوف يأتيك هناك. وآخر أمرك أفضل من أوله، وأيامك القادمة أعظم بكثير من أيامك السابقة. ماذا لو جرى هذا المعنى بشقيه في حياة إنسان؟!

١١ ـ ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ رسالة ود في زمن الآلام والأحزان سترضى لنفسك، ولأمتك، رضاً عاماً في زمنك أو مستقبل أيامك وأيام أمتك لا فرق.

١٢ ـ إذا أراد الله تعالى أمراً أجرى له الأسباب، ما لأبي طالب ومحمد! هذا كافر لا يؤمن إلا بالجاهلية، وذاك عدو الجاهلية وصاحب الرسالة! من الذي جاء بخديجة صاحبة العقل والمال إلى محمد ﷺ صاحب الرسالة؟! ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾.

١٣ ـ ما أكثر نعم الله تعالى على إنسان! وكم هي نعمه تعالى على صاحب هداية! وكم هي مباهجه على صاحب رسالة ومشروع! إن الإنسان أعجز من أن يأتي على نعمة واحدة، فكيف يأتي على فيض تلك النعم كلها! ما أحوج هذه النعم إلى شكر! وهو قيدها من الزوال، وسبيلها للدوام والاستمرار! وإذا رزق عاقل معرفة

شكرها رزق كل خير وبر ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾.

١٤ ـ في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ وعد بالنصر والتمكين، فكأنه يقول: الذي آواك لحظات اليتم، وعني بك وقت الضلال، ورعاك وهذَّبك وأمدك بعونه وتوفيقه في تلك الحال لن يتركك وحدك، وسيعينك على طريقك حتى تصل فيه إلى الكمال، وقد كان.

١٥ ـ من كمال عقلك ووعيك ألا تنسى سالف دهرك والأيام الخوالي من عمرك، كم فيها من ذكرى تحتاج إلى إعادة! وكم فيها من بؤس يحتاج بعد النعيم إلى شكر! وكم فيها من مواقف ضعف وذلة تحتاج إلى وفاء! وفي قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ تذكير ببداية الطريق، وتعظيم لمنَّة الله تعالى عليه، وتذكير بواجب ذلك من الشكر والعرفان.

١٦ ـ تعلَّم أن تهب للمحتاجين من الفقراء، والمساكين، واليتامى من وقتك ومشاعرك ومالك، وذلك من تعظيم منة الله تعالى عليك، ووفاء حقه، والقيام بواجبه ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾.

١٧ ـ يا أيها الدعاة والمصلحون وحُمَّال راية المشاريع! لينوا في أيدي إخوانكم، وتقربوا إليهم، وهبوهم من نعيم أخلاقكم، وادفعوا لهم مما فتح الله تعالى به عليكم؛ كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾.

١٨ ـ لم تقف العوائق حائلة يوماً ما في طريق صاحب المشروع، ذلك لأن مثل هؤلاء يؤمنون أن النجاح في تخطي كل الظروف الحائلة دون مشاريعهم وأهدافهم. وكم من عائق حوَّل همة صاحبه وأعاد له استلهام المجد من جديد. إن اليتم في حياة نبينا ﷺ لم يكن عذراً مع أنه من أشد العوائق في بيئات الجاهلية، وقد صنع

منه ﷺ سلالم للنجاح. وكم من أعمى، ومشلول، ويتيم، ومريض كتبوا معالم من البناء قصُر عنها غيرهم ممن هم أكمل منهم جسداً وأقل منهم إرادة وعملاً وطموحاً ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾.

١٩ ـ رعاية حقوق الآخرين جزء من بناء هذه الشـريعة الكلي، فلا يمكن أن تجد فرداً إلا وقد رعت الشريعة حقه، وعنيت به، واستكملت سبل حفظه، وفي قول الله تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾ دليل هذا الكمال في شريعة الله تعالى.

٢٠ ـ التأكيد على بعض المعاني، أو الحقوق الخاصة، أو الطبقات الفقيرة والمحتاجة والعناية بها أكثر من غيرها يورثها تجذراً في حياة الناس، ويجعلها في بؤرة الاهتمام خاصة تلك القضايا والحقوق التي تكون مدعاة للغفلـة عنها أو عدم الاهتمام بها ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾.

٢١ ـ التحدث عن نعم الله تعالى التي منَّ الله تعالى بها عليك من شكر الله تعالى، سواء كان هذا التحدث بها على ظاهره بذكر ما أنعم الله تعالى به عليه من فضل، وهداية إذا كان في ذلك مصلحة ظاهرة، أو بالقيام بحق الله تعالى، والدعوة إلى دينه ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾.

٢٢ ـ تحدّث شاكراً لنعم الله تعالى عليك، دالاً على الطريق الموصل إليها، مبتهجاً بتفضله عليك، فذلك من عون الناس على معرفة ربهم، والقيام بحقه وشـكره ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾.

٢٣ ـ إياك أن تتحدَّث عجباً وغروراً بهـذه النعم، وأنها من أثر جهدك وعزيمتك وقوتك، فهذا تلبُّس بأخلاق الشياطين والظالمين، وما قول الأول: (أنا خير منه) وقول الآخر: (إنما أوتيته على علم عندي) بمنأى عن فكرك وعقلك وعلمك.

سُورَةُ الشَّرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

التفسير

- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ نورناه وجعلناه فسيحاً واسعاً بإلقاء ما يَسُرُّهُ ويقويه من الحكم والأحكام والشرائع ومكارم الأخلاق والإقبال على الآخرة وتسهيل الخيرات.

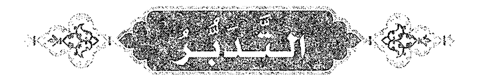
- ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ طرحنا ذنبك وعفونا وتجاوزنا عنك.

- ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ أقضه وآلمه وأتعبه.

- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ أعلينا قدرك وجعلنا لك الثناء الحسن العالي بالنبوة، وفرض الاعتراف برسالتك، وجعْل ذلك شرطاً في قبول الإيمان.

- ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾﴾ مع كل عسر يسر يفرّجه، وهذه بشارة من الله تعالى لرسوله ﷺ ولسائر الأمة.

- ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ تأكيد لمصاحبة اليسر للعسر.
- ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾﴾ فإذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، فاجتهد في العبادة والدعاء.
- ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ اجعل نيتك ورغبتك إلى الله تعالى في العبادة التي تنصب فيها.



١ ـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ منَّة من الله تعالى على رسول الله ﷺ تأتي في مواجهة المعرضين عن الدعوة. ليس أضر على صاحب المشروع من اليأس في الطريق، وهو أقعد به عن كل مصلحة، وأجبن به عن كل مواجهة، فإذا ما شرح الله تعالى صدرك منحك التفاؤل وأمدك بالتوفيق، وأعانك على مواجهة عوائق الطريق.

٢ ـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ أصل هذا الانشراح في قلب نبينا ﷺ منّة من الله تعالى عليه ولأتباعه ﷺ من ذلك المعنى على قدر سعيهم في ذلك الطريق. وما حاجة الناس اليوم إلى شيء حاجتهم لهذا المعنى! كثيرون يرزحون في الظلام، ويشتكون من الضيق، ويبكون من الأسى؛ لأنهم لم يجدوا هذه النعمة التي مَنَّ الله تعالى بها على نبيه ﷺ. وكثيرون تكاد تعانق رؤوسهم السماء، ويكاد الواحد يختال من الفرح، ويجد نعيماً يخالج قلبه وروحه، وسكينة تعمر فؤاده، وكل ذلك أثر من هذا المعنى الكبير.

٣ ـ انشراح الصدر وضيقه نتائج لما نصنعه في حياتنا من خير وسوء، وما رأيت إنساناً يتقلَّب في النعيم إلا لصلاح ما بينه وبين الله تعالى، وما رأيت من يتقلب في الشقاء إلا بسوء ما بينه وبين الله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾.

٤ ـ لن يستطيع إنسان أن يبلغ هذا المعنى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ إلا من خلال دين الله تعالى، ولو حاول الإنسان بكل ما يملك أن يفتح ثقب إبرة نحو هذا الطريق ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٥ ـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ صور هذه المنة على رسوله ﷺ كثيرة كصبره ﷺ على أتباعه، ورعايتهم، وتربيتهم، وصبره ﷺ على المخالفين، وثقته ﷺ بوعد الله تعالى، وشدة فأله وأمله، واتساع صدره لكل صور الخلاف، ومداومته على العمل، والدعوة، والطاعة، وعدم استعجال النتائج وقطف الثمار، ونحو ذلك مما أفاض الله تعالى بها على نبيه ﷺ، وهي معان حقيقة بالقراءة والإمعان في سيرته حتى تنتظم في سيرة أتباعه من بعده إلى يوم الدين.

٦ ـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ استفهام تقريري زيادة في التنبيه والتقرير بهذه النعمة التي امتن الله تعالى بها على نبيه ﷺ لاستحضارها والقيام بشكرها، وكم من ممنون لله تعالى بفيض نعمه يحتاج إلى استحضار هذه النعم والقيام بواجبها! فمن شرح الله صدره للطريق، وحسن استقامته على المنهج، وفتح الله له في مشروع، وصلحت زوجه وذريته، واستقام بيته على الهدى، وتوسع ماله وفسح به الخيرات، وجعله الله تعالى مفتاحاً للفضيلة؛ فهو أحق باستحضار هذه النعم والقيام بحقها.

٧ ـ للذنوب أثقال، وما يشعر بهذا إلا صاحب قلب حي! وما لجرح بميت إيلام! وكم من ثقيل عن طاعة الله تعالى يحسب أن ذلك طبع وهي أثر ذنب! وإذا كان خلاف الأولى وصغائر الذنوب التي وقع فيها ﷺ كادت تنقض ظهره؛ فما بالك بالكبائر التي نخالطها كل يوم. وصدق ابن القيم حين قال: وكيف يقطع مسافة السفر مثقل بالحمل على ظهره؟! وكيف ينهض إلى الله تعالى قلب قد أثقلته الأوزار؟! اهـ.

٨ ـ من أثقال الذنوب أنها تغم قلبك، وتضيِّق صدرك، فلا تكاد تجد للحياة بهجة كأنما تتنفّس من ثقب إبرة، ومن أثقالها أنها تقعد بك عن الخيرات وتورث جسدك العجز، وتشعر بأثقال الدنيا كلها على ظهرك وقلبك ومشاعرك، ومن أثقالها أنك لا تكاد تخطو إلى فضيلة، ولا تمتد يدك إلى معروف، ولا تستطيع أن تحمل فكرة أو مشروعاً ينفعك في الدارين، وتبقى حسيراً قعيداً في بيتك لا تشارك في شيء.

٩ ـ الأنبياء بشر من الخلق، وتقع منهم صغائر الذنوب، وإن كانوا في الأصل معصومون من الكبائر، وسفاسف الأخلاق. والذنوب التي يقعون فيها كترك الأولى، وفعل الشيء باجتهاد كقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١، ٢] وكقصة الأسرى في بدر ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨] ونحو ذلك. وإذا كان الكبار غير معصومين من ضعف النفوس، والخطيئة، فغيرهم من باب أولى وأحرى ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾.

١٠ ـ الخطأ جِبِلَّةٌ في كل إنسان، وإذا أورث ذلك الخطأ ذلاً في النفس، وشعوراً بالخطيئة، وصدقاً في الإقبال على الله تعالى كان أعود على صاحبه بالخير والغفران ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾.

١١ ـ حتى الكبار يخطئون، وحاجتهم إلى الإعذار والإغضاء حينها أكبر من كل حاجة ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ فلا يقف خطؤك عثرة في طريق توبتك، ولا تأسرك أحزانه وأحداثه عن القيام لحظوظك في الدارين.

١٢ ـ رفع الذكر من أعظم منن الله تعالى على رسوله ﷺ، كثيرة هي مظاهر قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ في حياة نبينا ﷺ، يكفي من ذلك هذا الأذان الذي يدوّي في الأرض كلها ويعلي ذكره في العالمين.

١٣ ـ إذا أحب الله تعالى عبداً رفع ذكره وأعلى شأنه ووسع في أثره، وجعل قبولاً لكلامه ومشروعه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾.

١٤ ـ وما يضرك في الدنيا كلها إذا رضي الله تعالى عنك ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ كم كان الساخطون على نبينا ﷺ تلك الحقبة من الزمن، وظل ذكره يملأ الدنيا كلها. وإذا سخط الله تعالى عليك، فما ينفعك من أثر المادحين شيء.

١٥ ـ كل عسر مصحوب بيسرين، ذلك لأن الله تعالى ذكر العسر معرّفاً مرتين، فهو عسر واحد لا ثاني له، وذكر اليسر منكَّراً مرتين فهما يسران، فالعسر محفوف بيسرين يسر قبله، ويسر بعده، ولن يغلب عسر يسرين. وهذه فواتح أمل لكل صادق في الطريق ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.

١٦ ـ من فألك أن يأخذ هذا المعنى ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ حظه من قلبك، وأن تمضي في كل طريق وأنت موقن أن عاقبته إلى خير، وأن ما ينتظرك من فأل أعظم بكثير مما ينتظرك من سوء.

١٧ ـ إلى الذي تأخر زواجه، وأبطأت عليه وظيفته، وضاق عليه حاله، وكثرت ديونه: تفاءل فعسرك محفوف بيسرين ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.

١٨ ـ إلى المسجونين، وأصحاب الاحتياجات الخاصة، والمبعدين، والمحاصرين، وإلى كل صاحب حاجة طال انتظارها: تفاءلوا ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.

١٩ ـ رأيت بعيني جائعاً قد شبع، وظامئاً روي، ومخفقاً نجح، وضالاً اهتدى، ومديناً اتجر، وعقيماً كثر له الولد، فما لنا ولليأس! ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.

٢٠ ـ حتى الأمراض المستعصية في زماننا شفي أصحابها وعادوا كأن لم يكن بهم مرض ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾.

٢١ ـ لا أحصي المرات التي رأيت فيها الباكين من الآلام يضحكون بملء أفواههم فرحين مسرورين ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾.

٢٢ ـ مهما بلغت ظروف واقعنا، وحال أمتنا، وفجائع زماننا ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾.

٢٣ ـ حتى لو استشهد الرجال، ورُمِّلت النساء، وشرِّدت الأسر، وسُجِن الأولياء، وبلغ الباطل كل مبلغ ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾.

٢٤ ـ كلما ولد اليأس في مكان نبتت معه في الوقت ذاته بذور الفرج والأمل والحياة ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾.

٢٥ ـ الصلة بالله تعالى تورد صاحبها فأل الحياة، إذا دهمك اليأس، وقل المعين فتوجه إلى ربك واسأله العون والتوفيق ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾.

٢٦ ـ حين تتفرَّغ من شغلك ونصبك عد إلى ربك تستلهم الحياة من جديد (من قال لك إن في الحياة فراغاً!) ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾.

٢٧ ـ الدنيا دار عمل ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ ولا راحة للمؤمن إلا عند أول قدم يجوز بها باب الجنان.

٢٨ ـ من جميل حسن الظن بربك تعالى إيكال أمورك إليه ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ وما يصنع لك الناس، وقد فتح الله تعالى لك بابه وأذن لك بالولوج ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

التفسير

- ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ ثمرتان معروفتان، قيل: التين إشـارة للذي يؤكل، والزيتون إشارة للذي يعصر منه الزيت، وإنما أقسم الله تعالى بهما لكثرة منافعهما وثمارهما.

- ﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ طور سيناء وهو الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام.

- ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ مكة المكرمة محل نبوة محمد ﷺ.

- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ في أحسن هيئة خلقاً وشكلاً وصورة.

- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾﴾ أسفل سافلين قيل: في الخلقة بالكبر ورده

إلى أرذل العمر، وتغيّر ذلك الحسن إلى حال آخر ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ وقيل: ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ في المنزلة، فيرد إلى النار، وهذا في حق العصاة، ويؤيد هذا المعنى الاستثناء الذي بعده في الآية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إلا من اتصف بصفة الإيمان والعمل الصالح ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ وإنما لهم ثواب غير مقطوع ولا ممنون به، بل لذات متوافرة، وأفراح متواترة، ونعم متكاثرة، في أبدٍ لا يزول، ونعيم لا يحول.

- ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾﴾ أي: أيُّ شيء يكذبك بيوم الجزاء على الأعمال وقد رأيت من آيات الله تعالى ما يحصل لك به اليقين على إعادتك بعد موتك؟!
- ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ أليس الذي فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً؟



١ ـ أقسم الله تعالى بذكر أماكن الرسالات ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ بأرض المقدس وهي محل رسوله عيسى عليه السلام ﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ محل عبده ورسوله وكليمه موسى، وهو الجبل الذي كلمه عليه وناجاه هناك ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ مكة أرض خاتم الأنبياء محمد ﷺ. فتأمل عظمة هذا القسم وانظر في جوابه لتعرف لمَ صار بهذا المعنى الكبير؟!

٢ ـ ترابط النبوات، والرسالات فيما بينها، وعلاقة الأنبياء ببعضهم البعض، وامتداد الرسالة، وفي الحديث قال ﷺ: «**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى،**

وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» وهذا المعنى يؤكّد صدق الرسالات وأنها من عند الله تعالى، وأن محمداً ﷺ خاتمها ونهاية مطافها في الأرض.

٣ ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ هذه هي القضية الكبرى التي أراد الله تعالى تأكيدها من خلال هذا القسم الكبير ترى فيها إجلال الله تعالى للإنسان وتكريمه له سواء في اتساق خلقه، أو في التمازج بين حاجات جسده ومشاعره وعواطفه، أو في هذا التوازن بين حاجاته، أو في الغايات التي خُلق من أجلها، ويكفيه شرفاً وعزاً أنه مقصد الرسالات السماوية كلها.

٤ ـ من فقه هذا التكريم أن تقوم لله تعالى بأمره، وتعظِّم شعائره، وتجل مناهيه وتأتي على كل ما يصنع لهذا التكريم معناه وواقعه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾.

٥ ـ الإنسان بروحه لا بجسده، وبقلبه لا بجوارحه، وهذه الرسالات كلها جاءت تخاطب قلب الإنسان وروحه، وكم من صحيح قلب طاف في ملكوت الله تعالى! وكم من سقيم قلب أخلد إلى الأرض ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾.

٦ ـ تحوُّل القوة إلى ضعف، والشباب إلى كبر، والحركة إلى قعود، والشهوة إلى فتور بعض ما يلقاه الإنسان في حياته الدنيا على أحد المعاني في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ وإذا كان كذلك، فعلى العاقل أن يهب من صحته لمرضه، ومن شبابه لهرمه، ومن حياته لموته، ومن حركته لقعوده حتى يمضي يزيد في أثره في الدنيا، وفي الحديث: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيماً صَحِيحاً**» وعلى المعنى الآخر رجوعه إلى الشرك والمعاصي، وسافل الأخلاق، ولا يقي من هذه المعاني الدنيا سوى الإيمان والعمل الصالح.

٧ ـ ثمة غاية كبرى للخلق! فهذا الخلق البديع، وهذه الرسالة، وهذه الصلة بين الإنسان والرسالات كلها تدل على غايات كبرى، فكيف يكذِّب بها إنسان وهي أوضح ما تكون ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ تساؤل يأتي بعد تقرير النعمة، وإقامة الحجة، ويترك هكذا مفتوحاً دون جواب ليظل كذلك لكل قارئ لهذا القرآن إلى يوم الدين.

٨ ـ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ وقد اعتنى الله تعالى بخلقك، وبَعَثَ إليك رسله وأنزل إليك كتبه، وما تركك حتى أقام عليك حججه وأبان لك كل شيء.

٩ ـ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ وقد أراك الله تعالى من سير الأولين والآخرين وما صنع لأوليائه، وما صنع في أعدائه.

١٠ ـ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ وقد رحمك وغفر لك ذنبك وأراك من قدرته وحكمته في خلقه ما يبين لك عن كل شيء.

١١ ـ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ دعوة لقراءة حكمة الله تعالى في خلقه تعالى وشرعه، ودعوة في ذات الوقت لتقرير هذه القضية في عقل كل مكلف وأنَّ الله أحكم الحاكمين.

١٢ ـ كل قضية قررها الشرع فلحكمة أرادها الله عَزَّ وَجَلَّ عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ وهي أوضح ما تكون لذي عينين.

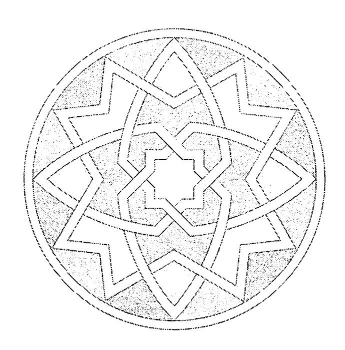
١٣ ـ إذا ثبت التحليل والتحريم من طريق صحيح، فمن أدب الإنسان مع ربه ألا يعارض ذلك بظنونه وآرائه، بل يجري في كل شؤونه على أمر التسليم ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾.

١٤ ـ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ دعوة لفقه باب الأسماء والصفات والإيمان بها والتسليم بما تقتضيه، فإذا علم العبد حكمة الله تعالى فيما يخلق ويقدِّر في

هذا الكون ازداد طمأنينة واستسلاماً، وعلم أن مقتضى هذه الحكمة ألا يأمر الله تعالى عباده بشيء ويحثهم عليه إلا لكمال أثره عليهم، ولا ينهاهم عن شيء ويحرمه عليهم إلا لكمال ضرره وأثره عليهم.

١٥ ـ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ تذكير بنقص الإنسان وفقهه لمصالحه وإدراكه لما يضره أمام قدر الله تعالى وحكمته التي تجري في الكون، فكم من مكروه للإنسان يحمل في طياته خيراً ولو بعد حين! وكم من محبوب فيه عطبه وحتفه، والله المستعان!

❀ ❀ ❀



سُورَةُ العَلَق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

التفسير

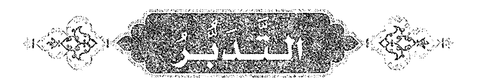
- ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ اقـرأ يـا محمد ما أنزل إليـك من القرآن مفتتحاً باسم ربك الذي خلق.

- ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾ من دم، جمع علقة، والعلقة الدم الجامد.

- ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ كثير الصفات وواسعها من الكرم والإحسان.

- ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ علَّمـه الخـط والكتابة التي تحفظ بهـا العلوم، وتضبط بها الحقوق.
- ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ علمه بعد أن أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً.
- ﴿كَلَّآ﴾ حقاً ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ ليتجاوز حَدَّهُ ويستكبر على ربه.
- ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ إذا رأى نفسه وكبرت في عينه استغنى عن الله تعالى.
- ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ المرجع في الآخرة، فهي تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان.
- ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾ نزلت في شأن أبي جهل حين نهى النبي ﷺ ومنعه من الصلاة، والمعنى أخبرني إخبار تعجب من حال هذا الرجل الذي ينهى نبي الله ﷺ أن يتعبد لربه.
- ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ أخبرني أيها الناهي للعبد عن الصلاة، هل هو فيما يفعله على علم بالحق ومعرفة به؟!
- ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾ أو يأمر غيــره بالتقوى ويحثه على فعلها. ومن كان هذا فعله هل يحسن أن ينهى؟!
- ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ يعنــي أبا جهــل، كذب بكتــاب الله تعالى، وأعرض عن الإيمان.
- ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ عمله وفعله.
- ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ أي أبو جهل عن أذاك يا رسول الله ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ لنأخذن بناصيته، وهي مقدمة الرأس ناصية الكذب والإعراض.

- ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ ﴾ في قولها ﴿خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ في فعلها.
- ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ ليدع أهل مجلسه وقومه وعشيرته، ليستنصر بهم.
- ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب.
- ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ لا تطعه يا رسول الله فيما ينهاك عنه من المداومــة على العبادة، وصلِّ حيث شــئت، وتقرب إلى الله تعالى بالســجود ولا تبال به في كل ما نهــاك عنه، فــإن الله تعالى حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس سبحانه وتعالى .



١ ـ ﴿ٱقْرَأْ﴾ أول كلمة في كتاب الله تعالى، وأول حرف يقــرع أذن النبي ﷺ، وأمتن كلمة في تاريخ إنسان! وما رأيت عاقلاً مدركاً لآثارها إلا وقد وهب لها من سنام وقته، ودفع لها من أولويات حياته ما يجعله كبيراً في الدارين ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾.

٢ ـ كل مربٍّ إنما يؤتى من حظ الاستجابة على قدر حظ العلم من حياته! ما كان لتلك الأمة التــي بعث فيها محمد ﷺ لتقرأ قراءة معرفــة وتطبيق إلا بعد قراءته وتطبيقه للوحي الذي جاءه في الغار. أياً كان المتعلمون في بيت، أو مدرسة، أو مجتمع، أو أمة لا يصغون في العادة بوعي إلا لمن له حظ من تلك الرسالة التي يحملها ويدعو إليها. وهذه ســنة جارية في الأمم والتاريخ شاهد ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾.

٣ ـ ليس كل قراءة تبني حظ الإنسان من التأثير في الواقع، وليس كل كتاب قادر على أن يقود قارئه إلى تحقيق هذا المعنى في التاريخ، وإنما تلك معاني مبناها

على الوحي كتاب وسنة فحسب. وعلى قدر علاقة الإنسان بوحي الله تعالى تأتي الأحداث الكبار في تاريخ أمة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾.

٤ ـ كم هو أثر الوحي في حياة الإنسان! ولن تعرف هذا الأثر ومساحته في الواقع حتى تتعرَّف على مساحة الجاهلية في أفكار وعقول تلك الأمة التي نزلت عليها هذه السورة أول وهلة لترى كم هو الفرق بين إنسان الأمس في جاهليته، وإنسان اليوم في إسلامه وقيمه ومبادئه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾.

٥ ـ كلما ضعف الوحي في حياة إنسان عاد إلى درك الجاهلية الأولى، وكلما زاد ارتباط الإنســان بالوحي رقى في مفاهيمه وأفــكاره وأدواره حتى أصبح مثالاً صالحاً للبناء في واقعه ومساحته ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾.

٦ ـ كم هي حاجة الإنسان إلى عبادة ربه تعالى! هذا النبي ﷺ وقبل أن يتلقّى أي شيء من الوحي كان يشعر بشــعث الجاهلية في قلبه، فاحتاج إلى أن يأوي إلى شيء يغيثه، وظل يتردد على غار حراء بعيداً عن مظاهر الجاهلية وشعثها ليروي قلبه ويزكّي نفسه، ويلقى المعنى العريض الذي تبحث عنه قلوب الأتقياء ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾.

٧ ـ الغطة التي لقيها ﷺ في بداية الطريق مشــعرة بأثــر العلم وعظمته، وكلفته، ومشعرة كذلك بعظم الرســالة التي جاء بها اللقاء، وأثر الدعوة، وطول الطريق، وشُقة المشروع، والمشــاريع الكبار يجب أن تأخذ حظها من النفوس أولاً حتى تســتقبل أيامها القادمة، وتصبر على طول الطريق. وقد رأيت أن المشاريع التي ينتابها الضعف في العرض والتقديم لا تلقى مــن أصحابها القدرة المثلى على القيام بحقها على خلاف تلك المشاريع التي تلقى في بداية الطريق قدراً من الهم والاستعداد والمسؤولية. من الأصلح للمشاريع، والأنفع لأصحابها أن يدركوا أثر مشروعهم من بداية الطريق، وحجمه في الواقع، وكلفته الكبيرة، فإما أن يأخذوها

بذات القدر من الهــم وإلا يدعوها لغيرهم. وخير لكثير من المشــاريع ألا تبدأ باردة، فإما أن تبدأ مشرقة وإلا تبقى حتى يفتح الله تعالى من يأخذها بحقها في قادم الأيام ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾.

٨ ـ العلم رأس الدعوة، وجذرها، وذروة سنامها، ولن تقوم دعوة صحيحة مؤثرة في الأرض إلا على جذر العلم وســاقه. وقد تلقى النبي ﷺ هذه الرســالة في أول لقاء (اقرأ) وأصحاب الدعوة من هذا المعنى مثلها تماماً، وعلى قدر علم الداعية، ومعرفته بالواقع، وعلاقته بالوحي تكون آثاره في الأرض ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾.

٩ ـ الأصل أن يقوم ســاق العلم على جذر الدين ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ وليس أخطر على الأمة من انفصال العلم عن الدين، وكل رقي لقيته البشرية في ماضيها أو حاضرها كان بفضل ذلك الترابط بيــن العلم والدين. إن العلم الذي يرعى حق الدين، ويقوم على بنائه ينفع الأمة، ويكتب عزها ومجدها، ويخلق لها فرصاً كبيرة في واقع الحياة، وحين ينفصل عن هذا المعنى يُحْدث شيئاً مهولاً من الأخطار في واقعها.

١٠ ـ العلم منحة وتوفيق من الله تعالى ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ وإذا فتح الله تعالى قلبك لهذا المشــروع، فقد فتحه علــى خير عظيم، وكم من صاحب قدرات ومواهب لم تنفعه مواهبه وقدراته في شيء. وهكذا كل إنسان هو أحوج ما يكون إلى لطف الله تعالى، وعونه، وتوفيقه في كل شيء في حياته، فإذا ما وفِّق للعلم، وهدي إليه، ويُسر له سبيله، وأعين، فقد أفاض الله تعالى عليه من نعمه ما يستحق الشكر والامتنان.

١١ ـ حاجة العبد إلى عــون الله تعالى وتوفيقه أعظم من كل حاجة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ أي مستعيناً به، لا تعتد بقوتك، وذكائك، وقدراتك، ومواهبك، فكم من مخذول في الطريق! توكل على الله تعالى، واستعن به، وسله من فيض

نعمه ما يعينك به على مشـــروعك الكبير في الحياة. ومن أدرك ضعفه، وفقره، وحاجته إلى ربه أحسن التوكل عليه، وصدق في الإقبال حتى يفتح الله تعالى ما يريد. إن تبعات العلم، والدعوة، والمشروع كبيرة في الواقع، وهي أحوج ما تكون إلى توفيق الله تعالى، وعلى الإنسان أن يحسن الوقوف بين يدي الله تعالى حتى يصل إلى مراده في الحياة وتتحقق له أحلام مشروعه في الدارين.

١٢ ـ منّة الله تعالى على جنس الإنسان، فقد خصه الله تعالى بالعقل، وامتن عليه بالوحي، وكرّمه بالرسالة، وجعله هادياً في الحياة. وهذا الاصطفاء الذي خص الله تعالى به الإنسان حري بالعمل به والإجلال له ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾.

١٣ ـ التدرج سنة من السنن الإلهية، وما من شيء في الدنيا كلها إلا وهو وفق هذا المعنى، وإذا كان الله تعالى لم يخلق الإنسان في مرحلة واحدة مع قدرته تعالى، وإنما جعله على مراحل حتى استوى خلقه فكذلك كل بناء في الأرض يبدأ صغيراً ثم ما يزال يكبر مع مرور الأيـــام حتى يصبح كبيراً عظيماً. إن في ذلك دعوة إلى إدراك هذه السنة ومفاهيمها، وسيظل كل مشروع في بداية أمره صغيراً لا قيمة له ثم يكبر مع العمل وتتابع الأيام حتى يشار إليه بالبنان، فلا تستعجل على أصل لم يكتمل أو على خطو في بداية الطريق، أو على ثمـــرة لم يكتمل حظها من البناء حتى تمر بكل الخطوات الممكنة في الواقع ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾.

١٤ ـ ضعف الإنسان فهذا الخَلْق الكبير إنما أصله من نطفة وعلقة ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾ وما أكبر نعم الله تعالى عليه، خلقه من تلك العلقة (الدم الجامد) ثم ســـواه إلى أن كان كبيراً بهذه الخلقة، ثم علمه وأرشده حتى صار كبيراً صاحب رسالة. وكلما تأمل الإنسان في خلقه أدرك فيض نعم الله تعالى عليه، وألطافه التي تترى في حياته وبين عينيه. وعلم أن ثمة واجبات مقابل تلك النعم تحتاج إلى عون وتوفيق.

١٥ ـ ليس من شيء كبير على الله تعالى، وما نعمة يشتهيها الإنسان إلا وهي بتوفيق الله تعالى وكرمه أقرب ما تكون إليه، وكلما وثق الإنسان بربه، وتعلَّق به، وأقبل عليه أفاض الله تعالى عليه من الأسـرار والمكارم ما لم يكن له على بال، وقوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ تأكيد لهذا المعنى الكبير في كتاب الله تعالى.

١٦ ـ مكانـة القلم ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ فلولاه ما كان أثـر! القلم أداة العلم ووسيلته الكبرى، وأثره في الواقع، ورسـمه على مر السنين والأزمان! ومن رأى أثره اليوم أدرك هذا التباين العريض فـي حياة الناس. كم من مقبور في الثرى تقطَّع أوصالاً ما زالت أنفاسه حيَّة في العالمين! وكم من حي لا تكاد تجد له أثراً!

١٧ ـ ما كل أثر ممدوح! وهذه المنة بالقلم ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ ليست مطلقة، فكم من حبر هو دين في حياة صاحبه، وغداً يسـتوفى بيـن يدي الله تعالى في مواطن الحساب! وما رأيت شـؤماً في حياة إنسـان مثل ما رأيت من شؤم قلم الكفر، والنفاق، والفسوق، والعصيان، وها هو في أزماننا يتطاول به صاحبه حتى على مقام ربه الذي خلقه!

١٨ ـ الإعراض عن ذكر الأسماء مهما بلغ سوؤها منهج القرآن، وفي الصحيح أن أبا جهل لما رأى النبي ﷺ يركع ويسـجد قال: (واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب)، ومع ذلك أُبهم في السورة، ولم تتعرض لاسمه وهذا هو الأصل، وعلى الكبار أن يركزوا على الأفعال فذلك أدوم للأثر، وأصلح للدعـوة ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾.

١٩ ـ أسوأ ما يواجهه الإنسان في حياته اعتداده بنفسه والإعجاب بها والإغضاء عن الأخطاء، والسلبيات المتفشية فيها، وهذا أحد الأخطاء الجسام التي يقع فيها الإنسان ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ فرق كبير بين رؤية الإيجابيات وجعلها متكأً لنجاحات قادمة، والاستفادة من ذلك في علاج الأخطاء والقصور والسلبيات التي تلاحقه في حياته، وبين رؤيتها على سبيل الإعجاب والفخر والخيلاء. وجملة من الهالكين الأولين إنما كان سبب هلاكهم تلك النظرة الخيالية لأنفسهم والاعتداد بها، والاتكاء على جوانب العظمة فيها، والله المستعان!

٢٠ ـ على الإنسان أن يلاحظ نفسه، ويجهد في متابعة عيوبها، ويعتني بتقويمها غاية الاعتناء، فإن ذلك أدعى لمحاصرة عيوبها والحيلولة دون تفشيها في حياته وأقرب إلى الترقي والفلاح. علينا أن نُعنى بمساحة المجهول في أنفسنا على حساب المعلوم، ونوسّع في دائرة النظر إلى الأخطاء والسلبيات والنقائص أكثر من غيرها ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾.

٢١ ـ مشكلة الطغيان أنه يمنع من قبول الخير، ورؤية الأخطاء، ومعالم الجهل، ويظل مستكبراً عن كل فضيلة، وإذا وجد الإنسان من نفسه عوارض هذا المرض فليتعرّف على نعم الله تعالى، وليمعن في قصوره الذاتي فإنه موشك بإذن الله تعالى على الفلاح ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾.

٢٢ ـ حاجة الإنسان إلى ربه أعظم من كل حاجة، وأصحاب المشاريع لن يجدوا أعون لهم على النهوض بمشاريعهم من توفيق الله تعالى وعونه لهم في الطريق، وعليهم أن يحذروا غاية الحذر من الاستغناء. إن الافتقار إلى الله تعالى، والخضوع بين يديه، واستشعار توفيقه والإلحاح عليه في الدعاء معانٍ كبيرة تأتي بالمنن على أصحابها في قادم الأيام ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾.

٢٣ ـ ما رأيت أصلح للنفس من سماع النصيحة، واستقبال النقد بالفرح، والتربّي على ذكر الأخطاء والعيوب، وإدراك مثالب النفس، فإن ذلك يخلق في العادة وعياً بواقع الإنسان، ومكانته الحقيقية. إن للنفس صولة في الواقع تحتاج إلى مقارعة، وزهواً في المشاعر يحتاج إلى معرفة بالضعف المقابل، وما لم تتدارك نفس الإنسان بمثل هذه المعاني وإلا يتوقف في منتصف الطريق ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾.

٢٤ ـ من توفيق الله تعالى لإنسان أن يعظِّم قلبه نعم الله تعالى، ويسبل لسانه في شكرها والثناء عليها، ويسعى بها في واقعه رسالة ومنهجاً وتاريخاً. وما عدا ذلك فهو حرمان وسوء توفيق ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾.

٢٥ ـ لن تُعظِّم نعم الله تعالى في عينك وتكون سبباً لفلاحك في الدارين حتى تزدري الدنيا كلها، وتعلم أن كل نعيم مهما امتدت صورته في الواقع هو في النهاية إلى زوال، وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ درس يجب أن يتلى حين تبدو صورة كل نعيم زاهية في عين إنسان.

٢٦ ـ ما أضعف الباطل وأهله أمام منهج الله تعالى! هذا أبو جهل يصاول بالأمس الرسالة، ويقف في وجه الدعوة، ويجهد في إيذاء صاحب المنهج وهو اليوم أثر بعد عين، ولا عبرة بباطل مهما بلغ أثراً وسوءاً ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

٢٧ ـ كل تعب مخلوف مهما بلغت أعراضه! هذا رسول الله ﷺ يجهد في إيصال الحق وتبليغ دين الله تعالى بكل ما يملك ويلقى من يمنعه، ويصده، ويقف في طريقه، وينهاه حتى عن التعبُّد لربه، وتنتهي القصة بفصولها عبر ثلاث وستين سنة، وينتهي معها كل شيء، ولا تبقى سوى الذكريات ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

٢٨ ـ لن يخلو زمن من مناوئين! ولن تأتي لحظة خالية من الصراع بين الحق والباطل! وعلى آثار أبي جهل أمم في كل عصر ومصر، والأيام حبالى بغيرهم

في الواقع، وهذه سنة الله تعالى في العالمين، وغداً يزول كل شيء وتبقى أفراح الصادقين ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾.

٢٩ ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ ليست مشــكلة هذا الشقي فحسب! بل مشكلة كل المتدنسين بالمنكرات كانت تغيب عنهم هذه الحقيقة زمن طوفان المعاصي.

٣٠ ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ تكفي درعاً واقياً عن كثير من خطايا الخلوات.

٣١ ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ في مال مغشوش يشاركك في تربية بيتك وأسرتك، وفي وقت مبخوس من وقت مؤتمن عليه، وفي ساعة خلوة في ظلام ليل تعارك فيها شهوة، وتتلذّذ فيها بمسخوط.

٣٢ ـ لو كنا نستشعر هذه الآية ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ لحظة قيامنا للصلاة لتبدلت أحوالنا، ولذقنا فيها وعد نبينا ﷺ: «**أرحنا بها يا بلال**».

٣٣ ـ مهما تحصنت لخلوتك تأكد أنه لا يفصلك شــيء عــن هذه الحقيقة التي تلاحقك ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾.

٣٤ ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ يرى ما في قلبك من الحسد والأحقاد وسوء الظنون والشهوات.

٣٥ ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ يرى ما في جوالك من الخبايا، وحساباتك من الربا، وبيتك من الخطايا، ومسؤولياتك من نقص حقوقها وضياع واجباتها فلا تغتر.

٣٦ ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ حتى في نيتك، وهمِّ قلبك، ومراد نفسك، فكيف بما يتحدَّث به لسانك، أو تكتبه يدك، أو يديره فكرك ومشاعرك!

٣٧ ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ كانت تطارد الصالحين في كل مكان، وما لم تصنع لها شأناً في حياتك فلن تصل لشيء.

٣٨ ـ النصر للإســلام! وكل هذه الصور التي تدار في واقع المسلمين إنما تدار بحكمة الله تعالى ومشيئته، وقد تولى الله تعالى الدفاع عن نبيه بالأمس أمام أبي جهل ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾ وسيتولى الله تعالى أولياءه، ودعاة الحق وأعوانه في كل زمان ومكان.

٣٩ ـ ما كل كبير فــي الأرض مصحوباً بعون وتوفيق! هــذا أبو جهل كبير قومه وسيدهم، وقد بلغ درجة السفه في فعله حتى أنه انشغل بمصاولة الحق والوقوف أمام دين الله تعالى. وإذا لم يمدك الله تعالى بعون وتوفيق فلا راد لســوء التوفيق ﴿ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾.

٤٠ ـ كل الطغاة على موعد مع الجزاء ســواء كان في عرض الدنيا أو ســاحات القيامة، ويكفي هؤلاء لو كانوا يعقلون هذا التهديد العريض لشــخص أبي جهل في تلك الحقبة من الزمــن ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾ ومثله من كان على ذات الطريق.

٤١ ـ للأصحاب والقرناء سهم كبير في النجاح والإخفاق! هذا أبو جهل لم يكن ليتحرّك في وجه الدعوة بنفسه لولا ذلك النادي الذي يعج بصحبة السوء ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ ﴾ وغالباً لا تجد مشؤوماً في واقعه إلا وصحبة طريق دلته حتى وصل إلى تلك النهايات.

٤٢ ـ علينا أن نعي أن لأعداء الدعوة، والمعارضين أنديــة تجمعهم يرتبون فيها لمشروع الباطل ويجهدون فيها لتعويق الدعوة، ويقفون من خلالها لمواجهة دين الله تعالى في الأرض، والمســألة لديهم ليست اعتباطاً، أو جهوداً لا رابط بينها، وإنما تسعى نحو غاية، وأهل الحق أولى بالاجتماع والائتلاف على الحق الذي معهم، والقيام بواجباته، ورعاية حقوقه ومفاهيمه ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ ﴾.

٤٣ ـ على أصحاب الدعوة أن يمضوا في الطريق غير آبهين بعوائقه، وغير ملتفتين للناعقين على جنباته، وفي قوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾ ما يبين عن المنهج أمام هؤلاء السفهاء الرعاع.

٤٤ ـ الطاعة من أعظم العون على تحديات واقعك! وعلى المصلحين أن يدركوا أن هذه الفتن العارضة أحوج ما تكون إلى حسن صلة بالله تعالى، ولن يواجَهَ عدو بمثل هذا المعنى العظيم في حياة كل إنسان ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾.

٤٥ ـ القرب من الله تعالى فرع عن كثرة السجود، وأقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد، وإذا صحب هذا السجود بخشوع وإجلال وخشية وتضرع لله تعالى كان أول ما يكون على التوفيق ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾.

٤٦ ـ بقدر ما تعفّر وجهك في التراب تضيء لك مصابيح السماء ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ هنا في هذا الموطن بالذات أدركت سر القيام الطويل الذي كان يقومه ﷺ في ساعات الليل حتى تفطرت قدماه.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ القَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

التفسير

• ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ أنزلنا القرآن الكريم في هذه الليلة، وذلك مبتدأ النزول كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وهي هذه الليلة ليلة القدر من شهر رمضان.

• ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾ تعظيماً لشأنها.

• ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ أي أن العبادة فيها أفضل من عبادة ألف شهر فيما سواها، وهي ما يعادل ثلاثاً وثمانين سنة وثلث العام.

• ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ يكثر تنزُّل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والروح جبريل، وإنما نص الله تعالى عليه هنا

لشرفه وفضله ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ بأمره وإذنه الكوني ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٍ﴾ بكل أمر يأمرهم الله تعالى به من الخير والرحمة والبركة والفضل

• ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ سالمة من الآفات والشرور، جالبة للخيرات والبركات والأمن حتى يطلع فجر ذلك اليوم.



١ ـ ثمة صلة كبرى بين القرآن ورمضان، وبين القرآن وليلة القدر منه على ذات الخصوص ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ وهذه الصلة تستوجب عناية الإنسان بالقرآن في هذا الشهر، وهو هدي نبينا ﷺ، فقد كان يدارسه جبريل بالقرآن في رمضان من كل عام، ودارسه في العام الذي توفي فيه مرتين.

٢ ـ تعظيم القرآن وإجلاله حق على كل مؤمن، ذلك لأنه كلام الله تعالى، ووحيه إلى هذه الأمة، و ﴿إِنَّآ﴾ في بداية السورة، وإسناد الإنزال إليه تعالى دليل على تفخيم شأنه، وتعظيم أمره، وجلالة قدره، وقد اجتمع لإجلاله أن الله تعالى هو المنزِل، وجبريل هو الواسطة، ومحمد ﷺ هو المتلقّي، والليلة التي نزل فيها ليلة القدر ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾.

٣ ـ تشريف الله تعالى لنبيه ﷺ لأنه هو الذي تلقّى وحيه تعالى في ليلة كريمة عظيمة الشأن، وقام به ﷺ في العالمين على أتم وجه وأكمل حال ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾.

٤ ـ عظمة ليلة القدر وشرفها الكبير تقرأ هذا المعنى في هذا الاستفهام ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ فإذا ما جاء في خاتمتها هذا الإجلال ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ وتكرار اسمها صريحاً ثلاث مرات في السورة، وتنزُّل الملائكة فيها وجعل للعمل فيها

مزية آذن ذلك بشرفها الكبير، وإن ليلة تصل فيها العبادة إلى ثلاث وثمانين سنة وبضعة أشهر لهي حقيقة بالإجلال والعمل والاستثمار، والله المستعان!

٥ ـ سميت ليلة القدر بهذا الاسم؛ إما لعظم قدرها وشرفها ومكانتها عند الله تعالى، وإما لأنها تقدَّر فيها الأشياء، فتنقل فيها آجال السنة من اللوح المحفوظ في هذه الليلة المباركة، أو لكلا الأمرين ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾.

٦ ـ الزمان ظرف للعمل، ولم يعظِّم الله تعالى مكاناً، ولا زماناً إلا لما فيه من آثار العمل الصالح، وإن ليلة واحدة يصل العمل فيها إلى أن يكون بمثابة عمر إنسان من المعمرين في الأرض لهي حقيقة بالإجلال والتعظيم ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾.

٧ ـ يسر هذا الشريعة، فليلة واحدة في العام كله يأتي منها الإنسان على أحلام ثلاث وثمانين سنة وبضعة أشهر من العمل، وهي في شهر واحد، وفي العشر منه، وفي الأوتار بالذات ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾.

٨ ـ جمال وإبداع أسلوب القرآن الكريم في الدعوة، ترى هذا في الإغراء الكبير بالعمل، وحشد هذه الخيرات المترتبة على شهود هذه الليلة من عمر إنسان ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾.

٩ ـ رحمة الله تعالى بالإنسان يحضه على العمل، ويقرِّب له الخيرات، ويعينه على استدراك الزمان الفارط منه ببعض الأعمال، وتقريب مسافة العوض، وكل هذا من كمال رحمته وسعة فضله ورزقه ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾.

١٠ ـ في السورة احتفاء بكتاب الله تعالى حيث أُنزل في ليلة القدر، ومعنى إنزاله في ليلة القدر إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في تلك الليلة، ثم نزل مفرَّقاً بعد ذلك حسب الوقائع ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾.

١١ ـ الأوقات المصروفة في تعلُّم كتاب الله تعالى، وتعليمه، وتلاوته، والعمل به من أفضل الأوقات وأجلها سواء في شهر رمضان أو في ليلة القدر منه بالذات، أو فيما عداها من أوقات ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾.

١٢ ـ في خاتمة السورة دعوة إلى إجلال هذه الليلة، والاجتهاد فيها بالعمل ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ وإن ليلة تخطو فيها الملائكة مع الناس في الأرض، وتسير في المكان ذاته لهي ليلة حرية بالعمل والاجتهاد.

١٣ ـ في السورة دعوة إلى تعظيم وإجلال مواسم الخيرات والطاعات التي ورد فضلها من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾.

١٤ ـ في إخفاء هذه الليلة عن العلم دعوة للمنافسة في الخيرات، والمكاثرة في العمل الصالح، والاجتهاد في الطاعات إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ وصفها ولم يخبر بوقتها وزمنها من العشر.

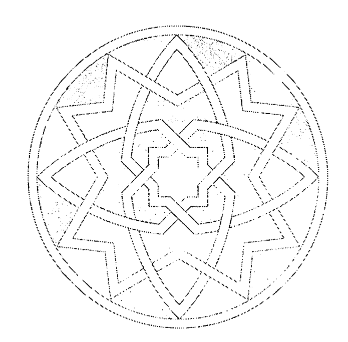
١٥ ـ جمال هذه الشريعة وتكاملها؛ حيث جمعت بين تقريب مساحة العمل لليلة القدر، في شهر واحد من السنة، وفي العشر الأواخر منه، وفي الأوتار بالذات،

وبقيت مخفية تحتاج إلى تحرٍّ، وترقُّب، وعمــل، واجتهاد ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾.

١٦ ـ شؤم الخصام والتنازع وسوء أثره على الأمة، فقد خرج النبي ﷺ ليخبر بزمن هذه الليلة فتلاحى رجلان فرفع خبرها، فانظر كـم حرمت الأمة من فضل كبير بسبب خصومة!

١٧ ـ كثيرة هذه الخصومة في واقع المســلمين اليوم، تراهــا في بيوت كثير من المسلمين وبين الإخوة، وأخذت حظها من الجيران والأرحام، ثم امتدت إلى أن كونت فرقاً وأحزاباً وجماعات. وما حاجة الأمة اليوم إلى اجتماع الكلمة وائتلاف الرأي ووحدة الكلمة، بدءاً من أنفســنا ومن خلال بيوتنا وجيراننا وأرحامنا، ثم إلى كل مساحة يمكن أن نكتب فيها حظاً من هذا المعنى الكبير.





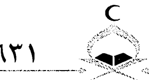
سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

التفسير

- ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ اليهود والنصارى ﴿ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ من عبدة الأوثان والنيران وما شاكلهم ﴿مُنفَكِّينَ﴾ منتهين زائلين عن كفرهم وضلالهم حتى يبعث إليهم رسول الله ﷺ، وهذا حكاية عن قولهم الذي



كانوا يرددونه، أنهم لـــن ينتهوا ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١﴾ حتى يبعث النبي الموعود في التوراة والإنجيل.

- ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢﴾ صحفاً: جمع صحيفة، وهي ما يكتب فيه من القرآن الكريم.
- ﴿فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣﴾ مكتوبات قيّمة مستقيمة لا عوج فيها لما فيها من الحق والبرهان البيّن الواضح.
- ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝٤﴾ من بعد ما جاءتهم البينات والحجج الواضحة على هذا الدين تفرقوا واختلفوا؛ فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ومن ذلك إيمانهم برسول الله ﷺ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ وما أُمر هؤلاء الكفار في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ يوحّدوه ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ قاصدين بجميـــع عباداتهم الظاهرة والباطنـــة وجه الله، وطلب الزلفى لديه ﴿حُنَفَآءَ﴾ معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ وإنما خص الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلتان في قوله: ﴿لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ لفضلهما وشـــرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين.
- ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ التوحيد والإخلاص فـــي الدين هو دِينُ الْقَيِّمَةِ أي: الدين المســـتقيم، الموصل إلـــى جنات النعيم، وما ســـواه فطرق موصلة إلى الجحيم.
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ لا يخرجون منها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦﴾ شر الخليقة.
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾.

التَّدَبُّر

١ ـ شدة تمسُّك الكافرين بعقائدهم ومبادئهم مع وضوح الحق لهم ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ وإن كانت الآية هنا تبين أن تمسكهم ينتهي بوصول البينة إليهم إلا أن في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ ما يبين لك عن هذا الأصل في نفوسهم، وعدم قبولهم الحق مع إتيان الحجج والبينات، وهذا وإن كان أصلاً فيهم إلا أن في بعض أفرادهم من يكون بخلاف ذلك. وهذا المعنى يوجب على المصلحين أن يستعدوا لدعوتهم، وأن يأخذوا بكافة الطرق والسبل الممكنة في إقناعهم للطريق.

٢ ـ أثر الإلف والعادة على الإنسان. فإن هذا التمسك والإصرار على الباطل نتيجة لإلفهم له، والزمن الطويل الذي قطعوه كفيل بالوقوف أمام كل شيء جديد. وهذا شيء طبيعي في حياتنا كلها، فإن الشيء الذي تستمر معه طويلاً وتألفه يصعب التخلّص منه، وتقع أسيراً فيه مع كل الدلائل المثبتة لأثره السلبي في حياتك، وتحتاج إلى زمن طويل حتى تقتلعه ويصبح شيئاً لا أثر له في واقعك. وعلينا ونحن نتعامل مع الآخرين أن ندرك أثر هذا المعنى في حياتهم، وألا ننتظر منهم إجابة عاجلة في كل دعوة، وإنما نعطيهم من الوقت ما يكفي لزوال أثر هذه العادات ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾.

٣ ـ يجب أن نحاكم عاداتنا إلى الحق، وأن تكون البينات الصادقة والحجج الدامغة فاصلاً في كثير من هذه العادات. إن الشيء البيّن يكفي لدحض الوهم، والتصورات الخاطئة. وعلى كل واحد فينا أن يحاكم عاداته وأفكاره وتصوراته إلى الوحي، فما كان منها صحيحاً أمضاه، وما كان خلاف ذلك غيَّره وبدَّله، وفي

قول الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ ما يشير إلى هذا المعنى ويؤكّده.

٤ ـ الحق بيِّن واضح لا يحتاج إلا إلى قلب صالح يتقبله، ورجل صادق يأتي إليه ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ كم من منقاد لهذا الوحي جاءت به آية! وكم من معرض تلي عليه القرآن كله وما زال مصراً على الغواية!

٥ ـ صدق رسالة رسول الله ﷺ، وأن كل شيء جاء به ﷺ فهو من عند الله تعالى، وليس له من ذلك شيء ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾.

٦ ـ النبي ﷺ، وسنته بعد وفاته من أعظم البينات، وما زالت هذه الحقيقة تسري في العالمين إلى هذه اللحظة. إن الزمن يتقدم في صورة مذهلة وغير مسبوقة، ومع كل ذلك تزيد السنة جلاءً ووضوحاً في الواقع، ولم يتعارض هذا العلم مع إمكاناته مع سنة النبي ﷺ في شيء، وإنما يأتي مقرراً لها، مبيناً عن صدقها، مكتشفاً لحقيقتها، وأثرها الواقعي في الحياة ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾.

٧ ـ فرق كبير بين كتاب الله تعالى المطهر، المصون من التحريف والتبديل، وبين صحف أهل الكتاب من التوراة والإنجيل التي اعتراها كثير من التغيير، وفي قول الله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾ وصف لهذا القرآن بالطهر، وخلوه من كل ما يعارض هذا المعنى، وفيه إشارة من جانب آخر إلى ما وقع أو يقع من تحريف وتبديل في كتب أهل الكتاب.

٨ ـ (الوحي) أعظم البينات والحجج التي يجب أن يتحاكم إليها الناس، وكل بيّنة وحجة غير هذا الوحي فهي وهم لا حقيقة له ولا أثر له في البيان إلا بقدر صلته بهذا الشأن ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢﴾.

٩ ـ سوء القصد نقص في حياة كل فرد أو جماعة. إن هؤلاء تفرقوا في الوقت الذي بانت لهم الحجج ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ وهذا يدلك على سوء نيتهم ومقصدهم. وكم من عمل وقف سوء النية والمقصد حائلاً دون نجاحه.

١٠ ـ فهم عقلية المخاطبين وخلفياتهم الفكرية مهم في إيصال الرسالة، ولعل في تكرار (البينة) في هذه السورة إشارة إلى حاجة هؤلاء المخاطبين إلى الحجة والدليل والبرهان أشد من حاجتهم إلى التذكير. وقد جمعت السورة بين الخطاب العقلي والخطاب العاطفي، والداعية أحوج ما يكون إلى فقه هذا المنهج، والاستفادة منه في إدارة الحوار والنقاش، أو الكلمة والخطبة ونحو ذلك.

١١ ـ التفرق والاختلاف من أخطر الأمراض التي تصاب بها الأسر، والمجتمعات والأمم، وما وقع هذا المرض إلا أورث فشلاً، وخلّف نزاعاً وشقاقاً وتحاسداً وتباغضاً، وفي التعريض به في حال أهل الكتاب دعوة لتجنبه والبعد عن أسبابه ومكوناته ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾.

١٢ ـ الأصل في العلم أنه يجمع الكلمة، ويؤلِّف بين قلوب الناس، ويزيدهم وعياً بأثر الخلاف فيما بينهم، فإذا ما كان العلم هو سبب الفرقة، والاختلاف، وحصول النزاع والشقاق كان ذلك من أعظم الأدلة على سوء أثره وعدم صلاحيته، وفي قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ إشارة إلى سوء ذلك العلم في حياة أصحابه. وفي واقعنا اليوم بعض العلوم التي تكرّس هذه المفاهيم وتوسّع في أثرها، وتخلق نوعاً من التحزبات. والعاقل أوعى من أن يكون بوقاً باسم العلم، ولا حظ له منه سوى اسمه. والله المستعان!

١٣ ـ كل تحزُّب لشـيخ أو جماعة أو منهج فهو عالة علـى العلم، وحرب عليه، ونَفَسُ سـوء فيه، وهي فجاج الطريق إلى الخـلاف ﴿ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾.

١٤ ـ عبادة الله تعالى القائمة على جذر الإخلاص والخالصة من نوازع الشـرك، أعظم ما أمر الله تعالى به عبـاده ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾.

١٥ ـ وصف كل إنســان، أو أمة بما هم عليه منهج حق ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ والدعوات التي تنأى بالأشياء عن مسمياتها الحقيقية دعوات ضالة عن الطريق، لا حظ لها في الحق.

١٦ ـ أهل الكتاب كفرة بنص كتـاب الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ وما من أمة كانت على كتاب إلا لزمها وجوباً الإيمان بمحمـد ﷺ، وبما يدعو إليه من حق، وإلا صارت ضالة كافرة لا علاقة لها بالإسلام في شيء.

١٧ ـ الكفار أعظم الناس شراً، وأكثرهم بلاء في الواقع! وما أنت آت على وصف أصدق من وصف خالقهـم لهم، فلا كرامة فـي الدنيا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ ولا عاقبة حسنة في الآخرة ﴿ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ وأي خير ينتظر من أمة هذا وصفها في كتاب ربها تعالى.

١٨ ـ لا قيمة لكل معاني الحياة التي يعيشها الكافر! وأي قيمة لمباهج لا تملك لصاحبها الطمأنينة التي ينشدها، والحياة التي يأملها، وهو في الآخرة من وقود

السعير! ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾.

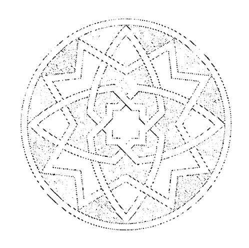
١٩ ـ دناءة هذه الحياة وقصرها، فهي لم تملّك أهلها شيئاً، وتفضي بهم إلى الزوال، كم هي أجيال الكفر التي تستمتع بها، ثم في النهاية إلى عذاب الجحيم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾.

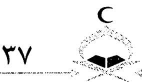
٢٠ ـ الإيمان أعظم مباهج الحياة كلها! يكفي أهل الإيمان هذا الوصف الشجي من ربهم تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾.

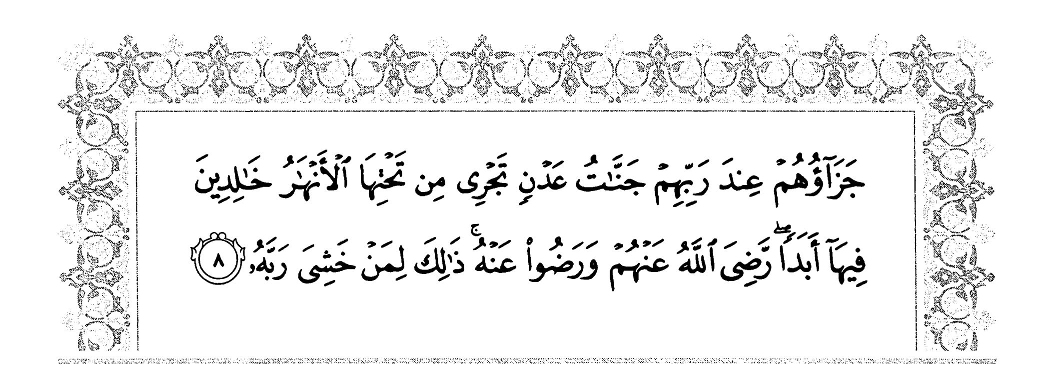
٢١ ـ دعوى الإيمان المجردة من العمل لا حقيقة لها في دين الله تعالى، فلا تستطيع أن تظفر بمدح لأهل الإيمان إلا وهو متبوع بأثره وفضيلته وحقيقته في الحياة (العمل الصالح) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾.

٢٢ ـ لا تستمد التصورات الكبرى للحياة إلا من خلال الوحي، وكل تصور لا ينبني على الوحي، فهو خدعة لعقول الناس، وكذب عليهم وافتراء على التاريخ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾.



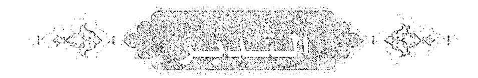






التفسير

• ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ بلا انقطـاع ولا انفصال ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بما أطاعـوه في الدنيا وخلصوا من عقابه ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ فيما منحهم من النعيم المقيم والفضل العميم ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ هذا الفضل والجزاء والرضا حاصل لمن خاف الله تعالى وخشيه واتقاه حق تقواه.



١ ـ ما أكثر أثر الرؤية على نجاح الأعمال الكبيرة في النهايات ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ حين تكون الرؤية مغرية تأتي الأعمال على قدر ذلك الإغراء! إن العامل يكدح، ويتعب، ويبني، ويصبر على كل المشاق على أمل تلك النهايات. وكذلك كل مشروع في حياة إنسان، أو مؤسسة، أو مجتمع، أو أمة حين تنصب له رؤية كبيرة الآمال تأتي الأحلام به واقعاً مشاهداً في الحياة.

٢ ـ أثر الرؤية وحجمها في التأثير مبني على قدر وضوحها، وإمكان تحقيقها، ولم يلق الإنسان رؤية هي أشد إغراءً من نعيم الجنان في ذلك اليوم ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾.

٣ ـ لا يجلب رضا الله تعالى ما يجلبه الإيمان والعمل الصالح! وكلما أوعب الإنسان في العمل، وصدق في الإقبال زادت مساحة الرضا عنه ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾.

٤ ـ ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ هنا ليست حرفاً مكتوباً، بل حقيقة يُدفع من أجلها كل شيء.

٥ ـ ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ سبب لتلك النتائج التي بلغوها. وما قامت في قلب إنسان إلا تركت أثراً كبيراً من نتائج التوفيق. وعلى قدر ساق هذا المعنى تجنى الثمار.

٦ ـ ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ سبب في كثير من أحداث التوفيق التي ينالها الإنسان في حياته.

٧ ـ ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ حاجز عن كثير من الدنايا التي تعرض للإنسان في واقعه.

٨ ـ ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ إذا وُجِدَتْ في واقع إنسان أهاضت عليه الحياة، وكانت وراء كثير من النعيم الذي يلقاه في الطريق.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

التفسير

- ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ حُرّكت من أصلها.

- ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾ ألقت ما فيها من الموتى.

- ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾﴾ استنكر أمرها، بعد ما كانت قَارَّةً ساكنة انقلب حالها فصارت متحركة مضطربة.

- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ تحدث بما عمل العاملون على ظهرها.

- ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ أذن لها بهذا الحديث وتلك الأخبار.

• ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ من مواقف القيامة ﴿أَشْتَاتًا﴾ فرقاً وأصنافاً ما بين شقي وسعيد ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾ ليريهم الله تعالى أعمالهم وجزاءهم.

• ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ المثقال وزن ذرة، وهي صغار النمل يراه يوم القيامة مبالغة في جزاء الخير والشر.



التدبر

١ ـ (الزلزال) من أعظم الأحداث التي تصيب الأرض، وإلى تاريخ هذه اللحظة لم يجد أهل العلم وسائل وقائية لدفعه، وما زالوا يقفون أمام هذا الحادث مستسلمين لقدرة الله تعالى، وهو آية من آيات الله تعالى في آخر الزمان ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾.

٢ ـ لو فطن قارئ هذه السورة إلى ما فيها لما ترك مساحة ممكنة من فعل الخيرات، وقد فقه محمد بن كعب هذا المعنى فقال: (لئن أقرأ في ليلة حتى أصبح (إذا زلزلت) أتردد وأتفكر فيهما أحب إليَّ من أن أهذَّ القرآن هذّاً) ما أكثر ما نردد سورة الزلزلة وما أقل ما نفقه فيها من معنى! كم من فائت يستحق العتبى! وكم من تفريط يستوجب البكاء! ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾.

٣ ـ ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ سؤال ذعر وهول واستغراب وفجيعة، وليس سؤال استعلام، الحدث أكبر من يأتي عليه سؤال بارد كهذا.

٤ ـ لا حدود للغفلة! وإذا استعمرت إنساناً لم تبق له عقلاً، ألا ترى لحديث السائل هنا ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ مع أنه في وجه الأحداث. ما أكثر من يستقبل فجر يومه لا يدري ما يصنع فيه، ويأتي ظلام الليل وقد بلغ منتهاه في الفوضى وهو لا يشعر!

٥ ـ كم من أحداث كبرى تنتظر الخلق! هذه القبور الساكنة، والأرض الهامدة، والأشلاء الممزقة من سنين طوال تعود حية، وتبدأ رحلة الحساب من جديد! ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**تَقِيءُ الأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قَتَلْتُ. وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي. وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً**».

٦ ـ المسؤولية الكبرى للإنسان بين يدي الله تعالى يوم القيامة، يصوِّر هذا المعنى حديث الأرض عن أخبارها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ كل ما وقع عليها ستنطق به خبراً، وتشهد عليه حديثاً، وهذا السكون الذي تراه اليوم يتحول غداً إلى حوادث شاهدة ماثلة في مواقف العرصات.

٧ ـ من فقهك وكمال وعيك وتوفيقك إذا وصلت إلى أرض أن تكاثرها بالخيرات، وألا يكون لك فيها موقف سوء ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ وإذا كانت الأرض ستتحدّث يوم القيامة عن كل مشهد صار عليها فمن توفيقك أن تكتب حظك من كل مساحة تكون فيها مع الأيام.

٨ ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ رسالة فأل لكل صاحب مشروع وفكرة حية، ونية صالحة بأن كل عملك وجهدك التي ثارت بها غبار قدمك مع الأيام ستأتي ضمن حديث الأرض شاهدةً لك بالخيرات.

٩ ـ كل موقف أقمت فيه حقاً، وأعلنت فيه فكرة حية، ورسمت فيه منهجاً للقيم ووقعت فيه خطاباً للفضيلة،، ودعمت فيه رأياً خيّراً فقد استكثرت من شهودك بين يدي الله تعالى. وفي المقابل كل مساحة سوء ستأتي شاهدة بالحسرات ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾.

١٠ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ تتحدَّث بأسرار سفرك، وخلواتك، ومشاهد عينك، وحديث لسانك، وكل شيء جرى في أيام الخلوات.

١١ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ تفشي أسباب توقيعك على معاملة في الظلام، ومكالماتك التي تتخفَّى بها عن رفاق الدرب والخلان، وأحاديث ليلك التي حاولت أن تدسها في عتمة الظلام.

١٢ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ صور جوالك، ولحظات خيانتك، ودقائق فسادك، وكل مشاهد الرذيلة التي كانت يوماً في مساحة من الأرض.

١٣ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ القرارات التي كتبتها، ووقعتها، وعارضت بها دينك، ووقفت بها أمام الفضيلة في موقعك.

١٤ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ عن المظلومين، والمسجونين، والمطرودين من ساحات العدالة إلى ساحات الظلم.

١٥ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ عن الشهادة التي أدليت بها زوراً، والأيمان التي حلفتها كذباً، والمواقف التي زورتها من خلال موقعك.

١٦ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ أخبار التقارير التي خرجت بها من سؤال الناس كذباً وزوراً، واستقبلت بها موارد الظلام.

١٧ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾ فتحصي جهدك وأثرك وعملك الذي كنت تمده في سبيل دينك ورسالتك.

١٨ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾ الكلمة الطيبة، والرسالة الإيجابية، ومواقف التفاؤل، وأحاديث الأمل، وساعات السفر والغربة في سبيل دينك وهموم أمتك.

١٩ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾ حتى البسمة لإسعاد الآخرين، والكلمة للإصلاح بين المتخاصمين، والخطوة التي تعين بها محتاجاً أو مسكيناً، والصدقة التي تفك بها كروب المعدمين.

٢٠ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾ ليلة لقائك بأمك، وعون أبيك، وصلة رحمك، وأحاديث الجيران، ولقاء الصحب والخلان.

٢١ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾ كل شيء، وفي أي مكان، وفي أي زمان، وتحت أي ظرف.

٢٢ ـ لا تحتقر عملاً في الخيرات، فكم من يسير يأتي فارجاً للكرب، ومخرجاً من لحظات الضيق ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾ ولا تحتقر في المقابل عملاً سيئاً، فكم من يسير أورث ذلاً في النهايات ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾.

٢٣ ـ إذا لوّثت مساحة أرض بالخطيئة، فإياك أن تبرحها حتى تمد فيها بالصالحات ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾.

٢٤ ـ استحب بعض أهل العلم تغيير موضع النافلة عن الفريضة لهذا المعنى في قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾ وفي سنن ابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ـ وصححه الألباني ـ قال النبي ﷺ: «**لا يصلي الإمام في مقامه الذي صلى**

فيه المكتوبة حتى يتنحّى عنه»، وله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**أيعجز أحدكم إذا صلى أن يتقدم أو يتأخر أو عن يمينه أو عن شماله**» والله تعالى أعلم.

٢٥ ـ تعدد الشهود يوم القيامة، وكم من شاهد ينتظر دوره في البلاغ! هذه الأرض تضج بأخبارها ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ والجوارح تقف شاهدة على خطيئة أصحابها ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يسٓ: ٦٥] والملائكة ثالث الشهود، وما من شيء يضيع، والفَطِن من استدرك زمانه قبل الفوات.

٢٦ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ هـذا صدور القوم فعلام يردون! كم من مغبوط برؤية عمله ومشروعه ورسالته! وكم من متحسّر على فوات الأرباح!

٢٧ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ يصدرون ليروا تاريخهم الذي خلفوه، ونتائجهم التي حققوها، وبشائر الفرح، وأحداث الحزن التي كفنوها في صحف الأعمال.

٢٨ ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ كم من منتظر لهذه اللحظة! وكم فار منها وقد آن أوان اللقاء!

٢٩ ـ كم من ليلة عاد فيها إلى بيته مجهداً من مشروعه وهدفه ورسالته وها هو يصدر لرؤيتها ومشاهدة لذتها ونعيمها! وكم من ليلة عاد فيها إلى بيته مجهداً من مواقع الرذيلة، وساحات الأخطاء وها هو يصدر لرؤيتها ومعاينة بؤسها وألمها ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾.

٣٠ ـ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ دعوة لاستثمار الفرص العارضة، وصناعة حكايات النجاح من خلالها.

٣١ ـ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ إذا كان هذا في مثاقيل الذر فأين المكاثرين في الخيرات!

٣٢ ـ إذا استطعت أن تشارك في تأسيس عمل خيري أو إنشاء وقف لدينك فإياك أن تفوتك فرص البدايات ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾.

٣٣ ـ لا تتبرم من طلب الآخرين لك، احتاجوك اليوم وستحتاج لأثر هذا الطلب في يوم المثاقيل ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾.

٣٤ ـ المثقال يؤول في النهايات إلى مثاقيل ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ فاجهد غاية وسعك، واكتب حظك من العمل قدر استطاعتك، ولا تتخلّف عن الفضائل في مساحة من الحياة.

٣٥ ـ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ في مثل هذه المساحة لا تسل عن نوع العمل ولا كثرته! امنحه وقتك وسيأتيك شاخصاً في يوم الحاجات مبهجاً في موازين الحسنات.

٣٦ ـ وقف في الطريق ليركب واقفاً، وأخذ بيد أعمى لحافة الطريق، وسعى في تزويج محتاجين، وأصلح بين متخاصمين، وأخذ عوداً ساقطاً في وسط الطريق، وفي كل مرة يقول لنفسه حاضاً: لعل يوماً نرى فيه هذه المثاقيل ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾.

٣٧ ـ يذهب للمسجد في باكر الوقت، ويصلي ما شاء الله تعالى، ويتلو من كتاب ربه ما تيسر، وما يزال مرابطاً من سنوات، وكل ذلك وعي بأيام المثاقيل ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾.

٣٨ ـ ليأتينّ يوم ترى فيه حتى كتابة إعلان الدرس، وتعليقه، وإعادة نشره في وسائل التواصل، ودعوة الناس إليه ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾.

٣٩ ـ مهارتك التي فتح الله تعالى بها عليك يمكن أن تجمع بها من مثاقيل ذلك اليوم ما تكون به سبباً في النجاة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾.

٤٠ ـ ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ في أي مساحة من أرض وساعة من زمن. غداً تقف ماثلة للشهود.

٤١ ـ لو أن هيئات مكافحة الفساد جهدت في تعميق هذا المعنى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ وبيان أثره بشتى الوسائل، فقد تبلغ مناها وأهدافها من أقرب طريق.

٤٢ ـ الظلام لا يحمي سارقاً، ولا يستر مفسداً، ولا يقف في وجوه العابثين! حسبهم ذلك اليوم ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾.

٤٣ ـ هم لا يأكلون مثاقيل الذر فحسب، وإنما يهدمون ميزانيات دول، فما لهم وللعذاب! ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾.

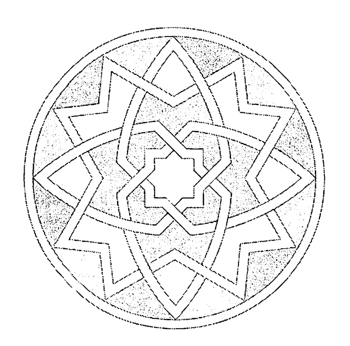
٤٤ ـ الذين يقتّلون الأبرياء، ويسترخصون الدماء، ويثيرون الفتن أما تعظهم هذه الآيات! ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾.

٤٥ ـ حتى الكلمة التي تشتم بها عاملاً، أو تثير بها فتنة، أو تلقي بها في وجه مكلوم ستأتي ضمن تلك المثاقيل ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾.

٤٦ ـ الجزاء من جنس العمل! وكل من عمل عملاً فهو لاقٍ جزاءه بين يدي الله تعالى، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۞ ﴾.

٤٧ ـ تقرر السورة ضرورة العناية بالسلطة الإيمانية، وأثرها في النفوس. إن النفوس حين تخلو من هذه الزواجر تسطو على كل شيء ولا تبالي، مهما كانت السلطة الرقابية شديدة، وتعجز كل النظم التي يسنها البشر في الوقوف أمام جبروت الإنسان وفجوره، وتأتي الموعظة الإيمانية فتعيد ترتيب الإنسان وتقومه في الحياة من جديد ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۞ ﴾.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ العَادِيَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

التفسير

- ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾﴾ الضبح: هو صوت الخيل حين تعدو، وهذا قسم بخيل الغزاة حين تعدو نحو العدو.

- ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾﴾ التي توري النار بحوافرها، وذلك من شدة سعيها وقوتها.

- ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾﴾ التي تغير على العدو صباحــاً، وهذا في الغالب الأعم، وإلا قد تغير في غير ذلك الوقت.

• ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾﴾ بعدوهن وغارتهن تثير غباراً ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾ توسطت براكبهن جموع الأعداء التي أغارت عليهم.

• ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ لكفور بنعم الله تعالى، يكفر بها ولا يشكرها.

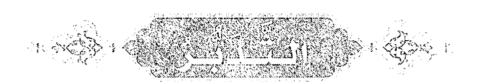
• ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾ أي الله تعالى يشهد على العبد لكفرانه بنعم الله تعالى، وقيل الضمير عائد على الإنسان يشهد على نفسه بعناده وكفره لله تعالى.

• ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ يحب المال حباً شديداً.

• ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾ ألا يعلم إذا أُخرج الأموات من قبورهم.

• ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾ ظهر وبان ما فيها.

• ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾ عالم بسرائرهم وضمائرهم، مُطَّلع على أعمالهم.



١ ـ ما أكثر أثر الخيل على أهلها في صدر الإسلام! ترى هذا في القسم بها في أعز مواقفها، وأكثرها أثراً في حياة الأمة ساحات المعارك، وكم من رقعة طوتها حافر خيل وصهيل جياد في تلك الأيام! ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾.

٢ ـ كل آلة، أو دابة إنما تنال حظها من الثناء على قدر دعمها لرسالة الإسلام، وإنما كانت الخيل حقيقة بهذا الاحتفاء؛ لأنها دابة الجهاد في الإسلام في صدر

الإسلام، ومعلم من معالم العز والشرف في تلك الأيام، ولا خيل أشرف من خيل المعارك، وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**مَنِ احْتَبَسَ فَرَساً فِي سَبِيلِ اللهِ إِيمَاناً بِاللهِ وَتَصْدِيقاً بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». وفي الطبراني من حديث سهل بن الحنظلية قال: قال ﷺ: «**إِنَّ الْمُنْفِقَ عَلَى الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَالْبَاسِطِ يَدَيْهِ بِالصَّدَقَةِ، وَلا يَقْبِضُهَا**». وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْراً وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ لأَهْلِ الإِسْلَامِ فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ وَكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٌ، وَلَا تَقْطَعُ طِوَلَهَا، فَاسْتَنَّتْ شَرَفاً أَوْ شَرَفَيْنِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ**» ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾.

٣ ـ كل فعل، أو جهد، أو مال، أو مشروع يقدمه الإنسان لدينه، ويمد به في مساحته فهو من الجهاد الذي يحبه الله تعالى، ويثني على صاحبه، وإذا كانت مشاركة دابة أوجبت لها هذا الإجلال، فكيف يجهد مسلم في ساحات الأرض من أجل الله تعالى!

٤ ـ الإنفاق في باب الجهاد، وتحصين المسلمين بآلات الحرب، ومدهم بما يمكنهم من التصدي لعدو من أعظم أوجه البر والقرب في سبيل الله تعالى ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾.

٥ ـ يحب الله تعالى الجهاد وأهله، ودوابه، وكل ما يتعلّق به، وهذا العرض لصور الخيل، وهي في ساحات المعارك دليل على حب الله تعالى لكل مظاهر الجهاد التي تعرض في الأرض، حتى إن رسول الله ﷺ أخبر أن من الخيلاء التي يحبها الله تعالى اختيال الرجل عند القتال ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾.

٦ ـ الجهاد مشروع بالنفس والمال، وهذا المعنى يتطلب بذلاً وعطاء، وطبيعة الإنسان المجبولة على الكنود لا تتوافق مع هذا، فيجد الإنسان عسراً كبيراً في فعل محبوبات الله تعالى، وإذا استطاع أن يتجاوز هذا الكنود، ويقدم محاب الله تعالى وطاعته على هوى نفسه دل على عظيم حظ الإيمان في حياته ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾.

٧ ـ أكثر ساحات المعارك التي تخوضها الأمة اليوم ساحات الأفكار والمفاهيم والنزال فيها يحتاج إلى رجال، والنصر فيها مؤذن بتوسّع مساحات الربيع، فكم من حرب قامت على فكرة، ووقفت من أجلها، وما مساحات الدماء المتدفقة والمشاهد المتكررة إلا من أجل تلك الأفكار. فأين أنتم يا حمال سرج الظلام؟!

٨ ـ للنجاح عادات تُمثِّلُها الخيل في ساحات المعركة، فكوَّنت هذه الصور المثيرة في واقعها: (المسارعة، والقوة، والمبادرة، والفاعلية، والقيادة والتأثير) وكل إنسان يمسك بعنان هذه العادات، ويتمثلها في واقعه تشرف به على مباهج النجاح ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾.

٩ ـ الناجحون عبارة عن مجموعة من العادات الإيجابية، والمخفقون في المقابل عبارة عن عادات سلبية، وكم من عادة أشرفت بصاحبها على مساحات الربيع!

وكم من عادة قعدت بصاحبها عن الخيرات! ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾.

١٠ ـ الأصل في الإنسان الجحود، ونكران نعم الله تعالى، ونسيان فضله، وهذا القسم الكبير من ربك تأكيد لهذه القضية المتأصلة في نفس كل إنسان ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: وهذا عارض يعرض لكل إنسان على تفاوتٍ فيه، ولا يسلم منه إلا الأنبياء وكُمَّل أهل الصلاح، لأنه عارض ينشأ عن إيثار المرء نفسه، وهو أمر في الجبلة لا تدفعه إلا المراقبة النفسية وتذكّرُ حق غيره. وبذلك قد يذهل أو ينسَى حق الله، والإنسان يحس بذلك من نفسه في خطراته، ويتوانى أو يغفل عن مقاومته لأنه يشتغل بإرضاء داعية نفسه والأنفس متفاوتة في تمكن هذا الخُلق منها، والعزائم متفاوتة في استطاعة مغالبته. اهـ وعلى العاقل أن يغالب هذا الطبع، ويرتفع عن هذا الخلق، ويجهد في تحقيق غايات الفالحين.

١١ ـ رأيت أناساً كأن الله تعالى لم يخلق فيهم هذا الطبع ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ جاوزوا القعود والخنوع، وذهبوا يخلِّدون في التاريخ ذكريات الكبار. ورأيت آخرين يلهجون لله تعالى بالثناء على ما أعطاهم وكأن هذا المعنى لم يخلق فيهم قط. وكذلك الكبار، وفي واقعك اليوم من هذا المعنى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ كُثر ناكرون لنعم الله تعالى، جاحدون لفضله، معترضون على قضائه.

١٢ ـ عند العقلاء كل جبِلَّةٍ تحتاج إلى مغالبة، وكل عادة سيئة قابلة للتغيير إذا وعى صاحبها واجبه تجاهها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾.

١٣ ـ كل إنسان يعرف أخطاءه، ويدركها، ويعرف كل ما يتعلَّق بتخلفه في الجملة وفي قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ ما يبين عن ذلك، وهي دعوة

أن يلتفت إليها، ويجهد في تسليط الضوء عليها، ومحاولة الخلاص والفكاك منها قدر الوسع.

١٤ ـ أثر العلم في كل مشروع، وأنه سبيل لفلاحه وكماله، وفي هذه الإشارة إلى طبع الإنسان ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ لفتة علمية مهمة لأصحاب المشاريع الدعوية والتربوية والاجتماعية أن يدركوا طبع الإنسان الذي يخاطبونه، وأن ثمة أخلاقاً جُبل عليها يجب أن تستوعب حتى تؤتي المشاريع حقها من التأثير.

١٥ ـ يجب ألا نحاصر الناس بأخطائهم، وتخلُّف أدوارهم، فإن جزءاً كبيراً من قصورهم ناشئ عن طبيعة وجبلة وخلقة من عند الله تعالى، وقد يتأخَّر الإنسان في علاج بعض الجوانب فيتخلَّف في الخير بقدر تخلُّف هذه المعاني في حياته، وعلينا أن نكشف للناس هذه النقائص، ونعينهم على سبل تخطيها وتجاوزها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾.

١٦ ـ المال من أعظم محبوبات الإنسان ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ وهذه جبلة ملازمة له ما بقي في الدنيا، وكم من ناقص من آثارها! وكم من متأخر عن مكارم الأخلاق من خلالها! جُبلت النفس على الفرح بالمال والتعلق به، وليس الشأن كم تجمع! وإنما الشأن أن تفتح به قلباً أغلف عن الحق، وتهدي به ضالاً في الطريق، وتفرج به هم أرملة بلا معين، وتسد به حاجة يتيم، وتدفع به في دروب الخير ومسالك الحق أجود ما تكون. وعلى مثل هذه المعاني يكبر القوم. والله المستعان!

١٧ ـ كلما ازداد إيمان الإنسان وتعلقه بالله تعالى قلّت في المقابل جوانب القصور والنقص في حياته، وبالعكس، وفي قول الله تعالى: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي

ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾ إشـارة إلى أنه لو كان يعي هذه الحقيقة لما تعلَّق بالمال لدرجة الحرمان. وفي ذكر حال الإنسان وما جبل عليه في حياته في بداية السورة، وتذكيره بمصيره وعاقبة أمره مناسبة لطيفة تدعو للتذكر والاعتبار قبل الفوات.

١٨ ـ كم من غريق في ساحات القيامة من أثر سوء قلبه! وكم من فرح بهيج بصلاح قلبه ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾ يمكنك أن تواري كل ما في صدرك من فساد لكن من يحول بينك وبين الفضائح في ساحات ذلك اليوم.

١٩ ـ صلاح الأعمال منوط بصلاح القلوب، وفي الحديث: «**وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله**» قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: فواجبات القلوب أشد وجوباً من واجبات الأبدان، وآكد منها، وكأنها ليست من واجبات الدين عند كثير من الناس، بل هي عندهم من باب الفضائل والمستحبات، فتراه يتحرَّج من ترك فرض أو من ترك واجب من واجبات الدين، وقد ترك ما هو أهم من واجبات القلوب وأفرضها، ويتحرج من فعل أدنى المحرمات وقد ارتكب من محرمات القلوب ما هو أشد تحريماً وأعظم إثماً. اهـ.

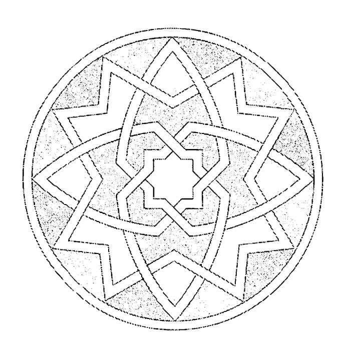
٢٠ ـ النية.. النية، فكم من عمل بهيج ضاع في زحام الرياء! ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾.

٢١ ـ يمكن أن نقنع من حولنا في الدنيا بضرورة الإخلاص، ونجيب عن كل التساؤلات المشككة في نقاء ذلك العمل لكن من يجيب عند بعثرة القبور عن تلك الصور التي زاحمها الرياء ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾.

٢٢ ـ كتب خطاباً ووقع أسفل منه، وكتب مذكرة وأشـار إلى اسمه، وشارك في رسالة ومشروع وذيله باسمه، ما لك ولرسوم الرياء! ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾.

٢٣ ـ في أيام التواصل الاجتماعي وانتشـار التصوير سـل الله تعالى أن لا يضيع عملك ويبدد جهودك في غير طريق ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

التفسير

- ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾ من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لأنها تقرع الناس وتزعجهم بأهوالها.

- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ تفخيم لشأنها وتعظيم لأمرها.

- ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ كالفراش المبثوث في الكثرة، والانتشار، والضعف، والذلة والاضطراب.

• ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ كالصوف المنفوش الذي أوشك على الذهاب والتمزّق.

• ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ موازين حسناته ورجحت على سيئاته.

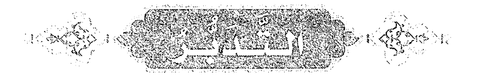
• ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ في الجنة.

• ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾ موازين حسناته ورجحت سيئاته على حسناته.

• ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ مأواه ومسكنه النار التي من أسمائها الهاوية، فتكون له بمنزلة الأم الملازمة له لأنه لا مأوى له غيرها. وقيل المعنى: فأم دماغه هاوية في النار، يلقى في النار على رأسه.

• ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠﴾ تعظيم لأمرها، وتهويل لشأنها.

• ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ شديدة الحرارة.



١ ـ ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ كم تحتاج هذه القوارع إلى إمعان! رأيت من يقرؤها كأنه يقرأ حرفاً مبتوراً عن معناه، ورأيت من يتدفق دمعه بمجرد قراءتها أو سماعها.

٢ ـ إذا أردت أن تعرف قدر هذا القسم ومعناه، فتأمل صوره وأحداثه التي تجري في ساحات القيامة ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ الناس كالجراد المنتشر في الأرض، والجبال كالصوف في رقتها وضعفها.

٣ ـ تخيَّل أنك ترى خلق الله تعالى منذ خُلق آدم إلى ذلك اليوم في موقف واحد يرقبون موعداً، وينتظرون جزاءً ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤﴾.

٤ ـ كم في هذه الأفواج من صاحب نعيم! وكم فيها من صاحب جحيم! كم فيها مَنْ كان ينتظر هذه اللحظات بشغف! وهذا موعد الجزاء، وكم فيها من مكذّب فجعته الأحداث ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤﴾.

٥ ـ إلى كل المكذبين، والمعرضين، والغافلين عن مشاهد هذا اليوم: هذه هي الحقائق كما ترون ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾.

٦ ـ ماذا يصنع أصحاب الشهوات في عرض هذه المشاهد التي تختطف الألباب وتطير بمكامن العقول! ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾.

٧ ـ وانتهت آماد الدنيا الطويلة، وبقيت الحقيقة رأي عين ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾.

٨ ـ هذه هي ساحات القصاص ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾ وعلى كل إنسان أن يدلي بحججه ومعاذيره عند السؤال.

٩ ـ الوعيد منهج قرآني، وأسلوب من أساليب الدعوة لكنه ليس بمعزول عن منهج الوعد، والقرآن وحدةٌ واحدةٌ وفي سور كثيرة وعد عريض بما أعد الله تعالى للمؤمنين المتقين ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾.

١٠ ـ التكرار أحد أساليب الإقناع، يأخذ منه السامع في البداية نسبة ضئيلة، ثم ما تلبث أن تزداد هذه النسبة وتتضاعف مع التكرار حتى تصل لأعلى نسبة

ممكنة. إن الخطاب الدعوي أياً كان سواء الموعظة في المسجد، أو خطبة الجمعة ينبغي أن يعنى بهذه اللفتة، وأن يؤكّد على مضامين المعنى الذي يريده بأكثر من طريق، وألا يذهب المقصود والهدف الكبير والمعنى المراد في مجموع الخطاب دون تأكيد.

١١ ـ فن الإلقاء، وطريقة الخطاب لها أثرها الكبير في إقناع السامع وإمتاعه، وينبغي أن يأخذ الموضوع قدره من الكلمة، والصوت، والحركة حتى يأتي ممتعاً مقنعاً لمن يصل إليه. إنك حين تقرأ قول الله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ تمتلىء أذنك من أثر صوت الكلمة وقرعها، وتأخذ حجماً كبيراً من الحركة في قلبك ومشاعرك وواقعك، وكذلك ينبغي أن يكون خطاب المصلحين.

١٢ ـ للأمثلة حظ كبير في تقريب أثر خطابك إلى أذهان السامعين، وهي وسيلة مهمة في إيصال الرسالة من أقرب طريق ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾.

١٣ ـ مواعظ القرآن كافية في إيصال الرسالة التي يريدها المصلحون، ولن يستقبل قلب موعظة أكثر عمقاً وأثراً من موعظة القرآن، وعلى الدعاة والمصلحين أن يعنوا بهذا الجانب حتى يجد حظه من قلوب السامعين ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾.

١٤ ـ يجب أن تقتصر الموعظة على كتاب الله تعالى، وما صح من سنة النبي ﷺ،

وألا تحملنا الشفقة على الناس في ابتكار قصص ضعيفة، وروايات باطلة لتخويف الناس وإعادتهم للحق، والمشاهد التي عرضتها السورة جزء من مشاهد ذلك اليوم، وقدر من تلك المساحة التي سيراها كل إنسان ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾.

١٥ ـ قيمة العمل وأثره في فوز الإنسان بين يدي الله تعالى يوم القيامة ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ إن الموازين لا تثقل يوم القيامة إلا بالعمل، وكم من ميزان خف لجهل صاحبه بهذا المعنى الكبير! وإذا نظرت في سير العباد إلى الله تعالى أدركت أن لكلٍّ حظٌ يوم القيامة من ثقل العمل وخفته.

١٦ ـ سوء عاقبة التفريط والتسويف، وما خف ميزان عبد يوم القيامة إلا من آثار ذلك! وكم من خاسر نادم تلظى قلبه الحسرات غداً بين يدي الله تعالى، وما ينفعه بعد الفوات شيء ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

١٧ ـ شدة عذاب النار، وسوء عاقبة أهلها، ومن أعطى هذه السورة قلبه ومشاعره أدرك كل حرف من هذا الوعيد، وعاد إليه بالخيرات قبل الفوات ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

١٨ ـ ما أبشع صور العذاب! يهوي في النار على رأسه سبعين خريفاً في الطريق إلى قعرها ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

١٩ ـ حق هذا الجسد المترف بالنعم التارك لحقوق الله تعالى أن يهوي على رأسه

إلى جهنَّم وبئس المصير ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ مشهد من مشاهد الخسارة في نهاية الحياة.

٢٠ ـ كل عقل لا يبلّغ صاحبه تلك الغايات التي أرادها الله تعالى حقه أن يرتكس في سواء الجحيم ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾.

٢١ ـ رأيتهم يفكرون، ويخططون، ويجهدون في إغواء العالمين عن الطريق! واليوم تدور دوائر الجزاء والحساب ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾.

٢٢ ـ مؤلم جداً يهبهم الله تعالى عقولاً ويستخدمونها في نشر الإلحاد، وروايات الفساد، والفسق والمجون، وينسون مواقف الجزاء والحساب ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾.

٢٣ ـ كم من عقول لم تسمع لداعي الله تعالى دارت عليها دوائر الحساب وسقطت على رؤوسها في حمأ الجحيم ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾.

٢٤ ـ أنت الذي تكيل في ميزانك، وأنت الذي تستوفيه في ذلك اليوم! ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾.

٢٥ ـ مَنْ فقهَ آيَ هذه السورة ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ استفرغَ وسعه في الصالحات، وباعد بينه وبين الموبقات.

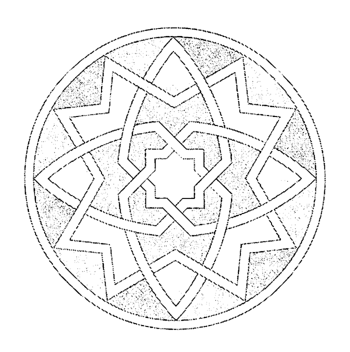
٢٦ ـ مرد علم الساعة إلى الله تعالى، وهذه السورة أشارت إلى بعض مشاهد ذلك اليوم وما فيه من أحداث، وتركت الحديث عن أجلها وموعدها لله تعالى ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾.

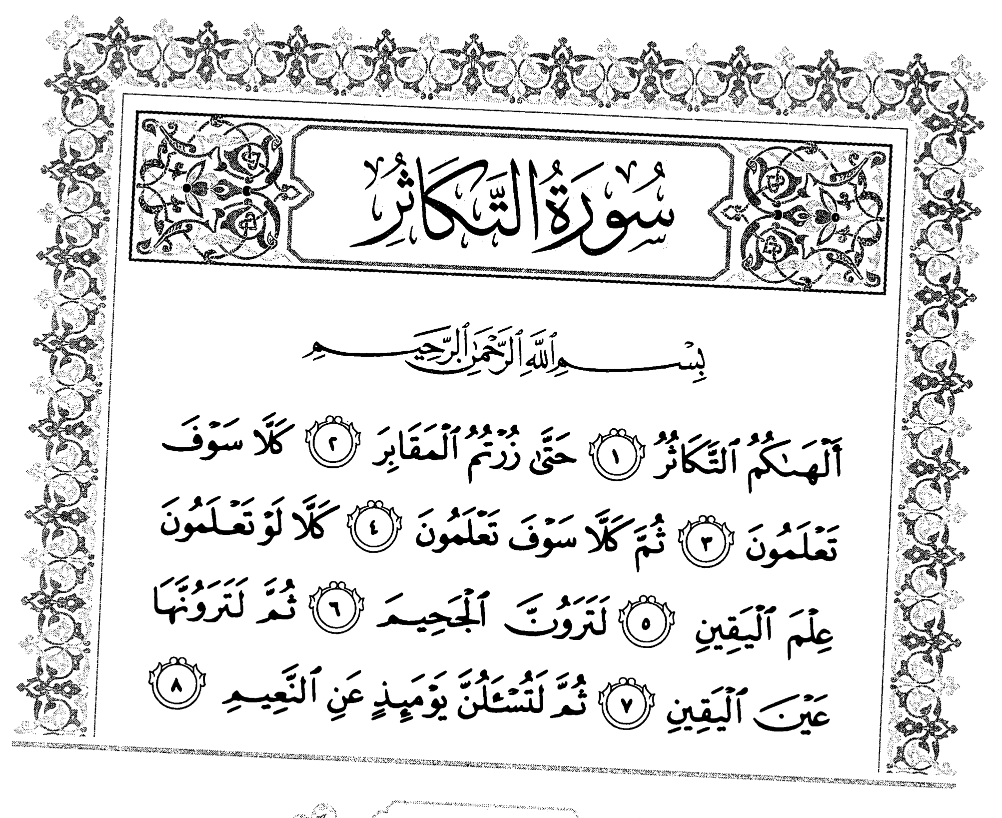
٢٧ ـ كل معرفة لا أثر لها في العمل فلا حاجة إليها؛ لأن السورة أشارت إلى بعض أحداث الساعة وتركت موعدها ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: «**مَتَى السَّاعَةُ؟**» قَالَ: «**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**». وهذا المعنى أصل ينبغي أن يمتد في حياتنا في ظل هذه المعارف التي تتدفَّق بصورة غير مسبوقة على واقعنا، وباتت ربما تحول بين الإنسان وبين غاياته الكبرى.

٢٨ ـ عدل الله تعالى، فإن ثقل الموازين وخفتها راجع لجهد الإنسان وعمله لا إلى شيء آخر ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ إن الجزاء والحساب لا تقدره مكانة أو منزلة، أو جنس، أو لون، وإنما يقدره العمل فحسب. وكل عاقل مسؤول اليوم عن تمدّد هذا المعنى في حياته بأقصى ما يمكن.

٢٩ ـ الخطاب الدعوي يجب أن يأخذ حقه من التنوّع، ولا يصبح قالباً واحداً في كل وهلة، ترى هذا في منهج القرآن وأسلوبه الدعوي بأوضح صورة، وتراه هنا في هذه السورة وهو يقصر صورة النعيم ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ على مشـهد واحد، ويمد في صورة الشـقاء في أكثر من صورة ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ ومن فقه أسـرار وأسـاليب القرآن تحقق له ما يريد في مشـروعه الدعوي.

❀ ❀ ❀



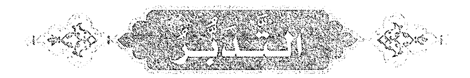


التفسير

- ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ أشغلكم التباهي بالدنيا وما فيها من نعيم زائل.
- ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ حتى هلكتم وصرتم من أصحابه.
- ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ وعيد عن الاشتغال بهذه المكاثرة، والمعنى ستعلمون مغبة ما أنتم عليه في ذلك اليوم.
- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾﴾ لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الآخرة والفوز بها دون غيرها بها ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾﴾ النار يوم القيامة رأي عين.

• ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧)﴾ تأكيد لهذه الرؤية.

• ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾ عن النعيـم الذي تنعمتم به في دار الدنيا، والسؤال عن أداء حق الله تعالى فيه من الشكر.



١ ـ الأصل أن يقتصد الإنسان من دنياه قدر الوسع، وأن يأخذ منها ما يبلّغه غايات الآخرة فحسب! إن الله تعالى يُعرّض عاتباً ولائماً على أولئك المكاثرين في أمر الدنيا على حساب آثار الآخرة ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)﴾.

٢ ـ يجنح طبع الناس إلى الكم في كثير من أفعالهم على حساب الكيف، فترى كثيرين يشـتغلون بجمع المال على حسـاب نقائه وصفائه من شوائب الحرام، ويجهدون في الحصـول على ذرية ولا ينشـغلون بتربيتهـم وإعدادهم للأمة، وتحوّلت المسألة العددية حتى في أذهان كثير من أهل الفضل والصلاح وطلاب العلم، فينشغلون بعدد وردهم من الصلاة والصيام والقرآن والذكر على حساب الكيف. والأصل أن يُعنى الإنسـان بالكيف، ويجهد في إتمام العمل، ويتحرّى صدقه وموافقته للسـنة، وعليه في المقابل أن يزيد في الكم بالقدر الذي يمكنه الجمع بين الفضيلتين ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)﴾.

٣ ـ جزء من مشكلاتنا المزمنة على مستويات كثيرة التركيز على الكم على حساب الكيف، وهو مرض أصاب الأمة في جزء كبير من مشـاريعها، وقل أن تجد من يلتفت إلى الكيف، وقوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)﴾ رسالة في ذم هذا السلوك، وتوجيه إلى تصحيح المسار.

٤ ـ (تصحيح التصورات) من القضايا الكبرى التـي ركَّز عليها القرآن، وأولاها عناية واهتماماً في كثير من قضايا الحياة. والعناية بالكم على حساب الكيف أحد التصورات الخاطئة التي شلّت جزءاً من أثر مشاريع الأمة وواقعيتها في كثير من الأحيان ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

٥ ـ غالباً ما يغيب مفهوم (إدارة الأولويات) وسـط العناية بكثرة الأعمال، وفي قول الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ ما يبين عن ذلك، فإن الكثرة في مجالٍ ما سبب في ضياع هذا المفهوم في مجالات أخرى.

٦ ـ مشـكلة المكاثرة أنها لا تقف بصحابها عند حد، وما تـزال به حتى يفجأه الموت، وتزيره القبور، وهو مشغول بها منهمك في تبعاتها مضيع لقضايا كبرى أهم وأولى ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

٧ ـ من الحرمان لإنسان أن يُحرم من النظر والتأمل في عمله، ومحاسبة نفسه قبل الفوات، وهذا العتاب واللوم في السـورة موجّه إلى قوم انشـغلوا بالتكاثر عن الحسـاب والنظر والتأمل حتى فاتوا من الحياة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

٨ ـ (التسويف) من أعظم الأخطار التي تواجهنا! وكم ظل هذا المرض يطارد قوماً حتى أوردهم المقابر دون استعداد ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

٩ ـ كتابة الوصية، وتنظيم أمورها، والعناية بالأوقاف، وإعطاء الناس حقوقهم أو تدوينها ضرورة تحض عليها السـورة من خـلال هذا العتـاب واللوم الموجه للمفرطين ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

١٠ ـ التخطيط، وإدارة الحياة للمسـتقبل من كمال عقلك وفقهك، واسـتثمارك لوقتك واسـتعدادك لرحلتك، فهؤلاء المكاثرون إنما سـاءت نهاياتهم لضعف التخطيط وإدارة مستقبل حياتهم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

١١ ـ التكاثر في الخير والعمل الصالح أمر محمود، وهو داخل ضمن المسارعة التي حث الله تعالى عليها، وفي الآية إشارة إلى ذم التكاثر الملهي عن الطريق، الصاد عن الحق، ومدح للمكاثرة التي توصل طريق الإنسان بالآخرة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

١٢ ـ الكثرة قد تكون سبباً وطريقاً للخذلان، وعلى كل من أوتي فضلاً من مال، أو علم، أو ولد أن يتقي الله تعالى فيها، وأن يدرك أنها ابتلاء واختبار من الله تعالى له، ويجهد في القيام بحقها ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

١٣ ـ شدة خطر النعمة على صاحبها! ألا ترى أن الله تعالى يهدّد المكاثرين بالنعم المنشغلين بها عن طاعة الله تعالى بقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ وكم ممن أنعم الله تعالى عليه بجاه وسلطان، أو مال، ومكانة وهو يصرفها في غير طريق، ويجهد بها في معارضة دين الله تعالى.

١٤ ـ تدحض السورة (الوهم) المستلقي في عقول هؤلاء الغافلين، فإن الذي أشغلهم عن الاستثمار الأخروي نوع من العلم الوهمي الذي خيّل لهم طول الحياة، أو نفع هذه الأموال، أو غير ذلك، وفي قول الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ ما يكشف عن حقيقة ذلك الوهم الذي عاشوه في حياتهم.

١٥ ـ القبر أول منازل الآخرة! والناس فيه ما بين مغبوط ومغبون! والأفراح والحسرات فيه على قدر كدح الإنسان وقعوده في عرض الدنيا ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

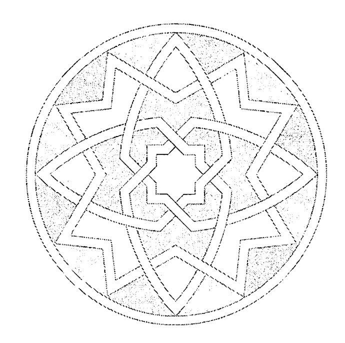
١٦ ـ شدة أهوال يوم القيامة ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ ولو عقل إنسان معنى هذا الوعيد أدرك ما بعده من حسرات، وبذل كل ما يملك للنجاة.

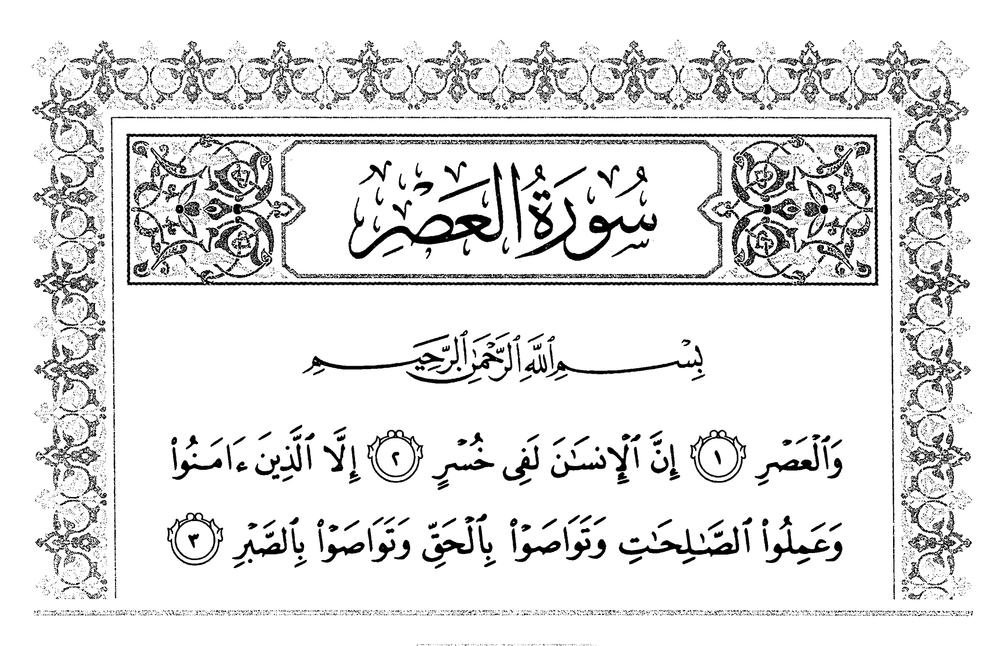
١٧ ـ شــدة عذاب جهنم! وفي قول الله تعالــى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ ما يدلك على آثار هذا العذاب في ذلــك اليوم. ومن فقهك وكمال وعيك أن تأخذ لهذا المعنى قدره من الاستعداد حتى ترد سالماً من التبعات يوم القيامة.

١٨ ـ كم من نعيم سيجري عليه سؤال الله تعالى يوم القيامة! ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ أياً كان هذا النعيم في مال، أو ولد، أو علم، أو فكر، أو جاه ومنصب، وعلى كل مؤمن أن يقوم بحقها من خــلال توظيفها في مصالح الأمة ومشاريعها حتى يأتي يوم القيامة مستكثراً من الخيرات متخفّفاً من سؤال التفريط.

١٩ ـ ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ ســؤالك هناك على قدر نعيمك هنا ومن توفيق الله تعالى لك أن تســتعمل كل نعيم آتاك الله تعالى في تحقيق مراده ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ ولو فطن كل واحد منا إلى هذه النعم في حياته ثم استثمرها في دعم منهج الله تعالى لجاء رابحاً في الدارين.

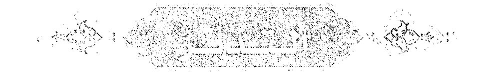






التفسير

- ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ قسم بالزمان الذي تقع فيه حركات بني آدم.
- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ أي أن جنس الإنسان في خسارة ونقصان وهلاك.
- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ آمنوا بالله تعالى بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أوصى بعضهم بعضاً بفعل ما أمر الله تعالى، واجتناب ما نهى ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ على طاعة الله تعالى، وعن معصيته، وعلى أقداره.



١ ـ هذه السورة عظيمة، تمثِّل منهج الحياة كما يريده الإسلام، ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يتخذونها شعاراً في ملتقياتهم، وإذا التقى اثنان منهم لم يفترقا حتى

يقرأهـا أحدهما على الآخـر، وقد قال الشـافعي: لو تدبَّر الناس هذه السـورة لوسعتهم، وفي رواية أخرى: لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم.

٢ ـ قيمة الزمن في حياة الإنسـان! ترى ذلك من خلال قسم الله تعالى به هنا، وقد بلغك أن الله تعالى لا يقسم إلا بعظيم! وهو ظرف للأعمال، وعلى كل عاقل أن يدرك قيمة زمانه، ويستثمره في كل ما من شأنه أن يرفعه في الدارين ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾.

٣ ـ أول القيم وأكثرها أثراً في حياتك استثمارك للوقت، وما تيجان الفضيلة التي تراها على رؤوس الناجحين إلا أثراً لتلك الفضيلة ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾ استثمر وقتك تزاحم الناجحين في معترك الحياة! وقد قال الأول: أدركت أقواماً شـحُّ الواحد منهم بوقته أعظم من شـحه بديناره ودرهمه. وقيل لآخر: كلمني قال: أمسـك الشمس. ومن عرف هذه الحقيقة أدرك حظوظه كما يريد، ومن تغافل عنها بقي عمره في الهوامش ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾.

٤ ـ ثلاث دقائق كافية لصلاة ركعتين بطمأنينة، وعشرون دقيقة كافية لقراءة جزء من القرآن، وسـبع دقائق تختم فيها أكثر الأوراد أثراً في حياتك: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير (مئة مرة). وكل هذا يدلك على أن أعظم موارد الإنسـان وأكثرها أثـراً في حياته الوقت ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾.

٥ ـ الأصل في الإنسان الخسارة ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ وإذا كان الأمر كذلك فعلى الإنسان أن يستوثق من دينه، ويجدد إيمانه، ويجهد في التمسّك بعروته الوثقى قدر وسـعه. وغالب من حولك يعيش في تيه الخسـران فإياك وضياع الخاسرين. ومن أدرك حقائق الواقع عاش مستلذاً بما فيه ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾.

٦ ـ حين لا تجد مشروعك في الحياة، أو لا تجد فكرتك التي تعيش من أجلها، أو لا تجد هدفاً مثيراً تطارده كل صباح، فتلك بعض مظاهر الخسارة في حياتك في الدارين ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾.

٧ ـ الخسارة الحقيقية خسارة الدين، وكل خسارة دون هذا المعنى لا قيمة لها، ومن بقي له دينه بقي له كل شيء، ومن فاته دينه فاته كل شيء ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

٨ ـ لا تستوحش من قلة السالكين معك في الطريق ذاته، فإن هذا هو الأصل وما عداه عارض لا يعتد به. وكما قال ابن القيم رحمه الله: وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك، فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفتَّ إليهم أخذوك وعاقوك. اهـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

٩ ـ وطِّن نفسك على استقبال العثرات، والعوائق، وتأخُّر المشاريع، واستعلاء الباطل في كثير من الفترات، فإن الغلبة كثيراً ما تكون للكثرة. وإن كان هذا ليس غالباً بفضل الله تعالى لكنها سنن تلقى حظها من الواقع ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

١٠ ـ القلة لا يمكن أن تحقق نصراً على الكثرة المقابلة إلا باستجماع قوى النصر الأخرى التي تسهم في الغلبة على الكثرة كحسن الصلة بالله تعالى، والتوكل عليه، والصدق في الطريق، فعلى الأمة أن تعي هذه المسألة، وتفقه الطريق الموصل إليها، وتخطط لبلوغ تلك الغايات، وتبذل من أجل ذلك كل الأسباب

الممكنة، فإن ذلك عادة ما يقلب الموازين ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

١١ ـ الإسلام لا يستمد قوته من كثرة الأتباع، وإنما يستمد ذلك من قوة تمسكهم بدينهم وقيمهم ومثلهم في الحياة، وتراه يمتد ويمضي مع قلة الأعوان والأنصار ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

١٢ ـ كل المناهج والنظم والأديان المنتشرة سوى الإسلام باطلة لا قيمة لها في الواقع حتى لو كانت عند أهلها وأصحابها كل شيء، يقرر هذه الحقيقة الضخمة قول الله تعالى في ظلال هذه السورة: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

١٣ ـ الإيمان حركة كبرى في واقع الحياة، وليس معنى جامداً في قلب إنسان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ فالإيمان لا يكون مبهجاً في واقع صاحبه إلا من خلال العمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وما عدا ذلك فلا قيمة له في واقع صاحبه.

١٤ ـ كمال الإنسان بمراتب أربع: معرفة الحق، والعمل به، وتعليمه، والصبر على الأذى فيه، وهذه منازل الكبار والشرفاء، وهي غايات الإسلام ورسالته الكبرى في الحياة، وكم من عارف بالحق غير عامل به! وكم من عارف وعامل على حدود نفسه! وكم من عارف وعامل ومعلم لكنه قليل الصبر في الطريق، فإذا ما توافرت هذه المراتب الأربع كلها في حياة إنسان عظم شأنه وارتفع ذكره في العالمين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

١٥ ـ الدعوة مرتبطة بالأذى! وعلى سالك الطريق أن يدرك أن تكاليف الطريق باهظة، وشاقة، وتحتاج إلى تضحيات، وفي قول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ ما يبين عن ذلك.

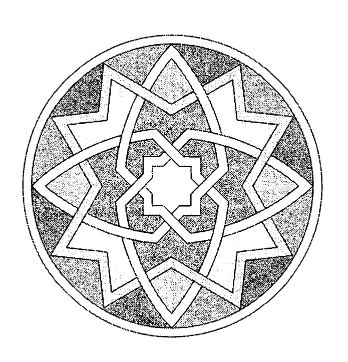
١٦ ـ أثر الجماعة في دين الله تعالى، ترى ذلك من خلال صور التشريع في العبادات كالصلاة، والصيام، والحج ونحوها، مما يدلك على أهمية الجماعة في الإسلام وأثرها الكبير في البناء. وعلى سالك الطريق أن يمد في هذه الغايات قدر وسعه، وأن يجهد في تكامل دوائرها حتى تؤتي حقائقها التي أراد الله تعالى. إذا كان الأصل في أهل الطريق القلة، فإن اكتمال معاني الجماعة ضرورة لتحقيق غايات الدين. وأهل الإسلام أحوج ما يكونون إلى الاجتماع، والائتلاف، ومد يد الإخاء والعون لكل واحد في سبيل تحقيق ذلك المعنى، وأن نجهد قدر الوسع في رتق الخلاف، وردم فجوته، ونتجاوز عن كل ما يمكن أن يجعل عثرة في الطريق. ومسألة الجماعات الإسلامية، والأحزاب حرية بفقه هذا المعنى إذا ما أرادت تحقيق الأهداف التي تحلم بالوصول إليها ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾.

١٧ ـ ضرورة (المشروع) في حياة الأمة، إذا كان أصحاب الحق قلة، ويواجهون كثرة الباطل فهم في أَمَسِّ الحاجة بعد اجتماع كلمتهم إلى استثمار طاقاتهم في مشاريع تخصصية تستبق كثرة الباطل، وتستحوذ على دوائر التأثير، وتأتي على تحقيق غايات الجماعة المسلمة قبل الكثرة الهادرة. إن هذه القلة لن تكون في مستوى التحديات حتى تأتي على إدراك هذه المعاني، واستثمار قدراتها قدر الوسع، وتمكين طاقاتها من العمل كل فيما يخصه ويحسنه. وفي كل خير.

١٨ ـ أهمية الصبر، فإن قيام الإنسان بدوره في الحياة من خلال الإيمان والعمل الصالح والمرابطة على دينه تحتاج إلى صبر ومعاناة، وكذلك إشاعة فضيلة

التواصي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحياء روح الجماعة سيكون عرضة للخلاف والمشكلات التي تحتاج إلى صبر ومجاهدة حتى تبلغ ثمارها وتؤتي أكلها، وتأتي على أمانيها مع الأيام ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

التفسير

- ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة وعيد ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ من يعيب أعراض الناس ويطعن فيها. همزة: من الهمز بالفعل، وهو عيب الناس والطعن فيهم بالفعل؛ كالإشارة وما شابه ذلك، واللمز: بالقول وهو عيب الناس والطعن فيهم بالقول.

- ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾﴾ يجمع ماله، ويحصيه عدداً.

- ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾﴾ يظن أن جمعه للمال يخلِّده في دار الدنيا.

• ﴿ كَلَّا ﴾ ردع وزجر أي ليس الأمر كما زعم ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾ ليُلقين وليُقذفن يوم القيامة في النار التي من شأنها أن تحطِّم كل ما يلقى فيها أي تكسره.

• ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥﴾ استفهام عنها لتهويل أمرها.

• ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ﴾ النار التي أعدها الله تعالى ﴿ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦﴾ الملتهبة.

• ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ التي يطلع ألمها ووهجها إلى القلوب.

• ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ مغلقة مطبقة.

• ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ عليها أعمدة ممدودة لا يتمكن أحد من فتحها والخروج منها.



١ ـ التعامل مع الناس مسؤولية عظيمة بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وعلى كل عاقل أن يفطن لهذه المسؤولية ويقوم بواجبها قبل لقاء الله تعالى، وإذا أردت أن تعرف خطر هذا، فتأمل هذا الوعيد ﴿وَيْلٌ﴾ في بداية السورة، ولم يستفتح الله تعالى به إلا سورتين الهمزة والمطففين، وكلاهما في حقوق الآخرين.

٢ ـ ﴿وَيْلٌ﴾ للمتشدقين بالأعراض! العابثين في الحقوق! المتسلقين على عورات الآخرين ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾.

٣ ـ يصوم ويصلي ويتلو كتاب ربه ويتصدق، ثم يأتي مجالس الفراغ ليضيعها كلها في لحظة غفلة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ وقد تراه يعدد، ويصنِّف،

ويمدح، ويذم في أعراض المصلحين، ثم إذا التفتَّ إليه قال: المصلحة تستدعي هذا الكلام. سوء فقه وساعة خذلان! ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾.

٤ ـ لا يُولي القرآن الكريم في العادة الاهتمام بالأشخاص! وإنما يركِّز على الفعل الصادر ويقومه، وهذا الأصل في المنهج، إذ لا فائدة من ذكر الأشخاص، فإنهم يزولون مع الأيام، وإنما المقصود الفعل الحاصل وكيف ينظر له الإسلام ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ توعّد على الفعل وأهمل ذكر الفاعل.

٥ ـ رحمة الله تعالى، وشفقته بعباده، فإن الله تعالى لم يتعرَّض لأحد بشخصه في القرآن الكريم إلا في قصة أبي لهب، وقد بلغت عداوته لدين الله تعالى ما يمكن أن يكون درساً بيّناً لغيره، وما عدا ذلك أُغفلت الأسماء المعارضة مع شدة كرهها وعداوتها للإسلام وتعويقها لطريقه رحمة بهم وشفقة عليهم لعلهم يعودون في قادم الأيام. وعلى الدعاة والمصلحين أن يتجنبوا الأسماء قدر وسعهم مهما بلغ جهدها في الباطل فلعل منهم عائداً في قابل الأيام، وما يدريك..! وفي هدي النبي ﷺ (ما بال أقوام..!).

٦ ـ الإسلام أكبر من أن يخلق عدوات له في الطريق، وأكبر من أن يشيّد أشخاصاً بذكر أعمالهم المعارضة، وإنما يسير وفي نظره أن هؤلاء جزء من السنن الإلهية التي يجب أن تأخذ حظها، وفي النهاية تزول ويمضي الإسلام شاقاً طريقه لا يلتفت إلى المعوقين. وهو منهج للدعاة والمصلحين ألا يقفوا على ترديد بعض الأسماء المناهضة فيصنعون لها زهواً في الباطل وهم لا يشعرون.

٧ ـ حين تكتب كتاباً فضع في ذهنك أن تكتب حرفاً قادراً على الصمود والبقاء والتأثير مع تطاول الزمان، وألا تكتب محبوساً في واقعك لغةً وأثراً، فإن ذلك يعيق أثر حرفك، ويتجاوزه الزمان، وإذا قرأت خطاب القرآن كله، وهذه السورة منه بالذات أدركت معجزة هذا الكتاب في البقاء حياً إلى قيام الساعة.

٨ ـ (الهمز، واللمز) الهمز: عيب الناس والطعن فيهم بالفعل؛ كالإشارة والتمثيل ونحو ذلك، واللمز: عيبهم والطعن فيهم بالقول، وهي من رذائل الأخلاق التي يجب أن يتنزه عنها الكبار والفضلاء، وهي دليل على رقة دين صاحبها في الواقع، وهذا الوعيد من الله شاهد على سوئها. وأياً كانت صورة هذا القول والفعل فهو داخل في الوعيد، وفي قول الله تعالى (لكل) ما يدل على ذلك.

٩ ـ غالباً لا تأتي هذه الأخلاق إلا من متكبر! وعقدة العلو التي يصاب بها بعض الخلق تجعل الإنسان في مثل هذه المنازل الخطيرة، وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾ يدلك على ذلك.

١٠ ـ الواطئون لأعراض الناس مصابون بعقدة النقص، وقلَّ أن ترى مشغولاً في الواقع بغيره إلا وهو يبحث عن تعويض نقصه، وستر عيوبه، ودثار مثالبه من خلال الآخرين.

١١ ـ الحياة دَين! ومن ابتلي بأعراض الآخرين ابتلاه الله تعالى، ألا ترى هذا المشغول بأعراض الآخرين ابتلاه الله تعالى بنقائص البخل والشح، فيطارده همُّ المال في كل لحظة، ويستفرغ أيامه في حساب عوائده كل حين ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾.

١٢ ـ المال من أكثر أسباب الانحراف في حياة الناس! فغالباً ما تُذهب سكرته عقل الإنسان وبصيرته، وإذا كثر طال معه الأمل ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾.

١٣ ـ حرمة المؤمن، ترى هذا الوعيد العريض فيمن تعرَّض له هامزاً أو لامزاً، فما بالك بمن تعدَّى على عرضه أو ماله، أو نفسه! ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾.

١٤ ـ أثر الكلمة، وكم من كلمة أعاقت حركة إنسان في الواقع! إن الكلمة السيئة تمثّل أثراً نفسياً خطيراً في قلب من يتلقاها حتى لو كانت في صورة مزح عارض. وكم من كلمة أطاحت بإنسان وأعاقته دون وعي ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾.

١٥ ـ الكبر لا يأتي عادة إلا من الغفلة عن لقاء الله تعالى، وقلَّ أن تجد متكبراً إلا وهو معتدّ بنفسه غير آبه لآخرته، وفي قول الله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ ما يبين عن هذه الحقائق.

١٦ ـ من سوء التوفيق لإنسان أن يهبه الله تعالى نعمة ثم يذهب يعارض بها شرع الله تعالى! ترى هذا في نعمة هـذه الجوارح التي يهبها الله تعالى لعبده ثم يذهب يتخطى بها على أعراض الآخرين، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**». وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّم**» وتراه في هذا المال الذي يمنحه لإنسان ثم يزيد في كبره وسوء عاقبته وخذلانه.

١٧ ـ دحض الشبه والظنون الخاطئة منهج من مناهج القرآن ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ أحد الظنون الخاطئة التي جاء القرآن باجتثاثها من فكر أصحابها، وما أكثر الأفكار التي تعلق بعقول الناس في كل زمان، وإذا لم يُنتبه لها وتوضع لها الحلول الكفيلة وإلا كانت سبباً في انحراف صاحبها عن الطريق.

١٨ ـ حين تريد علاج مشكلة من المشـكلات المتفشية فعليك أن تصف هذه المشكلة وصفاً دقيقاً ثم تتولى عرض أسبابها، ومن ثم نتائجها وأخطارها في الواقع، وهذه السـورة أتت علـى كل ذلك، وصفت المشـكلة، وأبانت عن الأسـباب ثم ختمت بالنتائـج ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا

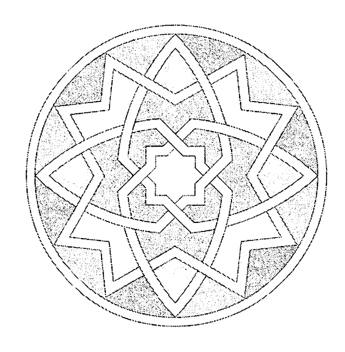
وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾.

١٩ ـ رقابة هذا الدين على كل شيء. تراه هنا يرصد حركة لسان الإنسان ويقوّمها ويبين عن أخطارها، ويهدد صاحبهــا بالخلاص منها قبل الفوات ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾.

٢٠ ـ الجزاء من جنس العمل، هذا الذي لم يكترث بالناس كان جزاؤه النبذ وعدم الاهتمام ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾﴾.

٢١ ـ سوء عاقبة ما ينتظر هؤلاء بين يدي الله تعالى يوم القيامة ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ لو كان للطامسين في أعراض المخلوقين عقول!!





سُورَةُ الفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

التفسير

- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي ألم تعلم يا رسول الله ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾﴾ كيف كانت نهاية هؤلاء القوم الذين يريدون هدم بيت الله تعالى؟!
- ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾ ألم يجعل مكرهم وسعيهم لهدم الكعبة في ضياع وإبطال؟!
- ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾ جماعات متفرقة.
- ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ من طين متحجّر.
- ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ كزرع أكلته الدواب ووطئته بأقدامها حتى تفتت.

التَّدَبُّرُ

١ ـ هدم الأصـول (فكرة قديمة) لدى الأعداء، وهذه الهجمة على سـنة النبي ﷺ اليوم بضعة من فكرة أبرهة في قصة هدم الكعبة (وما أكثر أمثال أبرهة في زماننا..!) لقد رأى أبرهة أنه لا حيلة لإيقـاف زحف الدين، وتمكنه مـن قلوب الخلق إلا بإزاحة الأصل الذي تتهادى إليه قلوب المسلمين من كل مكان، فسيَّر جيشه الكبير لتحقيق هذه الأمنية، وذات الفكرة اليوم تتجدّد في عقول الأتباع فيجهدون في هدم وتشويه أصول المسلمين (الكتاب، والسُّنَّة) في صور كثيرة تتجدد مع تجدد الواقع من أهمها: التركيز على المتشـابه، وإثـارة نقاط الخـلاف، ومعارضة النصوص ببعضها، ونحو ذلك مما هو ظاهر في عصرنا، ولا يحتاج إلى كبير تنبيه، وقد حفظ الله تعالى بيته ورد عدوه بنفسه، وكتاب الله تعالى محفوظ بوعد الله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ومثل ذلك سنة نبيه ﷺ فقد هيأ الله تعالى لها من عباده من يحررونها ويصفّونها من كيد هؤلاء، وما زالت معيناً صافياً يتأبى على جهود المغرضين. وفي هذا المعنى من بقاء الإسلام ما فيه.

٢ ـ على الأمة أن تدرك أن أعظم أصولها، ومقدراتها (الكتاب، والسُّـنَّة) وليس لدى أي أمة في الدنيا قيمة كبرى كقيمة هـذه الأصول في هذه الأمة، ولن يضر الأعداء ويأتي على كل أفكارهم مثل هذه الأصـول، فعليها أن ترعاها، وتوليها الاهتمام من خلال الدراسـة، والبحث، وتوجيه شـباب الأمـة واللامعين إلى التخصص فيها، والإمعان بالقدر الذي يجعلها حية في قلوب أفراد الأمة.

٣ ـ إذا تأملت واقعك جيداً، رأيت المنافقين والأعداء كل مرة يغيرون على أصل من الأصول ويثيرون خلاله الشبه، وكل ذلك من أجل إسقاطه من قلوب المسلمين، وكم مرة أغار عليهم الوحي وبدد تلك الخطط وأجهض على تلك المشاريع.

٤ ـ حاولوا أن يسمعوا صوت المرأة الناعم كرَّ عليهم القرآن واعظاً: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وجهدوا أن يستلذوا بجسدها، ومفاتن الجمال فيها فوقف لهم القرآن في عرض الطريق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] وكتب مذكرة يبين فيها حاجة المرأة للخروج وقضاء حوائجها، ورزق بيتها، وإعانة أسرتها فجاء محكم القرآن واعظاً ومذكراً: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣] وصنعوا لهم تمثالاً في صورة شيخ فخرج يرقق لهم دينهم، ويسوّغ لهم خروج نسائهم، ويدعوهم لترك التشدد فقام القرآن يردد: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وما عداه فارموا بعمته في وحل الطين وعظوه. فما يصنعون بهذا الوحي، كلما حاولوا أن يستدروا عواطف الناس لقضاء شهواتهم زجرهم القرآن وأنكر عليهم. إذاً لا حيلة لديهم إلا أن يرفعوا شعار إسقاط هذا الأصل الكبير من حياة الناس ويتخلصوا من خصامه ونزاعه.

٥ ـ كل من يؤدي دوراً في الحرمين سواء من المسؤولين، أو العلماء وطلاب العلم أو حتى العمال يُتمون هذه الأصول، ويوسِّعون في أثرها، ويواجهون بهذه الجهود أعداء الدين، فهم على ثغرة، ويجاهدون في سبيل الله تعالى بذلك، فإن هذه النية كمال إلى كمال، ومثل ذلك المشاريع التي تعنى بهذه الأصول (كمشروع تعظيم بيت الله الحرام، أو مشاريع التدبر لكتاب الله تعالى، ومشاريع حفظ السنة وتعليمها) مشاريع مباركة، وهي ترعى أعظم أصول الدين وقضاياه الكبرى فينبغي أن تشجع، ويدعى لأصحابها حتى تأخذ دورها الكبير في الواقع.

٦ ـ الكعبة بيت الله تعالى، وقد تولى الدفاع عنها، ولم يكلها لمخلوق، وفي ذلك من الإجلال والتعظيم لها ما فيه، وكل باغ على بيت الله تعالى فهو متوعّد بالعذاب، وإذا كان هذا واضحاً في اعتداء أبرهة فهو كذلك جارٍ في أي اعتداء سواء كان حسياً، أو معنوياً.

٧ ـ لن تفلت يد السـارق في الظلام، وصاحب الفاحشـة في الزحام، ومروِّجي الفتنة في أي مساحة من مساحات الحرم من رقابة الله تعالى، وكل ستجري عليه سنة أبرهة وتجري عليه أحداث السنن بإذن الله تعالى.

٨ ـ إذا كان الله تعالى تولى حماية بيته، والذود عنه، وإيقاف زحف الباغين إليه، فكيـف بالمؤمنين الصادقين فـي الطريـق! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨] وعلى قدر إيمان الإنسان وصدقه وإقباله ومحض إخلاصه تأتي هبات التوفيق إليه من كل مكان.

٩ ـ عناية الله تعالى برسـوله ﷺ، وتأييده وحبه وتشـريفه، ترى ذلك من خلال الإغراء برؤية تلك الحادثة والاغتباط بمشاهدها، وما صنع الله تعالى فيها من نصر لنبيه ﷺ، وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ كأن الحادثة صورة حية مشـاهدة لحظة تنزّل السورة مع أنها وقعت قبل المبعث بزمن طويل و﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ تأكيد على تلك العناية حتى كأنه ربه وحده دون غيره.

١٠ ـ الإسـلام دين الله تعالى! وهو المتكفل بنصره وتأييده، حين لا يكون للحق نصير يقف في وجه الطغيان فإن الله تعالى يتولـى نصر دينه والدفاع عنه، وهذه الواقعة دليل على هذا المعنى الكبير.

١١ ـ العاقبة لدين الله تعالى. إن ديناً ظل حياً من آلاف السنين على قلة معين قادر بتوفيق الله تعالى أن يبسط آفاقه على كل شبر في الأرض، ويمضي يكتب تاريخه في العالمين رغم أنـوف الحاقدين. مع كل هذه الصور التـي نرى فيها الباطل يسـتنفر قواه، ويسـتعين بقوى الأرض في مواجهة هذا الدين علينا أن نؤمن أن النصر لدين الله تعالى، وإنما يبتلي الله تعالى عباده لحكم جليلة ومعان كبيرة.

١٢ ـ عظيم قدرة الله تعالى، ترى ذلك في تصدِّيه لهذه الحشود من خلال طير صغيرة وعاقبة المعذبين فيها جليلة كبيرة! وما ناظر إلى هذا الحدث بعين البصيرة إلا وهو

مدرك مظاهر تلك القدرة من أبسط طريق. إن الذي تولى التصدي لهؤلاء بعض جند الله تعالى، طير في أفق السماء، وترك من العواقب ما يفوق تصوّر كل بصير.

١٣ ـ إقامة الحجة على كل معارض، ترى هذا الإمهال والإمداد لهذا العدو وهو يكيد لبيت الله تعالى حتى يصل إلى المكان ذاته. إن الله تعالى يمهل كثيراً، وكم من معرض معـــارض أطال الله تعالى له في زمن الإمهـــال حتى إذا ما أصرّ على الطريق لقي عواقب الخذلان.

١٤ ـ إن جند الله تعالى أكبر من أن يحصروا! وما أكثر خلق الله تعالى في الكون! وما أجهل الإنســـان بها في الواقع! من كان يظن هنا أن طيراً صغيراً يتولى تلك المهمة الكبرى، وفي كل حادثـــة يأتي جند آخر يدير رحى المعركة ويكتب فيها مشاهد الخذلان على العدو.

١٥ ـ ســـوء عاقبة المعصية، وخطرها على أصحابها، وعاقبة شؤمها في حياتهم، وليس أدل على ذلك من منظر الطغاة وهم صرعى على الأرض بعد أن كانوا في أنعم حال، وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ ولم يقل (ماذا فعل) كأن الصورة لهولها تحتاج إلى إمعان نظر وتفكير! من قال إن فرداً، أو قوماً توردهم المعاصي إلى هذه المشاهد الكبرى من الهلاك!

١٦ ـ إن الله تعالى يمهل ولا يهمل، يمد للظالم أملاً طويلاً، وحين يصر على ورود موارد الهلاك ويأبى إلا الطغيان يريه الله تعالى عواقب الإمهال. كم عاش هؤلاء على الكفر! وكم قطعوا من المسافة إلى مكة في أمن! وفي النهاية كان لا بد أن تنتهي قصة الإمهال في حياتهم ويبدأ زمن العقاب، وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تعالى يُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْـــهُ**» ثُـــمَّ قَـــرَأَ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] .

١٧ ـ غالباً لا يستفيد المعرضون من آيات الله تعالى وعبره! لقد رأت قريش من صور نصر الله تعالى لدينه، وحمايته لبيته، وعذابه لأعدائه ما لم تره في حياتها كلها ولم يدلهم هذا على تعظيمه والقيام بحقه، وما زالت الأجيال المعرضة تقرأ هذا الخبر، وتروي هذه القصة لكنها لم تلق في قلوبهم حظاً ورواجاً للذكرى.

١٨ ـ عظيم ما في نفوس الأعداء من كيد لدين الله تعالى! إن خروج هؤلاء يريدون بيت الله تعالى ما هي إلا صورة مما في نفوسهم من صور الكيد الكبار، وكذلك كل عدو يكيد للإسلام في صور، ويترجمها الواقع لأحداث، ولذلك عبر الله تعالى هنا بمواجهة ذلك الكيد مع أنه لم يكن إلا صورة من صوره ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾.

١٩ ـ ستظل مكة المكان الذي تأوي إليه أفئدة المؤمنين! لقد أراد الله تعالى لهذه البقعة في الأرض أن تبقى روحاً تسري إليها قلوب المؤمنين، فجعلها قبلتهم فلا تصح الصلاة إلا إليها، وجعلها مكاناً لحجهم وعمرتهم، وهذه الجموع المتعلقة اليوم بهذا البيت أعظم الأدلة على بقائه مهما كانت توجهات الأعداء ومكرهم وكيدهم.

٢٠ ـ إذا أردت أن تتعرّف على بعض قدرة الله تعالى في المجرمين فتأمل صورة تلك الأفواج العازمة على هدم بيته، وتكسير جدرانه، وتشويه صورته كيف كانوا في آخر المطاف! ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ وتحولت في النهاية صور البغي والعدوان إلى صور زرع محطّم ممزق متناثر في مساحات الأرض.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

التفسير

- ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾﴾ أي لائتلاف قريش واجتماعهم في بلدهم آمنين، واللام لام التعجب، كأنه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة ربّ هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف.

- ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ ليوحدوه، ويخلصوا له بالعبادة.

- ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ تفضّل عليهم بالإطعام بعد جوع شديد، وأمّنهم بعد خوف عظيم.

التَّدَبُّر

١ ـ ظل هذا البيت وما يزال مكاناً للأمن والطمأنينة والسكينة والرخاء حتى حين انحراف الناس عن الحق، وإشـراكهم بالله تعالى، وعبادتهم لغيره، إنها إرادة الله تعالى لهذا الدين.

٢ ـ كم من دعوة صادفت ساعة إجابة فأفاضت على الأرض مباهج الربيع! هذه دعوة أبينـا إبراهيـم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ١٢٦] كونت هذا الواقع مع الأيام.

٣ ـ إذا أمضك الواقع، وكلّت نفسك من السـير، وضعف جهدك، ولاحت لك بوارق اليأس فيمم وجهك إلى مشـاهد بيت الله تعالى تـرى الحياة تجري في ربوعه كأبهج ما تكون.

٤ ـ إيلاف قريش واجتماعهم على بعض ورحلتهـم آمنين مطمئنين في الصيف والشتاء كل ذلك أثر لنعم الله تعالى عليهم ببيته، جعلهم آمنين مطمئنين يجتمعون علـى مصالحهم ويألفون الطـرق إليها وفيهـا كل حين ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾.

٥ ـ في السورة رسالة إلى كل مسؤول أياً كانت مسؤوليته أن يرعى حاجات من بين يديـه، ويقوم على واجباتهم الضرورية، ويعلم أن اسـتقرار الحياة وقيام الإنسـان بواجباته وقف على هذه المعاني الكبار، مع أن هذا الأمن الحاصل لقريش فضل الله تعالى عليهم هو كذلك دعوة لشـكرهم وقيامهم بواجبهم، فكذلك كل مسؤول عليه أن يوفّر البيئة الصالحة لنجاح مشروعه، وأهدافه ومسؤوليته.

٦ ـ (الوحدة والاجتماع والائتلاف) في أي أسرة أو مجتمع أو دولة أو أمة نعمة يجب أن تأخذ حظها من الشكر والعرفان! فإن الله تعالى يذكّر قريشاً بهذا المعنى ويدعوهم لعبادته لهذه النعمة الظاهرة عليهم في ذلك الزمان ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾.

٧ ـ على كل مسؤول أو فرد أياً كان موقعه أن يجهد في جمع الكلمة، وائتلاف الرأي حسب الوسع، ومن شاهد آثار الخلاف في الواقع أدرك ضرورة هذا المعنى وأثره في الواقع.

٨ ـ من سنن الله تعالى أنه إذا أقام مسؤول، أو جماعة، أو أمة قيم الأخلاق من العدل، والإخاء ونحوهما أقام الله تعالى لهم واقعهم وأصلح شأنهم ويسر لهم سبل الفلاح والتوفيق، ترى ذلك في هذه المكانة التي وهبها الله تعالى لقريش بين العرب، وأمّنهم من عدوان المعتدين، وغارات المغيرين نظير حفظهم لهذه الأخلاق، وقد ذكر ابن عاشور جملة من أخلاقهم وتعاونهم، وقيام غنيهم على فقيرهم حتى قال قائلهم:

يا أيها الرجل المحوّل رحله ... هلا نزلت بآل عبد مناف

الآخذون العُهد من آفاقها ... والراحلون لرحلة الإيلاف

والخالطون غنيهم بفقيرهم ... حتى يصير فقيرهم كالكافي

ويقابل هذا المعنى انتشار فوضى الظلم، والبغي، والعدوان في حياة مسؤول أو مجتمع، أو دولة، أو أمة مؤذن بسوء حالها، وخراب واقعها مع الأيام، ولذا قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة).

٩ ـ العبادة أعظم معاني الشكر، إن الله تعالى ذكَّر قريشاً بموفور نعمه عليهم، ودعاهم إلى القيام بشكرها عن طريق عبادته ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣﴾.

١٠ ـ ليست العبادة صور تتكاتف عليها الأمة وتحييها ظاهراً فحسب، العبادة قيام بأوامر الله تعالى والوقوف عند حدوده، وتعظيم شعائره مع الاعتراف في كل حين أن ذلك فضل الله تعالى وتوفيقه ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ وفي كل حين تشتد حاجة الأمة إلى تحويل مفاهيم العبادة إلى صور تطبيقية واقعية في شأن كل فرد، وذلك هو بداية العز والتمكين لها في واقع الأحداث.

١١ ـ العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وحين تتحوَّل في حياة كل مسلم إلى هذا الوعي ستقام حينها للدين دولة وكيان وأمة ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾.

١٢ ـ هذا بيت الله تعالى، وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ دليل على مكانته الكبرى، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «**فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَه اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِن نَهَارٍ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا**» وبيت بهذه المكانة حقيق بالإجلال والتعظيم! وإذا هيأ الله تعالى لك زيارته فتذكّر أنك في مدارج الشرف والتكريم فليقم بقلبك ما يفيض على جوارحك من التعظيم والتكريم والإجلال.

١٣ ـ منَّة الله تعالى على هذه البلاد بهذين الحرمين! وما من مجتمع أو أمة اليوم تلقى تشريفاً كوجود هذين المعلمين بها، وهي شرف، ومن توفيق الله تعالى لحكامها ومسؤوليها القيام بواجبها الحسي المتمثِّل في توسعتها، وتهيئتها بكافة وسائل الراحة الممكنة، وتمكين المتعبدين منها في كل وقت، والمعنوي في القيام بواجب الدعوة لهذا الدين في أقطار الأرض، وتبني كل ما من شأنه مد مساحة الإسلام في العالمين ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ وهذا جزء من العبادة المشار إليها.

١٤ ـ لا يمكن أن تكتمل نعمة الأمن في حق إنسان أو مجتمع أو دولة أو أمة في ظل الجوع، ولا يمكن أن تأخذ نعمة الطعام حقها في زمن الخوف. فإذا جمع الله تعالى بين النعمتين لفرد أو جماعة فقد امتنّ عليهم بأعظم النعم ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ٤﴾.

١٥ ـ إذا أردت أن تعرف قدر نعمة ربك عليك، فتأمل هذه الأرزاق التي تجلب إليك من كل مكان بأرخص الأسعار وأقل التكاليف ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ٤﴾.

١٦ ـ أما رأيتم ذلك الذي ينام في عرض الطريق ولا يوقظه أحد من نومه؟ تلك بعض نعم الله تعالى الوارفة في هذه البلاد! ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ٤﴾.

١٧ ـ مشكلتنا أننا تعايشنا مع النعم للدرجة التي لا نشعر بوجودها إلا حين الذكرى ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ٤﴾ كم من مشرّد هذه اللحظة عن دياره، وفاقد لأسرته وأهله وأقاربه، وينتظر منن الآخرين وأنت تأكل وتشرب وتنعم في وارف الأمن.

١٨ ـ بقاء النعم مرهون بالوعي بها أولاً أنها نعمة، وبالقيام بحقها من اعتراف وشكر قولي وعملي في حياة كل إنسان ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ٤﴾.

١٩ ـ كثيرون يتحدثون عن الأمن ويروجون لفكرة الحفاظ عليه، وهم في الوقت ذاته الذين يسعون في تقويضه وإسقاط نظامه من خلال عدم قيامهم بحقوق الله تعالى، وجرأتهم على سرقة مقدراته وتقويض أمنه من خلال البغي والفساد ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ٤﴾.

٢٠ ـ كم مرة أضـج آذاننا من الولاء لوطنه وهو الذي يقيم زواج أولاده على المنكرات، ويشيع الرذيلة، ويمد في وحل الفساد ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

٢١ ـ إذا أصبح باكر يومه كتب لنا عموداً في فقه الأمن، وسطر لنا نظماً وشعراً في وعي المسؤولية، وإذا استوى في قناة حدَّثنا عن نعمة الأوطان، وإذا فرغ من كل ذلك نافق، واختلس، وسرق، وصنع للعورات مهرجانات ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

٢٢ ـ كل المفسدين في الأرض أياً كانت صور فسادهم هم جزء من خصوم النعم في أوطانهم، نسوا أن كل ذلك فيض الكريم المنان ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

٢٣ ـ إذا استطعنا أن نوقف زيف النفاق، ومساحات الفسق والفجور في أي رقعة من الوطن، فقد بنينا نصف المسافة إلى أحلامنا. فقط لم يبق بعد ذلك إلا نصف البناء ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ المَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

التفسير

- ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾ يكذّب بثواب الله تعالى وعقابه، فلا يطيعه في أمره ولا نهيه.
- ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ يدفعه فلا يطعمه، ويقهره ويظلمه.
- ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ لا يحث غيره من ذوي اليسار على إطعام المحتاج وسد خلته.
- ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ وعيد شديد للاهين المتغافلين المتشاغلين عن صلاتهم.

- ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ يقصدون بأعمالهم مدح الناس وثناءهم.
- ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ يمنعون إعارة غيرهم ما لا حاجة لهم به كالإناء والدلو والقدر والفأس وغيرها.

التَّدَبُّر

١ ـ الإسلام كما هو علاقة بين الخالق والمخلوق هو كذلك علاقة مع المخلوقين بعضهم البعض. وهذا الفصل الشائع في حياة الناس اليوم ولَّد خصومة سافرة في الواقع، فترى الحريص على شعائر الله تعالى من الصلاة والصيام ونحوها لا يتحرّج في الاعتداء على الآخرين، وأكل أموالهم، والسطو على أعراضهم وبخس حقوقهم، وكأن ذلك لا علاقة له بدين الله تعالى، وقد لا ينقضي عجبك من رجل يتصدق ويبذل أمواله في سبيل الله تعالى راغباً فيما عند الله تعالى، ويتسلّط في ذات الوقت على أموال الناس، ويأخذ حقوقهم دون أدنى حرج أو غضاضة، وهذه السورة تؤكّد على أن التعامل مع الخلق دين يجب أن يأخذ حقه من العناية والاهتمام.

٢ ـ كل تَخَلُّفٍ في حقوق الآخرين إنما هو نتيجة لتخلّف حقيقة الإيمان الكبرى في قلب صاحبه. وقل أن تجد مؤمناً صادق الإيمان عارفاً بربه إلا وهو يقوم بحقوق الآخرين، وفي قول الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ ﴾ ما يؤكّد ذلك ويبينه، فلولا تكذيبه بحقيقة هذا اليوم لما وقع في كل ذلك.

٣ ـ يؤمن بيوم الدين ويناكف يتيماً على حقه! لا تلتقيان في طريق إلا في الدين الذي نردده على ألسنتنا ولا نتمثله في واقعنا، وما أكثره في مثل زماننا! ما لم

تختلط معاني هذا الدين بنفوسنا ومشاعرنا وقلوبنا وكل شيء في حياتنا وإلا بات صوراً ظاهرية لا حقيقة له في واقع الحياة.

٤ ـ جمال هذا الدين، أَنه ليس صورة خاصة بالمسجد، وإنما منهج حياة يأتي على حياة الإنسان كلها، وينظّم له شأنه، وحدوده، وحقوقه، وواجباته وكل من يقرأ الإسلام بوضوح لا يملك إلا أن تصيبه الدهشة على هذا الكمال والجمال الذي يأخذ بالألباب ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾.

٥ ـ رعاية الإسلام لحقوق الآخرين، والقيام بواجباتهم، والإنكار على التعدي عليهم بأي وجه، وتحت أي عذر ومسوّغ، ولن تجد ديناً في الأرض أقام للإنسان كرامة ظاهرة كما هو الإسلام ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾.

٦ ـ رعاية الإسلام للضعفاء والمعوزين، وأصحاب الحاجات على وجه الخصوص، والوقوف معهم وتجريم التعدي عليهم بكل وسيلة، ومناصرتهم حتى يعيشوا كما يعيش غيرهم سواء بسواء، حتى إن الإسلام جعل جزاء كفالة اليتيم وعونه على العيش رفقة النبي ﷺ، وجعل الساعي على المسكين والأرملة كالمجاهد في سبيل الله تعالى، وأكّد في هذه السورة على رعاية حقوق الأيتام على وجه الخصوص ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾.

٧ ـ لن يموت فرد في مجتمع والإسلام ظاهر فيه! وإذا كان الإسلام جعل من مقتضيات عدم الإيمان بالله تعالى ترك التكافل والتحاض على إطعام المسكين فكيف بتركه والتآزر على عدم معونته حتى يموت جوعاً! إن الإسلام جرّم الاعتداء على هـرَّة، وجعل التي حبستها حطباً لنار جهنم فكيف بمسلم من

المسلمين، وشجّع على كفالة الأيتام كما في البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا**» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئاً. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**» ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾.

٨ ـ لا بد أن يكون الإحسان إلى اليتيم في أجمل صوره وأرقى معانيه، ومهما بلغت قيمة الإحسان إذا لم تأت في صورة رحمة وشفقة وود ورجاء فضل وبر، وإلا قتلت ذات الإحسان وكفنته قبل ورود أول صوره على قلب ذلك المحتاج ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾.

٩ ـ عظيم شأن التكاتف، والتعاون، والتآزر على مصالح المسلمين! وما تقوم به الجمعيات الخيرية من واجب تجاه هذه الفئات حقيق بالإجلال والتقدير، وقد يرفعون الإثم عن الأمة في واجب كفائي قد يلحقهم الإثم بتركه بالكلية ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾.

١٠ ـ من أسوأ الصور في حياة إنسان أن يمسك ماله عن هؤلاء المساكين، ويقف بخيلاً به عن مواقف الجود والإحسان، ثم يقف يشكك في جهود الباذلين والعاملين والكافلين! وهي صورة تدلك على عظيم حرمان هؤلاء من التوفيق ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَٱنْحَرْ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾.

١١ ـ فرق كبير بين الإسـلام وهو يشرّع حقوق الإنسـان ويجرّم الاعتداء عليها ومنظمات حقوق الإنسـان التي تشـرّع أنظمة لغاياتها وأهدافها، ثم ما تلبث أن تعبث بها وقت حاجتها ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾.

١٢ ـ الفرق بين الإسـلام وغيره من الأنظمة في حقوق الآخرين أنه يجعلها ديناً وعبادة ومسـؤولية فيما بين الإنسان وربه ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ وغيره من الأنظمة تجعلها حضارة ومسؤولية دولية تُعنى بالحريات وتخاصم من أجلها فحسب.

١٣ ـ كم من معاملة في المحاكم لم تنته بشـأن إرث اليتامى، لا لضعف النظام وإنما لجشع الوكيل الذي يرتّب للاستمتاع بأموالهم في شأنه الخاص ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾.

١٤ ـ لم يـوزِّع الأراضي الزراعية بين الورثة، أبقاها كما هي دون قسـمة وتولى بنفسه حرثها وزراعتها والبيع والشراء منها، واليتامى يموتون جوعاً أو يتضوعون ألماً ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾.

١٥ ـ كل صور الاعتداء التي يحكيها الواقع في شأن اليتامى من الذكور، أما المرأة فلا حظ لها أصلاً حتى في القسمة الكاذبة ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾.

١٦ ـ كم من يتيمة خلّف لها والدها إرثاً وضاع في عادات الجاهلية وتقاليدها فلا ترث المرأة شـيئاً ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾.

١٧ ـ الصلاة أعظم أوامر الله تعالى وشعائره بعد التوحيد، وهي الفريضة التي جرى وجوبها في السماء بخلاف غيرها من الفرائض، وهي أول سؤال يُسأله العبد بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وهي وصية رسول الله ﷺ في آخر حياته ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ وفريضة بهذا القدر تستحق الإجلال والتعظيم.

١٨ ـ مشكلة كثيرين أنهم يصلون ولكن صورة وشكلاً ولا علاقة لهذه الصلاة بقلب صاحبها، ولا يجري تعظيمها في قلبه ومشاعره، فتأتي باردة لا قيمة لها في واقعه ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ وهذا الوعيد على من يصلي ولكن بلا خشوع.

١٩ ـ يتأخرون عن الصلاة، ويسهون عنها ويغفلون ويأتون متأخرين، ويعتذرون بالنوم مراراً ولم يحدث أن تأخروا عن مواعيد دراستهم أو سفرهم أو ارتباطاتهم، وهذه الآية تخاصمهم كل حين ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾.

٢٠ ـ كل شأن يقيمه صاحبه بعد الأذان فهو إلى الخيبة والخسران أقرب منه إلى الربح والكسب ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾.

٢١ ـ أذن المؤذِّن وهم مجتمعون على فضيلة، فقام عند بداية الأذان معتذراً أن كل عمل بعد هذا المعنى لا يبارك الله فيه. ما أروع الفقه! ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾.

٢٢ ـ خطورة الرياء، وأنه ماحق لبركات العمل، وآتٍ على كل خيراته، وكم من عمل كبير أخذ من وقت صاحبه وجهده وماله، وفي النهاية لم يورّث له سوى الحسرات! ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾.

٢٣ ـ كلما دخل في مشـــروع أرصد لنا صوره، وبعث إلينا بمشاهده، وضبط كل شـــيء فيه لا من أجل مد أثره، وتمدد فكرته، كلا! وإنمـــا لينال حظاً عاجلاً من الدنيا، وفاته بذلك كل شيء ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

٢٤ ـ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ فيصورون للمشاهدين صورهم وهم محرمون، ويبعثون في وسائل التواصل الاجتماعي بصور تصريح الحج، ومواقفه ومشاهده.

٢٥ ـ حتى وهو يطوف ويسعى بالبيت، ويدعو في عرفة، ويرمي الجمار أرصد لنا صورها، وبعث إلينا بتقرير عنها ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

٢٦ ـ لبس إحرامه، وبدأ دعاءه، وصلى ســنته وطلب من صاحبه في الســفر أن يرصد كل ذلك، ثم بعث بهـــا في النهاية إلى القراء والمشـــاهدين يكاثر بدينه، ويرائي به، ونَسِيَ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

٢٧ ـ أعان مسكيناً، ووقف بجوار محتاج، ودفع بمشروع للنهوض ثم وظّف ذلك لصالحه فما يجلس مجلســـاً إلا ويحاول جاهداً أن يبين عن ذلك، ثم يسأل الله تعالى بعد ذلك الإخلاص ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

٢٨ ـ كم من خيـــرات دفع بها صاحبها لا هو الذي اســـتثمرها في الدنيا ولا هو الذي لقي أثرها في الآخرة! محقها الرياء ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

٢٩ ـ في واقع اليوم ثمة خيط يسير بين صور وشـــعائر تعبدية مبثوثة في وسائل التواصل الاجتماعي تفصلها النية عن مظاهر الرياء، وكل إنسان في النهاية موكول إلى سريرته ونيته وما بينه وبين الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

٣٠ ـ كل عمل لا ترجو به دعوة غيرك إلى تمثله، ونهوض فكرته، وتوسّع دائرته فلا تضيع أثره بتصويره، ورصد أحداثه ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

٣١ ـ صوَّروه وهو يصلـــي، وصوّروه وهو يدعو، وصـــوّروه وهو يبكي، وصوّروه وهو يتصدق، ماذا أبقوا له؟! وماذا ترك لنفســه؟! يا الله كم من جهود أضاعها الرياء ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

٣٢ ـ طارت في الآفاق صورة إنسان وهو يسقي حاجاً، أو يعين طفلاً، أو يقبل يد أمه، أو يأخذ بيد مسن فتحوّلت جماهير في الطرقات تعيد ذات الصورة، وتكرّس مفاهيمها من أجل الإعلام. ولم يبق منها في النهاية شـــيء لله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

٣٣ ـ من هم هــؤلاء ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ طالب علم ضنّ بمذكراته التي كتبها على زميل محتاج لها، وصاحب علم لم يقعد في رحاب مســجد أو بيت للإنفاق من علمه رغم حاجة من حوله.

٣٤ ـ منّ الله تعالى عليه بجاه ومســؤولية ومكانة كبيرة، ولم يستثمرها في دعم مشروع لدينه أو يخدم بها مســكيناً، أو جاراً، أو محتاجاً لها في عرض الطريق ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

٣٥ ـ تغيَّب عن مدرســته لعذر، وفاتَهُ من درس المعلم، وجاء يسأل زملاءه عن الفائت، فلم يلق شيئاً يعوِّضه ذلك الغياب ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

٣٦ ـ وجدت مجموعة من أســئلة الاختبارات لأعوام ماضية استفادت منها في معرفة طريقة أستاذتها وخبأتها في مكان لا يراه غيرها لتنجح وحدها ويشار لها في الختام بالبنان ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

٣٧ ـ مَنَّ الله تعالى عليه بمال، واحتاج صاحبه منه جزءاً يســيراً يستعين به على قضاء حاجته، فاعتذر منه رغبة في كثرة مخبوء ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

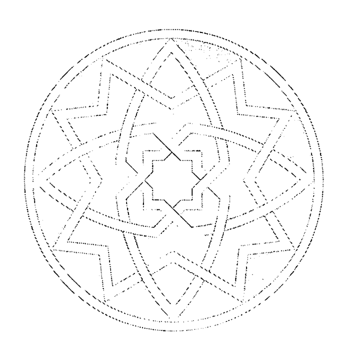
٣٨ ـ معه سيارتان لا حاجة ملحة على إحداهما، وجاره وقع على سيارته حادث، ويحتاج سيارة تنقله إلى وظيفته، ولم يتمكن من مدها إليه ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾.

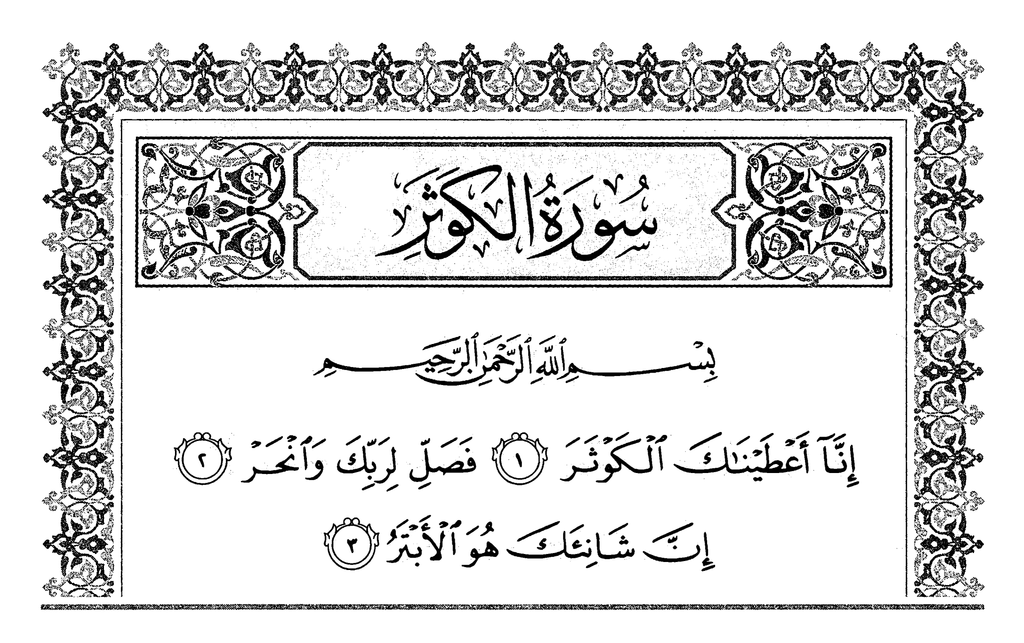
٣٩ ـ زميل يفقه في الفرائض أكثر من زميله، وآخر فتح الله تعالى عليه في قوانين رياضية، وثالث في ضبط القرآن، ورابع في تخصص الهندسة، وخامس في الطب، وسابع وثامن غير أن كل هؤلاء رأوا ذلك فرصة للتفوّق على الأقران، ولم يوسعوا دوائر أثرهم شحاً بما أعطاهم الله ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾.

٤٠ ـ معها فستان للفرح زائد عن حاجتها، وخبأته ليلة فرح تلك اليتيمة، ومعه عدة مشالح بللها بالماء ليلة فرح ذلك الفقير المسكين، وحين بلغه أن جوال زميله سُرق خبأ جواله الآخر ظناً به عليه ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾.

٤١ ـ الماعون في الأصل في منع الدلو على البئر، والقدر في البيت، وهو هنا في كل شيء منحك الله تعالى إياه وهو زائد عن حاجتك، ويمكن أن تدفعه لمحتاج أو تعين به آخر، فإياك أن تكون ضمن عداد هؤلاء المتهمين ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾.







التفسير

- ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ أعطاك الخير الكثير، والفضل العظيم، ومن ذلك النهر الذي اسمه الكوثر في الجنة.
- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ فأخلص لربك صلاتك ونحرك ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ مبغضك وذامك.
- ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، ومقطوع الذكر.

التَّدَبُّر

١ ـ هذه السورة خالصة لرسول الله ﷺ كما هي الشرح والضحى، وفي هذا من الإيناس له ﷺ، والاحتفاء به، ورعايته من كيد المعارضين ما فيه، وحظ كل

مصلح من هذه الرعاية حظه من القيام بواجب الحق والرسالة والدعوة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ دليل هذا المعنى البهيج.

٢ ـ ما ألطف رعاية الله تعالى لصفيه، وخليله! فقد تولى الرد على أعداء صفيه بنفسه، وبين له شرف هذا الكوثر، وأنه عطاء؛ فكأنه ملّكه يتصرّف فيه كيف شاء، وصيغة الجمع ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ تحمل دفئاً في ثناياه عظمة المعطي ومكانته، حتى أنه ﷺ فرح بهذا وسر غاية السرور وضحك حتى بدت نواجذه عليه الصلاة والسلام، وهذه المعاني وإن كانت خاصة به ﷺ إلا أنها عامة لكل المصلحين ممَّن هم على طريق الأنبياء.

٣ ـ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ في مواجهة كل العواصف التي تدار حولك، والأحداث التي تختلق في طريقك.

٤ ـ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ يكفي هذا العطاء أنه بدأ بـ«نا» الفاعلين واختتم بكاف التمليك. نحن الذين نعطي وأنت الذي تملك بعد عطائنا كل شيء.

٥ ـ فعلاً الموصول من وصله الله تعالى، والمحروم من حرمه الله تعالى ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾.

٦ ـ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ فهل يستطيع أحد في الأرض من هؤلاء رغم قوته أن يمنع عطاء الله تعالى إليك! مساكين لم ينفعوا أنفسهم فكيف يمنعون غيرهم!

٧ ـ إذا رضي الله تعالى عنك أعطاك كل شيء ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ وإذا حرمك لم يبق لك أي شيء.

٨ ـ رأس مواجهة الباطل وقاعدته العمل الصالح ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ دعوة إلى عدم الالتفات للناعقين عليه ﷺ، والانشغال بالعمل الصالح في مواجهة ذلك الكيد العريض، وهي دعوة لكل مصلح إذا وقف له الأعداء في الطريق، وحاولوا أن يحولوا بينه وبين الحق الذي يحمله أن يمضي إلى ربه من خلال العمل الصالح، وأن يتعلّق بربه تعالى فإنه كافيه تلك العوائق مهما بلغت.

٩ ـ قيمة أوقات المصلحين كبيرة، ويجب ألا يستفرغ ذلك الوقت في المعارك الجانبية مع العدو، وأن يستثمر في الصلة بالله تعالى، والتوجه والتضرع إليه وفي ذلك من التقوّي على العدو، والتحصن منه ما فيه ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾. إن الانشغال بالعدو، والرد عليه في كل ما يطرح، والتصدي له في كل صغيرة وكبيرة ليست من شأن الكبار، وستذهب أوقات كثيرة عل حساب الصلة بالله تعالى، ونضوج المشروع، واكتمال بنائه، فعلينا أن نستثمر الوقت غاية الوسع فيما يكون أعود على المشروع من هذا الخصام السافر على أشياء هامشية.

١٠ ـ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ دعوة لإدارة الأولويات. إن ثمة أشياء كثيرة تواجه النبي ﷺ، ويحتاج فيها إلى توجيه، فوجهه الله تعالى إلى أهم عمل وأولاه في تلك اللحظة، ودله على طريق العبادة والصدق فيه والإخلاص له؛ فالانشغال به وقت الخصومة أولى وأفضل وأهم من الانشغال بغيره.

١١ ـ أثر الصدق والإخلاص في نجاح المشاريع، والنصر على الأعداء ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ في مقابل الكيد، والاستهزاء، والسخرية التي يلقاها ﷺ في طريق الدعوة، ولا على الكبار من هذه الأوهام العارضة إذا صدقت النيات، وصلحت الأعمال! إنها دعوة عريضة للتجرد لله تعالى رغم كل عقبات الطريق العارضة.

١٢ ـ دين الله تعالى ليس صورة مجردة من الواقع، ليس عملاً قلبياً، أو دعوة فكرية لا علاقة بها بواقع الحياة! ليس كافياً هنا تعلّق القلب بالله تعالى وهتافه بذكره، كلا! وإنما النزول إلى واقع الحياة، وممارسة شعائر العبادة، وتحقيق الإخلاص فيها ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾.

١٣ ـ الشكر قيد النعم، وما قيدت نعمة بمثل شكر الله تعالى! وقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ دعوة لشكر العبادة، والقيام بحقها في مقابل العطاء الكبير والخير العميم الذي أعطاه الله تعالى. وعلى العاقل أن يعرف قدر نعم الله تعالى، ويعلم كذلك أن دوام هذه النعم معقود على قدر شكرها والقيام بحقها. وما ولّت نعمة عن صاحبها بعد وصول إلا لنكران لها أو عدم قيام بحقها.

١٤ ـ المصلحون وصنّاع الحياة وحاملي رايات التغيير يدركون كم هو أثر هذا المعنى في الطريق ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾.

١٥ ـ إذا أقلقك الواقع، وأمضك الانتظار فتوجه إلى محراب مسجدك وأقم الحياة في واقعك من جديد ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾.

١٦ ـ قبل أن تخوض معركتك في الواقع اشحذ قلبك في محراب مسجدك، وأرِقْ دماء الجزور قربةً لربك ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾.

١٧ ـ المسجد هو بداية الثورة الفعلية، ثورة الروح التي تضخ في جسدك كل شيء ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾.

١٨ ـ عظم أثر الصلاة في واقع صاحبها ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ حين تنداح العقبات والمشكلات والأزمات، فليس لها إلا محراب مسجد! ييمّم فيه الإنسان وجهه إلى ربه، ويقبل عليه ليبث شكواه، وينزل به حاجته، ويروي له قصة تلك المشكلات التي لاقاها في طريق مشروعه. إن الصلاة صلة وحديث شجن،

ورواية حب بين مخلوق ضعيف عجز عن لأواء الحياة فأقبل إلى ربه يروي قصة عجزه ويبث شــكواه وهمومه وأحزانه. إن الله تعالى يدعو نبيه ﷺ وقت هجوم الأعداء، وتطاول السفهاء، وعقبات الطريق أن يقبل مخلصاً للصلاة لتنقشع كل تلك الغيوم.

١٩ ـ لا ينبغي أن يتحول مقصود عباداتنا إلى قضاء حوائجنا الشخصية، فالعبادة أرفع من هذا المعنــى بكثيــر ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ لا لقضاء حاجتك، وانتهاء مشكلتك، وانقشاع همومك وأحزانك. بل ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ وهذا المعنى يأتي على كل ما تريد من آمال وأحلام.

٢٠ ـ سنن الله تعالى ثابتة لا تتغيَّر، ولن يقف الدعاة والمصلحون يدأبون في طريق الدعوة آمنين في الطريق، سالمين من المعارضين، خالين من الشبه والتهم التي تكدر سيرهم، وتعترض طريق دعوتهم، ولو صفا لأحد طريق لصفا لمحمد ﷺ، لكنها السنن!

٢١ ـ العقبات جزء من نجاح أي مشــروع! وعلى قدر مشروعك وأثره في الواقع تأتي العقبات العارضة في الطريق. إن الإسلام ماض إلى طريق النصر الكبير دون توقف، وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ما يبين عن ذلك. لقد مضى يشق الطريق أيام قلة المعين والنصير، ومضى غير آبه بأعباء الطريق وما زال، ودين استطاع أن يقف على قدميه تلك الأيام قادر أن يمد في طريق النصر والتمكين. لقد كان الأمس شــاهداً على أن المناوشــة كانت بين صاحب الحق وحده، وأصحاب الباطل مجتمعين ومضى يشق طريقه باقتدار، واليوم وإن كان الباطل كبيراً فالحق برجاله كثرة، وهم قادرون بإذن الله تعالى على الوصول إلى نهايات الطريق.

٢٢ ـ ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧] هذه هي الحقيقة التي تقررها سورة الكوثر في نهاية المطاف ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ كم بين دعوى تلك التهمة لرسول الله ﷺ أنه أبتر، وبين هذه الحقيقة التي تملأ الأرض اليوم! كم بين وعد الله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ وهذه اللحظة من زمن! وهكذا كل باطل فإنه إلى زوال، والحق أكبر من أن يقف لقطاع الطريق، وأهل الباطل مهما كان لهم من السلطة والقوة والقدرة على الوقوف أمام قوة الحق إلا أنهم في النهاية إلى زوال.

٢٣ ـ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ يوقظك في عتام الليل يخبرك أن سيل الفأل قد حل فما لك ولليأس!

٢٤ ـ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ حتى لو كان فرداً، جماعة، جيشاً مدججاً بالسلاح، قوة عالمية.

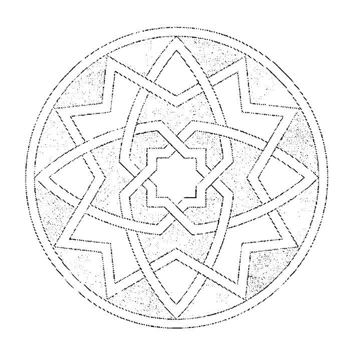
٢٥ ـ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ حتى لو كان العالم كله في صف العدو مقابل الحق الوحيد.

٢٦ ـ إن مشكلة الأعداء الكبرى ليست مع المسلمين، وإنما مع دينهم، وكل من يحمل دين الله تعالى، ويسعى به في العالمين فسيلقى من الكيد والصد والعدوان شيئاً كبيراً، وليس هذا لذاته، وإنما لأنه يحمل المشروع الذي يغيض به الأعداء.

٢٧ ـ سفه هؤلاء الأعداء! إنما كانوا يعيرون النبي ﷺ بالأبتر بالنظر إلى ولده وأنه لا يبقى له عقب، ونسوا أن الولد جزء من تلك المشاريع الكبرى في واقع الأرض! كم بين ولد ظل عقبة كأداء في طريق والده، وربما تعثّر مشروع والده زمناً من أجل عقابيله ومشكلاته، وبين مشروع ظل يسقى قبره من لا ولد له وما زال! إن الحياة تكبر وتتوسع بقدر مشاريع صاحبها وكم من مشروع كان أثمن من أولاد الدنيا كلهم!

٢٨ ـ الرد على الأعداء فن! إن الله تعالى افتتح الرد على هؤلاء ببشارة تأخذ بقلب نبيه ﷺ، وتكفيه إحباطات الواقع، وجراح المشاعر، وشقة الطريق. لا عليك من كل ما يقال لك فنحن راضون عنك، شاكرون لك، واهبون لك الكوثر. ماذا بقي لك! وماذا تنتظر! قم إلى مشروعك فما ينتظرك عند الله تعالى أكبر من هذه العقابيل التي تعترض طريق سيرك، ورحلة مشروعك في واقع الأرض. كانت هذه البشارة كافية في إزاحة كل العقابيل التي تعترض سيره ﷺ. كانت كافية في مسح كل الأحزان، والآلام، والمشكلات، وهيشات السفهاء! وفي الخاتمة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ الكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ قل للكافرين معلناً ومصرحاً.

- ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ من الأصنام والأنداد.

- ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾ ولا أنتم عابدون الله تعالى.

- ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾ ولا أعبد عبادتكم، فلا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه. وأنتم لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم، وهذا على القول بأن في السورة تكراراً وعلى القول بأنه ليس في السورة تكرار تكون الآية الثانية في القبول بمعنى: ولن أقبل عبادتكم، وأنتم كذلك لن تقبلوا عبادتي. فتكون الجملة الأولى

عائدة على الفعل، والجملة الثانية عائدة على القبول والرضا يعني: لا أعبده ولا أرضاه، وأنتم كذلك لا تعبدون الله ولا ترضون بعبادته.

- ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الذي أنتم عليه وتدينون به ﴿وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ فلا أدين دينكم.



١ ـ ﴿قُلْ﴾ دليل على أن مسألة الإيمان بالله تعالى، وترك عبادة ما سواه من محكمات العقيدة، ومسلمات التوحيد، وليست مجالاً للاجتهاد والتشهي.

٢ ـ تجديد الرسالة، وأن النبي ﷺ رسول الله تعالى إلى الخلق، ويبلغ ما أمره الله تعالى فحسب، و ﴿قُلْ﴾ دليل ذلك.

٣ ـ الحق أكبر من أن يتسوَّل المعرضين والكافرين في منتصف الطريق، وهذه المفاصلة التي يصنعها النبي ﷺ بالقرآن في بواكر تاريخ الدعوة ـ رغم الحاجة إلى المهادنة ـ دليل على قوة سلطان الحق مهما كانت الظروف التي تحيط به ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾.

٤ ـ مسافة طويلة بين الحق والباطل، ولا سبيل للتلاقي في منتصف الطريق. ولا يمكن أن يبنى الحق على شيء من الباطل. وكل من ظن أن هناك نقطة يلتقي فيها الطرفان فقد وهم، وقول الله تعالى: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ دليل هذه المفاصلة الكبرى.

٥ ـ الحق كله من عند الله تعالى، وليس للرسل منه سوى البلاغ، (وقل) هنا تذكير بهذا المعنى وتأصيل له.

٦ ـ وصف الإنسان بما هو فيه منهج شرعي، وقد وصف الله تعالى القوم هنا بالكافرين، وهو وصف مطابق لما هم عليه تماماً، وكل ملة ليس لها حظ من هذا الدين فهي ملة كفر، وأهلها كافرون، وكل دعوى تخالف هذا المعنى فهي دعوة جاهلية ليس لها في الشرع اعتبار ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ١﴾.

٧ ـ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ١﴾ هذا وصفك ولكن لا يعني هذا ضياع حقك، وسفك دمك، ونشوء الخصومة معك. إن رأيت هذا في مشهد فذلك من خلل المفاهيم.

٨ ـ يجب علينا بلاغك، ولسنا مسؤولين عن قيادك إلى حياض الفضيلة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ٦﴾.

٩ ـ لا تضاد بين بلاغ الرسالة، ووصف الإنسان بما فيه، فقد خاطب النبي ﷺ هذه الأمة بمنهج الله تعالى بما فيه من وصف كاشف لحقيقة القوم، وكان مثالاً في ذات الوقت على الرقي الأخلاقي الكبير، وليس بين الدعوة والأخلاق تضاد، ولم ينشأ التنازع إلا في أوساط تختلط عليها مفاهيم هذا الدين وأهدافه الكبرى في الحياة.

١٠ ـ بيان حقيقة الكافرين، وأنهم متمسكون بعقيدتهم الباطلة، غير قابلين للتفاوض من أجل الوصول للحقيقة مطلقاً، وهذا في الأعم الأغلب، وإلا ففي أفرادهم غير ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣﴾ برهان ذلك ودليله.

١١ ـ بناء المفاهيم والتصورات حقيقة ضخمة يجب أن تأخذ حقها من أوقات الدعاة والمصلحين، والناظر في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ يجد هذا المعنى واضحاً جلياً.

إن تحرير قضايا الكفر والإسلام ومكانتها من الشرع حقيق ببذل الأوقات والأموال. وجزء كبير مما تحرره هذه السورة هو تصحيح التصورات، وهو الذي

يجب أن يأخذ حقه من الإصلاح ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

١٢ ـ تأكيد قضية البراءة من المشركين في نفوس المسلمين، وأنها قضية كبرى في دين الله تعالى، ولا يستقيم دين الإنسان في الواقع إلا بها، مهما بلغت المصلحة المتوهمة يجب ألا تتجاوز هذه المعاني الكبار. إن المسألة هنا مسألة عقيدة، ويجب أن تفصل من البداية، وأن يظل قلب المسلم يهتف حباً بولاء المؤمنين، ويهتف بغضاً وكراهية بالبراءة من المشركين، ولن يستقيم دين عابد لله تعالى إلا بذلك ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

١٣ ـ خطورة الكفر والشرك على العقيدة، فقد يخرج الإنسان من العقيدة كلها بمجرد قول أو فعل وفي لحظة من الزمن، وتكرار السورة مع سورة الإخلاص في باكر كل يوم، وخاتمته في صلاتي الفجر والمغرب تأكيد على خطورة الشرك ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

١٤ ـ هذا التكرار في السورة إما دليل على خطورة موضوعها، وأنه من أصول الدين، والمساس به خطير ومؤثر على توحيد الإنسان، أو أنه موائم لكثرة عرضهم وتكرارهم ومحاولاتهم في النبي ﷺ فجاء ليقطع تلك الأوهام والمحاولات من أصلها ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

١٥ ـ بطلان دعوة (وحدة الأديان) وأنه لا سبيل للالتقاء بين الحق والباطل، والإيمان والكفر إلا على أساس قبول أحكام هذا الدين وتمثلها في الواقع، وهذه الدعوى دون قيد أو شرط دعوة لاختلاط المفاهيم ببعضها دون وعي ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾.

١٦ ـ الكفر ملة واحدة، وهذا النداء شامل للكل ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ وليس لمخلوق أو ملة بعد إتيان هذا الإسلام من رأي، إما الالتزام بالحق، أو الكفر.

١٧ ـ وضوح الهدف والطريق، وأنه لا يمكن أن يحصل لقاء بين الكفر والإيمان في عرض الطريق. إن هذا الرفض ليس للزمن الحاضر الذي تُعرض فيه هذه المطالبة بل هو ممتد في حياة الإنسان كلها دون فرق ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾.

١٨ ـ الثبات على القيم والمبادئ، وعدم التنازل عنها بحال مهما كانت الحاجة ماسة، والظروف داعية. إن قضايا القيم والمبادئ يجب أن لا تمس لدعوى عارضة، أو لمصلحة متوهمة، ويجب أن تحرس من كل فكرة قد توهنها أو تأتي على أصولها فتضعفها ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾.

١٩ ـ إن منهج المصلحين إيضاح الطريق، والهداية في النهاية بيد الله تعالى! إن النبي ﷺ هنا وضّح للقوم الطريق، وجهد في بيانه، وترك لهم الخيار، وعلى المصلحين أن يبلغوا جهدهم في إيصال قيم الدين ومبادئه إلى كل إنسان، وليس

عليهم أن يأتوا بكل من يتوجهون إليهم بالدعوة إلى حياضها. وهذا يريحهم من عناء الاستجابة أو تأخرها، أو التنازل عن شيء من القيم والمبادئ من أجل الإقبال بهم. إن الهداية بيد الله تعالى، وعلينا أن نبين الطريق ونترك الناس فيها بعد ذلك بالخيار ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

٢٠ ـ يجوز أن تنسب إنساناً أو جماعة إلى ما يعتقدون حتى لو لم يكن ذلك الاسم أو النسبة شرعية في دين الله تعالى، وفي قول الله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ ۝٦﴾ دليل ذلك مع علم الله تعالى ببطلان ما هم عليه.

٢١ ـ ثمَّة حاجة وفطرة في نفس كل إنسان للدين، وأنه لا يمكن أن يستغني إنسان في الأرض عن إله، ولذلك إذا ضل الإنسان عن ربه تأججت هذه الحاجة في نفسه للبحث عن إله ومعبود من جنسه، فترى منهم من يعبد البقر، والشمس وبوذا، وأشياء كثر، بما يدلك على عظيم الحاجة والفطرة في قلوب الخلق إلى معبود.

٢٢ ـ ضرورة الدعوة في بلاد الغرب، وأن حاجة تلك الأمم إلى التعرّف على الحق تفوق كل حاجة، ولن تستقر قلوب أولئك على وهم، وستظل تشعر أن فراغاً كبيراً يطاردها لغياب الغاية الكبرى من حياتهم، فعلى أصحاب الحق أن يجهدوا في سبيل الوصول إليهم وبيان الحق لهم.

٢٣ ـ كل الأديان التي ينتسب إليها الناس غير دين الله تعالى أديان ضالة باطلة، وفي قول الله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ ۝٦﴾ إشارة إلى هذا البطلان، وأنه دين من عندكم لا علاقة له بالوحي والحق.

سورة النصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

التفسير

- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ لدينه الحق على الباطل ﴿وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ فتح مكة.
- ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ جماعات.
- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي نزهه تعالى عما لا يليق بجلاله ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ اطلب مغفرته ورحمته ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ أي كثير القبول للتوبة.



١ ـ ما مهمتك في الحياة؟! ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ كأن السورة تخاطب نبينا ﷺ وتقول

له: إذا تحقق هدفك وانتهت مهمتك وتيسرت قضيتك، فقد انتهى كل شيء. رتِّب علاقتك مع ربك وأحسن خاتمتك ووداعك لم يبق شيء بعد مجيء هذا النصر الذي كنت تنتظره.

٢ ـ السؤال لك أنت: ما المهمة التي جئت لها وتنتظر نهاياتها؟ ما دورك؟ ما عملك ورسالتك ومشروعك الكبير الذي تجهد في بنائه، وقطعت فيه شوطاً أو أوشكت على نهايته ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢﴾ كأنه ﷺ ينتظر أمنية وإنجاز مشروع كبير وتحقيق هدف عظيم وها هو ما كنت تنتظره وتؤمله يأتي بعد طول انتظار.

٣ ـ النصر من عند الله تعالى، وليس لصاحب المشروع من ذلك إلا بذل الأسباب المشروعة فحسب! لقد وصف الله تعالى النصر الذي تحقق لنبيه ﷺ بأنه جاء منه وحده وليس منه شيء للنبي ﷺ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ وإذا كان النصر من عنده وحده فيجب ألا يطلب إلا منه، وألا ينسب في النهاية إلا إليه، وألا يصار إليه إلا من الطريق الذي ارتضاه تعالى. إن هذه الصورة التي تحققت لنبينا ﷺ يتحقق منها شيء لأصحاب المشاريع في كل وهلة، وعليهم أن يدركوا هذا المعنى في حياتهم، فليس جهدهم ولا إراداتهم التي صنعت هذا مجرداً من أسباب التوفيق، وإنما لقوا من توفيق الله تعالى ما ورد بهم إلى ذات النهايات. ومثل ذلك كل ما يلقاه الإنسان من نعمة سواء في نفسه أو بيته وأسرته أو عمله، إنما هي محض نعم الله تعالى وتوفيقه.

٤ ـ نصر الله تعالى، وتوفيقه لإنسان أو مجتمع، أو أمة لن يأتي معزولاً عن أسبابه المادية، كلا! وإنما هي خطوات وأواصر يأخذ بعضها ببعض حتى تأتي في النهاية بتلك الأماني. إن علينا أن ندرك أن هذا النصر الذي جاء لنبينا ﷺ وهو من الله تعالى بداية ونهاية لم يأت معزولاً عن أسبابه، وإنما جاء في خاتمتها، بعد أن

استنزفت تلك الأسباب دماء جسده ودموع عينيه، وتاريخ حياته كلها، وفي النهاية جاء ذلك الوعد ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾.

٥ ـ أهمية الهدف والمشروع في حياة كل إنسان! لقد بعث النبي ﷺ بهذا الهدف الكبير، وحمل أعباء هذا المشروع (مشروع الرسالة) وظل ﷺ يعيش لحظات ذلك الهدف والمشـروع في كل جزء من حياته حتى تحقق له في النهاية ذلك الحلم الكبير، وقول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ تأكيد على عناق النهايات. إن مهمة الكبار كبيرة في كل زمن، ويجـب أن تظل رهناً على حجم الأهداف والمشاريع التي يختطونها لحياتهم، ويعيشون لها لحظاتهم، ومن الغبن الكبير أن يعيش الإنســان فارغاً من الأهداف والمشـاريع، فيعيش لا أثر له في الواقع، ولا قدرة له على التأثير. وإذا كانت الجنــة درجات فإنها على قدر هذه المعاني من حياة إنسان.

٦ ـ عيش المشروع، وتلهُّف النبي ﷺ للحظات نهايته، وانتظاره الكبير للحظاته، ترى ذلك في تصوير هذا النصـر بالقادم بعد طول انتظار ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ وكل من أراد ذات اللحظة فعليه أن يعيش مشــروعه، وهدفه، ويبذل له كل ممكن حتى يصل إلــى ذات النهاية التي عانقها النبي ﷺ بعد زمن من انتظار.

٧ ـ النصر يحتاج إلى زمن كافٍ للوصول إلى نهايته، ومشروعك كذلك، وعلينا أن ندرك أن ثمة مسافة زمنية فاصلة بين البدايات والنهايات! فاصلة بين الأماني والواقع، وكل من ينشد النصر لمشروعه أو واقع أمته فلا بد أن يدرك هذه المسافة الفاصلة بين البداية والنهاية، ويعمل في ضوئها حتى تأتي في يومها الموعود.

٨ ـ إن قناعة الناس بالحق لا تأتي مبكراً، وقد يطول زمان انتظارها! وقد تحتاج إلى صور من العمل والبناء والتضحية والتطبيق حتى تأتي إليه راغبة في اعتناقه

بهيجة به في الحياة، وفي قول ربك: ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ ﴾ ما يصوّر تلك الأفواج القادمة لعناق الإسلام، وقد طال زمان انتظارها. إن علينا أن نبذل كل ما يمكن لتحقيق غايات دين الله تعالى، وعلينا في المقابل أن نحسن تقديم دين الله تعالى، وألا نقف للعوارض مهما كانت، وستأتي لحظات النهاية بأروع ما يكون.

٩ ـ الدين دين الله تعالى، ويجب أن تصاغ مشاريع الأمة كلها باتجاه هذه الغاية الكبرى، وأن تحمى من الهوى، والانتماءات الباطلة، والحزبيات، وأن يتحرّك الإنسان في مشروعه أو هدفه أو حزبه وجماعته على ضوء هذا المعنى، وألا يخالطه شيء من أغراض النفس البتة ﴿فِى دِينِ ٱللَّهِ ﴿٢﴾ ﴾.

١٠ ـ ثمة صلة كبرى بين الشكر والتوفيق! الأول ساق وجذر، والثاني ورق مورق بالثمار! سبب ونتيجة لم يفترقا في لحظة زمن، ويمضيان سنة إلهية إلى قيام الساعة ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ وما حق تلك النعم الوارفة عليه ﷺ إلا هذا الإجلال من الشكر والعرفان! وإذا كانت هذه الرسالة لأعظم الخلق فغيره أحرى بها وأولى.

١١ ـ حاجة الإنسان الكبرى إلى ربه تعالى! وما من نعمة ينالها إنسان إلا وهي فضل من الله تعالى، ومنة على عبده، وعلى الإنسان أن يعي واجبها، ثم يعي في المقابل تقصيره عن أداء شكرها والقيام بحقها، ولذا أمر ﷺ مع كل ما كان يقوم به من حق بالاستغفار، والاستعتاب من ربه تبارك وتعالى في نهاية الطريق.

١٢ ـ حين تواجهك مشكلة، أو تعرض لك في الطريق محنة، أو تلقى عقبة، فَعُدْ إلى ربك، وانطرح بين يديه راجياً منه التوفيق والعون، وتعلّم مسائل التضرع والخشية والفقر قبل أن تتوجه لمخلوق في الأرض يهبك من عونه وتوفيقه. إذا كان الله تعالى يعلّم نبيه ﷺ هنا إحسان العمل والإقبال عليه وقت النصر شكراً

للنعمة، فكذلك وقت المشكلات والعوائق أحوج وألطف ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾.

١٣ ـ عناية الله تعالى بنبيه ومحبته له، ورعايته له في كل طريق ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ بعض من ذلك المعنى الكبير الذي كان يلقاه وهو يقوم بهذا الواجب الكبير.

١٤ ـ إذا تحقق لك نصر، أو أتم الله تعالى لك مشروعك، أو قرَّب لك مسافات النهاية في قضيتك، فجمّل ذلك بخلق التواضع والخضوع لربك تعالى، وفي قول الله تعالى: ﴿نَصْرُ ٱللَّهِ ﴿١﴾ ﴾ دعوة لهذا المعنى، فليس لك منه شيء، وتأصيل له في نفس النبي ﷺ، وقد تجمّل بذلك ﷺ في تلك اللحظة فدخل مكة مطأطئاً رأسه.

١٥ ـ قد يتأخر النصر على الجماعة المؤمنة في جزء من أرض الله تعالى إما لأن أدواته لم تستكمل في حياة المؤمنين بعد! أو لعدم تمايز الصف بين الفريقين، أو لحكم يشاؤها الله تعالى من اتخاذ الشهداء، أو تمحيص المؤمنين فلا يجزع المؤمنون من طول الطريق وشقته، وإنما عليهم أن يستمروا دون نظر إلى عاجل العواقب أو جني الثمار.

١٦ ـ للنصر صور كثيرة، هذا الذي حصل للنبي ﷺ هو أحدها، وثبات المؤمن على الحق، وتسمكه به زمن الفتن، والمضي في مشروعه الذي اختطه لنفسه رغم العقبات العارضة نصر عاجل يستلذ به المؤمن في عرض الطريق.

١٧ ـ سمو هذا الدين وجماله وأثره على أصحابه، ترى ذلك في فرحهم بالنصر ودخول الناس في دين الله تعالى دون اعتبار لمواقف سابقة مهما كان رصيدها في الطريق. بل ترى الواحد منهم يلقى أخاه بعد إسلامه فكأنه يلقى أقرب الناس منه، وأحبهم إليه، وهذه صور تتكرّر إلى زماننا هذا، وكل ذلك بعض معاني الإيمان في نفوس أصحابه.

١٨ ـ رحمة الله تعالى بعباده، وشفقته عليهم، ترى ذلك من خلال ما شرع لهم من العبادات التي تسد خللهم ونقصهم في القيام بواجب ربهم تبارك وتعالى ﴿ (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ (٣) ﴾ وهذه الرحمة شـريعة ممتدة في كثير من العبادات كالصلاة، والحج، وقيام الليل، وكفارة المجالس، ونحو ذلك مما تراه في شريعة الله تعالى.

١٩ ـ ضـرورة العناية بالطاعـات، والأعمـال الصالحة، والمشـاريع المباركة، والحرص على استيعاب رحلة الإنسان كلها في طاعة الله تعالى حتى إذا ما رحل الإنسان من الدنيا رحل وهو على خير وبر، وفي الترمذي قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله**» فقيل كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل الموت**».

٢٠ ـ أثر الكبار في عمارة الأرض، وفوات حظ الأمة منهم على قدر مشـاريعهم فيها، ترى هذا من خلال الإجلال والاحتفاء والتوديع لرسـول الله ﷺ، حتى إن السورة كلها سميت سورة التوديع كما يقول ابن مسعود رضي الله عنه.

٢١ ـ لا يحملك الفوز والنصر وبلوغ النهايات في مشروعك على الكبر والعجب، فليس ذلك من خلق الكبار، ولذلك جاءت الدعوة إلى التسبيح والاستغفار من الذنب، فإنه حري بأن يذكره بواقعه، ويريه منـن الله تعالى عليه ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ (٣)﴾.

٢٢ ـ لا تسـتبطئ أحداً في عرض الطريق، فكم من إنسان قادم يحتاج إلى صبر حتى يلحق بركب المؤمنين! كم بين هذه الأفواج الداخلة هذه اللحظة في دين الله تعالى، وبين بداية الدعوة! مسـافة طويلة ظلوا فيها عقبة كبيرة في طريق الحق حتى شاء الله تعالى أن يأتوا إليه مذعنين.

٢٣ ـ إن مهمة الجهاد الكبرى وغايته إزاحة العقبات العارضة في طريق المؤمنين، ولم يكن مقصود الجهاد من لحظة تشريعه إزهاق الأرواح، وإنما كان وسيلة لفتح المنافذ حتى يتمكن الناس من رؤية الإسلام على حقيقته.

٢٤ ـ الاستغفار استعتاب من الله تعالى على التقصير في حقه، وقد أمر به من غفر الله تعالى له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، فحاجة غيره من باب أولى. علينا أن ندمن هذا المعنى في سائر حياتنا، وأن نستوثق منه لكثرة خطايانا وذنوبنا، وأن نمتثل أمر الله تعالى ونحقق مراده في الأرض ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۝٣﴾.

٢٥ ـ الدعاء عبادة من العبادات، وينبغي ألا يجري على لسانك في كل وهلة وأنت ترقب به حظك منه، وتحقيق مقصودك فيه، وإنما عبودية لله تعالى، تفعله وأنت تشعر أنك تتعبّد الله تعالى به، ترى هذا المعنى في الدعوة إلى التسبيح والاستغفار وقت النصر ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۝٣﴾.

٢٦ ـ الإكثار من التسبيح والاستغفار من أعظم ما يعين على تحقيق مطلوبك في الدارين! إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بهما في أعظم أوقات الحاجة لديه وهو وداعه من هذه الدنيا واستقبال الدار الآخرة، ولذا كان كثيراً ما يردده ﷺ في آخر حياته كما أخبرت بذلك زوجه عائشة رضي الله عنها ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۝٣﴾.

٢٧ ـ سعة رحمة الله تعالى، وجميل عفوه، ترى ذلك في وصف نفسه تعالى بالتواب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ وهذا المعنى كبير في قلوب المتقين، وهو دعوة إلى كمال القرب والتعلّق، وبذل الوسع والجهد، وعدم اليأس من غفران الذنب مهما كان حجمه وأثره.

٢٨ ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ دعوة لمكارم الأخلاق، فلولا أن الله تعالى يحب العفو والصفح لما كانت هذه الصفة على سبيل المبالغة، وإذا كان الله تعالى يحب

هذه المعاني فجميل أن يتمثّل بها عبده، وأن يعيش معانيها في حياته، وأن يعفو ويصفح عن كل إنسان بادره يوماً بسوء، وأن يظل يرعى هذه الصفات التي يحبها الله تعالى ويتدثّر بمعانيها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٢٩ ـ هذه البشائر التي يزفها الله تعالى في هذه السورة هي خواتم كل مشروع قام جذره على الصدق، والإخلاص، واستوعب كافة الوسـائل والأسباب الممكنة للنجاح، وكل مؤمن صادق في الطريق إذا تحقق في مشـروعه هذه المعاني كان موعوداً بذات النهايات.

٣٠ ـ ينبغي أن يخبر المريض بخطر مرضه، أو قرب نهايته لكن في ثوب رائق من الأسلوب بما يمكنه من الاستعداد والامتثال، ولا يحمله على الخوف والضجر والجزع، والسورة كلها جاءت لهذا المعنى، وقد فقهها الحبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما من بين كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

٣١ ـ دعوة للاسـتعداد بالعمل قبل الموت، وإن كان هذا عاماً في كل لحظة من حياة الإنسان لعدم معرفة زمن موته، إلا أنه حقيق بالعناية بعد طول عمر الإنسان أو وجود ما يعرض من الأمراض، والله المستعان!

٣٢ ـ دعوة للتفاؤل! وإذا قرأ الإنسان سيرة هذا النبي ﷺ وقرأ لحظات البداية في أفياء مكة، أو ساحات الطائف، وقرأ المؤامرات والحروب التي شنت، والخيانات التي حيكت له ﷺ وقرأ اليوم هذه السـورة وهو يحتفي بالنهاية أدرك أن الحق يمضي لا يمكن أن يعيقه شيء في الطريق.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ المَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥

التفسير

• ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ أي خسر وخاب وضل عمل وسعي أبي لهب ﴿وَتَبَّ ۝١﴾ فلم يربح، وهي خبر بمعنى أنه تأكد خسرانه.

• ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ ما نفعه ماله الذي حصله ﴿وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ وما نفعه ما كسبه في الدنيا من شرف وجاه.

• ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ سيحرق بنار ذات لهب وشرر عظيم، وذلك يوم القيامة.

• ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ زوجه وهي أم جميل، أروى بنت حرب ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ تحمل الحطب وتلقيه في طريق النبي ﷺ.

• ﴿فِي جِيدِهَا﴾ في عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ من ليف مفتول، وكانت تخرج به إلى الصحراء لتربط به الحطب الذي تؤذي به النبي ﷺ.



١ ـ أعظم خسارة يلقاها الإنسان في تاريخه كله حين يصنع من نفسه خصماً لدوداً لدين الله تعالى في الأرض. ماذا بقي لأبي لهب من ذلك الجاه الكبير الذي كان يسير به في مكة حين وقف في طريق الإسلام إلا هذه الخسارة الكبرى للدارين؟!

٢ ـ أخطر ما يواجه الإنسان في حياته نفسه التي بين جنبيه، وكم من هوى وعجب وكبر أغار على صاحبه في لحظات فأذاقه الخسارة للدارين، ما لهذا الشقي ولدين الله؟! خاف أن يذهب ذاك الشرف وتلك المسؤولية معارضاً مستوثقاً من الباطل بكل ما أوتي من قوة.

٣ ـ غالباً ما تكون المسؤوليات، والمناصب سبباً في انحراف الإنسان عن الحق، ذلك أن شهوات النفوس تغلب أصحابها، وتكتب عليهم هذه المسؤوليات واجبات وهمية تعارض الحق وتقف في طريقه إلا من وفقه الله تعالى وهداه للطريق ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾.

٤ ـ كثيرة هي الانتصارات الوهمية التي يصفق لها الإنسان، وتذهب في النهاية لحظاتها دون شيء! حين وقف أبو لهب أمام تلك الجموع قائلاً: (تباً لك ألهذا جمعتنا؟!) صفق كثيرون، وها هو في النهاية يكتشف وَهْم الانتصار الذي كان يعيشه تلك اللحظات.

٥ ـ الأموال، والمسؤوليات التي يهبها الله تعالى لإنسان إذا لم تكن عوناً له على الحق، وإلا كانت سبباً كبيراً في خسارته للدارين. لا ينفع إنساناً مالٌ لا غاية له،

ومسؤولية لا هدف لها في الحياة! ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾.

٦ ـ جزاء كل إنســـان على قدر عمله ﴿۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ دليل على كبير ما يلقاه هذا الهالك غداً بين يدي الله تعالى، وما ذلك إلا لكبر عداوته للحق، وإفساده في الأرض.

٧ ـ حقائق القرآن لا تقبل التغييــر ولا التبديل، أخبر الله تعالى هنا عن مصير أبي لهب ومآله ولم يتمكن أبو لهب من تكذيب هذه الحقيقة رغم أنها عاشت معه زمنــاً طويـــلاً ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾.

٨ ـ (عيش المشروع) كان واضحاً جلياً في ســيرة هذا الهالك، عاش لمشروعه وبذل له كل ما يمكن من حياتــه، يصوّر هذا المعنى مــا رواه الإمام أحمد من حديث رَبِيعَةَ بن عَبَّادٍ الدِّيلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُــولَ اللهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَهُوَ يَقُــولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: (لا إِلَٰــهَ إلا اللهُ) تُفْلِحُوا، فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا مِرَاراً وَالنَّاسُ مُتَصَفُّونَ عَلَيْهِ يَتَّبِعُونَهُ، وَإِذَا وَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ وَضِيءُ الْوَجْهِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، مَرَّتَيْنِ فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا، فَقَالُوا: هَذَا عَمُّهُ أَبُــو لَهَبٍ. وعلى ذات الطريق صحب وأعوان لهذا الهالك يعيشــون مشــاريع، ويجهــدون أن يحولوا بين الناس وبيــن دين الله تعالى، وأهــل الحق أولى بأن يعيشوا مشاريعهم كما عاش هذا الهالك لمشروعه وأعظم.

٩ ـ تحزيب البيوت لصالح المشروع، ترى ذلك ظاهراً في سيرة زوج أبي لهب وهي تقف في الطريق ذاته، وتنصب نفسها لذات المشروع، وتجهد بكل قوة في إعانة زوجها على بلوغ غاياتــه ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ ليس عملاً عارضاً، وإنما جهد مشروع تحمل به طموح زوجها، وتعينه على عناق النهايات.

لم تكن المســألة في بيت أبي لهب مسـألة شكوى من انشـغال زوجها عنها، وسـيطرة مشـروعه على وقته وفكره فضلاً عن الوقوف دونه ومعارضته، وإنما تحولت إلى ولاء ظاهر، وخروج عن جدران البيوت إلى ممارســته في الواقع، وبذل كافة ما يمكن من جهد لتحقيق غايات ذلك المشروع.

١٠ ـ سوء مآل كل المتعاونين على الإثم والعدوان، هذه امرأة أبي لهب حين كانت عوناً على الباطل، ومسـاعدة فـي العدوان صـارت في النهاية إلـى الخذلان ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ ﴾.

١١ ـ هذا هو طريق الدعوة، سـيظل مليئاً بالعقبات، والآلام، ولن تأتي اللحظة التي تسـتقر فيها رحاه، ترى هذا من تلـك اللحظات التي بـدأ فيها ﷺ أول خطوات الدعوة، وما زالت إلى يومنا هذا على ذات الطريق، وهذه السنة ستظل باقية ما بقيت الدنيا، وعلى أهل الحق أن يدركوا ذلك، وأن يفقهوا هذا المعنى، وألا يقعدوا حين يرون عدواً مستبداً، أو جولة لأهل الباطل؛ فتلك سنن ستأخذ حظها من الواقع، ثم تزول مع مرور الأيام ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾.

١٢ ـ سيظل الإسلام يملأ الدنيا بواقعه، وقد استطاع أن يقف على قدميه أيام النزر اليسير، وأن يغير على الواقع المظلم فيبدد ظلامه، ويهدد استقراره، ويمضي رغم قلة المعين، وظروف الطريق، وكلما مر الزمان زاد ثقة وكثرة! ودين هذه طبيعته وهذا واقعه يجب أن يملأ قلوب أصحابه ثقة وتفاؤلاً، وهذه السـورة نافذة على هذا الأمل الكبير، فما صنع أبو لهب! وما صنعت قريش! وما صنع النفاق! باءت كل المحاولات التي حاولت أن تقف في عرض الطريق بالفشل، وعاد أصحابها عبرة، وهذا هو الإسلام آخذ في المضي إلى حين لقاء رب العالمين.

١٣ ـ رعاية الله تعالى لأوليائه، وحفظه لهم، ودفاعه عنهم، ترى ذلك في هذه السورة التي رد الله تعالى بها عن رسوله ﷺ صولة هذا الكافر وعدوانه عليه، ومواجهته له. وللمصلحين من بعده ﷺ هذا المعنى على قدر متابعتهم، وإخلاصهم، وقيامهم بمشاريعهم في الحياة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

١٤ ـ تسلية قلب النبي ﷺ، وقلوب الدعاة، والمصلحين وأصحاب المشاريع من بعده إلى يوم الدين أن الله تعالى معهم ضد كل عدو في الطريق، يدفع عنهم مكر الماكرين، ويصد عنهم عدوان الكافرين والمنافقين ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

١٥ ـ عظيم حق النبي ﷺ، لقد تولى الله تعالى الدفاع عنه، وجعل سورة من كتابه تتلى على رؤوس الأشهاد تسب من تعرَّض له إلى يوم القيامة، وكل من تعرَّض للنبي ﷺ اليوم بعد وفاته، فهو موعود بأسوأ النهايات. وإذا كان هذا في حق النبي ﷺ، فكيف بالتعدي على جناب الكبير المتعال جلَّ في علاه! ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

١٦ ـ الهداية بيد الله تعالى، وقد هتفت الدعوة بقلوب كثيرين، ولم تلق رواجاً وقبولاً لدى أقرب الناس إلى صاحبها ﷺ، فهذا عم النبي ﷺ شرق بها ولم يقبلها، وراح يقف في طريقها بكل ما يملك ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] وما أحوجنا اليوم إلى فقه هذا الدرس الكبير! كم من مستفيد ومهتدٍ من آثار الدعاة! وبيوتهم وأقرب الناس إليهم لم تلق ذلك الرواء الذي لقيه الآخرون. إن علينا أن نمنح بيوتنا حقها من الدعوة، والعناية، والاهتمام، وعلينا مع ذلك أن نؤمن أن الهداية شيء بيد الله تعالى ولا نملك سوى الدلالة.

١٧ ـ الجزاء من جنس العمل! وقف أبو لهب أمام الدعوة، وخرج لها سافراً في كل مكان، وصاح بأعلى صوته: (تباً لك إلهذا جمعتنا)، وجاء الجزاء على قدر تلك

الأعمال، فجعل الله تعالى له راية سوداء تهتف به في كل زمان ومكان، وهذا يدلك على خطر المبادرة وأنها حاملة الراية، فإما أن تكون في الخير وتجري على صاحبها النعيم مدى العمر، أو في السوء وتجري على صاحبها السوء ما بقيت الحياة.

١٨ ـ كل معارض للدعوة، واقف في طريقها، حائل بينها وبين بلوغ غاياتها الكبرى موعود بذات النهاية التي لقيها أبو لهب، والتاريخ شاهد، وصدق القائل:

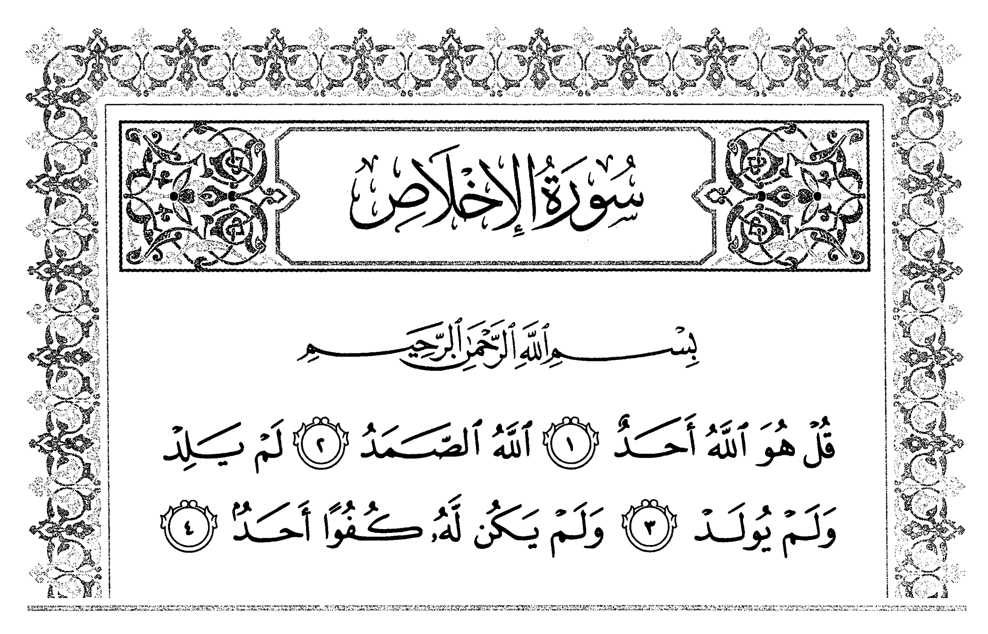
كناطح صخـــرة يوماً ليوهنها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وما يصنع عود أمام جبل، وحفنة تراب أمام سيل هادر، لكنها سوء النهايات ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

١٩ ـ لا عبرة في دين الله تعالى إلا بالعمل! هذا شريف قريش وكبيرها وسيد من ساداتها حين وقف في طريق هذه الدعوة، ورفض أن يشرب من هذا المعين لم يعبأ به الإسلام ولم يقم له وزناً، وذهب حكاية سوء في عرض التاريخ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

٢٠ ـ دين الله تعالى لا يحابي أحداً لجاهه، أو ســلطانه، أو أســرته، ومسؤوليته، وإنما يعامله بمقتضى عمله وفعله، فهــذا أبو لهب من رؤوس قريش، وصاحب مقام وسلطان، ومن بيت النبي ﷺ وتذهب السورة تنادي بنهايته، وتبين عواره في الدارين ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

٢١ ـ كشــف المنافقين، وفضحهم منهج شرعي، وسيرة هذا الضال جاءت في سورة كاملة تقرأ في مجالس المســلمين، ولقاءاتهم، وفي كل مكان. على أن هذا المنهج يجب أن ينضبط بضوابط الشرع، وألا يكون سبيلاً لاتهام الخلق، وتسويق الشائعات، ونقل الأخبار المكذوبة، والتقوّل على الخلق بغير حق، وأن يتحرّى الإنسان فيه قدر وسعه لأن المسألة مســألة دين، وهي كذلك مبنية على قضية المصالح والمفاسد، فعلى الإنسان أن يرعى حقها وحدودها ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.



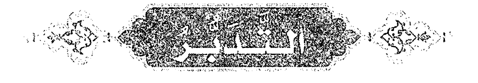
التفسير

• ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا شبيه ولا عديل.

• ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجهم.

• ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ لكمال غناه.

• ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله تبارك وتعالى.



١ ـ الحجة لا تقارع إلا بالحجة، والشُّبه لا ترد إلا بالعلم. (قُلْ) هنا رد على سؤال الكافرين (انسب لنا ربك)، وهذا هو الأصل أن تقارع الحجج ببعضها، وأن يأتي العلم

على مظان الشــبه. ونحن في زمان كثرت فيه الفتن، وأثيرت فيه الشـبه، ورُكِّز على المتشــابه محاولة لخلخلة مفاهيم النص الشـرعي، وإضعاف مقوماته، وعلى طلاب العلم أن يدركوا شأن العلم والتحصّن به، ورعاية مقامه حتى يتمكنوا من الوقوف أمام هذه الفتن والتصدي لها. ولا أقل من أن تضبط هذه المسائل التي يروّج لها الإعلام، وتفقه بفقهها الشرعي، ويتحصّن بها أصحاب الحق للرد على أصحابها حين تثار.

٢ ـ كمال الله تعالى وعظيم سلطانه، ترى ذلك من خلال اشتمال السورة كلها على وصف الله تعالى، ومقتضيــات هذه الصفات تعظيم الله تعالى، وإقامة شــعائره، والقيام بحقوقــه، والوفاء بواجباته، ألا ترى كيف رعــى الصحابي حقها، فكان يختم بها في ركعته من كل صلاة، ولما سـئل عن ذلك قال: (إني أحبها) فقال له ﷺ: (حبك إياها أدخلك الجنة)! ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

٣ ـ ما أحوجنا إلى قراءة هذا الوحي قراءة مشاعرية! وما نصنع بحرف نردده دون وعي! ويأسرني في هذا المعنى فقه الصحابي لهذه الســورة التي يختم بها كل ركعة، ويجيب على ســؤال نبيه ﷺ أن الحامل له على هذا المعنى الشوق لربه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

٤ ـ إذا قام فــي قلبك مخلوق رغبة أو رهبة فَرُدَّ على هذا الشــرك الخفي بوحي ســورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

٥ ـ إذا توعدوك في طريق، أو عرضوا لك في قضية، أو اجتمعوا عليك في مكان، فعلّق نفسك بهذا المعنى الكبير ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

٦ ـ إذا رغبت في مدح أو ثناء أو كرم مخلوق فَارْقِ نفسك مراراً بسورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

٧ ـ لا توقع أسفل الورقة التي كتبتها، أو الخطاب الذي حررته، أو المسألة التي شاركت فيها، فالله يعرف تفاصيل الحكاية كلها ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

٨ ـ حين تصوِّر نفسك في أي وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي راقب نيتك، وتنبه لتوجه قلبك، فالله أولى بك من كثيرين ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

٩ ـ إذا رأيت من يطوف بالقبور، أو يعظِّم الأولياء، أو يمدح في مسؤول أو يعدد في مناقب منافقين فناده بسورة الإخلاص علّه أن يكون من الموحدين ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

١٠ ـ يجيب دعوة أخيه في الزواج، ويسافر لها سفراً تُقصر فيه الصلاة، ويدفع آلاف الريالات، وكل ذلك لغير الله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

١١ ـ يحضر صلاة الجنازة، ويشارك في دفنها، ويعزي صاحبها وتغيب عنه مباهج النية، كل ذلك من أجل أن يشكره صاحب الجنازة ويثني عليه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

١٢ ـ في أوساط النساء ترى صوراً كثيرة ومثيرة في الوقت ذاته من المشاركة في مناسبات بعضهن، والمؤسف أن كثيراً منها لغير الله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١

ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

١٣ ـ حضرت زواجه ولم يحضر زواجي، وعزيته ولم يعزيني، وزرت مريضه ولم يزرني! هذه مظاهر الرياء تتكاثر في أوساط كثيرين، وإمامهم يقرأ شبه يومي ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

١٤ ـ حتى مركوبه، وبيته، وثوبه باتت تتسابق على غير الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

١٥ ـ إذا مرض استنفد كافة خيارات العلاج عند الخلق، فإذا لم يجد برءاً عاجلاً توجه من جديد إلى الربِّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

١٦ ـ يعرف كثير من عناوين المستشفيات، وأرقام الرقاة، وجهات المعالجين بالطب الشعبي، وقد لا يبذل من وقته للعلاج الشرعي إلا النزر اليسير، والله يردد على مسمعه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

١٧ ـ باب الأسماء والصفات من أعظم ما يبني قضايا التوحيد في النفوس، وقد جعل الشارع هذه السورة تعدل ثلث القرآن، وليس فيها سوى صفات الله تعالى. وهي الطريق التي يتعرف بها العباد على ربهم تبارك وتعالى، فكيف لو علم العبد حق العلم وفقه حق الفقه أن الله تعالى هو الحي الكبير العظيم الواحد الأحد الفرد الصمد، وعلم مقتضى ذلك، وأنه لا ينفع إلا هو، ولا يضر سواه، وأنه لا مانع لما

أعطى، ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، وأن ما أراد الله تعالى كان، وما لم يرد لم يكن، وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه! وكيف لو علم أنه يسمع ويبصر، وأن ما يحدث في الكون مهما دق أمره وقل شأنه فإن الله تعالى يراه ويبصره، وأن سمعه وبصره وعلمه يبلغ ما خفي وما بطن ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

١٨ ـ جعل الشارع قراءة هذه السورة سنة راتبة في راتبة المغرب، وراتبة الفجر، وركعتي الطواف تذكيراً بهذا المعنى الكبير فيها، وسورة أولاها الشارع هذه العناية حقيقة بالعناية، وهذا المعنى أعني (باب التوحيد) من أعظم ما ينبغي أن يركّز عليه في دعوة الناس إلى الحق فإن من صح له توحيده صح له كل شيء، ومن تعلَّق بالله تعالى ثبت أمام عوارض الفتن، والشبهات، والشهوات. وكل أبواب الدعوة هي فرع من هذا الأصل الكبير ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

١٩ ـ فقر العبد، وغنى الخالق، ألا ترى أنه لا سبيل لغنى المخلوق إلا بالاستعانة بربه تعالى، واللجوء إليه، والاعتصام به، ومن معاني الصمد صمود الخلائق إليه، وتعلقهم به، وحاجتهم إليه فهم مفتقرون إلى ربهم في كل شيء، وهذا من أعظم الأدلة على غناء الله تعالى وكماله جل في علاه ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾.

٢٠ ـ إثبات كمال الله تعالى، ترى ذلك من خلال إثبات صفاته في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾، ونفي النقائص عنه في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

٢١ ـ الدعوة للحرية، والتحرر من القيود التي تكبل الإنسان من التعلق بالمخلوقين، ورجائهم، والتوسل إليهم، والرغبة فيما عندهم، ومن قرأ هذه

السورة وأعطاها حقها من التدبر في صفاته تضاءل في عينه الخلق، وتعلّق قلبه بالله تعالى، وأدرك أنه حر من كل قيد يفرضه الخلق على عباد الله تعالى في الأرض. ومن صفا له التوحيد صفا له كل شيء ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾.

٢٢ ـ تأجير العقول مشكلة أزلية، لقد جاءت هذه السورة كلها في وصف الله تعالى، وكمال سلطانه، وعظيم قدرته، وعدم مساواة أحد من الخلق له، ومع ذلك لم يسمح كثير من عباد القبور والأولياء لعقولهم بالتأمل في معنى هذه السورة وما أرشدت إليه ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾.

٢٣ ـ كمال شفقة الله تعالى بخلقه، وهذه السورة التي يصف الله تعالى فيها نفسه، ويبين لخلقه عن قدرته وكماله تعليم لهم بصفات جلاله، ودعوة لتعظيم شعائره، والقيام بحقه، وأداء واجباته على أكمل الوجوه وأتمها ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾.

٢٤ ـ الصدق والإخلاص مع الله تعالى في كل شيء، فإذا كان الله تعالى أعظم مطلوب ومرهوب، فما ينفع إنسان توسله بغير ربه! وما يغنيه رضا مخلوق أو غضبه:

إذا صح منك الود فالكل هيّن
وكل الذي فوق التراب تراب

وفي حديث نبيك ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحفُ**».

٢٥ ـ الرد على اليهود، والنصارى، والمشركين؛ فكل هؤلاء نسبوا لله تعالى الولد، فقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال المشركون: الملائكة بنات الله تعالى، فتولت السورة القضاء على هذه الأفكار

والأوهام والمعتقدات ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

٢٦ ـ جلاء منهج التلقي، وأنه لا يمكن أن ينضبط للإنسان سيرة وسلوك إلا حين يكون التلقي من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، (وقل) هنا إشارة إلى هذا المعنى، وكل انحراف أصاب الأمة فإن أصله من هذا الطريق ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

٢٧ ـ الرد على أهل البدع، والشركيات، فكون الله تعالى واحداً أحداً يدفع كل وهم يتعلّق به أهل الشرك من الأعوان والنصراء والأولياء ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

٢٨ ـ إن الله تعالى ليس كمثله شيء، وعلى هذا؛ فكل صفة صحت لله تعالى في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ وتتحد مع المخلوق في الاسم، فلا يتأتى على بالك أو علمك أو فكرك شبهها بصفة المخلوق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

٢٩ ـ كل ما دون الله تعالى فهو ضعيف فقير محتاج مهما بلغ ملكه وسلطانه ومسؤوليته، وفي قول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ بيان لهذا المعنى وتأكيد له.

٣٠ ـ حين تقرأ هذه السورة، فهي حديث الخالق عن نفسه، ووصفه لها، فهب لها من قلبك، ومشاعرك، وتفكيرك ما يبعث فيك إجلاله تعالى، والقيام بحقه واستشعار عظمته وسلطانه في واقع الأرض، وحين تأوي إلى فراشك فانفث بها مع أخواتها الفلق والناس؛ فإن رسولك ﷺ قال: «**ما تعوَّذ بمثلهن أحد**» ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

❀ ❀ ❀

سُورَةُ الفَلَق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

التفسير

- ﴿قُلْ﴾ متعوذاً ﴿أَعُوذُ﴾ ألجأ وألوذ وأعتصم ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ بفالق الحب والنوى، وفالق الإصباح.
- ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ من شر جميع المخلوقات ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ أي الليل وما يكون فيه من الشرور.
- ﴿إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ إذا دخل.
- ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ ومن شر السواحر اللاتي يستعنّ على سحرهن بالنفث في العقد التي يعقدنها على السحر.
- ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ ومن شر الحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن المحسود.

التدبر

١ ـ قيمة العلم في العمل به، وما ينفع إنساناً يعرف أثر العلم ولا يعمل به، ولا يطبِّق ذلك في حياته! والاستعاذة هنا نوع من العمل بالعلم وإثراء لحقيقته، وتطبيق لآثاره في الواقع.

٢ ـ كل علم لا يترتب عليه عمل فاربأ بوقتك أن تبذله في قراءته أو تَعَلُّمِه، وما يصنع إنسان بركام حرف لا قيمة له في واقع الحياة! ما رأيت كثرة للعلم مثل ما رأيت في زماننا، وما رأيت إدباراً عن قيمه ومعانيه ومُثُلِهِ وتطبيقه في الحياة كما رأيت في مثل هذا الزمان. ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ دعوة لتحويل هذا العلم إلى ساحات العمل والتطبيق.

٣ ـ رأيت في وسائل التواصل الاجتماعي من يدفع المعارف والمعلومات كما يدفع أبناؤنا الكرة في الملاعب، كل يود أن ينفع بها غيره، والحقيقة أن كلاً منهم يود أن يتخلّص منها، ويخرج من تبعاتها، وإذا لم تُسعد نفسك بالعلم فلن تستطيع أن تُسعد به غيرك.

٤ ـ كان أحدهم يربي نفسه على العمل، فلا تمر به معلومة حتى تأخذ حظها من التطبيق في حياته ولو لمرة واحدة، وعلى مثل هذا المعنى تنداح ذكريات العاملين ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾.

٥ ـ ما أشد حاجة الإنسان إلى ربه تبارك وتعالى! وإذا كان الأنبياء مع عظم شأنهم ومكانتهم عند الله تعالى عَلَّمهم ما يقيهم الشرور، ويدفع عنهم غوائل السوء فكيف بغيرهم من العباد! ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ ﴿قُلْ﴾ هنا لرسوله ﷺ وهي في الوقت ذاته لكل فرد من أمته.

٦ ـ الوقاية منهج شرعي، ومن كمال عقلك أن تحول ما بينك وبين الشرور العارضة في الطريق بالأسباب الواقية منها. وكم من تفريط في هذا المعنى أوجب نهاية سوء! توقف بعض طلاب العلم عن القراءة مع شغفه بها سنة كاملة لا يستطيع أن يمد يده إلى كتاب، وآخر توقف مشروعه من أصله، وثالث ساءت ظروفه، ورابع وخامس وعاشر، وقد قال نبيك ﷺ: «**العين حق**» وأثبت أن في العالم شروراً تحتاج إلى توقٍّ واحتراس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

٧ ـ التوكل على الله تعالى ليس معنى قلبياً مجرداً عن الأسباب، وإنما هو بذل للأسباب الشرعية مع توكل القلب، وتعلقه بالله تعالى في كل شيء، و﴿قُلْ﴾ هنا دعوة لفقه الأسباب وأثرها في دفع غوائل السوء ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾.

٨ ـ في مخلوقات الله تعالى شر، ولذلك شرعت الاستعاذة بالله تعالى منها، وهي من كمال حكمة الله تعالى وقدرته، ويترتَّب عليها من حِكَمِ القضاء والقدر شيء كبير؛ فهي شرور نسبية، فلولا هذه الشرور لما عُرف الإيمان من الكفر، والصبر من الجزع، والإيمان بالقدر من سوء الظن بالله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

٩ ـ من دلائل علمك، وكمال أدبك مع ربك ألا تنسب الشر إليه كما في دعاء نبيك ﷺ: «**والشر ليس إليك**» وإن كان هو من قضاء الله تعالى وقدره.

١٠ ـ الشرور مختلفة ومتباينة، منها ما هو ظرف لها كالليل، ومنها ما هو من فعل الإنسان سواء كان سحراً، أو حسداً، وإنما خصت هذه الثلاثة بالذكر لشدة ملابستها للناس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ

غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

١١ ـ ظلام الليل شر يُستعاذ منه، ويُستعد له، ويُتعوذ منه ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ وظلام الجهل، والشدة، والمشكلات، والأزمات، والمصائب التي تلقاها في طريقك كالليل أو أشد، وحاجتك في هذه المواطن للجوء إلى الله تعالى، والإقبال عليه، وسؤاله الفرج والتوفيق كحاجتك للنور في ظلام الليل لا فرق.

١٢ ـ في السورة دعوة للتفاؤل، وأن الظلام العارض في الأرض مهما بلغت ظلمته فهو إلى زوال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ في مواجهة تلك الشرور الممتدة في الأرض ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ فإذا كان فلق الصبح، وهو بعض خلق الله تعالى يبدد صور الظلام الحسي من الأرض، فكذلك خالقه ومدبره أقدر على تحويل الظلام المعنوي من حياتك وواقعك إلى أبهج ما يكون.

١٣ ـ تختلف الشرور في تأثيرها على الإنسان، وفي تخصيص (الليل، والسحر، والحسد) ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ بعد عموم ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ ما يدلك على ذلك، فتنبه وعُدَ لها ما يدفَعُها من طريقك قبل الوقوع.

١٤ ـ من القواعد المقررة: ما أنزل الله تعالى داءً إلا أنزل له شفاءً، فهذه الشرور والأدواء التي تنزل بالناس لها أسباب وقائية كصلاح النفوس وتزكيتها، أو حفاظها على الأذكار المشروعة، أو التداوي بالقرآن، أو بغيره من الأدوية التي هي سبب في مواجهتها، وزوالها بعد الوقوع.

١٥ ـ إذا عَرَضت هذه المشكلات لإنسان فعليه أن يقابلها بالتوكل، والصبر، ويستعين عليها بالأدوية الشرعية، ويقوم بقلبه تعظيم الله تعالى، والإيمان بقضائه وقدره أولاً وآخراً.

١٦ ـ كم من مشكلة عرضت لإنسان في الطريق فكانت سبباً في إقباله على الله تعالى، وإصلاح سيرته، وتدارك زمانه، وهذه الشرور مع شدة خطرها وأثرها على الإنسان قد تكون بوابة يلج منها الإنسان إلى الله تعالى فلا تكون باباً للتشاؤم، والخوف والقلق، والتوجّس، بل يمضي الإنسان متوكلاً متوقياً محتسباً ما يناله منها في الله تعالى، مستفيداً منها في تكفير خطاياه، وإصلاح واقعه، وتصحيح مساره في مستقبل الأيام.

١٧ ـ كل نعمة أعطاك الله تعالى، فهي مهددة بهذه الشرور، ولا سبيل للحفاظ على هذه النعم إلا بشكرها، وشكرها ليس صورة مجردة باللسان، وإنما حسن صلة بالله تعالى بالقلب، واللسان، والجوارح.

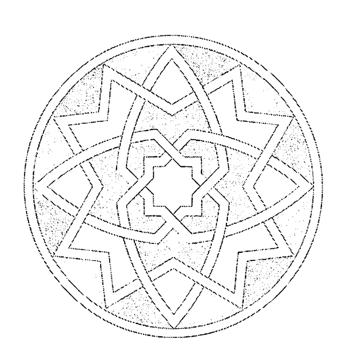
١٨ ـ أثر المعرفة في التوقي من هذه الشرور، وهذا البيان في كتاب الله تعالى عن هذه الشرور وأخطارها دليل على أثر المعرفة في خلق حصانة تجاه الشرور، وكم من جهل أوقع صاحبه في مهاوي الردى وهو لا يشعر!

١٩ ـ كفاية منهج الله تعالى، فما من خير إلا أبانه، وما من شر إلا كشفه ووضحه ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾.

٢٠ ـ رأيته إذا صلى الفجر والعصر مكث قاعداً يتلو أذكار صباحه ومسائه، ولا يمكن أن يتحرَّك إلا بعد تمامه عملاً بتوجيه الوحي، وحفاظاً على ما آتاه الله تعالى من نعم، وتوقياً للشرور العارضة في الطريق. وكذلك يصنع العلم.

٢١ ـ ما أكثرهم الذين يدفعون أموالاً باهظة في سبيل التأمين على أنفسهم وأهليهم ومركوباتهم، وينسون في المقابل التأمين على هذه الأنفس بأعظم أسباب وقايتها في الداريـــن ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾.

❀ ❀ ❀



سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾ ألتجئ وألوذ وأعتصم بالله.
- ﴿مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾﴾ الذي ينفذ فيهم أمره وحكمه وقضاؤه ومشيئته.
- ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ مألوههم ومعبودهم.
- ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ من شر ما يلقى في القلب من الأفكار والأوهام والتخيلات ﴿الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ الذي يخنس وينهزم ويولي عند ذكر الله تعالى.
- ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾﴾ بالإلقاء الخفي في نفوسهم.
- ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ أي أن هذه الوساوس تكون من الجن والإنس.

التدبُّر

١ ـ ﴿أَعُوذُ﴾ أكبر من كلمة تأتي على لسانك، إنها هروب بقلبك، ومشاعرك، وفكرك، ووجدانك، وكل شيء منك إلى خالقك، ولك منها ذات القدر الذي تقبل منه إلى ربك ومولاك. ما أحوج الإنسان إلى ربه وقت الرخاء والسعة! فكيف به في وقت الخوف والشدة والبأساء؟! فرق كبير بين دعوة يرددها لسان محتاج، ودعوة تخرج من فجاج القلب وتعانق فضاء السماء رغبةً وأملاً ورجاءً ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾.

٢ ـ ﴿أَعُوذُ﴾ اعتراف منك بضعفك وإجلال منك في الوقت ذاته لربك، وإذا فقه الإنسان ضعفه وفقره تدرج في مدارج العبودية، ونال من توفيق الله تعالى على قدر ما في قلبه من تواضع وإذعان. ما أكثر ما كان يردد رسولنا ﷺ هذا المعنى كثيراً في حياته: «**اللهم لا تكلني إلا نفسي طرفة عين**».

٣ ـ الإنسان أضعف من أن يقف أمام عدوه من الإنس فكيف بعدو لا يراه! وقد سلَّطه الله تعالى عليه، ومكنه منه، ولا حيلة له منه إلا باللجوء إليه والاستعاذة به، والتوكل عليه ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

٤ ـ ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ دعوة وتعليم للإنسان بأن لا يمل سؤال الله تعالى، والتوجه إليه والإقبال عليه، والإلحاح في سؤاله كل حين. وإذا كانت هذه الدعوة للإنسان على سبيل التوقي من شرور الشياطين، والسلامة من كيدهم، فكيف بالداعي وهو في أحلك الظروف، وأسوأ المشكلات، وأصعب الأحوال!

٥ ـ الشيطان أعظم عدو يطارد الإنسان، وقد أقسم قائلاً ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢] وتوعد قاصداً ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] وعدو هذه غايته، وهذه طرقه ووسائله لا ملجأ لك منه إلا بالله تعالى.

٦ ـ لا عليك من كل عوارض الطريق إذا آمنت أنك تقرأ عقيدة وتحتمي من خلالها بجلال الله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾.

٧ ـ أصل كل بلية تلقاها في طريقك إنما هي من وسوسة عدوك، وهي أعظم طريق للوصول إليك، وما من فتنة وبلاء وشر يصيبك ظاهراً إلا بعد جولة هذا المعنى في قلبك وفكرك باطناً، قال ﷺ: «**فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ**» وقال ﷺ: «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى**». وقال ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**». قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية، فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله، فيصوره لنفسه ويمنِّيه، ويشهِّيه، فيصيره شهوة، ويزينها له ويحسنها ويخيلها في خياله حتى تميل نفسه إليه فيصير إرادة). اهـ وكل الأحداث التي تراها في واقعك هي في الأصل خواطر تحولت في النهاية إلى أفعال.

٨ ـ (الوسوسة) بذر الشيطان الذي ينثره أمام جوارحك كل يوم، وهي كالحب الذي يُلقى للطير من أجل قتله، والصيد الذي يلقى للسمك في البحر من أجل

صيده، وكم من إنسان لقي حتفه من خلال ذلك البذر ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِی یُوَسۡوِسُ فِی صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾.

٩ ـ كل النهايات التي تقع فيها تبدأ جولتها الأولى في قلبك ومشاعرك، وما يزال يرعاها عدوك، وينثر فيها مباهج الشهوات والشبهات حتى يُلقي بك في مدارك السوء ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِی یُوَسۡوِسُ فِی صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾.

١٠ ـ من فقه نفسك أن توقف سيل هذه الخواطر في بدايتها، وأن تحول بينك وبين خيالاتها ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِی یُوَسۡوِسُ فِی صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾.

١١ ـ بداية شرارة الخلاف: مزاح، وبوابة الزنى خيانة عين، وأول خطوات الخذلان رؤية مشهد، وتجربة طريق مجهول، وعلى مثل هذه البدايات تُسفك القيم، وتذبل معارج التوفيق، وتتصحّر قلوب الأتقياء وتموت مباهج الاستقامة، وينتهي في النهاية كل شيء. وكل القابعين خلف القضبان في سجون الحريات لم يدركوا مآلات تلك البدايات، وما زال بهم الخطو حتى غابت عنهم شمس الحريات ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِی یُوَسۡوِسُ فِی صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ وإذا أردت أن تعرف خطر هذه الوسوسة فتأمل في حشد هذه الصفات للمستعاذ به من شرها ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾.

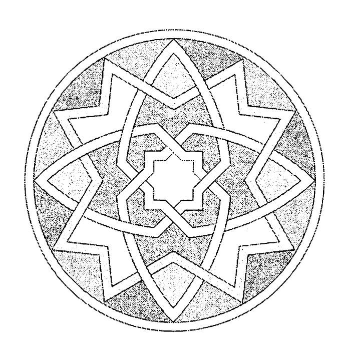
١٢ ـ أمامك عدوّان: عدو من الجن، وآخر من الإنس، وكلاهما يجهد من ذات الطريق، غير أن الأول يأتي إليها في صورة باطنة لا تراها، والثاني في صورة ظاهرة ولا فرق، فكل يجهد لإقناعك في النهاية بالخذلان وسوء التوفيق ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

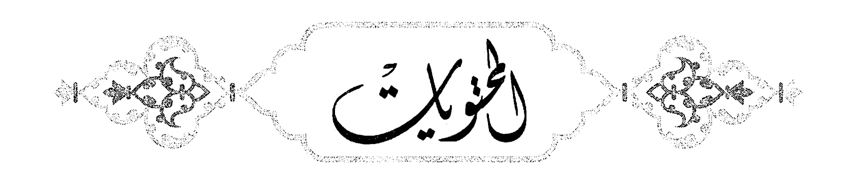
١٣ ـ لقيت كثيرين في السجون كلهم يعترف أنه سبق هذا المكان حديث طويل عريض في قلبه ومشاعره، وما زال ينمو حتى خرج في صورة سجين ينتظر نهايته ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾.

١٤ ـ لا سبيل للخلاص من عدوِّك إلا بالإقبال على ربك من خلال تزكية نفسك بالطاعات، والإدبار عن مواطن الخذلان، والمحافظة على الأوراد الشرعية، وبذل كافة الأسباب الواقية لدفع شرهما والتخلّص منهما ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾.

تمَّ بحمد الله تعالى

في مساء الجمعة ١٤٤٣/٣/١٦هـ




المحتويات